



AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

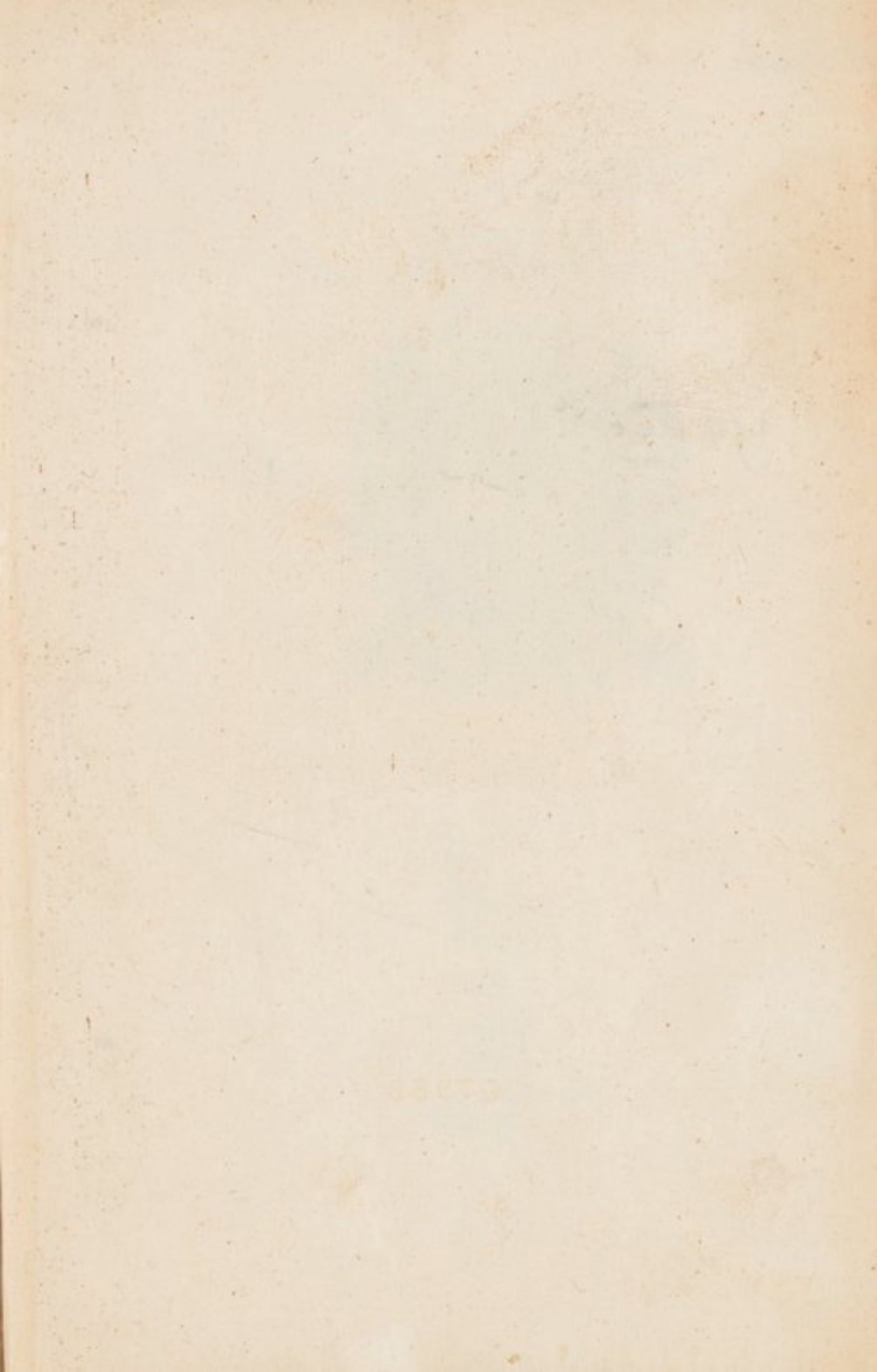


509.1
D.
P.
10.
10.
10.
10.
10.
10.

yevtushenko

1

مكتبة جامع الزيتونة
رقم ٢٢٦٧



892.709.

B981u5A

v.1

أدبَاءُ الْعَرَبِ

فِي

الْجَاهِلِيَّةِ وَفَصَائِلِ الْأَسْبَابِ

حَيَاتِهِمْ - آثَارِهِمْ - نَعْدَ آثَارِهِمْ

تَأليف

بطرس البستاني

الطبعة الخامسة

67988

مكتبة صادر

بيروت

Gift. Frasn. Class. Cat. June 1948

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

العصر الجاهلي

(٥٠٠ - ٦٢٢)

« يتبدى في تمكن النهضة الشعرية الجاهلية »
 « وينتهي بظهور الاسلام والهجرة النبوية »

- الجاهلية : سمي العصر الجاهلي لشيوخ الوثنية فيه
 نشأة الشعر : يصعب تعيينها. يرجح ان النهضة بدأت قبل الاسلام بقرنين او أكثر .
 تمكنت في القرن الاول قبل الاسلام
- عكاظ : سوق بين نخلة والطائف . يجتمع فيها العرب للبيع والشراء . يتناشد الشعراء
 فيحكم بينهم . النابغة كان حكماً . الاسواق قربت للهجات . واكسبت
 لغة قريش كل جميل . واستجشت قرائح الشعراء
- اصل النظم : نظم الانسان مقاطع وتغنى بها ثم رتبها وجعل لها وزناً . الرجز اول النظم
 ابواب الشعر : طرق العرب الشعر الغنائي ولم يطرقتوا الشعر القصصي لضعف عقائدهم الدينية
 وليس لهم شعر تمثيلي
- ميزة الشعر : مرآة لعصره الفطري . بعيد عن التكلف . صادق الالهجة . خشن كحياة
 الجاهلي البدوي . فيه انعام الوصف
- تأثير الشاعر : يحامي عن اعراض قومه ويفضح اعداءهم . تفرح القبيلة اذا نبغ فيها شاعر
 وتقيم الولائم . العرب شديداً الاعجاب بالشعر لذلك حفظوه ورووه
- صحة الشعر : اختلاف لهجات القبائل ووصول الشعر بلغة قريش وحدها جعلها طه حسين
 يشك فيه . اسباب النحل عنده : تفاخر الاحزاب ، والدين ، وتنافس
 الرواة والعلماء في سرد الشواهد الشعرية
- الرد على طه حسين : الشعراء الجاهليون اكثرهم من عدنان . الاسواق وحدثت الالهجات . لغة
 قريش هي اللغة الادبية الجاهلية ولولا ذلك لما فهم العرب القرآن .
 لايشتمل الشعر الجاهلي كله على ذكر المفاخر . واكثره لا تعلق له بالبعثة
 النبوية . اكاذيب الرواة تنبه لاكثرها الاقدمون . الشواهد الشعرية في
 ابيات متفرقة لا في قصائد . يقبل الشك في بعض الشعر الجاهلي وليس في مجموعه

اطلق القرآن لفظة الجاهلية على هذا العصر لشيوع الوثنية فيه، وتغلب الجهل على الحلم^(١) وفي سورة المائدة: «أَفْخَكَمَ الجاهلية يبغون» أي الملة الجاهلية . فاصبحت هذه النسبة صفة للعرب الذين عاشوا قبل الاسلام .

تأفة الشعر الجاهلي

من الصعب تعيين الزمن الذي بدأت فيه نهضة الشعر الجاهلي لاندثار منظوم الشعراء الذين نبغوا قبل الشطر الاخير من القرن الخامس على انه من المعقول ان النهضة الجاهلية بدأت قبل الاسلام بقرون او اكثر لان من يقرأ شعر المهلهل والشنفرى وتأبط شراً وغيرهم من شعراء القرن الخامس والسادس يرى فيه من البلاغة ما ينفي الحكم بانهم كانوا في طليعة شعراء العرب على ان هذه النهضة لم تتمكن الا في القرن الاول قبل الاسلام

اسواق الجاهلية — عكاظ

كان للعرب في الجاهلية اسواق يختلفون اليها في اوقات معينة للبيع والشراء واشهرها سوق عكاظ وهو نخل بين نخلة والطائف . وقد كانوا يؤمونها من كل صوب في شوال وقيل في ذي الحجة فيقيمون السوق فحواً من شهر ، يبيعون ويشترون حتى اذا انتهوا من متاجرهم انصرفوا الى اللهب والطرب فينشد شعراؤهم على مسمع من الجماهير المحتشدة وينتظرون ويتفاخرون ، ويكون هناك حكم يقضي بينهم ويرجع الواحد منهم على الآخر . وكان النابغة الذبياني اذا اتى عكاظ في الموسم ضربوا له قبة حمراء من ادم وتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها ليحكم فيها

وقد اثرت هذه الاسواق تأثيراً حسناً في الشعر لان الشعراء ، كانوا يختارون اللفظ التي تألفها القبائل على اختلاف لهجاتهم ولا سيما المألوفة في لغة قريش وهي صاحبة الزعامة هناك فاقتربت اللهجات بعضها من بعض واكتسبت لغة قريش كل

جميل من لغات القبائل الاخرى واهمات كل مستهجن . ومن تأثر بهذه الاسواق انها
استحشت قرائح الشعراء فأتوا بكل بديع رائع

اصل النظم

الشعر هو الكلام الموزون المقفى ويغلب فيه الخيال المطلق على التفكير
الصحيح . وقالوا انه يتقدم النثر في الظهور وهذا لا يعني ان الانسان القديم تكلم
شعراً ، بل نظمه وتغنى به ورواه لسهولة حفظه قبل ان يشرع بكتابة النثر الفني
المعروف

واما اصل الشعر فقد قيل فيه ان الانسان مفضول على حب الغناء في حزن
وسرور فنظم في بدء الامر بعض مقاطع تغنى بها ثم اخذ يرتب هذه المقاطع ويتفنن
فيها حتى جعل لها اوزاناً

وقيل ان اول بحر اخترع في الشعر العربي هو الرجز على انواعه وينسب الى مضر
ابن تزار . روي انه سقط عن جملة فكسرت يده وكان صوته جميلاً فاخذ يصيح
وايداه وايداه . . . فاستغفر تلحينه الابل في سيرها ونشأ من ذلك ما يسمونه الحداء

ابواب الشعر

طرق العرب ابواب الشعر جميعاً فنظموا في الفخر والحماسة والزهد والحكم
والمدح والهجاء والثناء والعتاب والغزل وكلها من نوع الشعر المعروف بالغنائي . اما
الشعر القصصي فلم يعن العرب به كثيراً ، ولعل ضعف عقائدهم الدينية صرفهم عن
نظم الملاحم في آهتهم كما فعل اليونان وغيرهم او لعلمهم نظموا شيئاً من ذلك واكبر
الاسلام عني عليه لما فيه من الروح الوثنية . وقد خلا الشعر العربي من النوع التمثيلي
لما خلا من الملاحم الالهية وغير الالهية

صيرة الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي مرآة لعصره بفطرته وبعده عن التكلف وتزويق الالفاظ . وهو
لا وحدة في موضوعه فالشاعر الجاهلي اذا اراد النظم استهل قصيدته غالباً بالوقوف

على الاطلاع وبكاء الدمن وذكر الاحبة ثم ينتقل الى وصف ناقته حتى اذا تم تصويرها يشرع بالفرض الذي يرمي اليه دون ان يتكلف حسن التلخيص . والشعر الجاهلي فيه بلاغة وإيجاز ، وابهاء وانفة ، صادق اللمحة ، بعيد عن التزلف لا يعرف المبالغة الا قليلاً . وهو في غرابة الفاظه وخشونتها احياناً مثال حياة البدوي وشطف عيشه . واذا وصف الشاعر الجاهلي احاط بالموصوف من جميع جهاته حتى يخرج له صورة جليلة تامة

تأثير الشاعر

كان للشاعر عند العرب تأثير عظيم ومقام سام ، فهو المدافع عن اعراض قومه والمشير بذكرهم ، والناشر مخازي اعدائهم ، وربما خفض الشعر قبيلة نابية ، ورفع قبيلة خاملة . فبنو انف الناقة كانوا يفرقون من اسمهم وينتسبون لبني قريص حتى قال فيهم الخطيب :
 قال فيهم الخطيب :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم
 ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا
 فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به اصواتهم في جهارة . وبنو نَمير اخذوا ينتسبون الى عامر بن صعصعة فراراً من الفضيحة بعد ان هجأهم جرير بقوله :

ففض الطرف إنك من نَمير
 فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والمحاق الرجل الفقير الحامل اكتسب شهرة وازوج بناته العوانس بعد ان أشاد بذكوره الاعشى في سوق عكاظ . والربيع بن زياد سقطت منزلته عند النعمان ، وكان من ندمائه ، بعد ان عرض به لبيد في شعره وهو غلام مراقق . فتأمل كيف كانت منزلة الشاعر وتأثير شعره في النفوس

وكان العرب اذا نبغ في قبيلة شاعر تأتيا الوفود من القبائل الاخرى مهنته فيعقدون مجالس الطرب ويولون الولايم . واكبر فخر لقوم ان يمدحهم شاعر غريب وكانوا اذا وقع الشاعر اسيراً في قبيلة احسنوا معاملته ليطلقوا لسانه بمدحهم والتنويه بمكارمهم

شعراء الجاهلية

الشنفرى

(١) ٥١٠ (٩)

- حياته : احد صعاليك العرب وعدائها . اختلف في مولده . ترك بني سلامان غاضباً . حلف ان يقتل منهم مئة فقتل تسعة وتسعين ثم قتلوه وطرحوها حججته فدخلت شظية منها في رجل احدكم فمات المئة
- آثاره : اشعار متفرقة اشهرها لامية العرب . الشك في صحة نسبتها اليه
- ميزته : شعره صورة لبيانه القطرية الحسنة . ينقل بامانة اخبار غاراته . يقول الحقيقة ولا يأنف من ذكر اوساخه . لا يصف مطيته بل يصف شدة عدوه (٢)

حياته

هو احد صعاليك العرب وعدائها والمشهور ان اسمه ثابت بن اوس الازدي والشنفرى لقب له لعظم شفتيه . اختلف في مولده فقيل انه نشأ في قومه الازد ثم اغاظوه فهجرهم وقيل ولد في بني سلامان او انهم سبوه صغيراً فنشأ بينهم حتى عرف حقيقة امره فهرب مضراً لهم الشر واقسم ان يقتل منهم مائة فأخذ يترصدهم ويقتك بهم حتى اذا بلغ عدد القتلى تسعة وتسعين قبضوا عليه وقتلوه وطرحوها حججته تحقيراً له فمر بها رجل منهم ورفسها برجله فدخلت فيها شظية فأماتته وقت به المائة فقوت عين الشنفرى بعد موته وبراً بقسمه . ومثل هذه الرواية كثير في اخبار العرب فلا ينبغي التحويل عليها .

(١) التاريخ المفرد يدل على الوفاة . ونضع علامة الاستفهام دلالة على شكنا في صحة التاريخ

(٢) عدوه : ركضه

أثره - لامية العرب

له اشعار متفرقة في كتب الادب وكلها في وصف غاراته وشدة بأسه واشهرها قصيدته المعروفة بلامية العرب وهي ٦٨ بيتاً من البحر الطويل ، لا وحدة في موضوعها كأكثر الشعر الجاهلي . وقد شك بعضهم في نسبتها الى الشنفرى لان اللغويين القدماء لم يستندوا اليها في مناظراتهم ، ونسبها ابن دريد الى خلف الاحمر ، ونسبها غيره لشعراء صدر الاسلام . على ان هذا الشك لا يضير القصيدة من حيث تعابرها الجاهلية وموافقها لحياة الشنفرى وما رافقها من شظف عيش وخشونة طباع وقد عني بشرح لامية العرب كثير من العلماء كالمبرد وتعلب والزحشري ودرسها المستشرقون ونقلوها الى لغاتهم

ميرته - لامية العرب

يمثل لنا الشنفرى في شعره الحُسن حياة البدوي الغليظ الطبع ، الذي جافاه قومه فأبت نفسه الحرة ان تحمل الضيم فتركهم وهو يقول في مطلع لاميته :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ ، فَإِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لَا أَمِيلُ^(١)
فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ ، وَشَدَّتْ لَطِيَّاتُ مَطَايَا وَأَرْحُلُ^(٢)

(١) اقام صدر مطيته : اذا سار ، واقسموا هنا بمعنى اصرفوا عني . أميل : اسم تفضيل من مال . ومعنى البيت : جدوا في امركم وانقيبوا من رقدتكم فانا راحل عنكم الى قوم سواكم
(٢) حمت : تهبأت وحضرت وقُدِّرت . مقمر : مضي . وهو هنا كناية عن وضوح الامر كما يكشف القمر الظلام . الطيبة : الحاجة والمكان المتوي المقصود . الارحل : جمع رحل وهو مركب البعير وبمترلة البرذعة للحجار . ومعنى البيت : انتهبوا من رقدتكم فهذا وقت الحاجة ولا عذر لكم فان الامر واضح وضوح القمر في الظلام . وهذا البيت تفسير للاول فكأنه يريد ان يظهر لقومه قيمة وجوده بينهم وشدة حاجتهم اليه اذا تركهم وهو يشبه قول الشاعر :

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ ، وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّالِمَاءُ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ

وَفِي الْأَرْضِ مَنَآئِلٌ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى ، وَفِيهَا لِمَن خَافَ أَلْتَلَى مُتَمَرِّزًا^(١)

وبعد ان يذكر ان الارض لا تضيق على امرى. عاقل يأخذ في تفضيل السباع التي يعاشرها ، على قومه لانها اكرم للسر ولان الجاني لا يخذل عندها فيقول :

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَّاسٌ ، وَأَرْقَطٌ زُهْلُولٌ ، وَعَرَفَاءُ جِيَالٌ^(٢)
هُمْ الْأَهْلُ ، لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ^(٣)

ويستدل من البيت الاخير ان قوم الشاعر خذلوه في جنابة اقتترفها^(٤) فرأى في الوحوش اهلاً افضل منهم ، واكرم للسر وانجدله في جويرته . ثم ينعت هذه الوحوش بالبسالة ولكنه يفضل نفسه عليها ، فهو يرى انه أبسل منها واعف وفي ذلك يقول مفتخرأ ببعده عن الجشع :

وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ ، إِذَا جَشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ^(٥)

ثم يمين في وصف نفسه فيصور لنا اخلاقه وعاداته احسن تصوير حتى يصل بنا الى وصف غاراته في الليلة المظلمة الباردة فيمثل لنا بايجاز بديع حياة صعاليك العرب وغزواتهم وما يصيبهم من جوع وبرد وخوف قال :

وَأَيَّةَ نَحْسٍ يَضْطَلِّي الْقَوْسَ رَبُّهَا ، وَأَقْطَعَهُ اللَّاتِي رِبَّهَا يَتَّبِلُ^(٦)

(١) المنأى : الموضع البعيد . اقلى : البغض . المتمرز : المكان الذي يعتزل الانسان فيه .

المعنى : ان الرجل الكريم اذا خشي البغض من قوم لا يبصر على الاذى بل يبعد عنهم مكاناً يعتزل به . (٢) دونكم : غيركم . اهلون : جمع اهل . السيد : الذئب . العمماس : اقوي على السير السريع . الارقط : النمر القريب من الاغبر او ما فيه سواد يشوبه نقط بياض . الزهلول : الامس . العرفاء : الضيع الطويلة العرف . وجيال : من اسماء الضيع . (٣) ذائع : منتشر . جر عليه جريرة : جنى جنابة طوالب بها . يخذل : اي لا يعان ولا ينصر .

(٤) في القصيدة بيت آخر في هذا المعنى وهو قوله :

طَرِيدٌ جَنَائِبَاتٍ تَيَاسِرُنَ حِمَمَهُ ، عَقِيرَتُهُ لَا يَأِيهَا حُمٌّ أَوَّلُ

تياسرن : تقاسمن . عقيرته : نفسه . لا يما : اي لا يجر جنابة . حُمٌّ : قدر . اول : بنتيت على الضم لقطعها عن الاضافة وموضعها النصب . والمعنى : ان الشفري طريد جنائبات تقاسمت لحمه فبأيجا توخذ نفسه اولاً (٥) اجشعهم : احرضهم على الطعام (٦) النحس : هنا البرد . يضطلي : يستدفئ بالنار . الاقطع : جمع قطع وهو السهم النضير العريض النصل . يتبيل : يرمي النبال .

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ ، وَصَحْبَتِي سُعَارٌ ، وَإِرْزِيزٌ ، وَوَجْرٌ ، وَأَفْكَلٌ^(١)
فَأَيْمْتُ نِسْوَانًا ، وَأَيْتَمْتُ إِلْدَةً ، وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ ، وَاللَّيْلُ أَلَيْلٌ^(٢)

ولا ادري أهذا البيت الاخير اوجز وابلغ في لفظه ومعانيه ام الشنفرى في
غزوته ليلاً وعودته قبل الصباح بعد ان أيم النسوان وايم الاولاد ؟

والبدوي يتوخى الحقيقة في اقواله ، فاذا رأى نفسه وسخاً لا يأنف من ذكر قذارته
وهكذا حياة الفطرة بعيدة عن العش والتمويه . قال الشنفرى يصف شعره :

بَعِيدٌ بِمَسِّ الدَّهْنِ وَالْقَلْبِيِّ عَهْدُهُ ، أَلَّةٌ عَبَسَ عَافٍ ، مِنْ أَلْفِئَلٍ مُجْوَلٍ^(٣)

ومما يلفت النظر ان الشاعر لم يصف ناقته في قطعه القفار ، ولا جواده في غزواته
اسوة بشعراء الجاهلية ، ذلك بان صعايلك العرب وعدائهم كانوا يمتسدون على
اقدامهم اكثر من اعتمادهم على المطايا وفي ذلك يقول الشنفرى مفتخراً بسرعة جريه
وسبقه القطا الى الماء :

وَتَشْرَبُ أَسَارِي أَلْقَطَا أَلْكُدْرُ ، بَعْدَمَا سَرَتْ قَرَبًا ، أَحْتَاوُهَا تَتَّصَلُ^(٤)

والمعنى : ان البرد كان شديداً في تلك الليلة حتى ان المرء يشعل قوسه وسهامه ليستدنى بها ،
واذا اصطلى الاعرابي قوسه فليس وراء ذلك في الشدة شيء .

(١) دعست : دست . الغطش : الظلمة . البغش : المطر الخفيف . السعار : حر يجده
الانسان من شدة الجوع . ارزيز : جمود من شدة البرد . الوجر : الخوف . الافكل : الرعدة .
يقول : سريت في الظلمة والمطر ، يرانقني جوع وبرد وخوف ورعدة . (٢) أيمت : جعلتهن
ايمى اي بلا ازواج . أيتمت : جعلتهن يتامى الآباء . الالدة : الاولاد . ابدأت : ابتدأت .
أليل : مظلم . (٣) الدهن : الطيب . القلي : تنقية الشعر . العبس : ما يتعلق باذنان الابل
من ابوالها وابعائها . عاف : كثير . الفسل : ما يفسل به الرأس . محول : اتى عليه الحول والحول
السنة . يقول : ان شعره بعيد العهد بالطيب والتنقية واتى عليه الحول ولم يفسل فاجتمع فيه
الوسخ الكثير حتى صار كأنه العبس الذي في اذنان الابل . (٤) الاسار : بقية الشراب في
قعر الاناء الواحد . سور القطا : طير تسير جماعات وهي امرع الطيور واعدائها الى المساء .
الكدر : الكامدة اللون . سرت : سارت ليلاً . القرب : السير الى الماء وبينك وبينه
ليلة ومنه القرب اي ليلة ورود الماء . الاحناء : الجوانب الواحد حنو ، ورواية المبرد :
احشاؤها وهي اجود عنده . متصل : يسمع لها صوت . والمعنى : ان القطا بعد ان تسير

هَمَّتْ وَهَمَّتْ ، وَأَبْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ ، وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ ، مُتَمَهِّلٌ (١)

واللامية العرب منزلة سامية في الاداب العربية ، وحسبها ان تصور لنا شطراً
من حياة البدو في الجاهلية واحوال صعاليك العرب

المهلل

(٩) ٥٣١

- حياته : شجاع يحب الخمر واللهو والنساء . نظم القصائد الطوال بعد موت اخيه .
اول من هلل الشعر . اختلف بموته . مات مسناً . انتهت الحرب
بعد موته
- حرب البسوس : كليب يعني على قومه . يحيي المراعي والمناهل . كلبه الصغير وتسميته به .
الناقحة سراب . جساس يقتل كليباً . الايام المشهورة
- آثاره : اشعار في رثاء اخيه
- ميزته : الرثاء والنفجع . الرقة . مقابله بالشغرى . حياة كل منها . لين شعراء
ريعية . تأثير الاقليم . لا تحصر رقة العاطفة بعصر دون آخر . رثاء
المهلل . اسلوبه الخاص التكرار والغلو في شروط الصلح . ما اضيف اليه من
الايات المبتذلة الركيكة . اكذب بيت قاله

طول الليل في طلب الماء واجوافها تتصلصل من العطش لينبسا ، لا تشرب الا فضلاتي اي اني
اسبقها الى الماء .

(١) هم بالامر : اراده وعزم عليه . ابتدرنا : استبقنا وتسارعنا . أسدلت : ارخت
اي ارخت جناحيها . شَمَّرَ : رفع الثوب الى وسطه ضد ارخي . فارط : المتقدم . يقول
عزمت وعزمت القطا على الجري فاستبقنا فارخت جناحيها كمن يرخي ثوبه فتقل جريها
وكنت كمن شمر ثوبه مسرعاً فتقدمتها ولكن على مهل . وقوله : « مني فسارط » تجريد

هو ابو ليلى عدي بن ربيعة التغلبي اخو كليب وائل وخال امرىء القيس (?)
 وجد عمرو بن كلثوم لأمه . قيل سمي مهلهلاً لانه هلهل الشعر اي ارقه وفي ذلك
 يقول الفرزدق :

ومهلهل الشعراء ذاك الاول

وكان المهلهل شجاعاً مقداماً^(١) صبح الوجه يقضي اوقاته في اللهو ومعاقره
 الخمر ومحادثه النساء فلقبه اخوه كليب « زير نساء » اي كثير الزيارة لهن . ولم يكن
 ينظم من الشعر الا بعض ابيات في الغزل والملاهي حتى قتل اخوه فاهابت به عاطفة
 الحزن فنظم القصائد الطوال في رثاء اخيه . ونشبت حرب البسوس بعد مقتل كليب
 بين تغلب وبكر فابلى فيها المهلهل بلاء حسناً حتى مات

موته

اختلفت الروايات في موته ، فابن قتيبة يقول في كتابه « الشعر والشعراء » انه
 مات في اسر عرف بن مالك بن ضبيعة في البحرين ، ومنهم من يقول انه مات عند
 اخواله من بني يشكر بعد ان شاخ وضجر من الحرب . وابن الكلبي يقول بل قتله
 عبدان كانا يخدمانه فملاً منه وكان قد اسن وخرف . ونسب للمهلهل انه لما احسن ان
 العبدان يريدان قتله اوصاهما ان ينشدا ابنته سليمة بيتاً من الشعر وهو :

من مبلغ الاقوام ان مهلهلاً ، لله دركما ودر اييكما

فلما انشدها البيت او ثقت العبدان وقالت : ما اراد ابي الا ان يقول :

من مبلغ الاقوام ان مهلهلاً ، اضحى قتيلاً في الفلاة ، مجندلاً

له دركما ودر اييكما ، لا يبرح العبدان حتى يقتلا

ولا يخفى ما في هذه الرواية من التفككة والعبث

(١) قال ابن سلام : وزعمت العرب انه كان يتكثر ويدعي في قوله باكثر من فعله

روي ان وائل بن ربيعة قاد قبائل معد كلها يوم خَزَازَى^(١) فهزم جموع اليمن واجتمعت عليه معد ونادوا به ملكاً عليهم وقدموا له الطاعة فدخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ به بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرعى حماه . ويقول : « وحش ارض كذا في جواري . » فلا يهاج . ولا تورد ابل احد مع ابله ، ولا توقد نار مع ناره . وكان له كلب صغير يقذف به في المراعي فيعوي فلا يدخلها احد الا باذنه . ويفعل ذلك في المناهل فلا يردھا احد الا بامرہ . حتى قيل « اعز من كليب وائل » ثم التصق تصغير الكلب باسمه من طول ترداده في الافواه فصار يعرف بكليب وائل

وكانت جليلة امرأة كليب من بني مرة بن ذهل بن شيبان ، ولها عشرة اخوة منهم جساس وهو اصغرهم . فتزلت عليه يوماً خالة له اسمها البسوس بنت منقذ وتزل بالبسوس رجل من جرم من احوال جساس اسمه سعد ومعه ناقة اسمها سراب ، فرعت مع ابل جساس وكانت ابله وابل كليب مختلطة لما بينهما من المصاهرة . فابصرها كليب فانكروها ، فرماها بسهم خرق ضرعها فولت الناقة تعج حتى بركت بغناء^(٢) ، صاحبها فلما رآها : صرخ : يا لذل ! . . . فسمعت البسوس فخرجت وصاحت « واذلها ! واجوار جساس ! واجوار مرة ! . . » ثم انشدت تعنف بني مرة :

لَعْمَرِي لَوْ أَصْبَحْتُ فِي دَارِ مُنْقِدٍ ، لَمَا ضِمَّ سَعْدُ ، وَهَوَّ جَارُ لَأَيَّاتِي
وَلَكَيْتَنِي أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ، مَتَى يَعْدُ فِيهَا الذِّئْبُ ، يَعْدُ عَلَيَّ سَاتِي^(٣)
فَيَا سَعْدُ ، لَا تَغْرُرْ بِنَفْسِكَ وَأَرْتَجِلْ ، فَإِنَّكَ فِي قَوْمٍ عَنِ الْجَارِ أَمْوَاتُ
وَدُونِكَ أَذْوَادِي إِلَيْكَ ، فَإِنِّي مُخَادِرَةٌ أَنْ يَغْدُرُوا بِنَيَّاتِي^(٤)

(١) اسم جبل قبل امتنعت فيه قبائل معد عن ملوك اليمن وهزمت جموعهم (٢) ساحة

(٣) يعدو : يسطو . الشاة : النعجة . تريد ان ليس احد يدافع عن حقها في جوار جساس

(٤) دونك : اسم فعل بمعنى خذ . أذواد : جمع ذود وهي من النوق ما فوق الاثنيتين ودون

قَبَسَ نَحْوَ جَرْمٍ ، إِنَّ جَرْمًا أَغْرَةٌ وَلَا تَكُ فِينَا لَاهِيًا بَيْنَ نِسَوَاتٍ (١)
 والعرب تسمي هذه الابيات بالمؤثبات لان البسوس لما اذشدتها او غرت الصدور ،
 فهب جساس وهو لا يعي من الغضب ، وطلب كليياً في الحمي فطعنه من ورائه طعنة
 اُرداه بها . فلما وصل الحُجر الى المهلهل ، وكان يشرب وهمماً اخا جساس ، قال :
 « يد جساس اقصر من ذلك . » وظل يشرب ويقول : « اليوم خمراً وغداً امرٌ . »
 وشاع مقتل كليب في بني تغلب ، فقامت عليه النوائح وشقت الجيوب ، وعقوت
 الحيوول . واقام المهلهل زمناً على قبر اخيه يرثيه ولا يفعل شيئاً سوى الوعيد حتى ينس
 قومه منه ثم هب للقتال فدارت رحى الحرب بين بكر و تغلب . وايامها المشهورة خمسة :

١ : يوم النهي ، وكان لتغلب على بكر

٢ : يوم الذنائب ، انتصرت فيه تغلب وقتل شرا حيل اخو جساس

٣ : يوم عنيزة ، تكافأوا فيه

٤ : يوم واردات ، وكان لتغلب على بكر وقتل فيه همام اخو جساس

٥ : يوم تحلاق الهمم ، انتصرت فيه بكر واسر الحارث بن عباد المهلهل ثم

اطلقه بعد ان جز ناصيته

وقيل ان حرب البسوس دامت اربعين سنة ، ولكن لما مات المهلهل خفت
 المناوشات ، وكان آخر من قتل فيها جساس قتله ابن اخته الهجرس بن كليب . وذكر
 الرواة ان الملك المنذر والد عمرو بن هند ملك العراق هو الذي اصلح بين الفريقين بعد
 موت المهلهل ، وقيل غيره

المأر

اشعار متفرقة في كتب الادب رثاء . كلها في اخيه كليب وتوعد قاتليه . وقد

العشرة وقيل الثلاثين . محاذرة : خائفة . تقول : خذ ما لي من النوق بدل ناقتك فاني هنا
 اخاف على بناتي الصغار من الغدر

(١) جرم : قبيلة الرجل . تقول : اذهب الى جرم فانها عزيزة تحميك ولا تبقي هنا في

قوم كلهم نساء

نحله القصاصون ديوان شعر ورواية تعرف «بقصة الزير» فيها من ركيك العبارة ،
وسخيف النظم ، وضعف التأليف ما يتبرأ منه المهلهل .

ميرته - الرما

٤ نسب الى المهلهل شعر في الغزل ولكنه قليل ، وفي الاغاني انه اول من استعمل
الغزل في الشعر ، غير ان ميزته الشعرية ليست في غزله وانما هي في رثائه وتفجعه على
اخيه ، في رقة عاطفته التي اكسبت شعره سهولة وليناً حتى ليدهشنا ان نجد هذا
شاعر جاهلي قديم عاش هو والشنفرى في عصر واحد بعدما رأينا ما في شعر هذا
البدوي الحشن من متانة وشدة اسر . فكيف تمت الرقة لاحدهما ولزمت الحشونة
الآخر ؟ . .

ولكي نجيب على ذلك يجدر بنا ان ندرس نشأة الاثنين والبيئة التي عاشا فيها
وما رافق حياتهما من المؤثرات الخارجية . فالشنفرى عرفناه لصاً صعلوكاً يعيش بين
الوحوش في الغابات والهراري مطروداً ومكروهاً من قومه يشن الغارات في الليالي
المظلمة الباردة ، فيفتك وينهب ، فلا بدع ان يكون شعره مرآة لحياته الحشنة .
اما المهلهل فقد نشأ في بيت كريم النجار له السيادة على قبائل معد كلها ، فانصرف
الى اللهو والطرب ومحادثة النساء ، ومعاقرة الحمر شأن الامراء امثاله . فليس من
عجب ان تلين طباعه وترق عاطفته . ثم قتل اخوه كليب وما اخوه الا عز بني تغلب
ومجدهم ، فاستولى عليه الحزن والجزع فسالت عاطفته على شعره فجاء رقيقاً مهلهلاً .

وهناك نظرة عامة لازى بدأ من الاشارة اليها وهي ان اكثر شعراء ربيعة
لا يجلو شعرهم من لين وسهولة ولعل قربهم من امصار العراق والسواحل البحرية
اكسبهم هذه الرقة ، وليس من ينكر تأثير الاقاليم في النفوس فابن الساحل ارق
طباعاً من ابن الجبل ، والساكن في المدن او على مقربة منها أين عاطفة بمن يعيش بعيداً
عنها . ونحن نعلم ان اطراف جزيرة العرب المتاخمة للعراق والشام والحبش كانت
في العصر الجاهلي اكثر حضارة من غيرها ، ومن المعقول ان تؤثر هذه الحضارة في
نفوس شعرائها فترق عواطفهم وترق معها الفاظهم .

ومن فاسد الرأي ان نحصر رقة العاطفة في عصر دون آخر فهي تعيش مع العصور كلها وتكون في البدوي كما تكون في الحضري . وقد نجدها في شاعر يعيش في البادية ولا نجدها في آخر يعيش في الامصار . ورب شاعرين يعيشان في عصر واحد واقليم واحد ، ترى في شعر احدهما رقة وفي شعر الآخر خشونة ، كجرير والفردق الشعارين الامويين فالفردق في شعره لا يقل شدة واسراً عن اخشن شاعر في الجاهلية ، على حين ان جريراً يذوب رقة وعاطفة . واي وجه لاشبه نلقاه في شعر ابي نواس وابي تمام وكلاهما عاشا في العصر العباسي الاول وكلاهما اتصلا بالخلفاء . وحظيا عندهم ، فكان شعر ابي نواس رقيقاً ليناً ، وشعر ابي تمام متيناً خشناً مع ان الثاني جاء متأخراً عن الاول .

لماذا وقد عرفنا ذلك فلا نعجب اذا قرأنا شعراً رقيقاً في الجاهلية بل يجب ان ندرس العوامل التي أثرت في نفس الشاعر فمُنحتة الرقة والسهولة . وقد عرفنا العوامل التي أثرت في نفس المهمل فأرقت عاطفته وهلمت شعره . فاذا هو يسمعا في دناء اخيه شبيه الماء . سلاسة وعذوبة ، مثال ذلك « رائيته » الحسناء التي قالها بعد ان دفن اخاه واقام على قبره يرثيه ، واليك بعض منتخبات منها :

أَهَاجَ قَدَاءَ عَيْنِي الْأَذِكَارُ ؟ هُدُوءًا ، فَالْدُمُوعُ لَهَا أَنْجِدَارُ ؟^(١)
وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَبِلًا عَلَيْنَا ، كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَبِتُّ أَرَاقِبُ الْجُوزَاءَ ، حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا أَنْجِدَارُ ؟^(٢)
أَقْلِبُ مُقَلَّتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ ، قَبَايِنَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَعَارُوا ؟^(٣)

(١) في كتب اللغة هاج : ثار وتحرك . وهاجه اثاره وحركه . ولم يرد امساج الا بمعنى ايبس . فتكون الحزمة هنا للاستفهام وقد وقع الوصل بين البيت الاول والثاني لانفاها في الانشاء لان البيت الثاني وان تكن جملة الشطر الاول منه خبرية لكن لم يرد بها الاخبار بل اظهار النحس والحزن ، وهو مجاز مركب يقصده نقل الجملة من الاخبار الى الانشاء .
الغذاء والقذى : ما يقع في العين فيوجعا . الهدوء : الهزيع من الليل يهدأ فيه الناس اي يتامون .
الانحدار : السيلان . يقول : ان ذكر كليب اثار قذى عيني ليلا فسات الدموع منها .
(٢) الجوزاء : برج في السماء . انحدار : هبوط (٣) قبائنت : تباعدت . غاروا : اختفوا عن العين

وَأَبْكِي وَأَنْجُومَ مُطَلَعَاتٍ كَأَنَّ لَمْ تَحْوَهَا عَنِّي الْبَحَارُ (١)
 عَلَى مَنْ لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيًّا لَقَادَ الْحَيْلَ يَجْجِبُهَا الْقَبَارُ (٢)

ومن قصيدة له يرثيه :

كَلِيبُ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا
 كَلِيبُ أَيُّ فِتْنٍ عَزْرٍ وَمَكْرُومَةٍ
 نَمَى الْأَنْعَاءُ كَلِيبًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ
 لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا هَبَطَتْ
 إِنْ أَنْتَ حَلَيْتَهَا فَيَمَنْ يُحَلِيهَا
 تَحْتَ الصَّفَاةِ الَّتِي يَعْلُوكَ سَافِيهَا (٣)
 مَالَتْ رَيْنَا الْأَرْضُ أَمْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا (٤)
 وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأَنْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا (٥)

والمهمل اسلوب خاص في رثائه وتفجعه تظهر فيه تعابيره الشخصية ، فهو إذا الح عليه الحزن صعد الزفرات مكررة وبدا لك منه غلو في تهديده بني بكره وضربه عليهم . معجزات الشروط ليرضى بمصالحهم ، واليك أمثلة من تعابيره الخاصة :

دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ ، فَلَمْ تُجِئْنِي
 أُجِئْنِي يَا كَلِيبُ ، خَلَكَ ذَمٌّ
 أُجِئْنِي يَا كَلِيبُ ، خَلَكَ ذَمٌّ ،
 وَكَيْفَ يُجِئْنِي الْبَلْدُ الْقَقَارُ (٦)
 ضَيِّنَاتُ النُّفُوسِ لَهَا مَزَارُ (٧)
 لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا تَرَارُ (٨)

ثم يقول :

أَتَقْدُوا يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا جَبَانُ الْقَوْمِ أَنْجَاهُ الْفَرَارُ (٩)

(١) مطلعات : طالعة . يقول : ابكي في ليل طويل كأن نجومه الطالعة لا تقرب في البحار (٢) لقاد الحيل : مجاز مرسل اي لقاد فرسانها (٣) سافيا : تراهي المتذري المتبدد (٤) الرواسي : الجبال الثابتة (٥) انجابت : انكشفت (٦) البلد القفار : الخالي من اهل . (٧) ضيينات النفوس : النفوس الغوالي التي يرض بها اي ييخل بها . يقول : دعوتك يا كليب فأجب ندائي فانت غال علينا والنفوس الغوالي ترار وتدعى للحاجة اليها . وقوله « خلاك ذم » احتراس لطيف ، ينفي به الذم عن اخيه لسكونه عنه (٨) قبيلتا بكر وتغلب تنتهبان الي ربيعة بن ترار بن معد بن عدنان (٩) اي أتقدوا معي الي الحرب

أَتَفَدُّوْا يَا كَلِيْبُ مَعِي إِذَا مَا حُلُوْقُ الْقَوْمِ يَشْحَذُهَا أَلْسِفَارُ (١)

ومن ذلك قوله يتفجع ولا يرى نظيراً لفقده كليب في كل ما يذكره :

عَلَى أَنْ أَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيْبٍ إِذَا خَافَ أَلْمَعَارُ مِنَ الْمَغِيْبِ (٢)

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيْبٍ إِذَا طُرِدَ أَلْيَتِيْمُ عَنِ الْجَزُوْرِ (٣)

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدَلًا مِنْ كَلِيْبٍ إِذَا بَرَزَتْ مُجَبَّأَةُ أَلْحُدُوْرِ (٤)

ومن قصيدة يذكر فيها شروطه ليقبل الصلح ، وفيها التكرار والمغالاة

في الطلب :

ذَهَبَ أَلْصَلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيْبًا أَوْ تَخْلُوْا عَلَى أَلْحُكُوْمَةِ حَلًّا (٥)

ذَهَبَ أَلْصَلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيْبًا أَوْ أَذِيْبِقَ أَلْعِدَاةَ شِيْبَانَ تُكَلَّلًا (٦)

ذَهَبَ أَلْصَلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيْبًا أَوْ تَنَالِ أَلْعِدَاةُ هُوْنًا وَذَلًّا

ذَهَبَ أَلْصَلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيْبًا أَوْ تَدُوْقُوْا أَلْوَبَالَ وَرِدًّا وَنَهْلًا (٧)

ذَهَبَ أَلْصَلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيْبًا أَوْ تَمِيَاوَا عَنِ أَلْحَلَالِلِ عَزْلًا (٨)

ونرى ان نكتفي بما اوردناه من الامثلة فان فيها ادلة واضحة على اسلوب

المهلل في التكرار وحب المغالاة . ولعل الرواة استغلوا هذه الحاصة في الشاعر فاضافوا

اليه ما ليس له لاننا نقرأ في اشعاره ابياتاً كثيرة فيها اسفاف وابتذال لا يصح

نسبته اليه مهما بلغ شعره من اللين والهلهلة مثال ذلك :

(١) حلوق القوم : اي رقايم وهو مجاز . شحذ السكين : احدها . الشفار جمع

شفرة : النصل . وقوله هنا يشحذها اي يبرجها (٢) المدل : المثل والنظير . ألعار : من

وقت عليه النارة . المغير : من شنها . المعنى : مهما اشتدت الغارة على الاعداء وخافوا

فلا يعادل ذلك فقد كليب (٣) الجزور : ما يذبح من الشاء ويريد به الطعام (٤) الحدور جمع

خدر : خباء المرأة ، وقوله مجبأة الحدور اي النساء الحرائر . قال ابو هلال العسكري :

ان المهالل يكرر هذا الشطر في اكثر من عشرين بيتاً (٥) الحكومة : القضاء بالامر وفصل

الخصومة . ويراد بها هنا الاحتكام للسياق (٦) شيبان : قبيلة جساس (٧) الوبال : الشدة

وسوء العاقبة . الورد : الاقبال على المساء . النبل : اول الشرب (٨) الحلالل : جمع

حليلة وهي الزوجة . عزلا مصدر عزل : نتحتى (لازم) اي ان تبعدوا عن نسايتكم ابتعاداً

ذَهَبَ الصَّلْحُ أَوْ تَرَدُّوا كَلِيًّا أَوْ تَعَلُّوا عَلَى الْحُكُومَةِ حَلًّا
 ذَهَبَ الصَّلْحُ أَوْ تَرَدُّوا كَلِيًّا أَوْ تَنَالِ الْعُدَاةُ هُونًا وَذَلًّا
 وقوله :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيْبٍ إِذَا طَأَتْ مُقَاسَاةُ الْأُمُورِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيْبٍ إِذَا هَبَتْ رِيَّاحُ الزَّمْهَرِيرِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيْبٍ إِذَا وَتَبَ الْمُنَارُ عَلَى الْمَيْمِ
 وقوله :

الْعَزْمُ وَالْعَزْمُ كَأَنَّ مِنْ طَبَائِعِهِ مَا كُلُّ الْآئِثَةِ يَا قَوْمُ أَحْصِنِيهَا
 فكان هذه الايات وغيرها دسأ لتثقلها واضطرابها وما فيها من ركاكة
 وابتذال . وهذا ما جعل الرواة يزعمون ان الاضطراب والاختلاط من صفات شعر
 المهلهل ، قال ابن سلام : « وانما سمي مهلهل لهلهلة شعره كهلهلة الثوب وهو
 اضطرابه واختلافه . من ذلك قول النابغة :

أَتَاكَ بِقَوْلِ هَلْهَلِ النَّسْجِ كَاذِبٍ »

ومن غلوه الفاحش قوله :

وَأَوْلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ يَجْجِرُ صَلِيلَ الْبَيْضِ تَفْرَعُ بِالذُّكُورِ (١)
 وقد قيل انه اكذب بيت قالته العرب . وبين حجر وهي قصبه اليامة ،
 ومكان الموقعة عشرة ايام .

عزله

١- يتبين لنا مما تقدم ان المهلهل شاعر العاطفة في رثائه وتفجعاته المتصاعدة تكراراً
 شاعر الغلو في تهديده وادعائه . وهو يمثل احسن تمثيل رقة الشعر في قبائل ربيعة ،
 وتأثير الاقليم والنشأة وعيشة الترف في البدوي ، وما للعوامل النفسانية حزناً او
 سروراً من اثر في العاطفة ، وفي الشعر الذي يستقطر من تلك العاطفة . ويعد من
 الطبقة الثانية بين شعراء الجاهلية

(١) البَيْضُ : جمع بيضة وهي الخوذة . (الذكور جمع ذكر : اصلب السيوف وأشد هيباً

المعلقات

هي اجود ما وصل اليها من الشعر الجاهلي ، وتسمى السُّط اي العقود . قال ابو زيد القرشي في كتابه « جمهرة اشعار العرب » ان ابا عبيدة قال : اصحاب السبع التي تسمى السُّط : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والاعشى ، ولييد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة . وقال المفضل : من زعم ان السبع التي تسمى السُّط لغير هؤلاء فقد ابطل . فاسقط من اصحاب المعلقة عنتره والحارث بن حلزة واثبت الاعشى والنابغة . واعتمد ابو زيد القرشي على ابي عبيدة والمفضل في ترتيب اصحاب المعلقة فجعلهم سبعة في مقدمة كتابه ولكنه خالف ذلك عند ذكر القصائد ، فأضاف اليهم عنتره فصاروا ثمانية . وجعلهم التبريزي عشرة مضيفاً الى من ذكرنا اسماهم قصيدة عبيد بن الابرس . وجعلهم الروزي في شرحه المشهور سبعة وهم : امرؤ القيس ، وطرفة ، وزهير ، ولييد ، وعمرو بن كلثوم ، وعنتره ، والحارث بن حلزة . وهذا ما رأينا ان نتبعه نحن

تعليقاً على البيت الحرام

اختلف في تسميتها بالمعلقة فزعم بعضهم ومنهم ابن عبد ربه وابن رشيق وابن خلدون ، ان العزب لشدة اعجابهم بها كتبوها في التَّبَاطِي (١) بما الذهب وعلقوها على الكعبة فلذلك سميت المذهبات . اما النخاس وهو معاصر لابن عبد ربه فقد انكر تعليقها على البيت الحرام وزعم ان حماداً الراوية هو الذي جمع السبع الطوال وقال للناس هذه هي المشهورات . وقيل : بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته . ويرجح اليوم انها اُتت المعلقة لتسببها بالسُّط التي تعلق بالاعتاق وقد دعيت المذهبات لانها تستحق ان تكتب بما الذهب لنفاستها

(١) القباطي : ثياب بيض رقاق من كتان سميت بذلك نسبة الى اقباط مصر الذين كانوا

اصحاب المعلقة السبع

(١) امرؤ القيس

(٩) ٥٦٥

- حياته : ولد في نجد . ابوه ملك بني اسد . نشأ ميالاً الى اللهو والترف . تهتك بشعره فغضب عليه والده فطرده . تطوافه في القبائل ينظم ويشرب ويلهو . مقتل والده . سعيه للاخذ بالنار . ذهابه الى القيصر . رجوعه وموته في انقرة . سبب عطف القيصر عليه
- آثاره : ديوان شعر مطبوع . اشهر ما فيه المعلقة نظمها لحادثة جرت له مع ابنة عمه . ثم وصف الفرس والصيد والمطر
- ميزته : ابتكار المعاني والتمايز . رقة الخزل . القصص الغرامي والتعجب . سعة خياله . وصفه الدقيق للفرس والصيد والمطر . تشابيه المبتكرة اللطيفة
- شعره الوصفي : مقابلة بين اربع قصائد له ، تظهر منها وحدة في التفكير والتعبير ، وتبدو ميزة الشاعر وشخصيته
- درس تاريخي : والدة امرؤ القيس ليست اخت كليب والمهازل . خلو شعره من ذكرهما وذكره لغيرهما . عدم افتخاره بانتصارات تغلب . اللامية الاخرى نظمت في البلاد العربية ولم تنظم في القسطنطينية تفزلاً بابنة القيصر ، نظمها بعد موت والده . امرؤ القيس زار بلاد الروم اكثر من مرة . معرفته الالفاظ الرومية . معارفه في بلبك وحمص
- صحة شعره : ضياع شعره . الشك في صحة بعض ابيات من المعلقة . نخله اشعاراً ليست له . ما اتاناه وعدم صحتها . رد على طه حسين واثبت صحة المعلقة والقصائد الثلاث التي قابلناها بها

هو امرؤ القيس بن حُجْر الكندي ولد في نجد وابوه ملك على بني اسد وغطفان
وقيل ان امه فاطمة بنت ربيعة اخت كليب والمهمل، وقد اختلف في اسمه والمشهور
انه يدعى جندحاً وله كنيتان وهما ابو وهب وابو الحرث، وثلاثة القاب وهي
ذو القروح^(١) والذائد^(٢) والملك الصَّليل^(٣)

نشأ امرؤ القيس ميالاً الى الترف واللهو شأن اولاد الملوك . ونظم الشعر فتياً
وكان يتهتك في غزله ويفحش في سرد قصصه الغرامية فغضب عليه والده ونهاه فلم
ينته فطرده فراح يطوف احياء العرب في جماعة من اصحابه ، يصطاد ويشرب الخمر
وينظم الشعر وتقني له القيان . وفيما هو بدؤون من ارض الشام اتاه نعي ابيه وكان
بنو اسد قد خرجوا عليه وقتلوه . فهب امرؤ القيس للاخذ بثأره^(٤) واخذ يستنجد
القبائل ، فلم تنجده الا قليلاً . فسار الى القيصر يوستينيانوس في القسطنطينية فعطف
عليه ووعده بان يساعده على الايتار لوالده ولكن طال الامر بالشاعر وهو ينتظر
دون جدوى ، فضجر ، وقفل راجعاً فلما بلغ انقرة اصيب بداء فمات . وقد ذكر
ذلك المؤرخ الرومي « نونوز » . وجاء في مخطوط قديم ان القيصر لما علم بموته حزن
كثيراً واقام له تمثالا شاهده المأمون لما غزا بلاد الروم .

ويُعزى عطف القيصر على امرؤ القيس لانه كان نصرانياً مثله . على ان هذا
وحده لم يكن كافياً لاهتمام يوستينيانوس بمساعدة الملك الطريد لولا طموحه الى منافسة
الاكاسرة وبسط سيطرته على جزيرة العرب . ويظهر ان عقبات قامت دون بغيته
فلم يستطع تحقيقها .

وقد احاطت بجماعة امرؤ القيس وموته طائفة من الاساطير فرأينا ان نضرب
عنها صفحاً لعدم فائدتها .

(١) لقوله : وبُذلت قرحاً دائماً بعد صحة (٣) لقوله : أذود الفواقي عني زيادا

(٣) لتطوافه على القبائل مستنجداً (٤) روي انه كان على شراب لما جاءه خبر ابيه فقال :
اليوم خمر وغدا امر . وقد ذكر هذا المثل ايضاً للمهمل لما نعي اليه اخوه

ديوان شعر طبع مراراً وقد شرحه البطليوسي النحوي المتوفي سنة ١١٠٠م .
و ٤٩٤ هـ . وله المعلقة المشهورة وهي اولى المعلقات تحتوي على ثمانين بيتاً من البحر
الطويل نظمها على اثر حادثة جرت له مع ابنة عمه عنيزة ، وكان يهواها فوصف الحادثة
ثم انتقل الى وصف الفرس والصيد والبرق والمطر .

مبّرته

هو اسبق الشعراء الى ابتكار المعاني والتعابير واول من وقف على الطول
واستوقف وبكى واستبكى في مطلع معلقته اذ يقول :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ (١)

وهذا المطلع من احسن الابتداءات عند العرب يقاربه في الحسن مطلع لاميته

الثانية :

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا أَطَّلُّ أَبَالِي وَهَلْ يِعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ أَخَالِي (٢)

وهو اول من قيد الاوابد اذ يقول في المعلقة :

وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ (٣)

و اول من ادخل في الشعر الغزل الرقيق والقصص الغرامي واتبعه الشعراء . من

(١) قفا : قيل خاطب صاحبيه او خاطب واحدا وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع اثنين .
السقط : منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه . اللوى : رمل يعوج ويانوي . (الدخول
وحومل : موضعان (٢) عم : فعل امر من وعم يعم أي نيم . الخالي : الماضي . العصر
والعصر واحد . المعنى : يبجي الشاعر ظل حبيبته ثم يعود الى نفسه فيسألها متحسرا وهل
يعمن ظل اصبح في غير عهده وتفرق أهله وخلا من ساكنيه ؟ . (٣) اغتدى وغدا واحدا .
الوكنات : واحدها وكنة : عش الطائر . المنجرد : الماضي في السير وقيل بل هو قليل
الشعر وهو صفة للجواد . الاوابد : الوحوش . الهيكل : العظيم الجرم . يقسول : وقد
اغتدي والطيور بعد مستقرة في اعشاشها على جواد ماض في السير قليل الشعر يقيد الوحوش
بسرعة لحاقه اياها عظيم الاالواح والجرم

بعده . وكان يتعهر في ذكر اخباره مع النساء . فهو من هذا القبيل فاسق متهتك .
وفن القصص الغرامي ومحادثه النساء . قليل في الشعر الجاهلي ، فلا نجد بعد امرئ
القيس الا في شعر المنخل الشكري ولا سيما قصيدته « الرائية » في المتجرودة امرأة
النعمان . ولكن هذا الفن شاع في صدر الاسلام وكان حامل لوائه عمر بن ابي ربيعة
والعرجي والفرزدق .

وسبق امرؤ القيس الشعراء الى اشياء عديدة ، ولعل كثرة اسفاره وسعت
خياله وساعدته على الاستنباط ، فاجاد الاستعارة والتشبيه ، فهو الذي شبه النساء
بالظباء والبيض ، والحيل بالعقبات والعصي . وبرع في الوصف الدقيق على الجواز في
التعبير وجزالة في الالفاظ . ولا بد من القول ان ميزة امرئ القيس قائمة على اربع
قوائد وصلت اليها من شعره الوصفي ، ففيها تظهر لنا ابتكاراته وتعاييره الخاصة
ومقدرته على تصوير الموصوف . على ان سائر شعره وان كان قليلا لا يخلو من
فوائد تاريخية سنأتي على ذكرها

شعره الوصفي - اربع قصائد

اكثر ما يتناول امرؤ القيس في شعره الوصفي النساء . والصيد والفرس والناقة
والمطر . وانك لتجد في معاني هذه الاوصاف وتعاييره وحدة في التفكير تدل
على ميزة الشاعر وشخصيته وهذا مثال من غزله القصصي :

قال في معلقته :

وَبَيْضَةَ خَدْرِ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّتْ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُجَلِّ (١)
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعْشَرًا عَلِيَّ حِرَاصًا أَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي (٢)

(١) أي ورب بيضة خدر يعني ورب امرأة لثمت خدرها . قيل والنساء يشبهن بالبيض
من ثلاثة اوجه : احدها بالصحة ، والثاني في الصيانة لان الطائر يصون بيضه ويحضنه ،
والثالث في صفاء اللون ونقاؤه لان البيض يكون صافي اللون نقيه اذا كان تحت الطائر .
(٢) احراس : جمع حارس أو جمع حرس . المعشر : القوم . الحراس : جمع حريس . يسرون :
ضد يظهرون . يقول : تجاوزت في ذهابي اليها اهلها كثره وقوماً يرسوخا حراساً على قتلي
لو قدروا عليه في خفية . وفي ذلك اشارة الى انه ملك والملوك لا يقدر على قتلهم علانية

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ وَمَا إِن أَرَى غَنِكَ الْعَوَايَةَ تَنْجَلِي (١)

وقال في «لاميته» التي مطلعها «الأعم صباحاً» :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ (٢)

فَقَالَتْ : سَبَّكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السَّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي (٣)

فَقُلْتُ : يَمِينُ اللَّهِ لَا أَنَا بَارِحٌ وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي (٤)

فانت ترى في سرد هاتين القصتين ، صلة ظاهرة ووحدة في المعاني والتعابير ، تبدو لنا فيها طريقة الشاعر في القصص الغرامية . فهو في الأولى وفي الثانية تجاوز الى من يهوى اهوالا وحراساً يحيطون بها ، وهو في الأولى وفي الثانية يجمل الحبسية تتخوف من زيارته وتلومه وتعنفه ، وهو في الأولى وفي الثانية يستعمل الحلف في قوله : يمين الله وهذا ما اعترضه عن عمر بن ابي ربيعة ، وكلمة كسر و الكلمة بما مشا هوننا

علمه عن عمر بن ابي ربيعة الا حقه ان يقول في حلفه

وصف الفرس والصيد

واليك امثلة من وصف الفرس والصيد ، واكثر ما يصف امرؤ القيس فرسه

في غدوه الى الصيد وانطلاقه وراء الطرائد . قال في المعلقة :

(١) اليمين : الحلف . النواية : الضلالة . تنجلي : تنكشف . يقول : قالت أحلف بالله ما لك حيلة أي عذر أو حجة في ان تغضبني بزيارتك ليلاً . وما ارى ضلال المشق وعماه منكشفاً عنك . (٢) حباب الماء : فغاخانه التي تعلقه . يقول : سعدت اليها بلطف وخفية كما يصعد حباب الماء بعضه على بعض دون ان يحدث جلبية . ووجه الشبه هنا لطف الوصول الى الحاجة . وامروؤ القيس اول من طرق هذا المعنى وابشكره وسلم الشعراء به اليه ولم ينازعه اياه احد . (٣) سبأ الله : دعاء عليه أي ابعده وغربه . السمار : جمع سامر وهو المجالس والمحدث ليلاً . احوال : جمع حول وهي الجهات المحيطة بالشخص . يقول : اتخا ذعرت من بغيته اليها ليلاً وقالت ابعديك الله الا ترى المتسامرين والناس يحيطون بي من كل جانب . (٤) الاوصال : جمع واصل أو واصل وهو مجتمع العظام او كل عضو على حدة لا يكسر ولا يوصل به غيره

وَقَدْ اغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَّا تَهَا
 كَمَيْتٍ يُزَلُّ أَلْبِدَ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ
 عَلَى الذَّبَلِ جِيَّاشٌ كَأَنَّ اهْتِرَامَهُ
 دَرِيرٌ كَحَذْرُوفِ أَلْوَيْدِ أَمْرَهُ
 لَهُ أَيُّطَلَا ظِيي ، وَسَاقًا نَعَامَةً
 ضَالِعٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ
 بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ (١)
 كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزَلِ (٢)
 إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَّةٌ ، عَلِيٌّ مَرَجَلٌ (٣)
 تَتَابَعُ كَفَيْهِ بِحَيْطٍ مُوَصَّلِ (٤)
 وَإِرْحَاءُ سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيْبُ تَنْثَلِ (٥)
 بِضَافٍ فُويِقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ (٦)

(١) اغتدى وغدى واحد . الوكنات واحدها وكنة : عش الطائر . المنجرد : الماضي في السير وقيل بل هو قليل الشعر . الاوابد : الوحوش . الهيكَل : العظم الجرم . يقول : وقد اغتدى والطيْر بعد مستقرة في اعشاشها على جواد ماض في السير قليل الشعر يقيد الوحوش بسرعة لحاقه اياها ، عظيم الالواح والجرم . (٢) الكميت : ما لونه بين السواد والحمره . يزل : يُزلق . اللبد : ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج ويعرف باللبادة . الحال : سقمه الفارس من ظهر الفرس . المتن : الظهر . الصفواء : الحجر الصلب الاملس . المنتزل : النازل . يقول : هذا الفرس الكميت يزلق لبدته عن ظهره لاخلاسه واكتناز لحمه ومسا محمدان من الفرس ، كما يُزل الحجر الصلب الاملس امطر النازل عليه او الانسان النازل عليه (٣) الذبل : الضمور والضعف . الجيَّاش : اسم مبالغة من الخيشان وهو الهياج والغليان . الاهتزام : صوت الفرس في سرعة السير ، وقيل بل صوت تكسر صهيله في صدره . جاش : غلى ، من غلت القدر . حميه : حرارة نشاطه . المرجل : القدر يقول : هو شديد الغليان على ضعفه وضموره وكان صوت تكسر صهيله في صدره اذا جاشت فيه حرارة نشاطه ، غليان قدر . (٤) الدرير : بمعنى اسم الفاعل من الدر ، صفة الفرس الذي يدرك الجري اي يديه ويتابعه ويسرع فيه . الحذروف : حصة مثقوبة او آلة مستديرة من جلد او خشب يجعل الصبي في ثقبها خيطاً ويدبرها على رأسه . أمره : احكم قتله . المعنى : ان هذا الفرس يتابع السير السريع كأنه الحذروف في دورانه اذا احكم قتل خيطه وكان الخيط موصلا . (٥) الايطل : الحاصرة . الارخاء : ضرب من عدو الذئب يشبه خبب الدواب . السرحان : الذئب . التقريب : ضرب من العدو يكون بوضع الرجل موضع اليدين . التنفل : ولد الثعب . شبه خاصرتي جواده بخاصرتي الغزال في الضمور وساقيه بساقي انعامته في الانتصاب والطول ، وعدوه بارخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب فجمع اربعة تشبيهات في بيت واحد . (٦) الضالِع : العظيم الاضلاع والمنتفخ الجبين . استدبرته : نظرت الى مؤخره . الفرج : القضاء بين اليدين والرجلين . ضاف : طويل سابق ، صفة لموصوف محذوف وهو ذيل الفرس . فويق : تصغير فوق للتقريب . الاعزل : الذي يمس على عظم ذنبه الى احد الشقين . يقول :

كَانَ دِمَاءُ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ عَصَارَةُ حِنَاءٍ بِشَيْبٍ مُوجَّلٍ (١)
 فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دُوَارٍ فِي مَلَاءٍ مُذْيَلٍ (٢)
 فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صِرَّةٍ لَمْ تَزِيلِ (٣)
 فَعَادَى عَدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَأَمْ يَنْضَحُ بِمَاءٍ فَيَغْسَلُ (٤)
 فَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيْفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ (٥)

وقال من قصيدة اخرى :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتَيْهَا وَمَاءُ أُنْدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مِذْنَبٍ (٦)

هذا الفرس عظيم الاضلاع منتفخ الجبين اذا نظرت اليه من خافه رأيته قد سدّ الفضاء الذي بين رجليه بذنبه السابغ الطويل الذي قرب من الارض وهو غير مائل الى احد الشقين . فسبوغ ذنبه من دلائل عتقه وكرمه ، وشرط كونه فوق الارض لانه اذا بلغ الارض وطئه برجليه ، واستواء عيب ذنبه ايضاً من دلائل العتق والكرم

(١) الهاديات : المتدمات والاولى ويريد بها اوائل الطرائد . النحر : العنق .
 المرجل : السرح بالمشط . شبه دماء اوائل الصيد في نحر هذا الفرس بعصارة الحناء في شعر الاشيب المشرح . وقيد بالمرجل لان الحصاب لا يفعل في الشيب كله الا بعد الترجيل .
 وكان من عاداتهم ان يخبضوا صدر الجواد بدم الطرائد بعد صيدها . (٢) عن : عرض وظهر . السرب : القطيع . النعاج : يراد بها هنا اناث بقر الوحش . العذارى : الابكار مفردتها عذراء . الدوار : حجر كان عرب الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبهاً بالطائفتين حول الكعبة اذا نأوا عنها . الملاء : جمع ملاءة وهي القطة من القماش اذا كانت ذات لفتين . المذيل : طويل الذيل . يقول : فعرض لنا قطع من بقر الوحش كأن انائه عذارى يطفن حول الدوار . وشبهه المهى في بياض الوانها بالعذارى لانهم مصونات في الحدور لا يغير ألوانهن حر الشمس . وشبه طول اذنانها بالملاء المذيل وحسن تشبهاً بحسن قبخته العذارى . (٣) الجواهر : المتخلفات . الصرة : الجماعة . تزيل : اي تنزير على حذف احد التائين ، ومعناها تفرق . يقول : انه لشدة جريه يدرك اوائلها وواخرها مجتمعة لم تفرق بعد : (٤) فعادى عداء : اي فوالى موالاة . الدراك : المتابعة . نضح : عرق . يقول : فوالى بين ثور ونعجة في طلق واحد فادركها قبل ان يعرق عرقاً مفرطاً ينسل جسده . (٥) الطهارة : جمع طاه اي الطابخ . منضج : شاو اللحم او طابخه . الصقيف : المصقوف على الحجارة لينضج . القدير : اللحم المطبوخ في القدر . يقول : ظلّ الطابخون وهم بين منضج شواء مصقوفاً على الحجارة في النار ، وطابخ اللحم في القدر على عجل . (٦) الشطر الاول تقدم شرحه في المعلقة . الندى : ما يسقط آخر الليل من المطر . المذنب : المسيل

بِسُنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ لِأَحَدِهِ
 عَلَى الْأَيْنِ جِيَّاشٌ كَأَنَّ سَرَاتَهُ
 لَهُ أَيْطَلًا ظَنِي ، وَسَاقًا نَعَامَةً ،
 فَيَنَّا نِعَاجٌ يَرْتَعِينَ خَمِيْلَةً
 فَأَدْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَثْنِ شَاوَهُ
 فَعَادَى عَدَاءَ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْمَجَةٍ
 تَمْشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنًا
 كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ يَبْتَحِرُهُ

طِرَادُ الْهَوَادِي كُلِّ شَاوٍ مُعْرَبٍ (١)
 عَلَى الضَّمْرِ وَالتَّعْدَاءِ سَرَاحَةٌ مَرْقَبٌ (٢)
 وَصَهْوَةٌ عَيْرٌ قَائِمٌ فَوْقَ مَرْقَبٍ (٣)
 كَمَشِيٍّ الْعَذَارَى فِي الْمَلَأَةِ الْمُهْدَبِ (٤)
 يَمْرُ كَحَذْرُوفِ الْأَوَابِدِ الْمُتَمَبِّ (٥)
 وَيَبْنِ شُبُوبٌ كَالْقَضِيْمَةِ قَرْهَبٌ (٦)
 إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شَوَاءٍ مُضَهَّبِ (٧)
 عَصَاةٌ حَتَاءُ بِشَيْبٍ مُحَضَّبِ (٨)

(١) بسنجد قيد الأوابد تقدم شرحه . لاح العيش والفر فلاناً غيره . والطراد :
 اللحاق . الشاو : المدى والغاية . مغرب : بعيد او يمن في الصيد . يقول : ان هذا
 الجواد غيره لحاقه لاوائل الصيد ، وهو يمن في كل غاية بعيدة المدى ، أو غيره لحاقه لاوائل
 الصيد في كل مدى بعيد . (٢) الأين : التعب والاعياء . سراته : أعلى ظهره . الضمر : الخزال .
 التمداء : كثرة الجري . السرحة : الشجرة العظيمة . المرقب : الموضع المشرف برقع عليه
 الرقيب . يقول : هذا الفرس على اعيانه شديد الغليان وكان أعلى ظهره من الخزال والركض
 الشديد شجرة عالية يتخذها الرقيب مرقباً . فهو يشبه علو ظهره بعلو الشجرة العظيمة .
 (٣) الشطر الاول تقدم شرحه . الصهوة : ما اسهل من ناحيتي سرة الفرس او مقعد الفارس
 منه . العير : الحمار الوحشي . يقول : مقعد الفارس منه في علوه كصهوة حمار وحشي قائم
 على موضع عال . وهي مبالغة في العلو وقد كرر لفظة مرقب في قافيتين متجاورتين .
 (٤) ارتعى ورعى واحد . الخميلة : المنهبط من الارض وهي كريمة طيبة للنبات ، والموضع
 الكثير الشجر . المهذب : ذو هذاب وهو ما استرسل من اطراف الاثواب . وقد تقدم
 شرح البيت . (٥) فادرك : اي فادرك الفرس النعاج . يجهد : يتعب . يثني شأوه : يعطفه ويرد
 بعضه على بعض أي انه ادرك غايته في طلق واحد . المتقب والمتقوب واحد وقد مر شرح المعجز
 (٦) الشطر الاول مر شرحه . الشبوب : الثور المسن . الفضيمة : الصحيفة البيضاء
 والجلد الابيض . قرهب : المسن الكبير الجسم . وقد شبه الثور لبياضه بالصحيفة البيضاء
 او الجلد الابيض . (٧) تمش : تسبح . اعراف جمع عرف وهو شعر عنق الفرس . المذهب :
 الذي لم يدرك نضجه . يقول : انضم قاموا عن الصيد ولم يبلغوا به النضج للعجلة ومسحوا ابدعهم
 بأعراف خيولهم . (٨) مر شرحه

وَأَنْتَ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَصْهَبٍ ^(١)

وقال من قصيدة غيرها :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
تَحَامَاهُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ تَحَامِيَا
بِيعْجَلَزَةٍ قَدْ أَتْرَزُ الْجَرِي لَحْمَهَا
ذَعَرْتُ بِهَا سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهُ
وَعَادَيْتُ مِنْهُ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَجْعَةٍ
وَكَانَ عَدَائِي إِذْ رَكِبْتُ عَلَى بَالِي ^(٢)

وله من قصيدة أيضاً :

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الْعُطَاسِ بِهَيْكَلٍ
كَانَ غُلَامِي إِذْ عَلَا حَالَ مَتْنِهِ
شَدِيدٍ مَشَكَّ الْجَنْبِ فَعَمَّ الْمُنْطَقَ ^(٣)
عَلَى ظَهْرٍ بَازٍ فِي السَّمَاءِ مُخَلِّقٍ ^(٤)

(١) الاصهَب : ما يخالط بياضه حمرة وقد مرَّ شرح البيت . (٢) الفَيْث : هنا النباتات المتسبب عن المطر وهو مجاز مرسل . الوَسْمِيُّ : مطر الربيع الاول سمي به لانه يسبب الارض بالنبات . رائد الفَيْث : الذي يطلبه لاهله . خال : منفرد . يقول : انه يسير صباحاً الى نبات اطعمه مطر الربيع وطالب هذا النبات يكون منفرداً لانه في مكان لا يقصده احد . (٣) تحاماه أي تحاماه : تتجنبه وتبتعد عنه . الاسحَم : الاسود صفة لموصوف محذوف وهو الغيم . يقول : هو مكان لا يقصده احد لان الكلال فيه بين حيين متعاديين وكلاهما بحميه ويتجنب دخوله ، والمطر يهود عليه فهو خصب . (٤) بعجلزة : اي بفرس صلبة اللحم . وهي متعلقة باغتدي . أترز : أبيض . الهراوة : العصا . المنوال : ما ينسج عليه الخائف . شبه فرسه بعصا الخائف لضمرها ودقتها وقد اشيع النون في كانها وهو جائز عندهم . (٥) الاكرع : جمع كراع وهو من الدواب ما دون الكعب . الوشي : نقش الثوب ويكون من كل لون . البرود : جمع برود : ثوب مخطط . الخال : برد ينجي . يقول : ذعرت بفرسي قطعياً من بفر الوحش نقي الجلد وكان اكرعه في ثلوثها وشي البرود اليمينية . (٦) يريد ان يقول انه كان على استعداد لهذا العداء . (٧) العطاس : اول ظهور الصباح . الهيكَل : العظيم الجرم صفة للفرس . شديد مشكَّ الجنب : أي شديد مفرز الجنب . فعم : ممتلئ . المنطق : موضع النطق وهما موضع الحزام . يعني ان جواده صلب الجنب ممتلئ . الجوف . (٨) الخال : مقعد الفارس من الفرس

فَقُلْتُ أَهْ : صَوَّبٌ وَلَا تُجْهِدُهُ فَيَذْرِكُ مِنْ أَعْلَى الْقَطَاةِ ، فَتَرْتَلِقُ ^(١)
 فَأَذْرِكُهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عَنَانِهِ كَعَيْشِ الْعَيْشِيِّ الْأَقْهَبِ الْمُتَوَدِّقِ ^(٢)
 فَصَادَ لَنَا عَيْرًا وَثَوْرًا وَخَاضِبًا عَدَاءٌ وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيَعْرِقِ ^(٣)

هذه امثلة اربعة من اربع قصائد تُظهر لنا وحدة التفكير في الشاعر وطرقه الشخصية في التعبير عن افكاره ، فهو مها اتسع عليه مجال الوصف والخيال لا بد له من ان يحوم على اشياء خاصة به فيردها او يعبر عنها بالفاظ تدل عليها . ونحن في هذه الامثلة لم نزع ترتيب الابيات في القصائد الاربع بل اقتصرنا على ذكر المتشابه منها لان الغاية التي نتوخاها هي اظهار صورة واضحة عن اسلوب الشاعر في وصف جواده وصيده فقد رأينا كيف يقتدي والطير في وكناتها بمنجود قيد الاوابد هيكل كميته جيش . درير كخذروف الوليد له ايطلاطي وساقا نعامة . ضليع اذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الارض . ثم يرينا دماء الهاديات بنجره عصارة حناء بشيب مرجل او مخضب . ونعاج السرب كعذارى دوار في ملاء مذيبل او مهذب . ويرينا جواده مراراً يعادي عداء بين ثور ونعجة ، وبدر كهن ثانياً من عنانه ثم يعود ولم ينضح بماء فيغسل او فيعرق .

و اذا وصف غلامه على ظهر فوسه قال : يزل الغلام الحُف عن صهواته . او يذريه من اعلى القطة فيزلق . واذا جلس لاكل الصيد قامت الطهاة الى خدمته والطهاة لا ترافق الا الامراء والملوك ، ولكنه لا يأكل الصيد الا على عجل : صفيف شواء . او قد ير معجل او اذا نحن قمنا عن شواء مضهب .

(١) صَوَّبُ الْفَرَسِ : ارسله في الجري . ولا تجهدته : أي ولا تعبته . فيذرك : من اذراه عن الفرس سرعه . الْقَطَاةُ : العجز ومقعد الرديف من الدابة . يقول : لا تحمله على العدو الشديد فيصرعك . (٢) ثَانِيًا مِنْ عَنَانِهِ : أي عاطفاً له راداً بعضه على بعضه . الاقهب : الابيض فيه كدرة . المتودق : المتقطر . معنى البيت : ادرك الفرس الوحش قبل ان يجهد وكأنه في سرعة جريه سبحانه العشي الكدر المتقطر . وقد أشبع النسوان في أذركهن . (٣) الْعَيْرُ : حمار الوحش . الخاضب : الظلم اذا أكل الربيع فأحمرت ساقاه والظلم ذكر النعام . ينضح : يرشح . يقول : ان هذا الفرس صاد لنا حمار وحش وثورا وخاضباً ، وقد والى بينها موالاة أي تباعاً وعاد ولم يرشح جسمه بماء فيعرق

قوله :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ

وقوله :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصُوبَ الْعَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامَى وَنَشْرَ الْقَطْرِ^(١)يَعْلُ بِهِ بَرْدٌ أَنْيَابُهَا إِذَا غَرَدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَجِرُ^(٢)

وقوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَأَحْشَفُ الْبَالِي^(٣)

وقوله :

كَأَنَّ عِيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ حَبَائِنَا وَأَرْحَلِنَا ، أَلْجَزُعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ^(٤)

وقوله :

كَأَنَّيْ غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ ، نَاقِفُ حَنْظَلٍ^(٥)

(١) القطر : عود يُتبخَّرُ به (٢) يُعلّ : يسقى تباعصاً . المستجر : المفرد في السحر . يقول : كأن أنيابها لنظافتها وطيب رائحتها سقيت تباعصاً المدام ومطر الغمام ، ورائحة الخزام وأنظر . وقيد ذلك بقوله : إذا غرد الطائر المستجر إشارة الى ان فهذا لا تنغير رائحته في الصباح كما تنغير رائحة الافواه . ومن امثال العرب نومة الضحى تخلف الفم أي تغير رائحته . (٣) الحشف : الثمر اليابس العنيق . والضمير في وكرها عائد الى الفتخاء في بيت سابق . و(فتخاء عقاب لينة الجناح تصطاد الطيور وتأتي بها الى وكرها . فهو يشير في هذا البيت الى كثرة ما تأتي به الفتخاء من الطرائد حتى تفضل قلوبها عن (فراخ فلا تأكلها . وقيل ان الجوارح لا تأكل قلوب طرائدها . وقد شبه قلوب الطير عند يسها بالتمر العنيق اليابس ، وشبهها بالعناب اذا كانت جديدة رطبة . وهو تشبيه مكفوف حسن (ترتيب .

(٤) الارحل جمع رحل : مركب البعير وبمقولة البرذعة للحجار . الجزع : الخرز اليابس الصيفي فيه سواد وبياض . وقد اراد في هذا البيت الإشارة الى كثرة ما اصطادوا من بقر الوحش فشبه عيونها وهي مائتة بالجزع لانقلابها حتى يرى فيها البياض والسواد . وقوله لم يثقب : ايغال وتحقيق للتشبيه لان الجزع اذا لم يثقب كان اشبه بالعيون . (٥) البين : الفراق . تحمّلوا : ارتحلوا . سمرات : جمع سمرة وهي شجرة من الفضا وهو كل شجر يعظم وله شوك . ناقف حنظل : الحنظل : نبت يمتد على الارض كالبطيخ وهو شديد المرارة . وناقفه : الذي يشق ثمره ويستخرج بزره فتدمع عيناه لمرارته . شبه نفسه يوم فراقهم بناقف الحنظل لشدة بكائه

درس تاريخي

قلنا في ترجمة امرئ القيس « وقيل ان امه فاطمة بنت ربيعة ، اخت كليب والمهلهل ، » وهذا هو المشهور عنه ، غير اننا لا يسعنا ونحن ندرس شعره ، الا ان ننظر الى هذا النسب بشيء من الاحتياط والشك . فليس في اشعار المملك الضليل ما يدلنا على هذه القربى حتى نؤمن بها ، فلو كان كليب والمهلهل خاليه لما استنكف ان يذكرهما مفتخراً ، او ان يشير الى المواقع التي انتصر فيها التغلبيون على البكرين في حرب البسوس .

ورب معترض يقول : ان شعر امرئ القيس ضاع اكثره لتقدم العهد ولم يصل الينا منه غير القليل . ونحن نسلم بذلك ، ولكن هذا القليل كان كافياً للدلالة لو صحت القربى . فلامرئ القيس قصيدة يفتخر بها ويذكر احواله واعمامه اذ يقول :

خَالِي ابْنُ كَبْشَةَ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهُ ، وَأَبُو يَزِيدَ وَرَهْطُهُ أَتْعَامِي

فن هذا خاله ابن كبشة ؟ . . انه غير كليب والمهلهل ، فما كان ابنا ربيعة ينتسبان يوماً الى « كبشة » ولو اراد امرؤ القيس احدهما لذكر اسمه واستقام به وزن البيت . ولكنه يشير الى سواهما لانهما ليسا بجاليه . على ان غذا لا يمنع ان يكون والد امرئ القيس تزوج فاطمة بنت ربيعة . ولكن الشاعر ليس منها بل من ضرة لها . ولعل فاطمة هذه هي التي تعشقها امرؤ القيس وتغزل بها في معلقته اذ يقول :

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْدَ هَذَا أَلْتَدُلُّ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمِلِي (١)
أَغْرَكِ مِنِّي أَنْ حُبِّكَ قَاتِلِي وَأَنْتِكَ مَعَهَا تَأْمُرِي أَلْقَابَ يَفْعَلُ ؟

وحبه لا رأة ابيه مشهور وقيل ان والده طرده من اجل ذلك وزعم الرواة ان امرأ القيس أحب ابنة القيصر وانها هي التي اشار اليها بقوله :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا تَامَ أَهْأَهَا سُمُو حَبَابِ أَلْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

(١) صرمي : هجري . اجملي : انثدي واعددي

وقيل ان اباها علم بأمرها فزوجه اياها . اما نحن فنرى ان القصيدة نظمت بعد موت والده ولكن قبل سفره الى القسطنطينية ، ودليلنا على ذلك ان الشاعر يقول قبل ان يسمو اليها :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلِهَا يَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرًا عَالٍ^(١)
فأين يثرب من القسطنطينية ؟ ...

ويقول ايضاً في مكان آخر :

فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ قَتَامٌ ، كَأَسْفِ الْلَوْنِ وَالْبَالِ^(٢)
يَعْطُ غَطِيظَ الْبَكْرِ شَدَّ خِنَاقَهُ لِيَقْتَنِي وَأَمْرُهُ لَيْسَ يِقْتَالِ^(٣)
أَيَقْتَنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ^(٤)
وَلَيْسَ بِنَدِي سَيْفٌ فَيَقْتَنِي بِهِ وَلَيْسَ بِنَدِي رُمَحٌ وَلَيْسَ بِنَبَالِ^(٥)
أَيَقْتَنِي وَقَدْ قَطَرْتُ فُودَاهَا كَمَا قَطَرَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي^(٦)

(١) تنوّر : نظر النار من بعيد . أذرعَات : بلد في الشام ينسب اليه الخمر . يثرب : مدينة الرسول . يقول : نظرت نارها من اذرعَات وهي في يثرب فابتهجت لمرآها لان ادنى شيء من دارها هو امر عظيم عندي . وهذا البيت فيه غلوان بين المكانين بعد ايام . قال ابن رشيق ولكنه اقل غلوا من بيت المهلهل :

ولولا الريح أسمع من بحجر
صليل البيض تُقرعُ بالذکور

لان حاسة البصر اقوى من حاسة السمع وأشد ادراكاً . (٢) بعْلها : زوجها - القتام : الفبار الاسود او السواد والظلام . يقول : اصبحت لها عشيقاً واصبح زوجها وقد عرف بامرنا ، مسود الوجه مغير اللون ، مكسور الحاطر . (٣) غطّ البعير : هدر في الشفقة . البكر من الابل كالفتي من الناس . يقول : اقبل زوجها يهدر هائجاً هياج البكر اذا شد خناقه ، وهو يريد قتلي ولكن هذا الرجل لا يجرؤ ان يقدم على القتل . وقد عرف المرء بأل للدلالة على انه معين في الكلام السابق . (٤) المشرفي : السيف . مسنونة زرق : سهام حادة . اغوال جمع غول : حيوان وهمي كان العرب يتصورونه بشكل مخيف فظيع . (٥) انبَال : رمي النبال . (٦) قطر البعير : طلاه بالقطران . المهنوءة : الناقة المطايمة بالقطران . يقول : ايقتنني وانا لم افعل شيئاً غير اني شغيت قلبها الجريح اذ طليته بيلمس الحب كما تظلي الناقة الجرباء بالقطران فتدول عنها الآلام . وليس بمستنكر على شاعر في الجاهلية ان يأتي بهذا التشبيه الحسن فالتشابهة تختلف باختلاف العصور والامكنة وما نراه اليوم قبيحاً

وَقَدَ عَلِمْتَ سَلَمِي، وَإِنْ كَانَ بَعْلَهَا، بَانَ أَلْقَى يَهْدِي وَلَيْسَ بِفَعَالٍ^(١)
 وَمَاذَا عَلَيْهِ إِنْ ذَكَرْتُ أَوَانِسًا. كَغَزَلَانَ رَمَلٍ، فِي مَحَارِبِ أَقْوَالِي^(٢)

فأنت ترى ان امراً القيس يتغزل بأنسة متروجة والرواة يحدثنوننا ان ابنة القيصر كانت غزبية وقد تزوجها امرؤ القيس . وهبها كانت ذات بعل فليس من المعقول ان يسخر الشاعر بزوجها ويحتقره، وهو صهر القيصر ، او ينسب اليه الضعف والخنوع والمذلة ، وهو اعز منه جانباً ، في كنف ملك يفرع اليه امرؤ القيس طريداً مستنجداً ينشد عرشه الهاوي .

ودليلنا على انه نظم القصيدة بعد موت والده هو قوله :

فَلَوْ أَنِّي أَسَعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٍ كَفَانِي ، وَأَمْ أَطَابُ قَلِيلٌ مِنْ أَمَالٍ
 وَأَكْتَمًا أَسَعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي^(٣)

فهو يشير هنا الى سعيه لاسترجاع ملك ابيه .

وحدثنا الرواة ان امرؤ القيس سافر الى القسطنطينية مستغيثاً بقيصر ولم يذكروا له غير هذه السفارة الى بلاد الروم . على اننا نعتقد ان الشاعر عرف تلك البلاد قبل التجائه الى مليكها ، واطلع على حضارتها فأثرت في خياله الشعري فوسعته ، وظهر هذا التأثير في تشابيهه اللطيفة ، وابتكاره للمعاني والالفاظ . ودليلنا على ان معرفته لبلاد الروم لا تقتصر على الزيارة الاخيرة ، قوله في معلقته :

مُهَفِّهَةٌ بِيضَاءَ غَيْرٍ مُقَاضَةٍ تَرَأِيهَا مَضْفُوءَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ^(٤)

مكروهاً كان بالامس مستجباً حسناً . وفي هذا البيت اشباع كما لا يخفى ، والاشباع مألوف في شعر المتقدمين

(١) يهذي : يتكلم كلاماً غير معقول . (٢) محارب جمع محراب : صدر المكان وهنا مستعار لصدر القصيدة . الاوانس جمع آنسة : وهي الطيبة النفس او التي يونسك حديثها ، وتطلق على المتروجة وغير المتروجة ، ولكن كتاب اليوم خصوها بالغزبية اصطلاحاً . يقول : واذا كان يخشى تشيبي بزوجه فما ضره اذا انا شبيت بها وهي من تلك الاوانس المحاكية غزلان الرمل اللواتي انزل بهن واذكرهن في صدور قصائدي . (٣) المؤتل : الاصيل العريق . (٤) المهففة : اللطيفة الحصر الضارة البطن . المقاضة : المرأة العظيمة

فاستعماله لفظة السجندل وهي رومية الاصل ينبي اختلاطه بالاروام قبل
نظم المعلقة وقبل مقتل ابيه . وله قصيدة يصف بها سفره الى قيصر مستنجداً على
بني اسد ، يقول فيها :

لَقَدْ أَنْكَرْتَنِي بَعْلَبِكَ وَأَهْلَهَا وَلَا بِنُ جُرَيْجٍ فِي قُرَى حِمَصٍ أَنْكَرَا

فانكار بعلبك واهلها ، وانكار ابن جريج له دليل على انه يعرف تلك البلاد
وله فيها معارف وخلان .

صحته شعره

ولا بد لنا ، ونحن ندرس شعر امرى القيس ، ان ننظر فيه الى صحيحه من منحوه
فقد نسب الى الملك الضليل ما ليس له كما نسب الى غيره من الشعراء الاقدمين . ولسنا
نزعم اننا نبلغ الحقيقة كلها في درسنا هذا . اذ ان من الصعب الوصول الى نتيجة
تامة في مثل هذه الامور . على اننا زجوا ان نأتي بشيء لا يخاو من فائدة
من المعلوم ان شعر امرى القيس ضاع اكثره لبعده ايامه ولم يصل منه الا التزر
اليسير . ولكن هذا التزر اليسير لم يسلم من النحل والاصطناع .
فالرواة انفسهم يشكون في صحة هذه الابيات من المعلقة ويضيفونها الى تباط
شراً وهي :

وَقَرْنَبَةُ أَقْوَامٍ جَعَلَتْ عِصَامَهَا عَلَى كَاهِلٍ مِثِّي ذُلُولٍ مُرَحَّلٍ ^(١)
وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٌ قَطَعْتُهُ بِهِ الذِّئْبُ يُعَوِّرِي كَالْحَلِجْلِغِ الْمُعِيلِ ^(٢)

البطن المسترخية اللحم . الترائب جمع تريبة : عظام الصدر او ما بين الثديين والترقوتين .
السجندل : المرأة ، رومية معربة . يقول : هي امرأة دقيقة الحصر غبير عظيمة البطن ولا
مسترخية اللحم وصدورها براق اللون مصقول كالمرآة

(١) القرية : الجراب يحمل فيه الماء . العصام : وكاء القرية اي رباطها . الكاهل :
اعلى الظهر . المرحل : العتاد الحمل . يقول : انه تعود خدمة الرفقاء في السفر بحمله قرية
الماء على ظهره . (٢) الجوف : باطن الشيء . المعير : الحمار . الخليج هنا : القمر .
المعيل : الذي كثر عياله . وتشبيه الوادي ببطن الحمار بني على اسطورة قديمة رواها الزوزني
في شرحه المعلقة وهي : ان رجلا من بقية عاد اسمه حمار كان متمسكاً بالتوحيد فسافر بثوه

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا قَلِيلُ الْغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلٌ^(١)
 كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ سَيْنَا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِّثُ حَرْثِي وَحَرَّتْكَ يَهْزِلُ^(٢)

ونحن نرى ان حمل القربة وقطع الاودية الحالية ومعاشرة الذئاب والافتقار وهزال العيش شي. اولى بصلوك يعيش في البراري والغابات كالشغرى وتأبط شراً منه بملك كأمري القيس، انيق العيش وافر النعمة تتبعه الطهارة والخدم في حله وترحاله

ونسبت اليه قصيدة في التهديد مطلعها :

تَطَاوَلَ لَيْلِكَ بِأَلْأَثْمِدِ وَنَامَ الْعَلْبِيُّ وَكَمْ تَرَقُدُ^(٣)

وهي في «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» لامرئ القيس بن عابس الكندي احد الصحابة . واعل وحدة الاسم بين الشاعرين جعلت بعض الرواة يضيفونها الى الملك الضليل ويزعمون انه يهدد بها بني اسد ، على حين انه ليس فيها ما يشير الى مقتل ابيه او الى بني اسد الذين قتلوه . ومثلها الابيات التي لقب من اجلها بالذائد وهي :

أَذُودُ الْفُرَايِي عَيْيَ ذِيَادَا ذِيَادَ غُلَامٍ جَرِيهِ جَرَادَا^(٤)

فصابتهم صاعقة فاهلكتهم فأشرك بالله وكفر بعد التوحيد فاحرق الله امواله وواديه فلم يثبت بعده شيئاً وقد غير الشاعر اللفظ الى ما وافقه في المعنى لاقامة الوزن . المعنى : رب واد كوادى الحمار في الخلا من النباتات والانس طويته سيرا وكان الذئب يعوي فيه من فرط الجوع كالفامر الذي كثر عياله بالنفقة وهو يصبح بهم ويخاصمهم اذ لا يجد ما يرضيهم به .
 (١) شأنا : امرنا . قول : اي تمول على حذف التاء . وقول الرجل : صارد ذا مال . يقول : فقلت له ان كنت غير تمول فامرئ القيس وامرك سيمان في قلة الغنى .
 (٢) أفاته : انفقه وبذره . الحرث : في الاصل اصلاح الارض والقاء البذر فيها وهو مستعار هنا للسعي والكسب . يقول : كل واحد منسا اذا ظفر بشي . انفقه ، ثم قال : ومن سعي سعبي وسعيك افتقر وعاش مهزول العيش . (٣) الاثم : اسم موضع . يخاطب نفسه هنا على سبيل التجريد او الالتفات . (٤) أذود : أدفع . الجراد : الجنادب التي تجرد الارض . يقول : ادفع الاشعار واردها عني اذا كثرت فقل غلام جري ، يدفع عنه الجراد اذا كثر عليه

فَلَمَّا كَثُرْنَ وَعَيْنُهُمْ تَحَيَّرَ مِنْهُنَّ شَيْءٌ حَيَادًا^(١)
فَأَعْرَضُوا مَرَجَانَهَا جَانِبًا وَأَخَذُوا مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا^(٢)

فابن الكلبي يقول انها لامرئ القيس بن بكر وغيره يزعم انها لامرئ القيس ابن عابس . وهذا الاختلاف بين الرواة راجع كما لا يخفى الى تشابه الاسماء والتباسها . على اننا لا نرى في الابيات الثلاثة ما يحملنا على نسبتها الى شاعر جاهلي فهي في اعتقادنا مصنوعة في الاسلام للاستشهاد بها على ان شعراء الجاهلية كانوا يعنون بتنقية اشعارهم فيطرحون منها الردي . ويختارون الحسن .

واضيفت الى امرئ القيس اشعار بعد رجوعه من القسطنطينية ومرضه حتى موته في انقره . ولكننا لا نستطيع ان نطمئن الى صحتها لظهور الاصطناع على اكثرها . مثال ذلك ، مارواه الاغاني : من ان الشاعر رأى قبر امرأة ماتت وهي غريبة فدفنت في سفح جبل يقال له غسيب فسأل عنها واخبر بقصتها فقال :

أَجَارَتْنَا إِنَّ التَّمَرَّارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْقَرِيبِ نَسِيبُ

فتفنن الرواة ظاهر في اختراع القصة والبيتين . والاعجب ان عسيباً جبل بعالية نجد لا في انقره من بلاد الروم .

ونسبت الى امرئ القيس ممانات مع شعراء عصره ، هي اقرب الى التفككة منها الى الصحة . منها ممانته للحارث بن التوأم الشكري التي يقول في مطلعها :

أَحَارُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا^(٣)

فيجيبه التوأم مجيزاً :

كَتَارَ مَجُوسَ تَسْتَعْرِ أُسْتَعَارَا

ومنها ممانته لعبيد بن الابرس وهي اشبه باحاجي كتاب المقامات والغازهم ولا ريب انها منحولة . قال عبيد في مطلعها :

(١) عينيه : اثقلته وازمقته . (٢) المرجان : الحرز الاحمر او صغار اللؤلؤ لا ككبارة ، ويراد جاهدنا الابيات الضعيفة غير الجيدة . (٣) احار : ترخيم احسارت . هب البرق : اومض . وهناً : ليلاً

مَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ قَامَتْ بِمَيِّتَتِهَا دَرْدَاهُ مَا أَنْبَتَ سِنًا وَأَضْرَأَسَا^(١)
فَأَجَابَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الشَّعِيرَةُ تُسْقَى فِي سِنَائِهَا فَأَخْرَجَتْ بَعْدَ طَوْلِ أَلْمَكْثِ أَكْدَأَسَا

على ان هذه الاشعار المصطنعة في الاسلام ليس من شأنها ان تحملنا على مجازاة الدكتور طه حسين في زعمه بان شعر امرى القيس كله منحول ، لان الحجج التي ادلى بها لا تكفي الاقناع بصحة دعواه . فهو يرى ان امرأ القيس يعني ولا بد ان تكون لغته عينية ، ونحن نعلم ان امرأ القيس ولد في نجد ولغة نجد عدنانية . وهو يظن « ان لغة قريش لم تكن سائدة في نجد وغيرها من البلاد العربية ايام امرى القيس ، وانها انما اخذت تسود في اواسط القرن السادس للمسيح وامت لها السيادة بظهور الاسلام » . على ان الظن لا يكفي وحده للشك ، اضع الى ذلك ان اللغة العدنانية كثيرة اللهجات ولغة قريش احداها واختلاف اللهجات في اللغة الواحدة لا يؤثر في احكامها ومفرداتها . وقد تكلمنا على هذا مفصلاً في حديثنا عن اسواق الجاهلية (الصفحة ٤) وصحة الشعر الجاهلي (الصفحة ٧) ويتنا الاسباب التي جعلت لغة قريش لغة الشعر والحطابة . اما ان يزعم الدكتور ان سيادة هذه اللغة لم تقم الا في اواسط القرن السادس فلا دليل لديه يؤيد زعمه غير الظن وما اضعفه من دليل ! واغرب من هذا قوله : « ان وصف اللهو مع العذارى في المعلقة وما فيه من فحش اشبه بان يكون من انتحال الفرزدق منه بان يكون جاهلياً . فالرواية يحدثنونا ان الفرزدق خرج في يوم مطير الى ضاحية البصرة فاتبع آساراً حتى انتهى الى غدير واذا فيه نساء يستحجمن فقال : ما اشبه هذا اليوم بيوم دارة جُلْجُل ، وولي منصرفاً . فصاحت النساء به : يا صاحب البغلة ، فعاد اليهن فسألته وعزمن عليه ليحدثنهن بمحدث دارة جُلْجُل . فقص عليهن قصة امرى القيس وانشدن قوله :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سِيًّا يَوْمٌ يَدَارَةُ جُلْجُل

والذين يقرأون شعر الفرزدق ويلاحظون فحشه وغلظته وانه قد ليم على هذا

الفحش وعلى هذه الغلظة لا يجدون مشقة في ان يضيفوا اليه هذه الايات فهي بشعره
اشبه . اهـ

فانت ترى ان الدكتور طه حسين يريد ان يضيف قسماً من المعلقة الى الفرزدق
لا لشيء الا لان الفرزدق روى بيت امرى القيس ، ولان الفرزدق كان يتعهر في
شعره . ونحن نعلم ان الفرزدق كان ينتحل شعر غيره ، بل كان من ابرع المنتحلين
ولم نعلم انه نحل شعره احداً من الناس . فروايتيه لبيت امرى القيس حجة على
الدكتور لا حجة له

ولا ندري لماذا يريد ان ينفي الفحش عن شعر امرى القيس او عن الشعر الجاهلي
والرواة مجمعون على ان الملك الضليل كان يتعهر في غزله وكان غيره من الشعراء
الجاهليين يفحش ايضاً . فللناطقة في المتجرده شعر لا يقل تعهراً عن شعر امرى القيس
وللاعشى ايضاً ، ولطرفة في وصف القينة مثل ذلك او قريب منه

ولكن الدكتور طه حسين لا يحصر غزل امرى القيس في الفرزدق وحده بل
يضيف قسماً منه الى عمر بن ابي ربيعة ، وهو القسم الذي يصف به الشاعر الجاهلي
خليلته وزيارته اياها وتجشمه الاخطار للوصول اليها . وحجة الدكتور في ذلك ان
القصص الغرامي احتكره ابن ابي ربيعة ولم ينازعه فيه احد ، ولو جاء ابن ابي ربيعة
مقلداً ل اشار احد النقاد الى هذا التقليد كقولهم لم يحسنوا لغيره الايات لانه لم يحسنوا

و نحن نسلم بان ابن ابي ربيعة احتكر القصص الغرامي في عصره ، ولكننا
لانظمثن الى القول بانه اخترعه اختراعاً ولم ينظم فيه شاعر قبله . وليس في سكوت
النقاد ما يبرهن على صحة هذه الدعوى . وفي شعراء الجاهلية من طرق هذا الفن غير
امرى القيس وهو المنخل الشكري . ولكن الدكتور لم يجد مشقة في ان يرفض
قصيدة المنخل الشكري في المتجرده كما يرفض قصيدة النابغة فيها ايضاً . على حين
انه يسلم بكثير مما جاءنا من الشعر عن العصر الذي عاش فيه المنخل والنابغة لقربه
من الاسلام ، وهو لا ينكر على النابغة الا هذه القصيدة ، ولا غرو ان ينكرها
وينكر قصيدة المنخل الشكري معها لانها تنقضان رأيه في نفي الفحش والغزل
القصصي عن الشعر الجاهلي عموماً وعن شعر امرى القيس خصوصاً هذا الغزل قد نكحنا
عنه

وقد ظهر الضعف على الدكتور طه حسين لما وصل في درسه المعلقة ، الى وصف
 الفرس والصيد فقال : « بقي الوصف ، ولا سيما وصف الفرس والصيد ، ولكننا
 نقف فيه موقف التردد ايضاً . واللغة هي التي تضطرتنا الى هذا الموقف . فالظاهر
 ان امرأ القيس كان قد نبغ في وصف الحيل والصيد والسييل والمطر . والظاهر
 انه قد استحدث في ذلك اشياء كثيرة لم تكن مألفة من قبل . ولكن اقال هذه
 الاشياء في هذا الشعر الذي بين ايدينا ام قالها في شعر آخر ضاع وذهب به الزمان
 ولم يبق منه الا ذكر والا جمل مقتضبة اخذها الرواة فنظموها في شعر محدث
 ولقوه وضافوه الى شاعرنا القديم ؟ . هذا مذهبنا الذي نرجحه فنحن نقبل ان
 امرأ القيس هو اول من قيد الاوابد وشبه الحيل بالعصي والعقبان وما الى ذلك ،
 ولكننا نشك اعظم الشك في ان يكون قد قال هذه الابيات التي يرويها الرواة .
 واكبر الظن ان هذا الوصف الذي نجد في المعلقة وفي اللامية الاخرى فيه شيء من
 ربح امرى القيس ولكن من ربحه ليس غير . اهـ »

فالضعف في هذه الاقوال لا يحتاج الى ايضاح فهو ظاهر في ترده ، وظاهر في
 قوله ان الرواة اخذوا جملاً مقتضبة من شعر امرى القيس ونظموها ، وظاهر في زعمه
 ان الوصف الذي نجد في المعلقة وفي اللامية الاخرى فيه شيء من ربح امرى القيس .
 على ان الضعف كل الضعف في قوله ان اللغة اضطره الى هذا التردد . فاي اختلاف
 نجد في لغة المعلقة واللامية الاخرى على تنوع اقسامها ؟ ... نحن نرى اقسام
 المعلقة كلها واقسام اللامية الاخرى كلها متساوية في قوة السبك وجزالة الالفاظ
 وبداعة التعبير والتفكير . واذا كان القسم الغزلي أين الفاظاً واسهل تعبيراً من
 الاقسام الاخرى فلأن الشاعر البدوي كان يحسن اختيار الالفاظ فتراه يرق ويسهل
 في التشبيب ويقسو ويشدد في سواه ، او قل انه كان يتكلم بعاطفته فيشتد تعبيره
 باشتدادها ويلين بليتها . ومعلوم ان اللفظ الذي يستعمل في وصف الناقوق والفرس
 والسييل والبرق لا يحسن استعماله في وصف الحليمة ومحادثتها . فلا نرى اذن من مسوغ
 لتردد الدكتور بسبب اللغة ووقوفه موقف الحائر منها

اما نحن فلا نرى مجالاً للشك في المعلقة ، لان الادلة القاطعة التي اوردها

(ناقص)

وشهرة « قفا نيك » حتى ضرب بها المثل، واتفق الرواة على حفظها وروايتها ونسبتها الى امرئ القيس ينفي عنها دعوى الاصطناع في الاسلام . ولا نذكر ايضاً في صحة القصائد الثلاث التي اوضحنا بالمقابلة بينها وبين المعلقة ، ما فيها من اتفاق يدل على وحدة نازمها وطرقه الشخصية في التعبير والتفكير

مزرعة

هو في مقدمة شعراء الطبقة الاولى ، وابعدهم شهرة ، واسبقهم الى الاختراع والابتكار . فقد رأيت مما تقدم ما لشعره من الميزات الكثيرة من حيث الخيالة والروعة والايجاز، ولطف التشبيه والاستعارة ودقة الوصف، ولا سيما وصف الفرس والصيد والمطر . وقد اتفق الرواة على تفضيله . ونسب الى النبي محمد قوله فيه : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء وقائدهم الى النار » وذكروا عن الامام علي انه فضله بقوله : « كان اصحهم بادرة واجودهم نادرة »

وصفة القول ان امرأ القيس كان امير الدولتين : دولة الشعر ودولة آل كندة

طرفته بن العبد

(الرابع اثنان من الفرع السادس)

حياته : نشأ يتيم الاب ميالاً الى اللهو والتبذير . جور اعمامه عليه وعلى امه ووردة . اتفاه امواله . هيامه على وجهه ونظمه المعلقة . عودته ورعيه ابل اخيه معبد . ذهاب الابل . خبره مع ابن عمه مالك . اتصاله بعمرو ابن هند . هجوه لبعد عمرو . هجوه لعمرو بن هند واخيه قابوس . كتاب عمرو لعامل البحرين وصحيفة المتلمس . مقتل طرفته

درس تاريخي : الشك في رواية مقتل لاسباب منها : ارسال طرفة ليقتل في البحرين وهي بلاده ، عدم قتله في العراق ، تلكؤ عامل البحرين عن الحرب هو وطرفة . انتظاره العامل الجديد ليقتلها معاً ، ارسال جارية اسمها خولة الى سجن الشاعر ، عدم مطابقة البيت الذي يخاطب به طرفة عمرو بن هند لحقيقة الحال

آثاره : ديوان جمعت فيه اشعاره اشهرها المعلقة

ميزته : معلقته ، متعددة الاغراض ، استهلها بوصف الاطلال والحدوج . فوصف الناقة ، فوصف معيشته وكرمه ، فماتته لابن عمه مالك . فالافتخار بنفسه ، فذكر آرائه في الموت والحياة ، الفوائد التاريخية . حكمه نتيجة تأثراته النفسية ، هجوه وسخرية واستخفافه ، مترلته

مبا

هو عمرو بن العبد البكري وطرفة لقب غلب عليه . ولد في البحرين ونشأ يتيم الاب في بيت غني ، كريم المجدد ، فانصرف الى اللهو والحمر والنساء ، ينفق عليها بغير حساب ، فضيق عليه اعمامه وابوا ان يقسموا ماله ، وجاروا على امه وردة اخت المتلمس الشاعر ، فظلموها حقها ، فهددهم طرفة بهذه الابيات وهي من اوائل نظمه :

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةَ فِيكُمْ صَعْرَ الْبُنُونِ ، وَرَهْطَ وَرْدَةَ غَيْبٍ^(١)

قَدْ بَيَّئْتُ الْأَمْرَ الْأَعْظِيمَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَطَّلُ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبٍ^(٢)

وَالْأَظْلَمُ فَرَّقَ بَيْنَ حَيٍّ وَآئِلَةٍ بَكَرَ تَسَاقِيهَا الْمَنَائَا تَقْلِبُ^(٣)

على ان جور اعمامه لم يمنع من الاسراف واللهو فظل ينفق من ماله على اصحابه وخالنانه حتى لم يبق له شيء ، فسخطت عليه عشيرته وابتعدت عنه ، فاصبح معزولاً كالبعير الجرب ، والى ذلك يشير في معلقته :

(١) ارهط : القوم ما دون العشرة وليس فيهم امرأة . (٢) تصبب اي تشبب على حذف التاء . (٣) أشار في هذا البيت الى حرب البسوس

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَدَّتِي وَيَبِي وَإِنْفَاقِي، طَرِيفِي وَمُتَلَدِي (١)
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيدِ الْمَعْبَدِ (٢)

وساء طرفة ان يعرض عنه اهله فتركهم مدة قضاها بالغزو والتطواف ثم عاد اليهم نادماً ، صفر اليدين فحمله اخوه معبد على رعاية ابله فأهلها ، وانى لمثله ان يحسن رعايتها ، فأنبه معبد وقال له : « ترى ان أخذت تردها بشعرك هذا ؟ » فقال طرفة : « لا اخرج حتى تعلم ان شعري يردها » . ولم يطل الامر حتى اخذت الابل فألح عليه اخوه بردها ، فلجأ طرفة الى ابن عمه مالك ليعينه على استرجاعها من أخذها وكانوا قوماً من مضر ، فانتهره مالك بعنف فتألم الشاعر ونظم معلقته او قسماً منها ، واصفاً حالته وجور اهله عليه ، وعرض فيها لذكر سيدين من اقربائه فمدحها بكثرة المال والولد اذ يقول :

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ وَأَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عُمَرَ بْنَ مَرْثَدٍ
فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَزَارِي بَنُونَ كِرَامٍ سَادَةَ لِمُسَوِّدٍ (٣)

فدعاه احدهما عمرو ، وكان له سبعة اولاد فأمرهم فدفع كل واحد الى طرفة عشرأ من الابل ، ثم امر ثلاثة من ابناؤه بنيه فدفعوا اليه مثل ذلك ، فردَّ ابل اخيه وقد ردَّها بشعره كما قال . واقام ينفق من الباقي حتى نفذ . فاتصل بعمرو بن هند ملك العراق وكان صهره عبد عمرو بن بشر وخاله المتلمس الشاعر من رجال الحاشية ، فقرب الملك طرفة لاجوابه بشعره .

ولكن الشاعر الفتى كان تياهاً فخوراً بنفسه ، فشبه باخت الملك غير مبالٍ ،

(١) التشراب : الشرب الكثير . الطريف : المال المستحدث . المتلد : المال الموروث . يقول : ما زال شرب الخمر ، واللذة والبيع والانفاق ، اشياء تلازمني كاشها طريفي ومتلدي او كاشها بمتلدي الطريف والمتلد من الحريص على الاموال . فيكون الطريف والمتلد خبراً لما زال . واذا قدرنا الخبر محذوفاً أي ما زالت هذه الاشياء ديدني يكون طريفي ومتلدي مفعولاً لانفاقي . (٢) تحامتي : تجنبتني . المعبد : المطلي بالطيران لجره وهو يبعد ويعزل لثلاثا يعدي الابل السليمة . يقول : ما زلت افعل ذلك حتى تجنبتني عشيري كلها وابعدتني عنها كما يبعد الجمل الاجرب المطلي بالطيران عن الابل السليمة . (٣) لمسود : أي لوالد مسود يعني نفسه

فأبعده عمرو بن هند عن حاشيته وجعله في حاشية أخيه قابوس فلم يجد منه ما تعودته
من الأكرام فهجاه وهجا أخاه الملك هجاء مرة . من ذلك قوله :

فَلَيْتَ لَسْنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرُو رَغْوًا حَوْلَ قَبْتِنَا تَحْوُرُ^(١)
لَعْمُوكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لَيَخْلُطُ مُلْكُهُ نَوْكَ كَثِيرُ^(٢)

لكن لم يجزؤ احد ان ينقل هذا الهجاء الى عمرو

وشكت ذات يوم اخت طرفة شيئاً من امر زوجها عبد عمرو فهجاه طرفة

بآيات منها :

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غَنًى وَأَنَّ لَهُ كَشْحًا ، إِذَا قَامَ ، أَهْضَمًا^(٣)

وهذا ما يسميه علماء البيان توكيد الهم بما يشبه المدح . فانه بعد ان ذم
الخير عنه جاء بالاستثناء . كمن يريد ان يذكر له حسنة يمدح بها ، فاذا به لا يرى فيه
من الحسن غير كثرة المال ولطف الحصر . ومن الهجاء المر ان تصف رجلاً بما توصف
به النساء .

واتفق ان عمرو بن هند خرج للصيد ذات يوم فانقطع في نفر من اصحابه
وفيهم عبد عمرو ، حتى اصاب حملاً فعقره فقال لعبد عمرو انزل واذهب فعاوجه
فاعياه فضحك الملك وقال : لقد ابصرك طرفة حيث يقول وانشد : « ولاخير فيه . »
فغضب عبد عمرو وقال : لقد قال في الملك اقبح من هذا وانشده : « فليت لنا
مكان الملك عمرو . » فحقد عمرو بن هند على طرفة ولكنه كره ان يعجل عليه
اشفاقاً من هجاء المتأس ، فلبث يتحين الفرص ليتخلص من الاثنين معاً ، وهو
يؤانسها حتى اطمانا اليه . فكتب الى عامله في البحرين ، وقال لهما : انطلقا اليه
وخذا جوائزكما

فحملا الكتابين وسارا حتى بلغا النجف فقال المتأس لطرفة : تعلمن الله ان
ارتياح عمرو لي ولك ، لامر عندي مريب . واني لا انطلق بصحيفة لا ادري ما فيها .

(١) الرغوث : كل مرضة ويراد بها الناقة هنا . (٢) النوك : الحق . (٣) الكشج :
ما بين الحاصرة الى الضلع الخلف وهو اقصر الاضلاع وآخرها . الاهضم : اللطيف

فقال طرفة : « انك لتسيء الظن وما تخاف من صحيفة ان كان فيها الذي وعدنا والا رجعنا فلم نترك منه شيئاً . » فابى المتلمس ان يجيبه وعدل الى حيث رأى غلاماً آمن الحيرة فدفع اليه الصحيفة ليقرأها له ، فلما نظر الغلام فيها قال : « تسكنت المتلمس أمه » فاخذ المتلمس الصحيفة وقذفها في البحيرة فضرب المثل بصحيفته . ثم قال لطرفة : « تعلمن والله ان الذي في كتابك مثل الذي في كتابي » فقال طرفة : « لئن كان اجترأ عليك ما كان بالذي يجترئ علي » . وابى ان يطيعه ، فتركه المتلمس وهرب الى الشام .

وسار طرفة حتى اتى البحرين وكان صاحبها ابو كرب ربيعة بن الحرث وهو من اقرباء طرفة ، فلما قرأ الكتاب قال : « اتعلم ما أمرت به فيك ؟ » قال طرفة : « نعم أمرت ان تجيزني وتحسن الي » فقال : « ان بيني وبينك حوولة انا لها راع . فاهرب من ليلتك هذه ، فاني قد أمرت بقتلك . فاخرج قبل ان تصبح ويعلم بك الناس » فابى طرفة وقال : « اشتدت عليك جائزتي واحببت ان اهرب واجعل لعمر بن هند علي سبيلاً ، كأني اذنبت ذنباً . والله لا افعل ذلك ابداً » فأمر مجبسه ثم كتب الى عمرو بن هند يقول : « ابعث الى عمك من تريد فاني غير قاتل الرجل » . فاسل عمرو بن هند رجلاً من بني تغلب يقال له عبد هند واستعمله على البحرين . وكان رجلاً شجاعاً ، وامره بقتل طرفة وقتل ربيعة بن الحرث . فقدمها عبد هند ولبث اياماً فاجتمعت بكر بن وائل فهتت به . وكان طرفة يحضهم . فانشد له رجلاً من الحوثر يقال له ابو ريشة فقتله وقتل معه العامل السابق . وكان قبره معروفاً بهجر في ارض بني قيس بن ثعلبة

درس تاريخي

هذه هي الرواية المشهورة عن مقتل طرفة ، وقد تناقلتها كتب الادب في شيء من الاختلاف . اما نحن فلا يسعنا الا ان ننظر اليها بشك واحتياط لظهور الاصطناع عليها . فان سير حوادثها بين التكلف ، من هجاء طرفة لعمر بن هند ، الى هجائه عبد عمرو ، الى اشفاق ملك العراق من قتله في قاعدة ملائكة خوفاً من المتلمس ،

الى ارساله ليقتل في البحرين وهي مسقط رأس الشاعر وبلاد قومه ، الى صحيفة المتلمس ورفض طرفه ان يفض صحيفته ، الى امتناع صاحب البحرين عن قتل الشاعر لانه من اقربائه ، وحبسه اياه ، ثم انتظاره ان يرسل عمرو بن هند عاملاً جديداً ليقتله ويقتل طرفه معه ، الى مجيء العامل وهو من بني تغلب اعداء البكرين الى قعود بني بكر عن انقاذ شاعرهم في عقر دارهم ، الى غير ذلك مما يصعب الاطمئنان اليه .

فلقد كان بوسع عمرو بن هند ان يفتك بالشاعرين معاً في العراق ، بدلا من ان يرسلها الى البحرين . ولقد كان ينبغي له ان يخشى هجاء المتلمس اخيراً كما خشيه اولاً بعد ان نجا هذا من الشرك الذي نصب له . ولقد كان بوسع صاحب البحرين ان ينجو وطرفة دون ان ينتظر قدوم العامل الجديد ليقتلها معاً

وزعم الرواة ان نسيبه صاحب البحرين ، بعث اليه في سجنه ، بجارية اسمها خولة فردها وقال في ذلك ابياتاً مطلعها :

أَلَا أَعْتَرِيَنِي الْيَوْمَ يَا حَوْلَ أَوْ غُضِيَّيَ فَقَدْ تَزَلَّتْ حَدْبَاءُ مُحْكَمَةُ الْعَضِّ (١)

ومنها البيت المشهور يخاطب به عمرو بن هند :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا حَنَايَكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

ولا يخفى ما في ارسال الجارية الى السجن من التكلف . وقد جعل الرواة اسمها خولة وهو اسم المرأة التي يشبب بها طرفه في معلقته . فكانهم ارادوا ان يؤنسوه بذكر من يهوى قبل موته ، وفي ذلك ما فيه من التفكهم والاعراب .

وليس في البيت الذي يخاطب به عمرو بن هند ما يدل على حقيقة الحال لان منلك العراق لم يُفَنِّ قَبِيلَةَ الشَّاعِرِ حَتَّى يَصِحَّ قَوْلُ طَرْفَةَ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا

على اننا وان كنا نشك في رواية قتله فلاريب عندنا بان الشاعر مات صغير السن ، ولما يبلغ الثلاثين من عمره ، فعرف بالغلام القليل ، وبابن العشرين ، يؤيد ذلك رثاء اخته الخرنق له اذ تقول :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا أَسْتَوَى سَيْدًا ضَخْمًا^(١)
فُجِعْنَا بِهِ أَمَا رَجَوْنَا إِيَابَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وِلْدَاءَ وَلَا قَحْمًا^(٢)

أما

لطرفه ديوان جمعت فيه اشعاره اشهرها المعلقة ، ثم « رائية » مطلعها :
أَصْحَوْتَ الْيَوْمَ أُمَّ شَاقَتِكَ هِرْ وَمِنَ الْحَبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِيرٌ^(٣)
ولم يذكر له ابن سلام غير هاتين القصيدتين ، وروى مطلعها ، ولكنه عرف
له قصائد اخرى لم يدل عليها

واضيفت اليه قصيدة « ميمية » ذكر الاصمعي انها منحولة ومطلعها :
سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِخِرَازِي يَوْمَ تَحَلَّقِي اللَّيْمَ^(٤)
ونحن يهحننا من شعر طرفه معلقته ففيها تظهر ميزته ، وعليها المعول في درس
حياته ، و اخلاقه ، وآرائه في الحياة والموت . وسنعرض ايضا لايات من غير المعلقة
لا يستغنى عنها في هذا البحث

ميزته — المعلقة

معلقة طرفه هي الثانية في المعلقات ، وهي كسائر الشعر الجاهلي متعددة الاغراض
والمرامي . ولا يبعد ان يكون الشاعر قد نظمها في اوقات وامكنة مختلفة ،
فقره يستهلها بوصف اطلال خولة وحدوجها ، ثم ينتقل الى وصف الناقة ، فوصف
معيشته وكرمه ، فعاتبة ابن عمه مالك ، فالافتخار بنفسه ، فذكر آرائه في الموت
والحياة ، الى غير ذلك من الاغراض التي لا يتألف منها وحدة في الموضوع . وقد

(١) الحجّة : السنة . نوافها : استكملها . ضخم : كبير . (٢) ايابه : رجوعه .
فجعت : شيخ هرم . (٣) هر : اسم امرأة . (٤) تحلّق : مبالغة في الخلق . اللّم جمع
للمة : الشعر المجاور لشحمة الاذن . وتحلّق اللّم هنا : يوم من ايام بكر وتغلب خلق فيه
البكريون رؤوسهم لتعرفهم نساؤهم اذا سقطوا جرحى فتسقيهم الماء ، وتجهز بضرب الخشب
على جرحى تغلب

شُرحت هذه المعلقة مراراً وترجمت الى اللغات الاجنبية . واليك منتخبات منها :

الفزل - وصف الفراق

لَا إِحْوَانَةَ أَطْلَالَ بِيَرْقَةَ تَهْمِدِ تَلُوْحُ كِبَائِي أَوْشَمَ فِي ظَاهِرِ أَيْدِي^(١)
وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيْهُمُ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلْدِ^(٢)

وهنا ينتقل الشاعر الى ذكر حدود المالكية فيشبهها بالسفن ثم يأخذ في وصف تلك السفن حتى اذا انتهى عاد الى وصف من يهوى . وهذه خاصة في الشاعر الجاهلي تجعله لا يترك الموصوف حتى يصوره من جميع جهاته . قال طرفة :

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوَّةٌ خَلَايَا سَفِينٍ بِأَنْتَوَاصِفٍ مِنْ دَدِ^(٣)
عَدُوِّيَّةٍ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ يَجْرُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي^(٤)
يَشْقُ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمَقَابِلُ بِأَيْدِي^(٥)

(١) خولة : اسم امرأة . البرقة : مكان اخلاط ترابه بمجارة او حصي . ثمسد : اسم موضع . الوشم : غرز ظاهر البدن وغيره بالابرة وحشو المغازر بالكحل . يقول : ان آثار هذه الدبار تلمع كأثر الوشم في ظاهر الكف . (٢) وقوفاً : منصوبة على الحال اي بدت اطلال خولة كالوشم في حال وقف اصحابي مطيهم علي اي لاجلي . اسى : حزناً نصبت على اخامفعل له . تجلد : تصبر . يقول : اخم وقفوا عليه رواحهم بأمرونه بالصبر وينهونه عن الجزع . وقد ورد هذا البيت في معاقبة امرئ القيس وقافيةه تجمل بدلاً من تجلد . والتجمل : الاعتصام بالصبر الجميل . (٣) الحدوج جمع حدج : مركب النساء . المالكية : نسبة الى بني مالك وهي خولة . الخلايا جمع خلية : السفينة العظيمة . السفين جمع سفينة . النواصف جمع ناصفة : اناكن تقسم من نواحي الاودية . دد : واد في الطريق من البصرة الى البحرين . يقول : كأن مراكب خولة المالكية غدوة فرائها بنواحي وادي دد ، سفن عظام . شبه الابل وعليها الهوادج بالسفن . (٤) عدوئية نسبة الى عدولى : قرية في البحرين اشتهرت ببناء السفن . ابن يامن : ملاح مشهور من هجر وهي ارض البحرين مشهورة بتمرها . يمجور : ضد يهتدي . يقول : هذه السفن التي تشبهها تلك الابل ، من صنع قرية عدولى ، او من صنع ابن يامن في هجر . وشبه سوق الابل نارة على الطريق ونارة على غير الطريق ، باجراء الملاح السفينة مرة على سمت الطريق ومرة عادلاً عن ذلك سمت . (٥) حباب الماء : امواجه الواحدة : حسابة . الحيزوم : الصدر . التُّرْبُ والتراب واحد . المقابيل : الذي يلعب

ولهذه الايات قيمة تاريخية تفيدنا ما كان في البحرين من ملاحه وصناعة سفن .
وليس اولى من طرفه بوصف السفن والملاحين وهو ريبب السواحل البحرية . ونستفيد
منها ايضا لعب الفيال وفي ايامنا ما يشابهه .

ثم يعود الشاعر الى وصف من يهوى فلا يتعدى في وصفه ، عنقها وثغرها
ووجهها قال :

وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ ، شَادِنٌ ، مَظَاهِرُ سَمَطِي لَوْلُوْ ، وَزَبْرَجِدٌ ^(١)
صَعْدُولٌ تَرَاعِي رَبِّبَا بِحَمِيَّةٍ ، تَنَاطُلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ ، وَتَرْتَدِي ^(٢)
وَتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّرًا تَحْلَلُ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصَ لَهُ نَدٍ ^(٣)

الفيال وهو ضرب من اللعب يكون بان يجمع التراب او الرمل فيدفن فيه شيء كالمسام او غيره ، ثم يقسم المغاليل التراب بيده نصفين ويسأل صاحبه عن الدفين في اجها فان اصاب ربح ، وان اخطأ خسر .

(١) الاحوى : الذي في شفتيه حوّة اي سمرة ، والانشى حواء . ينفض : يتناول ماداً عنقه . المرء : غر الاراك . الشادن : الغزال الذي قوي واستغنى عن امه . المظاهر : اللابس ثوباً فوق ثوب او سمطاً فوق سمط . السمط : الخيط الذي نظمت فيه الجواهر . يقول : في الحي حبيب احوى كالغزال اذا مدّ عنقه ليتناول غر الاراك . يصف بذلك طول عنقه . ثم صرح بانه يريد انساناً وقال قد لبس عاتدين من لؤلؤ وزبرجد . شبهه بالطبي في ثلاثة اشياء : في كحل العينين وحوّة الشفتين وحنن الجسد . وقد اجتمع في استعارة الشادن للحبيب (الترشيح في قوله : «ينفض المرء» . والتجريد في قوله «مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد» (٢) خذول : اي ظبية خذلت اولادها . تراعي ربباً : ترعى . البربر : الزبرج : اقطع من الظباء وبه الوحش . الحميلة : ارض منبثة او ارض ذات شجر . تناول : تتناول . البربر : غر الاراك المدرك البالغ ، الواحدة بريرة . ترتدي : تلبس الرداء . يقول : هذه الظبية التي يشبهها الحبيب ، خذلت اولادها أي تركتهن وذهبت مع صواحبها في قطع من الظباء ترعى معها في الحميلة ، وتتناول اطراف الاراك وترتدي باغصانه اي ان الاغصان تلثوي وتلتف عابها عندما تتناولها . شبه طول عنق الحبيب وحسنه بعنق الظبية عندما تمده لتناول غر الاراك ، وهو لا يختلف عن قوله في البيت السابق : ينفض المرء شادن . (٣) الامى : الذي يضرب لون شفتيه الى السواد والانشى لمياء . منور : صفة لموصوف محذوف اي اقحوان منور وهو ما خرج نوره أي زهره الابيض . حر كل شيء : خاصه . الدعص : الكثيب من الرمل . التدي : ما يكون دون الابتلال . يقول : تبسم الحبيبة عن ثغر ألمى الشفتين كأنه اقحوان خرج نوره في دعص ندى وهذا الدعص بين رمل خالص لا يخالطه تراب .

سَقَنَهُ إِيَاةَ الشَّمْسِ إِلَّا لِثَابِتِهِ أَسْفَ ، وَلَمْ تَسْكُدِمْ عَلَيْهِ ، بِإِثْمِدِ (١)
وَوَجْهٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِذَاءَهَا عَلَيْهِ ، نَبِيُّ آلِ لَوْنٍ لَمْ يَتَّخِذْ (٢)

وصف الناقه

وهنا ينتقل فجأة الى ناقته التي ينفي بها المم عند حضوره:

وَأِنِّي لَأَمْضِي أَلْهَمَّ عِنْدَ أَحْتِضَارِهِ بَعُوجًا مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي (٣)

فيمعن في وصفها متناولا اعضاءها عضواً عضواً ، مشبهاً عظامها بالواح التسابوت ،
وعَدْوَهَا بعدو النعامه ، وشعر ذنبها في بياضه بجناحي نسر ابيض ، واخلافها بقربة
بالية لانقطاع لبنها ، وفخذها بياضي قصر منيف أملس ، واضلاعها المتصلة بفقارها
بالقسي ، وابططها في السعة بيتين من بيوت بقر الوحش . وشبهها وشبه مرفقيها
وبعدهما عن جنبها بسقاء يحمل في يديه دلون ، وعلوها بقنطرة رجل رومي . وشبه
جنبها بسقف اسند بعضه الى بعض ، واثار التسنع (٤) في ظهرها بنقر في الصخرة
الملساء . ثم شبه هذه الآثار في تلاقيها وتباعدها بينائتي ببيض في قميص مقدود . وشبه
عنقها في ارتفاعه وانتصابه بسكان (٥) سفينة جارية في نهر دجلة ، وجمجمتها بالسندان ،
وطرف الجمجمة بالمجرد في دقته وصلابته ، وخذها بقوطاس الرجل الشامي في

واذا جعله ندباً ليكون الاقحوان غضاً ناضراً ، شبه به بياض ثغرها وبريقه . وجر دمع على
انه بدل من الرمل

(١) إياة الشمس : شعاعها . اللثة : مفرز الاسنان . اسف : أي ذر عليه . انكدم :
العض . الأغد : الكحل . يقول : سقى شعاع الشمس ثغرها أي كأن الشمس اعارته ضوءها
ثم استثنى لثاته لان العرب لا تستحسن بريقها وانما تستحسن سمرتها ، وهذه اللثات ذر عليها
الكحل ، ولم تعض باسنانها على شيء . يوتر فيها : وتقديره أسف ياغد ولم تكدم عليه بشيء .
ونساء العرب تذر الأغد على الشفاه واللثات فيكون ذلك اشد للامعان الاسنان . (٢) التخذد:
التشنج والتفضن . يقول : ولها وجه كأن الشمس كسته ضياءها فاستعار لضياء الشمس اسم
الرداء بجامع الشمول ثم ذكر ان وجهها نقي اللون غير متشنج ومتفضن . (٣) الاحتضار
والخضور واجد . العوجاء : الناقه التي لا تستقيم في سيرها لغرط نشاطها . المرقال : مباغسة
مرقل من الارقال وهو بين السير والمدو . تروح وتعتدي : اي تواصل سير الليل بسير
النهار . (٤) التسنع : سير تشد به الاحمال . (٥) السكان : دفعة السفينة .

انفلاسه ومشفرها بالجند الياني في لينه ، وعينيها في صفائها وبريقها بالمرآة وبالماء . في
 نقرة صخر ، وحجاجيها^(١) وغوور عينيها فيها بكهفين اي مغارتين . ثم شبه عينيها
 في حسنها بعيني بقرة وحشية مذعورة لها ولد ، واذنيها في تيقظها باذني ثور وحشي
 منفرد كثير الحذر ، وقلبا في صلابته بمرداة اي صخرة تكسر بها الصخور . وشبه
 ما يحيط به من الاضلاع بججارة عريضة محكمة .

ولا يخفى ما في هذا القسم من الفوائد التاريخية عن العصر الجاهلي

~~الجاهلي~~

ارطح

لذنه وآراؤه

وبعد ان يتم وصف ناقته وتصورها يفرغ الى نفسه فيصف معيشته في
 السلم والحرب ، فاذا هو يحب اللهو والعبث كما يحب الحرب ، واغاثة الملهوف ،
 واذا هو مبذر يكره جمع المال لان الموت لا يفرق بين الكريم والبخيل ، والكريم
 خير من البخيل . وفي هذا القسم يطلعنا طرفة على آرائه في الحياة والموت ، وعلى
 اضطهاد عشيرته له ، وعلى غير ذلك مما يتعلق بحياته . وهو اهم اقسام المعلقة ، لان
 به تظهر خصائص الشاعر تمام الظهور . قال :

إذا القوم قالوا: من فتى! خلّت أني × عيّت فلم أكسل ولم أتبلد^(٢)

فإن تبغي في حلقة القوم تلقني × وإن تلتمني في ألوانيت تضطد^(٣)
 وإن يلتق أحيي الجميع تلاقني × إلى ذرورة البيت الشريف المصد^(٤)
 ندأماي بيض كالنجوم وقينة تروح إلينا بين برد ومجسد^(٥)

وبعد ان يصف القينة وصوتها يعود الى وصف معيشته :

وما زال تشرايي الحُمورَ والذّي × وببغبي وإنفاقي ، طريفي ومُتلدي^(٦)

(١) الحجاج : العظم المشرف على العين . (٢) من فتى : اي من فتى يدفع شراً . اتبلد :
 اتخبر واتردد . (٣) المصد : الذي يقصده الناس . يقول : وان اجتمع الحي للافتخار تلاقني انسي
 الى أعلى الشرف المقصود . (٤) بيض كالنجوم : اي احرار مشهورون . القينة : الجارية المغنية .
 البرد : ثوب مخطط . المجسد : الثوب المصبوغ بالجماد وهو الزعفران . (٥) تقدم شرحه

أَلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا ، X وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَيْرِ الْمُبَدِّ (١)
 رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ ، لَا يُنْكِرُونَنِي ، وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الْطُرَافِ الْمُمَدِّ (٢)
 أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَشْهَدُ الْوَعَى X وَأَنْ أَحْضَرَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي؟ (٣)
 فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَيْتِي X فَدَعْنِي أَبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي (٤)
 وَأَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَدَّةِ الْفَتَى وَلَا (٥) وَجَدِكَ الْمَ أَحْفَلُ مَتَى قَامَ عُوْدِي (٦)
 فَمِنْهُنَّ سَبْقِي الْعَاذِلَاتِ بِشْرُبَةٍ كَمَيْتِ مَتَى مَا تُعَلِّ بِأَلْمَاءِ تُرِيدُ (٧)
 وَكَرِّي ، إِذَا نَادَى الْمُضَافُ ، مُحْتَبًا كَيْسِدَ الْغَضَاءِ نَبْهَتَهُ ، الْمَتَوَرِّدِ (٨)
 وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالذَّجْنِ مُعْجِبٌ ، بِبَهْكِنَةٍ تَحْتَ الْخَيْبَاءِ الْمَعْمَدِ (٩)

(١) تقدم شرحه . (٢) الغبراء : صفة الارض جعلت كلاسما لها . وبنو غبراء : الفقراء الذين
 لصقوا بالارض لسدة النقر . الطراف : البيت والجمع الطروف . وقوله الممدد : كناية عن العظيم .
 يقول : لما تحامتنى عشيرتي رأيت الفقراء لا ينكرون احساني والاغنياء لا ينكرون صحبتي لانهم
 يبدون فيها شرفاً لهم . واما قوله : -هناك بادخال ماء التثنيه على اسم الاشارة المقرون
 بالكاف فنادى في كلام العرب . (٣) الوعى : اصله صوت الابطال في الحرب ثم جعل اسماً
 لها . يقول : الا ايها الرجل الذي يلومني على حضور الحرب وحضور اللذات هل تخلدني ان
 كفت عنها . (٤) استطاع بسطيع : لغة في استطاع . ابادرها : عاجلها واسبقها . يقول : ان
 الموت لا بد منه فلا معنى لابتخل وترك اللذات . (٥) وجدك : الواو للقسمة أي وحظك .
 احفل : ابالي . العود جمع عائد : الزائر في المرض . وقوله : متى قام عودي : اي متى
 ذهبوا يائسين من حياتي اي متى مت . (٦) سبقي العاذلات : اي قبل ان ينتهبن . كميته :
 الاحمر الضارب الى السواد صفة للخمر . متى ما تعل بالماء : اي متى مزجت علاها حباب .
 وهذه احدى لذاته التي يجب الحياة من اجلها (٧) كروي : عطفي . المضاف : الحسائف
 والمذعور . محبباً : صفة للفارس المحذوف وهو الذي في يده الخنجر . ونصب محبباً لانه مفعول
 به من كروي ، وجملة اذا نادى المضاف اعتراضية . بالسيد : الذئب . الغضا : شجر ، وذئب
 الغضا اخبث الذئب . المتورد : الذي يطلب ورد الماء . يقول : ان الحصلة الثانية في لذة
 الفتى هي ان اسرع ان تجده الحائف المنتجى الي فاعطف عليه فرساً في يده الخنجر . يدعو عدو
 ذئب الغضا ، اذا نبهته وهو يريد الماء . (٨) يوم الدجن : يوم فيه غيم وندى او مطر كثير .
 البهكنة : المرأة الحسنه الخلق والسمينة الناعمة . الخبساء : المضرب . المعمد : المرفوع
 بالمعد . يقول : الحصلة الثالثة ان اقصر يوم المطر بمحادثه امرأة ناعمة حسناء تحت بيت
 مرفوع بالمعد ، وقوله : -والدجن معجب اي يعجب الانسان

خاتمة سربن الحيات صرور

ومنها :

كريمٌ يروي نفسه في حياته
أرى قبر نعامٍ بخيلٍ بماله
ترى جثوتين من ترابٍ عليهما
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
أرى العيش كذا ناقصاً كل ليلة
لعمرك إن الموت ، ما أخطأ الفتي ،
متى ما يسواً بصد الحفة
عنا به لابه عمه وفخره

فمالي أراي وأبن عمي مالكا
وأيا سني من كل خير طلبته
على غير شيء قلته غير أنني
متى أدن منه ينأ عني ويبعد
كأننا وضعناه إلى رمس مأخذ
نشدت ولم أعجل حمولة معبد

(١) الصدي : العطشان . يقول : انا كريم يروي نفسه ايام حياته وستعلم ان مننا غداً
أينا العطشان ، يريد انه يموت ريان وعاذله يموت عطشان . (٢) الانجمام : الحريص على جمع
المال . الفوي : الضال . المفسد : المثلث . (٣) جثوتين : كومتين . الصفائح : الحجارة
المراس . المنضد : المرصوف بعضه فوق بعض ، وهذا البيت تفسير لسابقه . (٤) يتنام :
ينهار . العقيلة : كريمة المال والنساء . الفاحش : البخيل . يقول : ارى الموت يعم
الاجواد والبخلاء فيصطفي الكرام وكرائم اموال البخلاء المتشددين في الحرص . (٥) ينقد :
يفنى . شبه البقاء بكثر نقصه الايام والدهر كل ليلة ، وما لا يزال ينقص فان ماله الى النفاد
(٦) لعمرك : اللام للقسم . العمر والعمر واحد ولا تفتح عينه الا في القسم . ما : صدرية
ذمانية والمعنى : ان الموت مدة اخطائه الفتي . الطول : الحبل . ثياه : طرفاه . يقول :
اقسم بحيانك أن الموت في مدة مجاوزته الفتي بمنزلة حبل يطول للدابة ترعى فيه وطارقاه بيد
صاحبه . شبه الموت بالحبل والفتى بالدابة التي لا تقبل منه . (٧) يقول : قطني مالك من
كل خير رجوته منه كأننا وضعنا ذلك الطلب الى قبر رجل مدفون ، يريد انه ياتس من خير
مالك كما ان الميت لا يرجى خيره . (٨) نشد المفقود : طلبه . انقل : اترك . الحمولة : الال .
معبد : اخوه . يقول : لم يكن مني ذنب غير انني طلبت ابل اخي المفقودة ولم اتركها فجعل يلومني

وَقَرَّبْتُ بِالْقُرْبَى ، وَجَدِكَ إِنِّي مَتَى يَكُ أَمْرٌ لِلنَّكِيَّةِ أَشْهَدُ (١)
 وَإِنْ أَدْعَ لِلْجَلِي أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا وَإِنْ تَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجَهْدِ ، أَجْهَدُ (٢)
 وَإِنْ يَقْدُفُوا بِالْقَدْعِ عِرْضَكَ أَسْتَيْهِمُ بِشَرْبِ حِيَاضِ الْمَوْتِ ، قَبْلَ التَّهْدُدِ (٣)
 بَلَا حَدَثٍ أَحَدْتُهُ وَكَمُحَدِّثٍ ، هِجَانِي ، وَقَدْنِي بِالشَّكَاةِ ، وَمُطْرَدِي (٤)
 فَلَوْ كَانَ مَوْلَايَ مَوْلَايَ أَمْرًا هُوَ غَيْرُهُ لَقَرَجَ كَرْبِي أَوْ لَأَنْظُرَنِي غَدِي (٥)
 وَلَكِنَّ مَوْلَايَ أَمْرًا هُوَ خَانِيَتِي عَلَى الشُّكْرِ ، وَالْتِسَالِ ، أَوْ أَنَا مُنْتَدٍ (٦)
 وَظَلَمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَسَدُ مَضَاضَةٍ خ عَلَى الْعَرَةِ مِنْ وَقَعِ الْحَسَامِ الْمُهْتَدِ (٧)

فانت ترى كيف ان طرفه ، يشرح لنا مذهبه في اللهو واللذة ، واستهانته الموت ، لولا حبه الحمر ، وتلبية الصربغ ، ومحادثة النساء . وانت تلمس فيه بأس الشاعر وزهده في الحياة ، والمال . لان الموت لا مهرب منه يأتي الكريم ولا يعف عن البخيل . وخير للانسان ان يموت ريان من ملذات الحياة ، من ان يموت صادياً . وهو مذهب من لا يطمع في الخلود ، ولا يعلم كنه الموت وانما يخشى الظما في حده .

ولا يقتصر طرفه على وصف معيشته وابداء آرائه ، وانما يطلعنا على شطر عظيم من حياته ، وهو جور قومه عليه ، واضطهادهم له ، واعراض ابن عمه مالك عن مساعدته في ارجاع الابل المفقودة لاخيه معبد . فيبدو لنا حزينا متظلماً يبث هذا زهبا حيا في ناسي حقم بالدرسي والتحر فيه

(١) القُرْبَى : اسم من القُرْب والقَرَابَة . النكيسة : المبالغة في الجهد . يقول : اني قربت نفسي اليك بما بيننا من القرابه ، واقسم بحظك انه متى حدث لك امر يستدعي بذل المجهود احضره وانصرك . (٢) الجلي : الامر العظيم . الجهد : بالمشقة . يقول : وان تدعني للامر العظيم اكن من المحامين عنك ، وان يأتك الاعداء بالمشقة اجتهد في دفعهم عنك واعانتك . (٣) القدع : الفحش والسباب . التهديد : التهديد . يقول : وان افحش الاعداء القبول فيك قتلهم ، دون ان اشقل بتهديدهم . والباء في شرب زائدة . (٤) يقول : اجفى من غير حدث اساءة احدتها ثم اهجي وأشكى وأطرد ، كأنني يحدث اساءة استحق عليها العقاب . (٥) مولاي : اراد به ابن عمه . انظرني : امهاني . يقول : لو كان ابن عمي غير مالك لكن فرج همي او لامهني زمانا افرج به كربني . (٦) يقول : ولكن ابن عمي يضيق علي سواء شكرته على آلائه ، او سألته بره وعطفه ، والا انا مقتدر منه اي مقروء عنه اتحماسه (٧) المضاضة : الحرقه والتأثير

نساء + فقهية من عمرو بن عمرو
جمل قلم فقهية

شكايته وآلامه ، ولكن نفسه الكبيرة تأبى الا ان تظهر عظمتها ، على ما فيها من يأس وألم ، فيشرع في الافتخار واصفاً شجاعته ، ذاكراً لابن عمه انه بوسعه ان يحمي عرضه ويرد الاعداء عنه .

هجوه وسخرينه

اجمع الرواة على ان طرفة كان حديد اللسان جري. الهجاء ، ويزعمون ان استخفافه بالناس قرب اجله . غير ان هذه الحاصة لا نجدتها في المعلقة على تعدد اغراضها . فينبغي لنا ان نلتمسها في غير المعلقة . وقد عرفت ان ما وصل اليها من شعر طرفة ، قليل جداً واكثره لا يعول عليه . ولكننا نأخذ شواهد على هذه الميزة في الشاعر ، انتقاده لشعر خاله المتلمس . وكان طرفة غلاماً يلعب مع اترابه فسمع خاله يقول :

وَقَدْ أَتَنَاسَى أَلْهَمَ عِنْدَ أَحْتِضَارِهِ بِنَاجٍ ، عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ ، مُكْدَمٌ (١)

والصيعرية سمعة لالنوق فقال طرفة : « استنوق الجمل » فارسلها مثلاً ، وضحك القوم فغضب المتلمس ونظر الى لسان طرفة فقال : « ويل لهذا من هذا » يعني رأسه من لسانه . ونأخذ ايضاً هجوه لعمرو بن هند واخيه قابوس :

فَلَيْتَ أَنَا مَكَانَ أَمَلِكِ عَمْرُو رَغَوْنَا حَوْلَ قَبْتِنَا نَجُورُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لَيُخَلِّطُ مُلْكُهُ نَوَكُ كَثِيرُ

وهجوه لصهره عبد عمرو :

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنَى وَأَنَّ أَهْ كَشْحًا ، إِذَا قَامَ ، أَهْضَمًا

فن هذه الامثلة الصغيرة يمكننا ان نتبين خاصة الهجاء في طرفة وما فيها من استخفاف وهزه . ولعل الاستخفاف والهزه من ابرز خصائص هذا الشاعر ، فهما ظاهران في لهوه وعبسه ، ظاهران في زهده بالحياة والمال ، ظاهران في هجوه وانتقاده

(١) التاجي : البعير المربع ينجو براكبه . الصيعرية : سمعة تروسم بها النوق في اليمن دون الجمال . المكدم : الموسم

وقد نوجب لهذه الحكم البالغة التي نقرأها في المعلقة وغير المعلقة من شعر طرفة ، ونكبرها على غلام لعوب مستهتر لا يحفل بغير ملذاته . ولكننا اذا نظرنا الى ما اصاب الشاعر على صغر سنه ، من ضيم وارهاق واضطهاد ، نعلم ان هذه الروائع الحكمية جاءت وليدة تأثراته النفسية . فهو لولا جور اهله عليه لما قال :

وْظَلَمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاظَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحَسَامِ الْمُهْتَدِ
ولو لم يُلَمَّ على اسرافه لما قال :

أرى قبر نخام بغييل بالله كقبر عوي في البطالة مفيد
ولو لم يخنه صوره عبد عمرو ويش به الى عمرو بن هند لما اصمعا في هيجانه :

وَأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ ، مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حِصَاةً ، عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٌ (١)

ولو لم يلقى من الايام غرائبها لما اختتم معلقته بقوله :

سَتَبْدِي لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ، وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ
وهو لم يور بأنه لسان صير لاخير لما قال :

صحة شعره ولو شاء ربي

قال ابن سلام : « وما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، والذي صح لها قصائد بقدر عشر وان لم يكن لها غيرهن فليس موضعها حيث وضعها من الشهرة والتقدمة ، وان كان ما يروى من القشاة (٢) لها فليسا يستحقان مكانهما على افواه الرواة . ونرى ان غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير ان الذي نالهما من ذلك اكثر . وكانا اقدم الفحول فلعل ذلك لذلك ، فلما قل كلامهما حمل عليهما حمل كثير . اهـ »

فهو يرى ان شعرهما ناله من الضياع اكثر من شعر غيرهما لانهما اقدم الفحول وان الرواة نحلوهما شيئاً كثيراً لما قل كلامهما ، ولكنه يعترف بصحة معلقة طرفة

(١) الحصة هنا : العقل . العورات جمع عورة : كل امر يستحي منه . (٢) القشاة في الاصل : البالي من ورق الشجر الخالط زبد السيل . وهو هنا الساقط من الشعر

أخفى اليوم إقدام المصنف أم فقد
 وصحة رائيته «أصحوت اليوم . . .» وبعض قصائد حسان له لم يشر إليها .
 ونحن في درسنا شعر طرفة اعتمدنا على المعلقة أكثر من غيرها ، وهي ثابتة له
 لم يشك في صحتها احد حتى ان الدكتور طه حسين نفسه ، على ضعف ثقته بالشعر
 الجاهلي نفى النحل عن هذه المطولة ، الا القسم الذي وصف به الشاعر ناقته ،
 فقد رابه ما فيه من الالفاظ الغريبة ، والمعاني الغامضة فزعم ان أكثر هذه الاوصاف
 اقرب الى ان يكون من صنعة العلماء باللقمة منه الى شي . آخر . ومما زاد في ريبتة ان
 طرفة من شعراء ربيعة : « فكيف شد عنهم جميعاً فقوي متنسه واشتد اسره وأثر من
 الاغراب ما لم يؤثر اصحابه ودنا شعره من شعر المضربين ؟ » ولكتبتنا نزع من ان الدكتور
 مخطئ . بزعمه ، فليس في وصف الناقة شي . من تكلف العلماء ، وانما هو كسائر
 اقسام القصيدة ، ظاهر السداوة في الفاظه وتعابيره ، ظاهر الطبيعية في تشابيهه
 واستعاراته . واما ان يكون الشاعر قد شد عن شعراء ربيعة في متانته وشدة
 اسره ، فليس ذلك بعجيب و لكل قاعدة شذوذ . واذا نظرنا الى حياة طرفة وما
 رافقها من ضيم وشظف عيش ، بعد ان طرده اهله فهام على وجهه ياوي الى المغاور
 والجبال ، ويشن الغارات على الاحياء ، لم نعجب لشدة شعره وغرابة الفاظه .
 بيد ان هذا الاغراب مقصور على وصف الناقة ، واما سائر اقسام المعلقة ففيه رقة
 ولين وان كانا على غير ضعف . فطرفة لم يشذ عن شعراء ربيعة الا قليلاً . فهو رقيق
 في غزله ، رقيق في شكواه وبث الآه .

منزله لم تتعلم بوضع عن المصنف عن ربيعة عن ربيعة ١٢

وضعه ابن سلام في الطبقة الرابعة اقله شعره بايدي الرواة ولكنه قال فيه :
 انه اشعر الناس واحدة وهي قوله : « حولة أطلال . . . » . وقال ابن قتيبة : هو اجود
 الشعراء طويلة . وقال ابن رشيقي : طرفة افضل الناس واحدة عند العلماء وهي المعلقة .
 وقال ابو عبيدة : مر لبيد بمجلس في الكوفة وهو يتوكأ على عصا فاحقه فتى من
 اهل المجلس وسأله : من اشعر العرب ؟ فقال : الملك الضليل ، يعني امرأ القيس .
 فسأله : ثم من ؟ فقال : الغلام القليل ، يعني طرفة . فسأله : ثم من ؟ فقال : الشيخ

أبو عقيل ، يعني نفسه . ومهما يكن من أمر هذه الرواية فإنه يستدل منها وبما تقدمها من الأقوال ، أن طرفه فُضِّلَ بعلته على سائر الشعراء . وهذا التفضيل يعود إلى ما فيها من آراء في الحياة ، وحكم جليلة ، وفوائد تاريخية ، عدا جمال الوصف وبراعة التشبيه ، وقوة التعبير . وحسب صاحبها فضلاً أن يكون غلاماً في العشرين .

زهير

(السنوات الأولى للإسلام)

حياته : الاختلاف في نسبه . حظه من الشعر . حولياته . مدحه لمصرم . اخلاقه . إيمانه بالبعث . عمر طويلاً . مات في الإسلام ولم يسلم . نبؤه بظهور الإسلام . استعاذة النبي من لسانه . ديوان شعر أكثره في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف . أشهر ما فيه المعلقة . نظمها على أثر حرب داحس والغبراء . فدح المصلحين هرماً والحارث

حرب داحس والغبراء : داحس : فرس قيس بن زهير . الغبراء : فرس حمل بن بدر . تراشنا عليها فأكمن حمل من رد داحساً فسبقته الغبراء . فكانت الحرب

ميزته : مائة شعراء مضر . الهدوء . القصص والتصوير الحسي . التناسق والترتيب . تخبر الملقى والألقاظ . تأنيه في النظم . حكيمته . غزله . وصف الفراق وتصويره . مدحه . مبالغته . تجنبه الفسوف الفبيح . وضع الأوصاف الحسنة كلها في بمدوحه . وصف الحرب . تصوير فظائرها وويلاتها . مجاوزه يوم ولا يقذع ينهكم وينصح معاً . الحكم . موقف زهير من الحياة وموقف طرفه . ابغض كلامها الحياة . شتمها زهير ، وأثر اللذة فيها طرفه . مترلته

هو زهير بن ابي سلمى ^(١) اختلف في نسبه ، ف قيل انه من غطفان ، وقيل انه من مزينة ، ولكنه نزل ارض غطفان وتزوج منهم واقام فيهم . ولم يجتمع لشاعر في الجاهلية حظ من الشعر كما اجتمع لزهير . فقد كان ابوه ربيعة شاعراً ، وخاله بشامة بن العذير الغطفاني شاعراً ، واختاه سلمى والحناساء ^(٢) شاعرتين ، وابناه كعب وبجير شاعرين ، وحفيده عقبه بن كعب شاعراً ، وابن حفيده العوام بن عقبه شاعراً ، وكان زوج امه اوس بن حجر شاعراً مشهوراً فروى له زهير ونظم الشعر ففاته ، واخمل ذكره .

واشتهر زهير بتهديب شعره فروي انه كان ينظم القصيدة في اربعة اشهر ، ويهذبها في اربعة ، ويعرضها على اخصائه في اربعة . وكانت تسمى قصائده الحوليات قالوا وهي اربع :

قَفَّ بِالْدِيَارِ اَلَّتِي لَمْ يَعْفُهَا اَلْقِدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا اَلْاَرَوَاحُ وَالْدَمِيمُ ^(٣)

اِنْ اَلْحَلِيْطُ اَجَدَّ اَلْبَيْنَ فَاَنْفَرَقَا وَعُلقَ اَلْقَلْبُ مِنْ اَسْمَاءَ مَا عَلِقَا ^(٤)

بَانَ اَلْحَلِيْطُ وَلَمْ يَأُووَا لِيْنِ تَرَكَوَا وَزَوَّدُوْكَ اَسْتِيَاقًا اَيَّةَ سَلَكَوَا ^(٥)

(١) سلمى بضم السين في زهير بن ابي سلمى وحده وهي مفتوحة فيما عداه . (٢) الحناساء ، اخت زهير هي غير قاضر بنت عمرو بن الشريد اخت صخر الشاعرة المشهورة . (٣) لم يعفها : لم يمحوها وبدرس اثرها . الارواح : جمع ريح . الدم جمع ديمة : المطر الدائم مع سكون . يقول مخاطباً نفسه على سيده التجريد : قف بالديار التي لم يمحو آثارها تقادم العهد . ثم عارفتكض كلامه السابق مستدركاً فقال : بلى غيرهما الرياح والامطار ، وهذا اسلوب لطيف في البيان يعرف بالرجوع وهو العود الى الكلام السابق بالنقض لنكتة اريد بها هنا اظهار التوله والحيرة (٤) الحليط : العشير المخالط في الدار . اجد البين : اجتهد في الرحيل . انفرقا : انفعل من الفرقه . علق : احب . علق : احب . وقوله : ما علقا : مبالغة في شدة الحب ، لما في لفظه من الاجام . (٥) بان : بعد . لم ياووا : لم يرحموا . وقوله اية سلكوا : اية حرة سلكوا بمحذوف المضاف اليه . قول : بعد الاصحاب المخالطون بمن احب ولم يرحموا لي ، وجعلوا زادي الاشتياق اليهم اية جهة سلكوا

لَيْتَنَ ظَلَّلَ بِرَأْمَةٍ لَا يَرِيْمُ عَفَا . وَخَلَا أَنَّهُ حُشِبَ قَدِيمٌ (١)

وقد خص زهير خير قصائده بمدح هرم بن سنان لجرده وكرم اخلاقه . وروى الاصمعي ان هرماً كان قد حلف ان لا يدحه زهير الا اعطاه ، ولا يسأله الا اعطاه ، ولا يسلم عليه الا اعطاه عبداً او وليدة او فرساً ، فاستجيب زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه في ملا قال : « انعموا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت » بجزالة . وكان زهير حكيماً ، وقوراً ، متروياً ، متعففاً في شعره ، مؤمناً بالبعث والحساب يدل على ذلك قوله :

فَلَا تَسْكُتُنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ لِيَحْقَى ، وَمَهْمَا يُسْكَمِ اللَّهُ يَعْلَمُ
يُوْخِرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجِلُ ، فَيُنْقَمُ (٢)

وعبر زهير حتى سئم الحياة وتكاليها ، فقال :

سَسِئْتُ تَسْكَالِفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا ، لَا أَبَا لَكَ ، يَسْأَمُ

ومات في السنوات الاولى للاسلام ، ولم يسلم ، وقد اربت سنه على التسعين وزعم الرواة انه تنبأ بظهور الاسلام قبل بعثة النبي ووصى ابنه كعباً ويجيراً ان يسلمها ، وزعموا ايضاً ان النبي رآه فاستعاذ بالله من شيطانه فما لاك بيتاً بعد ذلك حتى مات . ومثل هذه الروايات لا يمكن التعويل عليها .

أثاره

ديوان شعر مطبوع ومشروح ، اكثره في مدح هرم بن سنان وقومه ، ومدح الحرث بن عوف . وقليل منه في الهجاء والفخر ، يتخلل ذلك جميعاً كثير من الحكم

(١) الظلل : ما كان له شخص على وجه الارض . والرسم : اثر لا شخص له . رامة : موضع . لا يريم : لا يبرح . عفا : امحى . خلا : مضى . الحقب : الدهر . المعنى : يسأل نفسه متجاهلاً من هذا الظلل برامة لا يبرح ثابتاً شخصه على حين انه امحى ودرس وبعض عليه دهر طويل . (٢) اي يوخر عقابه ويرقم في كتابه ، فيدخر ليوم الحساب ، او يعجل في الدنيا قبل المصير الى الآخرة فينتقم من صاحبه

واسهر شعره المعلقة ، وهي الثالثة في المعلقات ، سُرحت وطبعت مراراً وترجمت للغات الاجنبية . وقد نظمها زهير على اثر حرب داحس والغبراء ^(١) . ومدح بها هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين اصلحا بين القبيلتين المتحاربتين عيس وذبيان ، وتحملتا ديات القتلى الذين لم يثار لهم . وقيل ان هذه الديات بلغت ثلاثة آلاف بعير .

عبرته

عرف شعراء مُضَرٌّ ^(٢) وزهيرٌ منهم ، بالمتانة وشدة الاسر ، كما عرف شعراء ربيعة بالركة واللين . ونحن في درسنا شعر زهير وغيره من الشعراء المضربين ، تبدو لنا هذه الحاصة التي لا يكثر وجودها في الشعراء الربيعين . وما زهير في شعره الا مثال لمتانة السبك وقوة التعبير ، على غير خشونة وغلاظة .

وشعره صورة ناطقة عن اخلاقه ، فالرزانة والتعقل والمدوء ، ترافقه في جميع اغراضه ، سواء كان متغزلاً ، او مادحاً ، او هاجياً ، او مقتخراً ، او متهدداً . وهو في شعره مصور بارع ، يتابع الوصف القصصي متمهلاً ، مترفقاً في موضع الرفق ، مشتدداً في موضع الشدة ، فيخرج لك صوراً حسية تكاد تلمسها لمس اليد ، وهذه الصور على اختلاف الوانها حسنة التناسق والترتيب ، متخيرة المعاني ، ملبسة ثوباً من الالفاظ نقياً ، يلائمها كل الملاممة ، مما يدل على ان الشاعر لم يكن يندفع الى النظم

(١) داحس : فرس لقيس بن زهير سيد بني عيس . والغبراء : حجرة لحمل بن بدر سيد بني فزارة من ذبيان . تراهن عليها الاميران فلما كان يوم السباق بعث حمل بن بدر من يكمن لداحس ويرد وجهته عن الغاية اذا جاء سابقاً . وارسل الفرسان فبرز داحس عن الغبراء حتى شارف الغاية ودنا من الكمين فوثبوا عليه وردوه ، فسبقت الغبراء . وفي ذلك يقول قيس بن زهير :

وما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا علي بعير فخر وردوا دون غايته جوادي
وبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا الى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق وكان مئة بعير
فابي قيس دفنها وقتل مالكا فنشبت الحرب بين القبيلتين ، وكثرت فيها القتلى حتى اصالح بينها . (٢) مضر بن تزار اخو ربيعة بن تزار وكلاهما ابو قبيلة تعرف باسمه

بقوة ملكته الشعرية ، الا بعد ان يعد له العدة . ولعل هذا التأني ، هو الذي جعل الرواة ينسبون اليه القصائد الحوليات
وليس بعجيب ان تخرج الحكمة من فم شاعر عرف بالرزانة والتعقل كزهير ،
فيسمعنا منها طائفة جليلة تمثل لنا شخصيته المادئة المتروية .

منتخبات من شعره

واليك منتخبات تظهر لك ميزة زهير وخصائصه في ابواب الشعر وفنونه

الغزل

زهير في غزله كسائر شعراء الجاهلية ، يبتدىء بذكر الديار الخالية ، ووصف فراق الاحبة ، ثم ينتقل فجاءة الى غرض آخر ولكنه في وصف الفراق لا يخرج عن ميزته الخاصة في التصوير الحسي ، والاسلوب القصصي ، واليك مثالا عن ذلك قوله في معلقته :

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةَ لَمْ تَكَلَّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمَسْتَبَمِ (١)
وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشَمِّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ (٢)

(١) ام اوفى : كنية امرأة الشاعر . الدمنة : ما اسود من آثار الدار بالبحر والرماد وغيرها . حومانة الدراج : ماء بنجد على طريق البصرة الى مكة . المثلم : موضع قريب منه . وقوله : « امن ام اوفى » يريد امن منازل ام اوفى فحذف المضاف . يقول : امن منازل الحبيبة ام اوفى دمنة في هذين الموضعين ، لا تردسوا لي اذا كلمتها . وهذا الكلام يخرج في معرض التوجع او الشك ليدل على ان الشاعر لبعد عهده بالدمنة وفوط تغيرها لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق . (٢) دار : معطوفة على دمنة . الرقتان : موضعان مرتفعان احدهما قرب المدينة ، والثاني قرب البصرة . المراجع جمع مرجوع : المجدد والمكرر . النواشر جمع ناشر : العرق . المعصم : موضع السوار من الزند . يقول : امن منازلها دار بالرقمتين . يريد انها تحمل الموضعين عند الانتجاع ولم يرد انها تسكنها جميعاً لان بينها مسافة بعيدة . وقوله : « ودارها بالرقمتين » يريد وداران لها . فاجترأ بالافراد عن التثنية لعدم الالتباس . يقول : امن منازلها داران بالرقمتين ثم شبه رسومها وقد كشفت الامطار عنها التراب ، وشم في المعصم مجدد . ونشبهه الاطلال بالوشم ورد في مطلع معلقة طرفه

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَنْشِينِ خَلْفَةً / وَأَطْلَاوَهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْشَمٍ (١)
 وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً ، / فَلَأْيَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ (٢)
 أَتَانِي سَفْعًا فِي مَعْرَسٍ مِرْجَلٍ / وَنَوِيًّا كَجِذْمٍ الْخَوْضِ لَمْ يَسْتَلِمِ (٣)
 فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبِّعِيهَا : / أَلَا أَنْعِمَ صَبَاحًا ، أَيُّهَا الرَّبِيعُ ، وَأَسْلَمِ (٤)
 تَبَصَّرَ ، خَلِيلِي ، هَلْ تَرَى مِنْ طَعْمَانٍ / تَحْتَأَنُ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمٍ ؟ (٥)
 عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ ، وَكَلْتَرٍ / وَرَادٍ حَوَاشِيهَا ، مُشَاكِهَةِ الدَّمِ (٦)
 جَعَلَنَ الْقَتَانَ عَنِ يَمِينِ ، وَحَزَنَهُ ، / وَكَمْ بِالْقَتَانِ مِنْ مَجَلٍّ وَمُحْرَمٍ (٧)

(١) العين جمع العيناء : الواسعة العين ، صفة للبقرة الوحشية المحذوفة لدلالة الصفة عليها . الارام : جمع رم : الظبي الابيض . خلفه : أي يخلف بعضها بعضاً اذا مضى قطع جاء قطع آخر . الاطلا : جمع طلا : ولد الظبية والبقرة الوحشية . مجثم : الربض . يقول : جذه الدار بقر وحش واسعات العيون وطلباء بيض يمشن بها خالقات بعضها بعضاً واولادها تنهض من مراتبها لترضعها اماتها . (٢) الحججة : السنة . اللائي : الجهد والمشقة وهي منصوبة على الخال من ضمير عرفت . يقول : وقفت بدار أم اوفى بعد مضي عشرين سنة فلم اعرفها الا بعد جهد ومشقة لبعد المهد بها . (٣) الاثاني جمع الاثنية : وهي حجارة تنصب فتوضع عليها القدر . السفع : السود يخالطها حمرة . المعرس : المستل ، من التعريس وهو التزول وقت السحر ، واستمير هنا للمكان الذي تُنصب فيه القدر . الميرجل : القدر . النووي : حُبير يفر حول المضرب ليجري فيه ماء المطر ، ويصنع له حاجز لئلا يدخل الماء البيت . الجذم : الاصل . لم يتلثم : لم يتهدم . وقد نصب اثاني على البديل من الدار ونوياً على العطف على الاثاني . يقول : عرفت من الدار حجارة سوداً تنصب عليها القدر وخبيراً كأنه اصل حوض ، بقي غير متهدم . (٤) الربع : موضع التزول ربيعاً وهو هنا الدار مطلقاً . انعم صباحاً : طِبَّ عيشاً في صباحك ، من النعمة . (٥) الطعمان جمع الظمينة : المرأة في المودج . العلياء : الارض المرتفعة . جُرْثُمُ : ماء لبني اسد . وقوله : تبصَّرَ خليلي : أي انظر . (٦) الانماط جمع النسب : وهو ضرب من الثياب يبسط . العتاق : الكرام . الكلمة : الستر . وِرَادٍ جمع وَرَد : وهو الاحمر . الحواشي : الجوانب . مشاكهة : مشاجة . والباء في قوله : « علون بانماط » للتعدية ، فكأنه يقول : أعلن انماطاً . المعنى : ان هؤلاء النسوان طرحن على الهوادج انماطاً كراماً وسترأ رقيقاً ، ثم وصف تلك الثياب بانها حمر الحواشي كأنها الدم . (٧) القتان : جبل لبني اسد . الحزن : الارض الغليظة المرتفعة . المجل : من لا عهد له ولا حرمة . المحرم : من له حرمة عهد وذمة . يقول : جعلت الطعمان

ظَهَرَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعَتْهُ عَلَى كُلِّ قَيْبِي قَشِيْبٍ وَمَقَامٍ (١)
 وَوَرَكْنٍ فِي السُّوْبَانِ يَغْلُوْنَ مَتْنَهُ عَلَىٰ هُنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَّعِمِ (٢)
 كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ . تَزَانُ بِهِ ، حَبُّ الْفَنَّا لَمْ يُحْطَمِ (٣)
 بَكَرْنَ بُكُورًا ، وَأَسْتَحْرَنَ بَسْحَرَةً ، فَهِنَّ لِيَادِي الرَّسِّ ، كَالْيَدِ لِلْقَمِ (٤)
 فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ . وَضَعْنَ عَصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَّعِمِ (٥)
 وَفِيهِنَّ مَلْهُىً لِلطَّيْفِ ، وَمَنْظَرٌ أُنْبِقُ لَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ (٦)

فمن هذا المثال تبدو لك طريقة زهير في غزله ، وما فيه من هدوء وتعفف ،
 على عاطفة صادقة في تصوير التبايعه وحررقته لبعده من يهواه . وكأني به لما عرف

في سفرها ، هذا الجبل وارضه الغليظة عن يمينها ، وفي هذا الجبل كثير من الاعداء الذين ليس
 لهم عندنا عهد حرمة وذمة ، وكثير من الاولياء الذين لهم عندنا حرمة عهد .

(١) السوبان : اسم وادٍ . جزعته : قطعته . القبيبي : نسبة الى القيين وهو كل صانع
 ويريد بالقبيبي هنا الرجل . قشيب : جديد . مقام : موضع . يقول : علون من وادي
 السوبان ثم قطعته على كل رحل جديد موسع . (٢) ورَكْن : ثنين ارجلهن ووضعن اوراكهن
 في السرج ليسترحن . متنه : ظهره . الدل : الفنج . الناعم : طيب العيش ، من النعمة .
 المتنعم : المتكلف النعمة . يقول : وملن على ركائبن في هذا الوادي في حال علوهن ظهره
 وعلين غنج الانسان الطيب العيش المتكلف النعمة . (٣) الفتات : اسم لما انفتت من
 الشيء اي تقطع وتنفق . العين : الصوف المصبوغ . الفنا : شجر له حب احمر يسمى عنب
 الثعلب . شبه ما تساقط من الهوادج من تنف الصوف المصبوغ ، في حال التزول ، بهذا الحب
 الاحمر ، وقيده بقوله : لم يحطم ، لان هذا الحب اذا حطم لا يظلم على لونه من الحمرة ،
 فلا يبقى وجهه الشبه تاماً . (٤) بكرن : سرن بكرة . استحرن : سرن سحراً .
 الرس : ماء ونخل لبني اسد . يقول : خرجن بكرة وسرن سحراً وهن قاصدات لوادي
 الرس لا يحطته كاليد الفاصدة للفم لا تحطته (٥) الجمام جمع جم وجمعة : وهو ما اجتمع من
 الماء في البئر والحوض وغيرها . عصبي جمع العصا . ووضع العصا : كناية عن الاقامة
 لان المسافر اذا اقام وضع عصاه . الحاضر : المقيم . المتخيم : الذي نصب خيمته . وقوله :
 زرقاً جمامه اي صافياً . (٦) الماهي : اللهو ومكانه . اللطيف : الذي يتألف في طلب اللهو .
 الانبيق : المعجب فهو فعيل بمعنى مفعول كالحكيم بمعنى المحكم والمسمع بمعنى المسموع . المتوسم :
 المتبع بخاتن الشيء ، او علاماته وسمانه . يقول : في هؤلاء النسوان ملهى للاحتلظ في طلب
 اللهو ، وفيهن منظر معجب لعين الناظر اليهن ، المتبع بخاتنهن

الدار وحياتها غشيت عيناه من فرط البكاء حتى لا يبصرُ أمامه ، وألحت عليه الصباة والوجد ، فخليل اليه انه قريب العهد من فراق الاحبة . فقال لصاحبه : تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تسير في العلياء . . . ولم يكتف بذلك ، بل اخذ يرافق الظعائن في انتقالها من مكان الى آخر حتى اوصلها الى وادي الرس ، موضع نزولها ، فوصف لك سيرها ادق وصف باسلوبه القصصي ، المملوء بالصور المادية . وحسبك منه هذا التشبيه الحسي الرائع لما اراد ان يدخنها وادي الرس : « فهن لوادي الرس ، كاليد للغم » .

المدح

ثم ينتقل فجأة الى مدح صاحبيه اللذين اصلا بين المتحاربين ، فيقول :

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ ، بَعْدَمَا تَبَزَلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِّ (١)
فَأَقْسَمْتُ بِأَبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالُ بَنُوهُ ، مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ (٢)
يَمِينًا لِنِعْمِ السَّيْدَانِ وَوُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَجِيلٍ وَمُبْرَمِ (٣)
تَدَارَكْتُمَا عَنَسًا وَذُبْيَانًا ، بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرًا مَنَشِمِ (٤)

(١) غيظ بن مرة : بطن من ذبيان كان منه الساعيان ومهازم بن سنان والحارث بن عوف . تبزل : تشقق . بالدم : باراقة الدم ، حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه . يقول : سعى هذان السيدان بالصلح بعد ان تشقت الالفة والمودة بين القبيلة ، بسبب اراقة الدماء بين عبس وذبيان . (٢) البيت : الكعبة . جُرْهُمِ : قبيلة قديمة كان منها ولادة الكعبة قبل قريش . (٣) السجيل : الحبل الذي يقتل قتلا واحداً . المبرم : الذي جمع بين مفتولين فتتلا حبلا واحداً . استعار الاول للرخاء واللين والثاني للشدة . يقول : اقسمتُ يميناً (أي اقسمتُ قسماً) لنعم السيدان انما في حال الرخاء وفي حال الشدة . (٤) تَفَانُوا : افنوا مضمم بعضاً . منشم : اسم عطارة كانت بمكة ، اشترى منها قوم شيئاً من العطر وتحالفوا على مقاتلة العدو وجعلوا آية الخلف غمس الايدي في العطر فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم . فتشاءمت العرب بعطرها وضرب المثل بشوئهم . يقول : تلافيتما امرهاتين القيلتين بعد ان تَفَانُوا ، وانى القتل على آخرهم كما يتانه على آخر المتعطرين بعطر منشم والشاعر هنا يريد المبالغة في هول الحرب لا حقيقة التفاني

وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ نُدْرِكِ السَّلْمَ وَاسِعًا
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيَا مَعْدَةٍ ، هُدَيْتُمَا ،
تُعْنَى السُّكُومُ بِالْمَيْنِ ، فَأَصْبَحَتْ
يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ
فَأَصْحَاحٌ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ

وله فيها من قصيدة أخرى :

فَرِحْتُ بِمَا خُبِرْتُ عَنْ سَيِّدَيْكُمْ ،
رَأَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ ،

بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنْ أَلْقَوْلِ نَسْلَمٍ (١)
بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ (٢)
وَمَنْ يَسْتَسْحِحُ كُنْزًا مِنَ الْمَجْدِ ، يُعْظَمُ (٣)
يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ (٤)
وَأَمْ يُهَرِّقُوا بَيْنَهُمْ مِلًّا ، مَحْجَمٍ (٥)
مَعَانِمٌ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنِّمٍ (٦)

وَكَانَا أَمْرَيْنِ كُلُّ أَمْرِهِمَا يَبْلُؤُ (٧)
فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُؤُ (٨)

- (١) السلم : الصلح يذكر ويؤنث . وقوله : نسلم : اي نسلم من تقافي العشائر .
(٢) المعقوق : العصيان وقطيعة الرحم . المأتم : الاثم : الهاء في منها وفيها عائدة للسلم .
يقول : فاصبحتما من السلم على خير منزل بعيدين في اقامتهما من المعقوق والاثم بقطيعة الرحم .
(٣) معد بن عدنان : ابو العرب المستعربة . عليا معد : شرفها . الاستباحة : وجود الشيء مباحا .
يقول : ظفرتما بالصلح في حال عظمتكما في الرتبة العليا من شرف معد . ثم دعا لهما فقال :
هديتما الى طريق الصلاح والفلاح . ثم قال : ومن وجد كثرأ من المجد مباحا واستأصله
عظم امره بين الكرام . (٤) تعنى : تمنى . الكلوم : الجراح . المئين جمع مئة : اي المئين
من الابل . ينجمها : يدفعها نحوما اي اقساطا . يقول : تمنى الجراح وتزال بالمئين
من الابل فاصبحت الابل يدفعها اقساطا من هو بري . الساحة : يريد بذلك الساعين بالصلح .
(٥) يهرقوا : لغة في يريقوا . المحجم : آلة الحجام وهو ما يمس به الدم . يقول : ان
المدوحين دفعا الغرامات مع اخمها لم يسفكوا مل . محجم من الدم . (٦) التلاد : المسال القديم
الموروث . الافال جمع افيل : الصنبر السن من الابل . المزنم : العلم بزمنة وهي علامة
كانت تجعل على كرام الابل وهي ان تقشر جلدة ظاهر الاذن ثم تقتل . يقول : جعلتم لهم
من مالكم الموروث معانم متفرقة من كرام الابل الصغيرة المزمنة . وقوله : افال مزنم لا مزمنة
حملا على اللفظ لان فعلا من الابنية التي تشترك فيها الاحاد والجدوع . (٧) أراد بالسيدتين
هرم بن سنان والحرث بن عوف . وقوله : فرحت بما خبرت أي من حملها ديات القتلى .
(٨) ابل : صنع . يقول : رأى الله ما فعلا حسنا فصنع لها خير الصنيع الذي يتلى ب
عباده . وجملة فابلاهما دعا .

تَدَارَكْتُمَا الْأَحْلَافَ قَدْ ثَلَّ عَرْشَهَا ،
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ .
إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ ،
رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ
هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا الْمَالَ يُخْبَلُوا ،
وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَانٌ وَوُجُوهُهُمْ ،
عَلَى مُكْثَرِيهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ
وَإِنْ جَشَّتْهُمُ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ

وَذِيَانٌ قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا التَّلُّ (١)
سَيِّلٌ كَمَا فِيهِ ، وَإِنْ أَحْزَنُوا ، سَهْلٌ (٢)
وَنَالَ كِرَامَ الْمَالِ فِي الْجَحْرَةِ ، الْأَسْكَلُ (٣)
قَطِينًا بِهَا ، حَتَّى إِذَا نَبَتَ الْبَقْلُ (٤)
وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطَوْنَ ، وَإِنْ يَنْسِرُوا يُغْلَوْنَ (٥)
وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا أَقْوَالٌ وَالْفِعْلُ (٦)
وَعِنْدَ الْمُقْلَيْنِ السَّمَاخَةُ وَالْبَذَلُ (٧)
مَجَالِسٌ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَاهِلُ (٨)

(١) تداركتما : انتقل الى مخاطبة السيدين اي تداركتما بالسلم . الاحلاف : اسد
وغطفان وطبي . ثلَّ عرشها : هدم عزاها . ذيان : قبيلة المدوحين وهي من غطفان ايضاً
ولكن الحرب ابعدها عنها . زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا التَّلُّ : مثل ، اي وقعوا في ضلال وحيرة .
(٢) احزنوا : ساروا في الحزن وهو ما غلظ من الارض ، وهو هنا بمعنى وقعوا بأمر شديد .
يقول : فاصبحتما من السلم على خير منزل تزلتموه وانتم في رخاء وان كانوا قد وقعوا في
امر شديد . وقد ورد صدر هذا البيت في معلقته . (٣) الشهباء : البيضاء ، كني بلوخا عن
كثرة الثلج وعدم النبات . اجحفت : اضرَّت . المال : الابل . الحجره : السنة الشديدة
البرد التي تجحر الناس في بيوتهم . يقول : ان الناس في هذه السنة يأكلون كرام ابلهم لانهم
لا يجدون اللبن لعدم النبات . (٤) بيوتهم : اي بيوت قوم المدوحين . القطين : الساكن
في الدار . يقول : ان الفقراء يلزمون بيوت هؤلاء القوم ويعيشون من اموالهم حتى يخلص
الناس وينبت البقل . (٥) هنالك : أي في تلك السنة الشديدة . ان يُسْتَخْبَلُوا : اي ان تستعار
ابلهم للانتفاع بها . يخبلوا : يبيروا ابلهم . ينسروا : يلعبوا بالبيسر . يغلوا : يجمعوا
الثلج غالباً . يقول : في تلك السنة الشديدة يعبرون ابلهم لمن يطلبها للانتفاع بها ، ويعطون
من أسألهم ، واذا لعبوا بالبيسر يقامرون على سنان الابل الغالية الثمن . (٦) المقامات :
المجالس ، اراد بها اهلها على سبيل المجاز المرسل ، ولذلك وصفها بالحسان الوجوه . الاندية :
المجالس . ينتابها : يأتيها مرة بعد مرة . يقول : وفيهم اهل مقامات حسان الوجوه ولهم
اندية يبت فيها جميل القول ويعمل به . (٧) مكثريهم : اغنياهم . يعترهم : يقصدهم .
المقلين : الفقراء منهم . يقول : يقوم اغنياهم برزق من يقصدهم من الفقراء ، ويبذل
فقراؤهم بمقدار جهدهم وطاقتهم . (٨) اراد انهم اهل حلوم وآراء يستفيد منها الجاهل اذا
حضر مجالسهم

وَأَنَّ قَامَ فِيهِمْ حَامِلٌ قَالَ قَاعِدٌ : رَشِدَتْ فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا أَخْذَلُ^(١)
 سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَكِي يَذَرُ كُوْهُمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَلَمْ يُلِيمُوا ، وَلَمْ يَأْلُوا^(٢)
 وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَتْهُ آبَاهُ آبَانِهِمْ قَبْلُ^(٣)
 وَهَلْ يُنْبِتُ الْحَطِيءُ إِلَّا وَشِيْجُهُ وَتُعْرَسُ إِلَّا فِي مَنَايِبِهَا النَّخْلُ^(٤)

وله من قصيدة يدح بها حصن بن حذيفة بن بدر :

وَأَبْيَضُ قِيَاضٌ يَدَاهُ عَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ ، مَا تُعِبُ قَوَاضِلُهُ^(٥)
 بَكَرَتْ عَلَيْهِ غُدْوَةٌ فَرَأَيْتُهُ قُوداً لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ^(٦)
 يُفْدِيَنَهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَلْمَنُهُ ، وَأَعْيَا ، فَمَا يَدْرِيْنَ أَيْنَ مَحَاطِلُهُ^(٧)
 فَأَقْصَرَ مِنْهُ عَن كَرِيمٍ مُرْزَاٍ عَزُومٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ^(٨)
 أَخِي ثِقَةٍ لَا تُتْلَفُ الْحَمْرُ مَالَهُ وَاسْكِنُهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ^(٩)

(١) الحامل : الكافل والضمن . يقول : ان تحمّل احدهم حمالة ، قال له القاعد وهو الذي لم يتحمل ، اصبحت في عملك ، فلا نخذلك ولا ندعك تتحمل انعامه وحدك . (٢) لم يليموا : لم يأتوا ما يلامون عليه . لم يألوا : لم يقصروا في السعي . يقول : جري على اثرهم قوم يريدون ادراك مترلتهم فلم يستطيعوا ، ولكنهم لم يأتوا عملاً يلامون عليه ، في السعي لادراك منزلتهم ، ولم يقصروا في هذا السعي ، فهم معذورون في عدم الوصول اليها لانها أعلى من أن تبلغ . (٣) يقول : مجدهم قدم متوارث . (٤) الحطبي : الرميح نسبة الى الخط وهي جزيرة في البحرين . الوشيح : القنا الملتف في منبته واحده وشيخة . يقول : لا تنبت القنساء الا القنساء . ولا تعرس النخل الا بحيث تنبت وتصلح ، وكذلك لا يولد الكرام الا في موضع كريم . (٥) وأبيض : يريد به رجلاً نقياً من العيوب . قياض : كثير العطاء . معتفيه : الذين يأتونه ويسألونه . ما تعب : لا تقطع . فواضله : عطاياه لانها تقض كل عطاء . (٦) الصريم جمع صريمة : رملة تقطع من معظم الرمل . العوازل : اللاتي يلمنه على انفاق ماله . (٧) اعيا : صعب واعجز . المخائل : مواضع الختل اي الخداع . يقول : يقن له : فدينك بانفسنا وآبائنا ليستترلته فيقبل عذلهن ولكنهن صعب عليهن واعجزهن فما يدريْن اين هي المواضع التي يخدعنه بها . (٨) المرزأ : المصاب بماله كثيراً لكرمه وقواه : اقصرن منه : اي كففن عن عذله بعد ان اعياهن . (٩) اخي ثقة : اي يوثق بما عنده من الخير . النائل : العطاء . يقول : لا يتلف ماله بشرب الخمر ولكن يتلفه بالعطاء .

تَرَاهُ ، إِذَا مَا جِئْتَهُ ، مُتَهَلِّلاً ، كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ (١)
 ومن قصيدة له في مدح هَرَمِ :

أَغْرُ أَيْضُ ، فَيَاضُ ، يُفَسِّكُ عَنْ
 وَذَلِكَ أَحْزَمُهُمْ رَأْيًا إِذَا نَبَأُ
 فَضْلَ الْجِيَادِ عَلَى الْحَيْلِ الْبِطَاءِ ، فَلَا
 قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الْخَيْرَ مِنْ هَرَمِ
 إِنْ تَلَقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا
 وَآيَسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمِ
 لَيْثٌ بَعَثَ بِضَطَادِ الرَّجَالِ ، إِذَا
 يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا ، حَتَّى إِذَا أَطْعَنُوا
 أَيْدِي الْعُنَاةِ ، وَعَنْ أَعْنَاقِهَا ، الرَّبِيقَا (٢)
 مِنَ الْخَوَادِثِ غَادَى النَّاسَ أَوْ طَرَقَا (٣)
 يُعْطِي بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا تَرَقَا (٤)
 وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ ، طَرَقَا
 تَلَقَى السَّمَاخَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا (٥)
 يَوْمًا ، وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقَا (٦)
 مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ ، صَدَقَا (٧)
 ضَارِبٌ ، حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا ، أَعْتَقَا (٨)

(١) متهلاً : طلق الوجه باشاً . (٢) الاغر : الابيض وهما بمعنى المشهور . الابيض : المنقى من العيوب . العناة جمع العاني : الاسير الذليل . الربق جمع الربقة : حبل طويل فيه حلق تجعل فيه رؤوس البهيم لثلا ترضع امانا ، فاستعارها هنا للاغلال . وقوله يفكك : اي يفك كثيرًا . يقول : انه ين على اسراه فيطلقهم ويفادي اسرى غيره بماله . (٣) النبأ : الخبر الشديد الوقع . طرق : جاء ليلاً . يقول : هذا المدحوح احزم الناس رأياً عند امر ينوب في الصباح او في الليل . (٤) فضل : مفعول مطلق أي فضل الناس فضل الجياد على الحيل البطاء . المننون : المقطوع . الترقى : الذي يعطي بعد الجري . يقول : هو في الناس بمنزلة الجواد من الحيل يعطيك ما عنده من الجري دون ان يقطعاه او يعطي فيسه . (٥) على علاته : يريد عل قلة مال او عدم . يقول : ان تلقه على ذلك تجده سرحاً كريماً فكيف به وهو على غير هذه الحال . (٦) ولا معدما من خابط : يريد ولا معدماً خابطاً ، ومن زائدة لاستغراق معنى الجنس . الخابط : طالب المعروف . الورق : هنا المعروف . وهذا مثل اصله ان الرجل يضرب الشجر ليوقع ورقه فيعلقه الماشية فسمي كل طالب معروف خابطاً . المعدم : المانع . وصفه بانه يعطي القريب والبعيد . (٧) عثر : اسم موضع . كذب : تراجع . الاقران جمع قرن : صاحب في القتال . يقول : هو كلاسد في اقدامه وشجاعته ، واذا الاسد تراجع عن اقرانه ولم يصدق الحملة فهذا المدحوح يصدقها . (٨) يقول : اذا ارتقى المتقاتلن بالنبال دخل هو تحت الرمي فجعل يطعنهم فاذا تطاعنوا ضارجم بالسيف فاذا تضاربوا

هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَغِيَا بِخَطِّهِ وَسَطَ النَّدِيِّ إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقًا^(١)
 لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنْ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ وَسَطِ السَّمَاءِ ، لَنَالَتْ كَفَّهُ الْأَفْقًا^(٢)

قال ابن سلام : « كان زهير اشدهم مبالغة في المدح » . وهذا لا يعني انه كان
 يجنح الى الغلو الممقوت ، فزهير ارصن من ان يلجأ الى السخف والكذب في اقواله ،
 فقد رأيت كيف جعل الشرط مانعاً لما اراد المغالاة في مدح هرم :

لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنْ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ وَسَطِ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفَّهُ الْأَفْقًا

ولو : حرف امتناع لامتناع . اي امتناع نيل الافق لامتناع شرط نيل وسط
 السماء . واذا كان يباليغ في المدح فانما هي مبالغة مقبولة ، تجعله يصف بمدوحه بجميع
 الخلال الحسنة ، من كرم ، وشجاعة ، وحلم ، وطيب مختد ، وبلاغة في المنطق ،
 الى غير ذلك مما رأيت في هذه المنتخبات ، من ضروب الاوصاف الحسنة التي تحلى بها
 بمدوحه . وزهير في مدحه كزهير في غزله ، مصور يقص عليك بايجاز كيف تدارك
 صاحبه عساً وذيان بعد تفانيهما ، وكيف دفعا اللديات نجومياً ، وهما بريشان من
 الدم ، حتى اصبحا من السلم على خير موطن . وهو يحدثك في مكان آخر عن مدوحه ،
 فيريكه في الصريم وحوله عواذله قعود يفدينه طوراً وطوراً يلغنه حتى اذا
 اعياهن اقصرن عنه .

ولست ارى ابلغ من هذا البيت في المدح :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ ، مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

بالسيوف اعتنق قرنه والتزمه ، يريد انه يزيد عليهم في كل حال . وكان كثير من النقاد
 يمجنون هذا البيت ذاكرين انه جمع كل انواع القتال

(١) الخطة : الحديث والفصة . الندي : مجلس القوم . بعد ان وصفه بالكرم والشجاعة
 وصفه بالبلاغة في المحافل . (٢) بمنزلة : بدرجة أي بقدر يسير . يقول : لو نال انسان
 وسط السماء بقدر يسير لنالت كف هرم الافق كله

خشى زهير ان ينقض الصلح فتعود الحرب بين عبس وذبيان ، فأنشأ يحذر
 الاقوام ناصحاً رادعاً . وبماذا يحذرهم الا بأن يصور لهم الحرب افطع تصوير ،
 ويصف لهم وخيم مغباتها . وقد وفق لبلوغ أماربه كل التوفيق ، فأتى بصور
 بارزة تتوالى دراكاً ، مختلفة الالوان ، غير انها متفقة في تمثيل الحرب واهوالها ،
 ونتائجها وغلاتها :

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ ، ✓ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ (٢)
 مَتَى تَبَعُوهَا ، تَبَعُوهَا ذَمِيمَةٌ ، ✓ وَتَضَرَّ ، إِذَا ضَرَّيْتُمْوهَا فَتَضَرَّمْ (٣)
 فَتَعْرُكْكُمْ عَرَكَ الرَّحَى بِشِفَالِهَا ، ✓ وَتَلْفَحُ كِشَافًا ، ثُمَّ تُنْتِجُ ، فَتُنْتِجُ (٤)

(١) علمنا ان هرم بن سنان والحارث بن عوف تمحلا الديات واصلحا بين المنحارين
 فاطمان الناس الى الصلح ودخلوا فيه الاحصين بن ضمضم المرثي . وكان احد العباسيين ورد
 ابن حابس قتل اخاه هرماً قبل الصلح . فاقسم حصين ان لا يغسل رأسه حتى يقتل القائل او
 رجلاً من بني عبس ثم من بني غالب اهل ورد . ولم يطلع احداً على قسمه
 فكان ان اقبل رجل من بني عبس ونزل بحصين فقال له هذا : « من انت ايها الرجل ؟ »
 قال : « عبي » فقال : « من اي عبس ؟ » فلم يزل ينتسب حتى انتسب الى غالب . فقتله
 حصين . فهاج بنو عبس ، واصموا القوم بالحيانة وركبوا نحو الحارث بن عوف يريدون
 قتله . فلما بلغه ذلك بعث اليهم بثمة من الابل معها ابنه ، وقال للرسول : « قل لهم : الابل
 احب اليكم أم انفسكم ؟ » فاقبل الرسول حتى قال لهم ذلك . وكان فيهم الربيع بن زياد
 وهو ذو رأي ودهاء فقال : « يا قوم ، ان احاكم قد ارسل اليكم يقول : الابل احب
 اليكم ام ابني فتقولونه مكان قتيالكم » فقالوا : « بل نأخذ الابل ونصالح قومنا » وهكذا
 كان . فأنشأ زهير معلته ، وحذر بها الاحلاف من شر الحيانة ، ووصف الحرب ونتائجها .
 (٢) ذقم : جريتم . المرجم : المظنون . يقول : ليست الحرب الا الذي علمتموه وجربتموه
 وليس امرها بالحديث المظنون ، وانما هو شيء عرفتموه وخبرتموه . (٣) ذميمة : غير محمودة .
 نضر : تشدد ، ومنها الضرى : شدة الحرب . ضربتموها : جعلتموها تشدد . نضرم :
 تشعل . (٤) الرحى : الطاحون . الشفال : خرقه او جلدة تجعل تحت الرحى ليقع عليها
 الطحين . والباء في قوله : بشفالها بمعنى مع . تلفح : تحمّل من حملت المرأة في حامل .
 كشافاً : لفتح النعجة مرتين في السنة . تنتج : بصيغة المجهول تلد . تنتج : تلد نوأمين . يقول :
 فتعرككم عرك الرحى الحب ، وخصها بالشفال لان الشفال لا يبسط الا عند الطحن . وجعل

فَشْتَجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشَامَ كَلْتُمْ / كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ ، فَتَنْظِمُ (١)
 فَتَغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغَلُّ لِأَهْلِهَا / قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمٍ (٢)

تخصية النساء

ويبدو لك زهير في هذه الايات ، على رصانته وهدوئه ، عنيفاً شديداً ، في تصوير الحرب وويلاتها ، وما مثله الا مثل المرشد الحكيم ، يتفرق في نصحه ، عند صفار الامور ، ويعنف ويقسو عند كبارها .

هجرته

يهجو زهير ويؤلم ، ولكنه قلما يقذع (٣) . وربما كان لهجائه خاصة لا تجدها في غيره وهي نصح المهجو وارشاده الى اصلاح ما افسد . واليك مثالا من ذلك قوله يهجو آل حصن (٤) :

هَوَمَا أَدْرِي ، وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ، أَقَوْمَ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءً ؟ (٥)

انواع الشر المتولدة من الحرب بمتزلة الاولاد الناشئة من الامهات وبالغ في وصفها باستتباع الشر بشيئين : احدهما جملة اياها لاقحة كشافاً ، والآخر اتانها .

(١) أشام : فيها قولان : احدهما ان اشأم صفة للمصدر فكانه قال غلمان شوأم اشأم . والثاني ان يكون المعنى غلمان امرى اشأم . كلهم مبتدأ واحمر عاد خبر . و اراد به احمر ثمود : وهو لقب لعاقرة ناقة صالح وانما قال احمر عاد لاقامة الوزن او وهم فيه فاختطأ . وقال المبرد : لم يغلط لان ثمود يقال لهم عاد الاخرة . يقول : فتلد لكم غلمان الشؤم كل واحد منهم يماثل في الشؤم عاقرة الناقة . ثم تُرْضِعُ الحرب هؤلاء الغلمان وتقطعمهم . اراد بذلك ان امرها يطول فلا تنكشف سريعاً . (٢) القفيز : نوع من المكابيل . يقول : تغل لكم هذه الحرب من الاضرار اكثر مما تغل قرى العراق الحصبة من مكابيل حبوب ودرهم . (٣) يقذع : يفجش . (٤) كان رجل من بني عبد الله بن غطفان اتى قومساً من آل حصن فأكرموه واحسنوا جواره وكان مولعاً بالقمار فنهوه عنه فأبى الا المقامرة فمُمر مرة فردوا عليه ، ثم قرأ اخرى فردوا عليه ، ثم قرأ الثالثة فلم يردوا عليه فترحل عنهم الى قومه وزعم انهم اغاروا عليه . فهجاهم زهير ثم لما علم الحقيقة ندم وكان يقول : « ما خرجت في ليلة ظلماء الا خفت ان يصيبني الله يعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم » . (٥) القوم : الرجال دون النساء . وقوله : وسوف اخال ادري : أي سأبحث عن حقيقة امرهم .

هـ فَإِنْ قَالُوا : أَلَسَاءُ مُجَبَّاتٍ ، فَحَقَّ لِكُلِّ مُحَصَّنَةٍ هِدَاةٌ (١)
 وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ بَنُو مَصَادٍ : إِلَيْكُمْ ! إِنَّا قَوْمٌ بَرَاءٌ (٢)
 وَإِمَّا أَنْ يَقُولُوا : قَدْ وَفَيْنَا ، فَعَادَتْنَا أَلْوَفَاءُ (٣)
 وَإِمَّا أَنْ يَقُولُوا : قَدْ آيَيْنَا فِشْرُ مَوَاطِنِ الْحَسَبِ ، الْأَبَاءِ (٤)
 وَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعَةٌ ثَلَاثٌ : يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءٌ (٥)

قيل : كان عمر بن الخطاب يعجب بالبيت الاخير . وقال ابن رشيقي : «ممي زهير
 قاضي الشعراء بهذا البيت .» وقد ورد بعده بيتان لم نطمئن اليهما لما فيهما من
 اسفاف ولين ، وهما :

فَذَلِكُمْ مَقَاطِعُ كُلِّ حَقٍّ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ لَكُمْ شِفَاءٌ (٦)
 فَلَا مُسْتَكْرَهُونَ لِمَا مَنَعْتُمْ وَلَا تُغْطُونَ إِلَّا أَنْ تَشَاوَرُوا (٧)

ثم يقول بعدهما :

جَوَارٌ شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَيْكُمْ وَسَيَّانٍ الْكَفَالَةُ وَالْتَّلَاءُ (٨)
 بَأَيِّ الْجَيْرَتَيْنِ أَجْرْتُمُوهُ فَلَمْ يَصْلُحْ لَكُمْ إِلَّا الْأَدَاءُ

(١) المحصنة : ذات الزوج وهي البكر ايضاً . الهداء : زفاف العروس الى زوجها .
 وقوله : مجبات ، منصوبة على الحال . يقول : فان قال بنو حصن : نحن النساء مجبات . فينبغي
 ان يزوجن اذاً ويهدين الى بعلتهن لانهن لا يصلحن لغير ذلك . (٢) بنو مصاد : من بني
 حصن . اليكم : تنحوا عنا . (٣) وفينا : اي نفي بما عندنا . (٤) ايئنا : ايئنا الوفاء . يقول :
 وان قالوا : نأبى الوفاء ، فهذا ليس من الشرف في شيء . لان للحسب خصلاً عديدة وشرها اياه
 الحق . (٥) يقول : لا يقطع الحق المختلف فيه الا ثلاث خصال : حلف اليمين . والنفار :
 اي التقاضي الى حكم . والجلاء : البيئنة والاقرار . (٦) شفاء : اي شفاء من الالتباس
 والشك . (٧) يقول : انتم غير مكرهين على اعطاء ما منعتم من مسال الرجل ، اغما تدفون
 ذلك اذا شئتم . ولا ينفي ما في هذا الكلام من الضعف بعد الشدة . (٨) التلاء : الخوالة .
 يقول : ان تزول هذا الرجل عنكم يشهد عليكم . وسيسان من كفل كفالة ومن جعل حوالة
 من ذمة فقد وجب للجار حق بهذين جميعاً . وقيل : التلاء : ان يكتب رجل لآخر على
 سهم . « فلان جار لفلان » وقد فسر هذا المعنى بالبيت التالي .

وَجَارَ سَارَ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ ؟ (١)
 فَجَاوَرَ مُكْرَمًا حَتَّى إِذَا مَا دَعَاهُ الصَّيْفُ وَأَنْقَطَعَ الشِّتَاءُ (٢)
 ضَمِنْتُمْ مَالَهُ ، وَغَدَا جَمِيعًا عَلَيْكُمْ نَقْصُهُ وَآلَةُ النَّمَاءِ (٣)

ومنها في الحُتَامِ :

فَمَهْلًا ، آلَ عَبْدِ اللَّهِ ا عَدُّوا مَحَازِي لَا يُدَبُّ لَهَا الصَّرَاهُ (٤)
 أَرُونَا سُنَّةَ لَا عَيْبَ فِيهَا يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا الْهَوَاهُ (٥)
 فَإِنْ تَدَعُوا السَّوَاءَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بَنِي حِصْنٍ بَقَاءُ (٦)
 وَيَبْقَ بَيْنَنَا قَذَعٌ ، وَتُلْفُوا إِذَا قَوْمًا بِأَنْفُسِهِمْ ، أَسَاوُوا (٧)
 وَتُوَقَّدُ نَارُكُمْ سَرْرًا ، وَيُرْفَعُ لَكُمْ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ ، لَوَاهُ (٨)

فهذا هجاء موجه ولكنه عفيف ، وفيه كثير من التهكم والازدراء ،
 ولكن فيه كثير من النصح والارشاد . وترى الحكمة مسيطرة عليه ، فما تسد
 باب الصلح بل تتركه مفتوحاً .

(١) أجاءته المخافة والرجاء : يشرح حال الجار فيقول : هل صبره اليكم خوفاً من
 غيركم ورجاؤه فيكم . (٢) أي جاوركم مكرماً مدة الشتاء فلما اقبل الصيف رحل عنكم .
 وكانوا يتجاورون في الشتاء لشدة الزمان وعدم الحصب . (٣) أي ضمنت ماله فحق عليكم
 ان تكون الزيادة له وان تموا ما ينقص منه . والناء : الزيادة . (٤) آل عبد الله :
 حني من كلب ومنهم بنو حصن . عدُّوا : اصرقوا . الصَّراهُ : الاستخفاء والشجر
 اللتف . يقال : دب الصَّراهُ : اذا مشى مستخفياً وختل صاحبه . (٥) السواء : العدل .
 يقول : ارونا شريعة لانعاب عليكم يسوي العدل بيننا . (٦) يقول : فان تدعوا العدل
 فلا بقاء بيني وبينكم أي لا يبقى بعضنا على بعض . (٧) القذع : الفبيح من القول .
 يخذلهم منه ويقول : تُلْفُوا . أي توجدوا انكم اسأتم الى انفسكم . (٨) وتوقد ناركم
 سرراً : مثل معناه : يظهر امركم في الناس . وقوله : ويرفع لكم في كل مجمعة
 لواه . مثل ايضاً معناه : يظهر غدركم في المحافل . وجاء في الحديث : « لكل غادر
 لواه يوم القيامة » .

الحكم في الشعر الجاهلي كالقصص ، مندججة في النوع الغنائي ، ولذلك جعلناها
 منه لما ذكرنا ابواب الشعر وانواعه . والحكم في الجاهلية وليدة حوادث الدهر
 وتجاربه . فقد رأينا في طرفه ، غلاماً ساخراً لاهياً ، وحكياً عاقلاً مماً . وزى
 الآن في زهير ، شيخاً جليلاً عرك الايام فذاق حلوها ومرها ، وبدا له ما فيها من
 خير وشر . فاذا هو يقف من الحياة وبغضا ، موقف طرفه . ولكن طرفه آثر
 اللذة لانه غير مخلد ، وزهير ستم الحياة لطلوها ، وسئها لانها تحبط خبط عشواء ،
 وسئها لانه مجمل ما يستر عنه الغد . فكلا الشاعرين ابغض الحياة ، وكلاهما حائر
 فيها فاليك ما يقول الشيخ الحكيم :

لَسِنْتُ تَكَايِفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ تَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ (١)
 وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمُ (٢)
 رَأَيْتُ الْمَنَايَا حَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبُ ثِمْتُهُ وَمَنْ تُحْطَى يُعْتَمَرُ فَيَهْرَمُ (٣)
 وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، يُضْرَسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنَسِمِ (٤)
 وَمَنْ يَجْعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ ذُونِ عَرْضِهِ يَفْرَهُ ؛ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ (٥)
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَجْعَلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ ، يُسْتَعْنَعَنَّ عَنْهُ وَيُدْمَمُ (٦)
 وَمَنْ يَجْعَلَ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ ، وَيَنْدَمُ (٧)

(١) سئمت : ملئت . تكاليف الحياة : مشاقها . لا ابا لك : كلمة جافية أي لا ابا
 لك حراً ، وهنا يراد بها التنبيه . (٢) العمي : الجاهل . وأخذ على زهير قوله : « قبله »
 لانه تطويل يستغنى عنه (٣) أي رأيت المنايا تحبط خبط عشواء ، والعشواء : موث
 الاعشى وهي التي لا تبصر ليلاً . ويريد بها الناقة التي تضرب يديها ليلاً على غير هدى . شبه
 بها المنايا في اصابتها الناس على غير نسق وترتيب . (٤) يصانع : يداري . يضرس : يُعَضُّ
 بالاضراس . المنسم : خف البعير : أي من لا يداري الناس قهروه وأذلوه . (٥) يفره :
 يكشره ، من وقّر . يقول : من جعل احسانه بين عرضه وكسلام الناس صان عرضه ومن لا
 يتق الشتم يشتم . (٦) ذا فضل : ذا مال وفضل .

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ
 يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ (١)
 وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنِ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
 يَهْدَمُ ، وَمَنْ لَا يُظَلِّمُ النَّاسَ يُظَلَّمُ (٢)
 وَمَمَهَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ حَلِيقَةٍ
 وَإِنْ خَالَهَا تَخْتَمِي عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ (٣)
 وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ
 زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ (٤)
 لِسَانُ أَفْتَى نِضْفٌ وَنِضْفٌ فُؤَادُهُ
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالذَّمُّ (٥)
 وَإِنْ سَفَاهَ الشَّيْخُ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ
 وَإِنْ أَفْتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ (٦)

وقد رأينا ان نجرى بهذه الايات من حكمياته في المعلقة ، وهي في
 اعتقادنا اولى من غيرها بالاثبات .

عمرته

هو احد الثلاثة المقدمين في الجاهلية وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير .
 وقد اختلف في تقديم احدهما على صاحبيه . وروى عمر بن عبدالله الليثي : ان عمر
 ابن الخطاب قال : « زهير اشعر الشعراء لانه كان لا يعاظم (٧) في الكلام ، وكان
 يتجنب وحشي الشعر ، وكان لا يدح احداً الا بما هو فيه . » وروي ايضاً عن عمر
 انه كان يقول : « اشعر الشعراء صاحب من ومن ومن . . . » وقال ابو عبيدة :
 « اشعر الناس اهل الوبر خاصة وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة . » وسأل عكرمة

(١) الزجاج جمع زجاج : الحديد المركب في عقب الرمح . العوالي جمع عالية : طرف
 الرمح الاعلى . الاهدم : السنان الطويل . كان العرب اذا التفتوا للحرب اداروا زجاج
 الرماح وسمى الساعون في الصلح فان اخفق المسمى اشرعوا الاسنة واقتتلوا . يقول : من ابي
 الصلح ذلته الحرب . وقد سكن ياء العوالي لضرورة الشعر . (٢) يذد : يدافع . الحوض :
 هنا مستعار للحريم والمال . (٣) الحليقة : الصفة حسنة كانت او سيئة . (٤) كائن : كم .
 يقول : كم صامت يعجبك صدمته فتستحسنه وانما تظهر زيادته ونقصانه عند تكلمه . (٥) هذا
 كقول العرب : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . (٦) السفاه : الترقق والجهل . الحلم : ضد
 السفاه . وقوله : يحلم : اقواء جرت به الغافية وحركة الجير المجاورة في لفظه السفاهة
 والصواب يحلم . (٧) يعاظم : يأتي بالتضمين أي ان تعلق قافية البيت بما بعده على وجه
 لا يستعمل بالافادة ، وهو عيب في الشعر .

ابن جرير اياه : « من اشعر الناس ؟ » فضل زهيراً في الجاهلية . وقال ابن سلام :
 « من قدم زهيراً احتج بانه كان احسنهم شعراً ، وابعدهم من سخف ، وجمعهم
 لكثير من المعاني في قليل من الالفاظ ، واشدهم مبالغة في المدح ، واكثرهم امثالا
 في شعره . »

لا فيتين لنا من كل ذلك ، ان زهيراً في مقدمة شعراء الطبقة الاولى . ومنهم من
 يفضله عليهم جميعاً . وهو كما رأينا في شعره ، متين السبك غير خشن ، واضح المعاني ،
 موجز التعبير ، متناسق الافكار ، رصين الاسلوب . يؤثر القصص في سرد
 افكاره ، والتصاوير الحسنة في ابراز موصوفاته . ترافقه الحكمة والزانة في جميع
 فنون الشعر وابوابه . فهو رزين في غزله ووصفه ومدحه ، حكيم في هجائه ونصحه
 وتحذيره . ولا بدع ان يقل سخفه فذاك راجع الى ترويه في النظم واناته .

وقصارى القول ان زهيراً شاعر حكيم ، ومصور بارع حريص على اتقان صورته
 وتوحيد الوانها .

لبيد

٦٦١ م و ٤١١ هـ (?)

- | | | |
|-------|---|---|
| حياته | : | كرمته ونذره . هجائه للربيع عند النعمان . تعميره . اسلامه . سأمه
من الحياة . نظمه الشعر في الاسلام وماذا يروى له . محاربه في جيش
الحرث الاعرج الفسافي |
| آثاره | : | ديوانه ومعلقته |
| ميزته | : | اجادته بوصف الديار الخالية . غزله وشده . قطعه صلة من هجره .
وصفه سرعة الناقه وتشبيهاه القصصية الرائعة . ميزة الحكم والمسواعظ
في غير معلقته . موت اخيه . تأثير الحزن في شعره . رثاؤه لاختيه .
قأسيه ووعظه لنفسه . ايمانه بالله . رثاؤه لاختيه في الاسلام . مترلته . |

هياته

هو ابو عَئِيلَ أُبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ العَامِرِي . وكان ابوه يعرف « بريعة المُقْتَرِينَ »^(١) لجوده وسخائه . فنشأ لييد كريماً مثله . وقيل انه نذر في الجاهلية ان لا تهب الصبا الا اطعم . وظل على نذره في الاسلام .

وقد بدت دلائل النجابة على الشاعر منذ حداثة سنه . ومما يروى عنه وهو غلام : انه وفد في رهط من بني عامر على النعمان بن المنذر ، فوجدوا عنده الربيع ابن زياد العبسي ، وكان الربيع يتادم النعمان ، فظعن في العامرين وذكر معايبهم لعداء بينهم وبين بني عبس . فجافى النعمان وفد بني عامر واهمل امرهم . فخرجوا من عنده غضاباً . فعرض عليهم لييد ان يهجو الربيع في حضرة النعمان ، فاستخفوا به لصغور سنه . فألح عليهم حتى رضوا . فلما اصبحوا دخلوا به على النعمان ، والربيع يثا كله ، فقام لييد يرتجز ويقول :

أَكَلْتُ يَوْمَ هَامَتِي مَقْرَعَهُ يَا رَبِّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ^(٢)
يَا وَاهِبَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنْ سَعَةٍ إِلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مُسَعَةً^(٣)
نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَيْنِ الْأَرْبَعَةِ ، سُيُوفُ حَقٍّ ، وَجَفَانٌ مُتْرَعَةٌ^(٤)
نَحْنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةٍ ، الضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَةِ^(٥)
وَالْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ مَهَلًا ! أَيْتَ اللَّغْنِ لَا تَأْكُلُ مَعَهَا^(٦)

ثم قال بعدها بيتين لا يجمل ذكرهما ، فكره النعمان منادمة الربيع وطرده ، ثم قضى حوائج بني عامر .

(١) المقترين : الفقراء . (٢) الهامة : الرأس . مقرعة : مخلوقة ، من القزع وهو ان يملق رأس الصبي وتترك مواضع منه متفرقة غير مخلوقة تشبيهاً بقزع السحاب اي بقطعه . الهيجا : الحرب واصحابها بالهزم . الدعة : الراحة . المعنى : ان الغلام الشاعر يفضل الحرب على الراحة وتربيتين الرأس . (٣) مسبعة : ذات سبع كثيرة . وقوله : يا واهب الخير : خطاب للنعمان . (٤) الجفان : القصاع ومفردها جفنة . مترعة : مملوءة . وقوله : سيوف حق وجفان مترعة : أي ابطال حروب وقرة ضيفان . (٥) خيار الشيء : افضله . الهام جمع الهامة : الرأس . الخيضة : البيضة التي تلبس على الرأس في الحرب . (٦) المدعدة : المترعة . أبيت اللعن : دعاء في الجاهلية وتحية للملوك : أي أبيت ان تفعل ما تلعن به .

وَعَمَرَ لِيَبْدَ حَتَّى ادْرَكَ الْإِسْلَامَ فَاتَّخَذَهُ دِينًا ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنَ الْبَادِيَةِ إِلَى الْكُوفَةِ
وَأَقَامَ فِيهَا حَتَّى مَاتَ . وَكَانَ مَوْتَهُ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ أَنْ جَاوَزَ الْمِثَّةَ ، وَسَمَّ
الْحَيَاةَ كَمَا سَمَّ مِنْهَا زَهَيْرٌ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

وَلَقَدْ سَمَّيْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوْلِيهَا وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ : كَيْفَ لَيْدٌ ؟

وزعم الرواة ان لبيدا لم يقل شعراً في الاسلام الا بيتاً واحداً وهو :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجْلِي حَتَّى كَسَانِي مِنَ الْإِسْلَامِ سِرْبَالًا
وَقِيلَ بَلْ هُوَ :

مَا عَاتَبَ الْخُرَّ الْكَرِيمَ كَنَفْسِهِ وَالْعَمْرَةَ يُضْلِحُهُ الْأَجْلِينَ الصَّالِحِ
وروا : ان عمر بن الخطاب كتب الى عامله المغيرة بن شعبه في الكوفة :

« أَنْ اسْتَنْشَدَ مِنْ عِنْدِكَ مِنْ شِعْرَاءِ عَصْرِكَ مَا قَالُوهُ فِي الْإِسْلَامِ » فَرَسَلَ إِلَى لَبِيدٍ
وَاسْتَنْشَدَهُ ، فَكَتَبَ لَبِيدٌ « سُورَةَ الْبَقَرَةِ » فِي صَحِيفَةٍ ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْمُغِيرَةِ وَقَالَ :
« ابدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر » .

ومن الغريب ان يطمنن الرواة ومن اخذ عنهم ، الى سكوت لبيد عن نظم
الشعر في الاسلام ، على حين انهم لا يجدون مشقة في ان يضيفوا اليه اشعاراً قالها
بعد اسلامه ، فزعموا انه لما بلغ مائة حجة وعشراً قال :

أَلَيْسَ فِي مِائَةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ ، وَفِي تَكَامُلِ عَشْرِ بَعْدَهَا ، عُمُرًا
وَإِنَّهُ قَالَ لَمَّا بَلَغَ مِائَةَ وَعِشْرِينَ :

وَلَقَدْ سَمَّيْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوْلِيهَا وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ : كَيْفَ لَيْدٌ ؟
غَلَبَ الرِّجَالَ ، فَكَانَ غَيْرَ مُغَلَّبٍ ، دَهْرٌ جَدِيدٌ دَائِمٌ مَعْدُودٌ ،
يَوْمٌ أَرَى يَأْتِي عَلَيَّ وَلَيْلَةٌ ، وَكِلَاهُمَا بَعْدَ الْمَضَاءِ يَعُودُ

وهم يقولون ان لبيدا عاش تسعين سنة في الجاهلية ، وسائر عمره في الاسلام ،
فهذه الايات اذا قيلت بعد اسلامه .

ويروون للبيد قوله مخاطباً ابنتيه لما حضرته الوفاة :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضْرٍ ؟

إِذَا حَانَ يَوْمًا أَنْ يَمُوتَ أَبُو كَمَا فَلَا تَخْمُسًا وَجِبًا وَلَا تَخَلْقًا شَعَرَ
 وَقُولًا : هُوَ الْمَرَّةُ الَّتِي لَيْسَ جَارُهُ مُضَاعًا ، وَلَا خَانَ الصَّدِيقِ ، وَلَا غَدْرًا
 إِلَى الْحَوْلِ ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا ، وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ (١)

فكيف يمكن التوفيق بين ما يروون له من الشعر في الاسلام ، وزعمهم انه لم
 يقل فيه غير بيت واحد ؟ . . . اما نحن فنرى ان لبيداً نظم الشعر في الاسلام كما
 نظمها في الجاهلية ، ومن تدبر اشعاره بروية ، استروح في بعضها نفحة قرآنية لا تخفى
 مثال ذلك قوله :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَقْلٌ وَيَا ذُنَّ اللَّهِ رَبِّي وَأَلْعَجَلُ (٢)
 أَحْمَدُ اللَّهِ ، وَلَا نِدَّ لَهُ ، بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ ، مَا شَاءَ فَعَلَ (٣)
 مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ أَهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلُّ

فمثل هذا الشعر لا يقوله الا شاعر عرف الاسلام ، وتأثر بالقرآن .

وزعم ابن قتيبة وغيره : ان الحارث الاعرج الغساني وجه الى المنذر بن ماء
 السماء مائة فارس وأمر عليهم لبيداً ، فساروا الى عسكر المنذر واطهروا انهم
 اتوه داخلين في طاعته . فلما تمكنوا منه قتلوه ، وركبوا خيلهم ، فلحقهم القوم
 فقتلوا اكثرهم ونجا لبيد ، فاتى ملك غسان فاخبره ، فحمل الغسانيون على عسكر
 المنذر فهزمهم ، فكان ذلك يوم حليلة .

والكن الرواة يجمعون على ان لبيداً كان حدثاً لما قدم النعمان في وفد من
 بني عامر : وبين النعمان ابي قابوس وابن ماء السماء نحو نصف قرن ، فكيف
 كان لبيد فارساً مغوراً على عهد المنذر بن ماء السماء ، ثم كيف اصبح
 غلاماً مقرع اللثة على عهد النعمان بن المنذر ؟ . . . اليس هذا من خلط الرواة

(١) الى الحول : اي زورا قبوري كل يوم وافعل ما امرتكما حتى يمضي الحول فحسبكما
 ثم السلام عليكما . ولفظ اسم : هنا زائد . (٢) النقل : الغنيمة والهبّة . الريث : البطء
 (٣) اند : المثل والنظير .

واضاليهم ؟ . فليبد بن ربيعة لم يعرف المنذر ولا الحرث الفسائي . وانما عرف
النعمان وكان صبيّاً .

أثاره

اشعار وصل اليها منها قدر يسير فجمعت في ديوان وطبعت « بفيناً » ثم ترجمت
الى الالمانية . وفي جملة هذه الاشعار مطولته وهي المعلقة الرابعة .

صيرته

لا ينبغي ان نلتبس ميزة لبيد في المعلقة وحدها ، فهي لا تغنينا عن سائر
شعره لنتبين خصائصه ، ونذكر منزلته . فالمعلقة تبدي لنا شطراً من حياة رجل
بدوي كريم ، كلف بالمجد والمعالي ، ولكنها لا ترينا ذلك الشيخ الحكيم الذي
يحسن وعظ نفسه وتعزيتها عند نزول المصائب .

فلا بد لنا اذاً من ان ندرس مع المعلقة شيئاً آخر من شعره لنعرف من هو لبيد ،
وما هي ميزته الشعرية .

اما المعلقة فلها شأن ادبي لا يستهان به ، وان تكن دون المعلقات الثلاث التي
مرت بنا . وهي في متانة لفظها وصلابة ابياتها ، تمثل الحياة البدوية الساذجة ، وتمثل
الشعر المصّري احسن تمثيل ، وقد بدأها لبيد بوصف الديار الحالية وتعرضها للامطار
فاجاد الوصف وفاق غيره . قال :

عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا بِنِي ، تَأْبَدُ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا^(١)
فَمَدَافِعُ الرِّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلْقًا ، كَمَا ضَمِنَ الْوُحْيُ سَلَامُهَا^(٢)

(١) عَفَّتْ : اندرست واماحت . المحل : ما حل فيه لايام معدودة . المُقسام :
ما طالت الاقامة به . وما بدل من الديار . منى : موضع في ديار بني عامر . تأبَد : توحّش .
القول والرجام : موضعان . يقول : درست الديار بني وامحى ما كان منها للجلول وما
كان منها للاقامة ، وتوحش الموضعان المذكوران لبعد الاحبة . (٢) المدافع جمع مدفع :
يجري الماء . الرِيَّان : اسم جبل . الخلق : القديم البالي وهو منصوب على الحال . الوحي جمع
الوحي : الكتابة . السلام : الحجارة ومفردها سلمة . يقول : وبجاري المياه عرفت
رسمها السيول فاصبح بالياً الا بقية من الاثار تبدو كالكتابة في الحجارة :

دِمْنٌ تُجْرَمُ بَعْدَ عَهْدِ أُنْسِيهَا حَجِجٌ خَلُونٌ ، حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا ^(١)
 رَزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ ، وَصَابَهَا وَدَقُّ الرِّوَاعِدِ ، جَوْدُهَا فَرَاهُمَا ^(٢)
 مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِرْزَامُهَا ^(٣)
 فَعَلَّا فُرُوعُ الْأَيْهَقَانِ ، وَأَطْلَقَتْ بِالْجَلْهَتَيْنِ ظَبَاوُهَا وَنَعَامُهَا ^(٤)
 وَالْعَيْنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلَالِهَا عُوْدًا ، تَأَجَّلُ بِالْقَضَاءِ بِهَامُهَا ^(٥)
 وَجَلَّا السُّيُولُ عَنِ الطَّلُولِ كَانَهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مُتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا ^(٦)

(١) الدمن جمع دمنة : ما بقي من آثار القوم بعد رحيلهم كالرماد والبعر وغيرهما . تجرم : انقضى فلم يبق منه باقية . الحجج جمع حجة : السنة . خلون : مضين . حلالها . حرامها : أي اشهر الحلال فيها والاشهر الحريم ، وفي السنة اربعة اشهر حرم كان يجرم بها القتال وهي : للمحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة . يقول : هي دمن تركها اهلها ، فانقضى بعد ارتحالهم سنون خلون بكاملها . وحجج مرفوعة على انها فاعل تجرم . (٢) مرابيع النجوم : الانواء الربيعية مفردها مرباع . الودق : المطر . الجود : المطر الغزير . الرهام : المطر اللين . يقول : رذقت الديار الامطار الربيعية واصابها مطر ذو رعود ، من غزير ولين . (٣) السارية : السحابة الماطرة ليلا . الغادي : السحاب المطر بالفدأة . المدجن : المطبق الافاق . العشية : السحابة الماطرة عشيا . الارزام : رغاء الناقة ، استمراره لصوت الرعد . يصف في هذا البيت انواع السحب التي امطرت الديار . (٤) الايجقان : ضرب من النبات يطول ، وهو عريض الورق احمر الزهر يوكل ، واحده ايجقانه . او هو الجرجس البري . اطلقت : صارت ذوات اطفال . الجلهتان : جانبا الوادي . يقول : كان من تأثير هذه الامطار في الديار ان طالت فروع الايجقان ، واطفلت ظباؤها ونعامها بعد ان امنت فيها حلوها من السكان . وقوله : ظباؤها ونعامها يريد : اطلعت ظباؤها وباضت نعامها لان النعام تبيض ولا تلد الاطفال ولكنه عطف النعام على الضياء لزوال اللبس ، ومنه قول الشاعر :
 ثمزججن الحواجب والعيونا . اي وكحلن العيون . (٥) العين جمع عيناء : صفة للبقرة الوحشية الواسعة العينين . ساكنة : قائمة . اطلالها : اولادها مفردها طلال : العوذ : الخديشة النتاج مفردها عائد . تأجل : تصير اجالا : جمع اجل وهو القطيع من بقر الوحش . البهام جمع بهيمة : ولد الضأن ، وهو هنا ولد البقرة الوحشية . يقول : والبقر الواسعات العيون اقامت على اولادها ترضعها حال كونها حديثات النتاج ، واولادها تصير قطعانا في تلسك الصحراء . والمعنى ان الديار صارت مغنى الموحوش بعد ان كانت مغنى للانس . ونصب عودا على الخلال من العين . (٦) جلا : كشف . زبر جمع زبور وهو الكتاب . تجد : تجدد وتعيد . المتون جمع متن : وهو الظهر ويراد به هنا الكتابة التي تكون في الزبور .

أَوْ رَجَعُ وَاسْمُهُ أُسْفٌ نَوْرُهَا كِفْفًا تَعْرَضُ فَوْقَهُنَّ وَسَامُهَا^(١)

ثم يتخلص الى الغزل بسؤال الديار عن اهلها :

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا ، وَكَيْفَ سَوَّأْنَا ضَمًّا خَوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا^(٢)

فيوجز في وصف الفراق وذكر صاحبه نوار ، ثم ينتقل على عجل الى وصف ناقته التي تساعد بالاسفار على قطيعة من صرمت حباله . وهو في غزله كما في سواه صلب حزيم لا يلين اسره ولا ترق الفاظه ، ولا يبالي ان يقطع مودة من هجره :

فَأَقْطَعُ لُبَانَةَ مَنْ تَعْرَضُ وَصَلُّهُ وَأَشْرُ وَأَصِلِ خُلَّةَ صِرَامُهَا^(٣)
بَطْلِيحِ أَسْفَارِ تَرَكْنَ بَقِيَّةً مِنْهَا فَأَحْتَقَ صَلْبُهَا وَسَنَامُهَا^(٤)

وهنا يأخذ في وصف ناقته ، وهو اروع اقسام المعلقة ، ولكنه لا يصف

ومفعول جلا محذوف والتقدير : وجلت السيول التراب عن الطلول . يقول : كشفت الامطار التراب عن تلك الآثار الباقية فظهرت بعد انحائها كأخا كتابة محتوا طوال الايام ثم جددت رسمها الاقلام .

(١) الرجوع : التردد والتجديد . الواشمة : التي تصطنع الوشم . أسف : ذر عليه . النور : الكحل الذي تذرده الواشمة على المغارز . الكفف : جمع كفة وهي كل شيء مستدير . تعرض : ظهر . الوشام : جمع وشم . يقول : وكأن تلك الآثار بعد ان كشفتها الامطار ، تجديد وشم اعادته واشمة فذرت كحلها على كفف او دوائر ظهر فوقهن الوشام . وقد ورد تشبيه الطلول بالوشم في معلقة طرفة وزهير . (٢) الصم : جمع أصم وهو الحجر الصلب المصمت . الخوالد : الاثافي والجبال والحجارة سميت بذلك لبقائها بعد دروس الاطلال . ما يبين : ما يظهر . يقول : فوقفت أسأل الديار عن اهلها وما الفائدة من سؤال تلك الخوالد التي لا تحير جواباً . (٣) اللبانة : الحاجة . تعرض الشيء : تعوج ، والجميل في الجبل سار ، يميناً وشمالاً لصعوبة الطريق . ويراد به هنا تعذر الوصول وصعوبته . الخلة : المحبة والصدقة . الصرام : القطاع . يقول مخاطباً نفسه على سبيل التجريد : فاقطع حاجتك من حبيب تعذر عليك وصله . ثم أردف قائلاً : وشر الناس من وصل مودة ثم قطعها . ويروي وخير واصل خلة صرامها . وهو عندنا اوقع . والمعنى : خير الناس من وصل مودة ثم عرف كيف يقطعها ان لم يستفد منها . (٤) بطليح : صفة الناقة التي اتعبها السير واضعفا ، والباء متعلقة بقوله « فاقطع » احنق : ضمر . الصلب : عظم في الظهر ذو فقاره السنام : حذبة على ظهر البعير . يقول : فاقطع لباتك بنسافة مارست الاسفار المتعبة فتركت منها بقية من اللحم والقوة واضعفت صلبها وسنامها .

اعضاؤها كما فعل طرفة ، بل يجعل همه في تصوير سرعتها فيتسع خياله لثلاثة تشبيهات رائعة روية ، يورد اثنين منها في اسلوب قصصي فكه . فشبها اولاً بالسحابة الحمراء خفت بها ريح الجنوب فدفعتها امامها فاسرعت في جريها وهي خالية من الماء :

فَلَهَا هَبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا^(١)

ثم شبها باتان وحشية نشيطة غار عليها قرينها من الفحول ؛ فدفعها امامه يسوقها سوقاً عنيفاً ، حتى اعتدل بها في اعالي الآكام فسلخا ستة اشهر في الشتاء والربيع يريهان الرطب صائمين عن الماء :

حَتَّى إِذَا سَلَخَا جُمَادَى سِتَّةَ جَزْءًا ، فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا^(٢)

فلما هبت رياح الصيف واشتد الحر ونبت الشوك فاصاب حوافرهما ، انطلقا مسرعين يطلبان الماء ، وخيم عليهما غبار كأنه دخان نار موقدة ، وكان العير يعدو وراء الاتان فما يدعها تتأخر عنه لثلاث تقلت منه ، وظلا في عدوها حتى بلغا الماء فورداه .

وهنا ينتقل الى التشبيه الثالث سائلاً نفسه : أفنتك الاتان تشبه ناقتي في سرعتها ؟ ام تشبها بقرة وحشية افترس السبع ولدها فاسرعت في السير تبحث عنه :

أَفَنَتِكَ ! أُمٌ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ وَهَادِيَةٌ الصَّوَارِ قَوَامُهَا^(٣)

(١) هباب : نشاط . الصهبا : الحمراء صفة للسحابة المحذوفة . خف : اسرع . الجنوب : ريح الجنوب وهي التي تحالف الشمال في مهبها . الجهام : السحاب الذي اراق ماءه او الذي لا ماء فيه . يقول : فلها على ضموورها وكلالها ، نشاط في السير حال قودها بالزمام فكأخا في سرعتها سحابة حمراء لا ماء فيها ، خفت فدفعتها الجنوب فاسرعت . (٢) جمادى : الشتاء . ستة : اي ستة اشهر وهي بدل من جمادى . الجزء : الاكتفاء بالرطب عن الماء . والرطب : الرعي الاخضر من البقل والشجر . صيامه وصيامها : أي عن الماء . (٣) وحشية : بقرة وحشية . مسبوعة : اصابها السبع بافتراس ولدها . خذلت : تركت ولدها . الهادية : المتقدمة والمتقدم . الصوار : القطيع من بقر الوحش . قوام الشيء : ما يقوم به ويعتمد عليه . المعنى : ان البقرة الوحشية تركت ولدها وذهبت ترعى مع القطيع معتمدة على الفحل الذي يتقدم القطيع بافتراس السبع ولدها فجدت في السير تطلبه .

خُنْسَاءٌ ، ضَيَعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرَمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ ، طَوْفَهَا وَبِعَامُهَا ^(١)
 لِئَعْفَرَ قَهْدٍ تَنَازَعَ بِشَاوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يُعْنُ طَعَامُهَا ^(٢)
 صَادِقْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصْبَنَهَا إِنَّ الْمَتَايَا لَا تَطْيِشُ سِهَامُهَا ^(٣)

وظلت في طلبه حتى ادر كها الليل فامطرتها السماء ديمة مداراً « في ليلة كفر
 النجوم ظلامها » ^(٤) فلجأت الى شجرة في الرمل تتقي باغصانها البرد والمطر فما
 تقيها ، وكشبان الرمل تنهال عليها :

حَتَّى إِذَا أَنْحَسَرَ الظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَرَلُّ عَنِ الثَّرَى أَزْلَامُهَا ^(٥)
 عَلَيْهِ تَرَدَّدُ فِي نَهَاءِ صَعَائِدٍ سَبْعًا تُوَامًا كَامِلًا أَيَّامُهَا ^(٦)

ولكنها يشست من ولدها بعد ان طال بحشها عنه ، وجف ضرعها بعد امتلائها ؛
 ثم راعها الرامة بكلايبهم فجدت في العدو ؛ فطاردها الكلاب فلم ترَ بداً من ان
 تدافع عن نفسها فقابلتهن بقرنها :

(١) خنساء : متأخرة ارنبة الانف ، وكل بقرة خنساء . الفرير : ولد البقرة الوحشية
 وجمعه : فرار . لم يرم : لم يبرح ، من رام يرم . عرض الشقائق : ناحيتها . الشقائق :
 جمع شقيقة وهي ارض صلبة بين رملتين . طوفها : طوافها . وهو فاعل يرم . بغامها : صياحها
 الى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها . يقول : هذه الوحشية الخنساء ضيعت ولدها
 فضت تطلبه ولم يبرح طوافها وبغامها نواحي الشقائق . (٢) المعفر : الملقى على (التراب .
 القهد : الابيض ، وولد البقرة ، وهو على المعنى الاول صفة لمعفر وعلى المعنى الثاني بدل منه .
 تنازع : تجاذب . الشلو : العضو وبقيته الجسد جمه اشلاء . الغبس : التي لوصها كلون
 الرماد وهي صفة للذئب المحذوفة . كواسب : نكسب مسا تأكله . يحسن : ينقطع .
 يقول : هي تطوف وتبغم لولد ملقى على التراب تجاذبت بغيه جسده ذئب غبس لا تزال
 تصيد ونكسب ما تأكله فما ينقطع طعامها . (٣) الغرة : الغفلة . تطيش : تحطى . يقول :
 صادفت الذئب غفلة من البقرة عن ولدها فأصبتها بافتراسه ، ثم اردف كلامه بحكمة فقال :
 ان المناسيا لا تحطى سهامها . (٤) كفر : ستر . (٥) انحسر : انكشف . اسفرت :
 دخلت في الاسفار اي الصباح . ترل : تزلق . ازلامها : قوائمها . (٦) عليها : اخذت
 تذهب وتجي . حيرة وجزعاً . تردد : تتردد . نهاء : جمع نهى وهو اندير . صعائد : اسم
 مكان . توام : جمع توأم . يقول : بقيت حائرة جازعة تتردد في غدران صعائد سبع
 ليال توأم اي بايامها .

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابَ فَضْرَجَتْ بِدَمٍ وَغُودِرَ فِي الْمَكْرِ سَخَامَهَا (١)
وبعد ان ينتهي من تشابيه الثلاثة يعود الى نفسه فيصفها بابا الضيم والشمم
اذ يقول :

أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارٍ بِأَنِّي وَصَّالٌ عَقْدِ حَبَائِلٍ جَذَامَهَا (٢)
تَرَاكُ أَمِكْتَةَ ، إِذَا لَمْ أَرْضْهَا أَوْ يَغْتَيُّ بَعْضَ النَّفُوسِ حَمَامَهَا (٣)
ثم ينصرف الى وصف حياته في هذونها واضطرابها ، فهو في السلم صاحب لهو
وطرب يشرب الخمر ويُغلي ثمنها ، ويدفع بها شدة البرد والريح :
رَبْصُوحٍ صَافِيَةٍ ، وَجَذْبِ كَرِينَةٍ بِمُوتَرٍ تَأْتَانُهُ إِبَاهُمَهَا (٤)

وإذا كان طرفه يذله ان يسبق العاذلات بشربة كميت ، فليمد يذله ان يبادر
الدجاج باصطباجها :

بَادَرْتُ ؛ حَاجَتَهَا ، الدَّجَاجَ بِسَعْرَةٍ لِأَعْلَى مِنْهَا ، حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا (٥)
وهو كريم جواد ينحر الجوز ، ويطعم الفقراء والمساكين . وهو في الحرب
شجاع باسل يحمي الحي ، ويرقب الاعداء على جبل قريب من جبالهم وراياتهم تحمله
فرس سريعة الجري ؛ يتوشح بلجامها ليظل متأهباً لركوبها .

تَقَصَّدَتْ : قَتَلَتْ . مِنْهَا : أَي مِنَ الْكِلَابِ . كَسَابَ : اسْمُ كَلْبَةٍ مَبْنِي عَلَى
الْكِسْرِ . الْمَكْرُ : مَوْضِعُ الْكُرِّ . سَخَامٌ : اسْمُ كَلْبٍ وَالْهَاءُ عَائِدَةٌ لِلْكِلَابِ . يَقُولُ :
قَتَلْتُ هَذِهِ الْبَقْرَةَ كَسَابَ فَضْرَجْتُهَا بِالدَّمِ ، وَتَرَكْتُ سَخَامًا صَرِيحًا فِي الْمِيدَانِ . (٢) نَوَارٌ :
اسْمُ الْخَيْبَةِ مَبْنِي عَلَى الْكُسْرِ وَقَدْ يُعْرَبُ . حَبَائِلٌ : جَمْعُ حَبَالَةٍ وَهِيَ الشَّرْكُ ، اسْتَعَارَهَا لِلْمُودَةِ .
جَذَامَهَا : قِطَاعُهَا . بَرِيدٌ أَنَّهُ يَصِلُ مِنْ يَسْتَحِقُّ الصَّلَاةَ وَيَقْطَعُ مِنْ يَسْتَحِقُّ الْقِطْعَةَ . (٣) يَغْتَيُّ :
يَجْبَسُ أَوْ يَبْتِي . حَمَامَا : مَوْتَهَا وَأَرَادَ بَعْضَ النَّفُوسِ نَفْسَهُ . وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا التَّعْبِيرِ مِنْ قُوَّةِ
وَعِظْمَةِ . (٤) الرَّبْصُوحُ : الشَّرْبُ فِي الصَّبَاحِ . الْكَرِينَةُ : الْجَارِيَةُ الْعَوَادَةُ . بِمُوتَرٍ : أَي
ذِي أَوْتَارٍ . تَأْتَانُهُ : تَصْلَحُهُ « تَدَوَّرَتْهُ » . يَقُولُ : ادْفَعِ الْبَرْدَ وَالرِّيحَ عَنِّي بِاصْطِبَاحِ خُمْرَةٍ
صَافِيَةٍ ، وَسَمَاعِ عَوَادَةِ تَجَذَّبُ أَوْتَارَ عَوْدِهَا وَتَصْلَحُهُ بِاجْمَاعِهَا . (٥) أَعْلَى : أَسْفَى ثَانِيَةً أَوْ
مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . يَقُولُ : سَبَقْتُ صَبَاحَ الدِّيَكِ فِي السَّجْرِ لِحَاجَتِي إِلَى الْخُمْرِ ، وَلَا أَسْفَى مِنْهَا
ثَانِيَةً أَوْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حِينَ يَسْتَيْقِظُ النَّيَامَ . وَالْهَاءُ فِي نِيَامِهَا عَائِدَةٌ إِلَى السَّجْرَةِ . وَحَاجَتَهَا
مَنْصُوبَةٌ عَلَى إِضْمَاعِ مَفْعُولٍ لِأَجْلِهِ .

وبعد ان وصف فرسه باليجاز ، اخذ يفتخر بقومه ، فارانا فيهم كرمًا ونجدة
وامانة :

وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِمَتْ فِي مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَوْفَرٍ حَظَّنَا قَسَامَهَا (١)
فقد رأيت ان معلقة لبئد مثأت لنا شطراً من حياة البدوي الابي النفس ،
العالي الهمة ، الصادق في تصوير اخلاقه ، ولكنها لم تمثل لنا ميزة الحكم في الشاعر ،
فهذه نجدها خصوصاً في رثائه لاختيه أربد (٢) ، ووعظه نفسه لتتأسى وتعصم
بالصبر الجميل . وقد أثرت عاطفة الحزن في الشاعر فأرقت رثاءه ، فاست ترى فيه
تلك الصلابة التي تجدها في ابيات المعلقة .

رثاءه وعلمه

قال لبئد يرثي اخاه :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِغُ وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ (٣)
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ دَارٍ مُضِنَّةٍ فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدٍ نَافِعُ (٤)

فانت ترى ما في هذين البيتين من لوعة وأسى ومن عاطفة صادقة ، ومن رثاء
ساذج لا تكلف فيه ولا مغالاة . . . ففارقني جار بأربد نافع . . .

(١) أوفى : وفى ولم ينقص . يقول : واذا قُسمت الامانات بين الناس كان القسم
الافرف لنا . والبهاء باوفر زائدة . (٢) أربد : اخو لبئد لاه ، ذهب في وفد من بني
عامر الى المدينة بعد ظهور دعوة محمد ليدخلوا في الدين الجديد ، ولكنه عاد ولم يُسلم وبينسبا
هو في الطريق انقضت عليه صاعقة فقتلته وفي ذلك يقول لبئد :

فَجَمَّعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْأَفْرَاسِ يَوْمَ الْكَرْحِمَةِ النَّجْدِ
يَا عَيْنُ هَلَّا بِكَيْتِ أَرْبَدٍ أَذْ قَمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَيْبِدِ (١)
إِنْ يَشْغَبُوا لِأَيْبَالِ شَغْبِهِمْ أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْخُصَامِ يَقْصِدِ (٢)

(١) الكبيد : الامر الشاق . (٢) يشغبوا : هيجوا الشر . يقصدوا : يعتدلوا)

(٣) المصانع : القرى والمباني من القصور والحصون . (٤) الاكناف : جمع كنف وهو الجانب .
دار مضننة : أي دار يرضن حسا ويحرص على سكانها . والبهاء في قوله : باربد للتجريد .
كما تقول : اقبل بزبد أسد فزيد هو الاسد .

على ان عقل الشاعر الحكيم ما لبث ان سيطر على عاطفته ، فحبسها عن الإرتان والتفجع ، وسما بصاحبه الى المثل الاعلى ، الى الحكمة السامية ، التي تجعل الانسان يقوى على ضعفه ، فاذا بنا نرى من لبيد واعظاً مرشداً يعزي نفسه بانواع الامثال الحكمية ، ويقابل مصيئته بمصائب الناس فتهون عليه ويخفف جزعه ، ولماذا يجزع وكل امرئ في هذه الحياة الدنيا سيموت . . .

فَلَا جَزَعٌ أَنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعٌ ^(١)
وَمَا أَلَمَرُهُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْؤُهُ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ مَا هُوَ سَاطِعٌ ^(٢)
وَمَا أَلَمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ أَلْوَدَائِعُ
وَمَا أَلنَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ : فَعَامِلٌ يُتَبَّرُ مَا يُبْنَى ، وَآخِرُ رَافِعٌ ^(٣)
فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيهِ ، وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ ، بِالْمَعِيَشَةِ قَانِعٌ
أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَأَخْتَ مَنِيئِي لِرُومِ الْعَصَا تُخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ ^(٤)
أَخْبِرْ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبٌ ، كَأَتِي ، كُلَّمَا قُمْتُ ، رَاكِعٌ ^(٥)
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنُهُ تَقَادُمُ عَهْدِ الْفَيْنِ ، وَالنَّضْلُ قَاطِعٌ ^(٦)
فَلَا تَبَعْدَنَّ ، إِنْ أَلْتَمِيَةَ مَوْعِدُ عَلَيْنَا ، فَدَانِ لِلطَّلُوعِ وَطَالِعٌ ^(٧)

(١) الجزع : ضد الصبر . فاجع : موجه . (٢) الشهاب : هنا شعلة من النار ساطعة . يحور : يصير . (٣) يتبر : يخرب ويهدم . (٤) تراخت : ابطأت او تباعدت . يقول : اليس مصيري ان ابطأت مني ان اشيخ فادب على العصا . (٥) الراكع : المنحني الخافض الرأس ، ومنه ركع المصلي في الصلاة : خفض رأسه بعد قومة (القرأة حتى تنال راحتاه ركبتيه . يقول : فاذا ابطأت مني كبرت واصبحت ، شأن الشيوخ ، اخبر اخبار العصور الماضية ، وكلما قمت دبيت منحنيًا على العصا كافي راكع . ونحن نميل الى الاعتقاد انه يريد الركوع في الصلاة ، فيستدل من هذا البيت ان الشاعر نظم قصيدته بعد اسلامه . لان الركوع في الصلاة لم يعرف في الجاهلية . ومن المشهور ان لبيداً اسلم على اثر موت اخيه بين السنة الثامنة والتاسعة للهجرة . (٦) اخلق : ابل . جفنه : عمده . الفين : الحداد . يقول : فاصبحت بعدما كبرت كالسيف بلي قرابه ، لبعده عهده بمجده ، ولكن نصله بقي قاطعاً . يريد ان نفسه على شيخوخته ، تبقى ابيه شريفة . (٧) فلا تبعدن : خطاباً لاخيه أي لا تموتن . دان : قريب . الطلوع : الغياب وهي من الاضداد . طالع : غائب .

أَعَاذِلُ مَا يُدْرِيكَ ، إِلَّا أَظْنِيًا ،
 إِذَا رَحَلَ السَّفَارُ ، مَنْ هُوَ رَاجِعٌ ^(١)
 وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ الْقَوَارِعُ ؟ ^(٢)
 لَعْمَرُكَ ، مَا تَدْرِي الْأَضْوَابُ بِالْحَصَى ^(٣)

ومن قوله في الحكيم :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ، مَا خَلَا اللَّهَ ، بَاطِلٌ
 وَكُلُّ أَنَسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعْيُهُ ،
 أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ : مَاذَا يُحَاوِلُ ؟
 حَبَائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ فِي سَبِيلِهِ ،
 إِذَا الْمَرْءُ أَسْرَى لَيْلَةً خَالَ أَنَّهُ
 وَكُلُّ نَعِيمٍ ، لَا مَحَالَةَ ، زَائِلٌ ^(٤)
 دُورِيهِمَةُ ، تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ ^(٥)
 إِذَا كُشِفَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْأَحْصَائِلُ ^(٦)
 أَنْحَبُ فَيَقْضَى ، أَمْ ضَلَّالٌ وَيَبْطُلُ ^(٧)
 وَيَفْنَى إِذَا مَا أَخْطَأَتْهُ الْأَحْبَائِلُ ^(٨)
 قَضَى عَمَلًا ، وَالْمَرْءُ ، مَا عَاشَ ، عَامِلٌ ^(٩)

(١) التَّظَنِّي : الاعتماد على الظن . السَّفَارُ : المسافرون ومفرده سافر . وقوله : أعاذل خطاب لمن يلومه على صبره . (٢) (قوارع : المصائب التي تفرح الانسان ، مفردة القارعة . الغنى : الرجل الكريم بصرف النظر عن العمر . يقول لعاذله : أأجزع لما احدث بي الدهر وانا الرجل الكريم ، واي كريم لم تغزل به المصائب . (٣) الضوواب بالحصى : الضاربات الطيور بصغار الحجارة . زاجرات الطير : اللواتي يصحن به فان طار الى بين الضاربة او الزاجرة فيسمن ، وان طار الى شالها فسوّم وهو ضرب من العرافة . يقول : اقسام بعمرك لا تدري المتكهنات بالغيب ما يصنع الله . وفي هذا البيت ايمان كبير بالله يدل على اسلامه وانكاره العقائد الجاهلية . (٤) الباطل : هنا بمعنى المالك . لا محالة : لا بد . (٥) دوجية : تصغير داهية ، والتصغير هنا للتعظيم أي داهية عظيمة وهي الموت . واصفرار الانامل كناية عن الموت . (٦) سعيه : نتيجة عمله . ومنه في سورة النجم : « ليس للانسان ألا ما سعى » أي ما عمل او نوى . الحصائل : جمع حصيلة وهي ما يحصله الانسان من شيء وهي هنا بمعنى نتائج الاعمال . يقول : سيعلم كل امرئ عمله اذا كشفت عنده الاله نتائج الاعمال . (٧) ألا تسألان : خطاب لصاحبيه . (النجب : الوقت والمدة . ومنه قضى نجبه أي مات . المعنى : ماذا يريد الانسان من هذه الحياة أضلالها وباطلها ام مدة منها ستقضى ؟ . (٨) حبائله : أي أشراك الموت . مبثوثة : منتشرة . يفنى : يجرم . يقول : ماذا يحاول المرء من هذه الحياة واسباب الموت منتشرة في طريقه فان وقع باحدها هلك عاجلاً والافانه يُعمر طويلاً فيهرم حتى يفنى ويموت . (٩) اسرى : ذهب ليلاً . يقول : اذا المرء سافر ليلة خيل اليه انه قضى عملاً واستراح

فَقُولَا أَمَّ ، إِنْ كَانَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ : أَلَمَّا يَعِظُكَ الدَّهْرُ ! أُمِّكَ هَابِلُ ! (١)
 فَتَعْلَمَ أَنْ لَا أَنْتَ تُدْرِكُ مَا مَضَى ، وَلَا أَنْتَ ، مِمَّا تَحْذَرُ النَّفْسُ ، وَإِنُّ (٢)
 أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ ، بَلَى ، كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللَّهِ وَاسِئِلُ (٣)

ففي هذه الايات وما قبلها ايمان وطيد ، وحكم سامية تعلو الى ما وراء الطبيعة حتى تتصل بالعزة الالهية ، لذلك لا نعتقد ان ليبدأ قائلها في جاهليته ووثنيته ، وفيها كثير من تعاليم الدين الاسلامي . وهذا ما يجعلنا ننفي بغير مشقة زعم الرواة ان ليبدأ لم يقل غير بيت واحد في الاسلام .

عمرته

قال ابو زيد القرشي : « ليبدأ افضلهم في الجاهلية والاسلام ، واقلمهم لغوا في شعره . » وجعله ابن سلام في الطبقة الثالثة وقال فيه : « وكان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام » وروي ان النابغة نظر اليه وهو صبي ، مع اعمامه على باب النعمان بن المنذر فقال له : « يا غلام ، ان عيناك لعينا شاعر ، أفترض الشعر؟ » قال : نعم . قال : « فانشدي . » فانشده :

أَلَمْ تُلِّمِ عَلَى الدَّمَنِ الْخَوَالِي لَسَلَمَى بِأَمْذَابٍ فَالْقَقَالِ (٤)

فقال له النابغة : « انت اشعر بني عامر . زدني . » فانشده :

طَلُّ لِحْوَالَةٍ بِالرُّسَيْسِ قَدِيمٌ بِمَعَاقِلِ فَالْأَنْعَمَيْنِ ، وَشُومُ (٥)

ولكن المرء عامل مدة حياته والحياة جهاد . (١) يقسم امره : ينظر فيه كيف يفعل اي انه حائر في امره . ألباً : الهزة للتوبيخ ولما نافية جازمة . هابل : ناكل ، يقال هبلته أمه أي شكلاه وتستعمل « أمه هابل » للدعاء على الشخص وللإعجاب به . يقول لصاحبيته : اذا رأيت المرء حائراً في امره فقولا له : شكلك أمك ألم يعظك الدهر . (٢) وائل : ناجح ، أي انت لا تستطيع ارجاع ايامك التي مضت ، ولا انت ناجح من الموت الذي تحذره . (٣) واسل : ذو وسيلة . يقول : ارى الناس لا يعرفون مبلغ شأخهم في هذه الدنيا ، ثم قال : بلى شأن الرجل العاقل ان يتخذ الى الله وسيلة تكون سبب نجائه ، وهذه الوسيلة هي صالح الاعمال (٤) تلِّم : من ألم أنت وتزل . الدمن : آثار الديار . الخوالي : الحالية من أهلها . المذائب والقفال : موضعان . (٥) الرُّسَيْسِ ومعاقل والانعام : مواضع . وشوم : جمع وشم وهو ما تمش على

فقال له : « انت اشعر بني هوازن^(١) . زدني » فانشده معلقته . فقال له :
« اذهب فانت اشعر العرب . »

وسواء صحت هذه الرواية او لم تصح ، فمثلة لبيد في الشعر جليلة ، فهو وان
يكن قصر في معلقته عن امرى القيس في التشايبه والاستعارات ، ووصف الجواد
والمطر ، وعن طرفه في وصف اعضاء الناقة ، وعن زهير في وصف الفراق والحرب ،
فانه فاقهم جميعاً بوصف الديار الحالية ، وبتشبيهاته القصصية في وصف سرعة الناقة .
وهو يمتاز في رثائه المحلى بالمواعظ ، وفي تلك الحكم السامية التي تدل على ايمان
بالله مكين ...

عمرو بن كلثوم

(الفرد السارس)

- حياته : ساد قومه في الخامسة عشرة . الخلف بين بكر وتغلب . اخذ الرهازن .
هلك التغلبيين ظمأً . التقاضي الى عمرو بن هند . عمرو بن كلثوم ينشد
قسماً من معلقته مفتخرًا . زيارة عمرو بن كلثوم وامه لعمرو بن هند
وامه . هند تستخدم ليلي . مقتل عمرو بن هند . كيف امر ابن كلثوم
عند يزيد بن عمرو . محاربه الفساسنة ثم النعمان ابا قابيس . هجوه
النعمان . وصيته لابنائه ، وصحة نسبتها . موته وعمره ١٥٠ سنة
- آثاره : شهرها المعلقة . نظمت في واقعتين : يوم التقاضي ، وبعد مقتل عمرو بن هند
- ميزقه - المعلقة : وصف الحمرة . التنزل . الفخر . صورة طبق الاصل عن جده المهلهل .
الرقعة واللين . الغلو والتكبر والتكرار والكذب . فخر عاطفي محض لاسلطة
المقل عليه . انسجام معلقته . رتتها الموسيقية . مترلتها القومية والادبية والتاريخية

اليد بالكحل . شبه آثار الديار بالوشوم . (١) هوازن : القبيلة الجامعة التي ينتمي اليها
بنو عامر

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب التغلبيّ من اهل الجزيرة ، وامه ليلي بنت المهلهل اخي كليب وائل ، وابوه كلثوم من سادات تغلب . نشأ عمرو شديد العجب بنفسه ، فخوراً باجداد ابيه و اخواله ، فساد قومه صيباً في الخامسة عشرة من عمره

الحلاف بن بكر وتغلب

عرفنا في كلامنا على المهلهل وحرب البسوس ، ان الملك المنذر ، والد عمرو بن هند ، اصلح بين العشيرتين بعد نضال دام اربعين سنة ، ولكنه خشى ان تعودا الى القتال فأخذ من كل حي منهما مائة غلام رهينة ، حتى اذا اعتدت احدهما على الاخرى اقاد^(١) من الرهائن .

ولما تولى الملك عمرو بن هند هذا حذو ابيه في الارتهان من العشيرتين . وكان ان سير ذات يوم ركبا من تغلب وبكر الى جبال طيء في امر من اموره ، فقتلوا في ارض لبني شيان . احلاف البكريين ، فقبل انهم اجلوا التغلبيين عن الماء ، ودفعوهم الى مفازة فتاهوا وماتوا عطشاً . وقيل بل هبت عليهم معوم في بعض مسيرهم فهلك التغلبيون وسلم البكريون . فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وطلبوا ديات ابنائهم من بني بكر ، فأبت اداها ، فاحتكموا الى عمرو بن هند فقال لهم : « ما كنت لاحكم بينكم حتى تأتوني بسبعين رجلاً من اشراف بكر بن وائل فاجعلهم في وثاق عندي ، فان كان الحق لبني تغلب دفعتمهم اليهم ، وان لم يكن لهم حق خليت سبيلهم . » ففعلوا وتواعدوا ليوم يعينه ، يجتمعون فيه .

ولما كان يوم التقاضي ، انتدبت تغلب للدفاع عنها شاعرها وسيدها عمرو بن كلثوم ، وانتدبت بكر للدفاع عنها احد اشرافها النعمان بن هرم .

وكان عمرو بن هند يوثر التغلبيين على البكريين ، فجرى بينه وبين النعمان جدال غضب له الملك فطرد النعمان من حضرته ، وانشد عمرو بن كلثوم قصفاً من

(١) اقاد الاميرُ الفاتل بالقتيل : قتله به قوداً اي قصاصاً

مطلوته فافتخر على خصومه ، ثم وقف الحرث بن حليزة البكري فرد عليه بمطلوته
 واستمال الملك بدهائه ، فحكم للبكرين .

قتله عمرو بن هند

كان بنو تغلب من اشد العرب في الجاهلية حتى قيل : « لو أبطأ الاسلام
 لأكلت بنو تغلب الناس . » وروي ان عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائمه :
 « أتعملون احداً من العرب تأنف امه من خدمة امي ؟ » قالوا : « لا نعلمها الا ليلي
 أم عمرو بن كلثوم » قال : « ولم ذلك ؟ » قالوا : « لان اباهما مهمل ربيعة ، وعمها
 كليب وائل اعز العرب ، وبعلمها كلثوم بن عتّاب فارس العرب ، وابنها عمرو بن
 كلثوم سيد قومه . » فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستريه ، ويسأله ان
 يُزيرَ أُمَّهُ أُمَّهُ ، فاقبل عمرو بن حليزة في جماعة من بني تغلب ، واقبلت ليلي في
 ظعن من نساء تغلب . وامر عمرو بن هند برواقه فضرب ما بين الحيرة والفرات ،
 وارسل الى وجوه اهل مملكته فحضروا . ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ، ودخلت
 امه ليلي قبة هند أم الملك عمرو ، وعمه امرئ القيس الشاعر .

وكان عمرو بن هند قد اعز الى امه ان تنجي الحُدم وتستخدم ليلي اذا دعا
 بالطرف^(١) . فلما دعا بها قالت هند : « يا ليلي ناوليني ذلك الطبق » فقالت :
 « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها . » فاعادت عليها ؛ فلما ألحت صاحبت ليلي :
 « واذ لاه يا تغلب ! » فسمعها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، فقام الى سيف
 لعمرو بن هند معاق بالرواق وليس سيف هناك غيره ، فضرب به رأس الملك حتى قتله ؛
 ونادى في بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق وساروا نحو الجزيرة . والى هذه الحادثة
 يشير في القسم الثاني معلقته :

رِيَّاي مَشِيئَةَ عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ نَكُونُ اِمْيَلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا
 تُهَدِّدُنَا وَتُوْعِدُنَا ، رُوَيْدَا ! مَتَى كُنَّا لِاِمِّكَ مُقْتُونَا

(١) الطرف : جمع طرفة وهي اللحمة ، ويراد بها هنا ما يقدم بعد الطعام من حلوى

وفي ذلك يقول أفنون بن صريم التغلبي مفتخراً بفعل عمرو بن كلثوم :

لَعْمَرُكَ ، مَا عَمَرُوْ بِنُ هِنْدٍ ، وَقَدْ دَعَا إِتَّخَذَمَ لِيَلِيْ أُمُّهُ ، بِمُوقِقٍ
فَقَامَ ابْنُ كَلْثُومٍ إِلَى السِّيفِ مُصَاتِمًا ، فَأَمْسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالْمُحَقِّقِ ^(١)
وَجَلَّهْ عَمْرُو عَلَى الرَّأْسِ ضَرْبَةً بِذِي شُطْبٍ ، صَافِيِ الْحَدِيدَةِ ، رَوْنَقِ ^(٢)

وضرب المثل بعمرو بن كلثوم في الفتك ف قيل : « أفتك من عمرو بن كلثوم . »

اسره

اغار عمرو بن كلثوم على بني قيم في البحرين ، ثم مال على حي من بني قيس ابن ثعلبة فأصاب مالا واسارى وسبايا ، حتى اذا انتهى الى بني حنيقة في اليامة ، خرج اليه منهم بنو سحيم وعليهم يزيد بن عمرو بن شمرو كان شديداً جسيماً فحمل على عمرو فطعنه ، فصرعه عن فرسه ، واسره وشده في القيد ^(٣) ثم قال له : « انت الذي تقول :

مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ تَجْدِ الْحَبْلِ أَوْ تَقْصِرَ الْقَرِينَا ^(٤)
اما اني سأقرنك الى ناقتي هذه فاطردكما جميعاً . » فغز على عمرو بن كلثوم ان يحقر ويهان ، فصاح : « يا لريعة ! أمثلة ! » ^(٥) فاجتمع قوم يزيد فنهوه ولم يكن يريد ذلك انما اراد تبكيته . فسار به حتى اتى قصرأ بحجر من قصورهم ، وضرب عليه قبة ، ونحر له وكساه ، وسقاه الحمر فلما اخذت برأسه انشأ يمدحه :
أَجْمَعَ صُحْبَتِي ، السَّحْرَ ، أَرْتَحَلَا وَلَمْ أَشْعُرْ بَيْنَ مِنْكَ هَالَا ^(٦)

(١) مصلحاً : مجرداً . الندمان : المنادم على الشراب . المخنق : العنق لانه موضع حبس الخنق . (٢) جلله ضربة : جعل الضربة غطاء له . بذى شطب : بسيف ذي طرائق في مثنه . رونق : اي ذي رونق ، ورونق السيف : طلاوقه . (٣) قيد : قيد من جلد يقيد به الاسير . (٤) انظر تفسيره في المعلقة . (٥) المثلة : (التنكيل والتشنيع بالقتل . وقوله : يا لريعة ، وهي القبيلة الجامعة التي ينتسب اليها بنو قلوب ، لان قبائل البحرين وما يليها اكثرهم من ريعة بن تزار ، فهو يستغيب بانسابه واعداثه في وقت واحد . (٦) يقول : نوى صحبتي اسفر عند السحر ولم اشعر ببعده عنك يخيفني .

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ هَآئِهِ فِي مَعَدٍ أَشْبَهُ حُسْنَهَا ، إِلَّا الْهَلَالَ (١)
 أَلَا أْبْلِغُ بَنِي جُشَمَ بْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ كُلَّمَا أَتَيَْا حِلَالَ (٢)
 بِأَنَّ الْمَاجِدَ الْقُرْمَ بْنَ عَمْرٍو ، غَدَاةَ نَطَاعٍ ، قَدْ صَدَقَ أَتْبَالَ (٣)
 كَتَيْبَتَهُ مُلْسَمَةٌ رِدَاحٌ ، إِذَا يَوْمُونَهَا تُفْنِي أَلْتِبَالَ (٤)
 جَزَى اللَّهُ الْأَغْرَ يَزِيدَ خَيْرًا وَأَقَامَهُ الْمَسْرَةَ وَالْجَمَالَ (٥)

مُحَارَبَةُ النِّعْمَانِ

وظل المناذرة ينادون بني تغلب ويحاربونهم برجالهم ، واحلافهم حتى اضطروهم المنذر الرابع اخو عمرو بن هند الى الجلاء عن الجزيرة ، فاتوا ارض الشام وعليها الغساسنة ، فمروهم عمرو بن ابي حُجر الغساني ، وقال ابن الاثير : بل خرج ملك غسان وهو الحرث بن ابي شمر ، فلم يستقبلوه ، فاغتازوا وطلب سيدهم عمرو بن كلثوم وتوعده ، فاقتتلوا فانهمز بنو غسان وقتل اخر الحرث في عدد كبير . فقال عمرو بن كلثوم :

هَلَّا عَطَفْتَ عَلَى أَخِيكَ إِذَا دَعَا بِالشُّكْلِ ، وَيَلِ أَيْبِكَ ، يَا بَنَ أَبِي سَمِيرَا

ثم رجع بنو تغلب الى الجزيرة ، وعلى الحيرة ابو قابوس النعمان بن المنذر الرابع ، فارسل لمحاربتهم جيشاً على رأسه ابنه المنذر ، فكسرهم بنو تغلب ، وقتل المنذر بن النعمان ، وقَاتَلَهُ مُرَّةً اخو عمرو بن كلثوم . والى هذه الحادثة ، والى مقتل عمرو بن هند يشير الاخطل التغلبي بقوله مفتخراً على جرير :

أَبْنِي كَتَيْبٍ ، إِنَّ عَمِّيَ أَلَلَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ ، وَفَكَّرْنَا الْأَغْلَالَ (٦)

(١) هالة : يريد بها قبيلة ممدوحه . وقوله : أشبهه حسنها : اي اشبه به حسنها .
 (٢) الحلال : جمع حلّة وهي مجتمع الناس . (٣) القرم : السيد العظيم . غداة نطاع : أي غداة الحرب التي يطعننا الاعداء فيها . (٤) الكتيبة : القطعة من الجيش مجتمعمة . ملسمة : مجموعة . رداح : ثقبلة جرارة . (٥) الاغر : الكرم . الافعال والمشهور . (٦) اللذا : اللذان . الاغلال : القيود .

وقال الفرزدق يرد على جرير في هجائه الاخطل :

قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنَوَةً عَمْرًا، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النَّعْمَانِ (١)

ثم ارسل النعمان يتوعد عمراً ، فاخذ عمرو يهجو ويمسره أمه سلمى ، وكانت ابنة صائغ . فمن قوله :

لَحَا اللَّهُ أَدْنَانًا إِلَى اللُّومِ زُلْفَةً (٢) وَالْأَمْنَا خَالًا وَأَعَجَزْنَا أَبَا (٣)

وَأَجْدَرْنَا أَنْ يَنْفُخَ الْكَبِيرَ خَالَهُ يَصُوغُ الْقُرُوطَ وَالشُّنُوفَ يَيْثُرًا (٤)

صوته

عاش عمرو بن كلثوم حتى بلغ من الكبر عتياً (٥) ، وشبعت نفسه من الغزوات والانتصارات ، وذاق من الدهر حلوه ومره ، فلما حضرته الوفاة جمع بنيه واوليائه :

« يَا بَنِي ، قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْعُمُرِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ

بِي مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ أَحَدًا بِشَيْءٍ إِلَّا عَيَّرْتُ

بِشَيْئِهِ ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَحَقًّا ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا فَبَاطِلًا . وَمَنْ سَبَّ سَبًّا ، فَكُفُّوا

عَنْ الشَّمِّ ، فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لَكُمْ . وَأَحْسِنُوا جِوَارَكُمْ يَحْسُنْ تَنَاؤُكُمْ . وَأَمْنَعُوا

مِنْ ضَيْمِ الْغَرِيبِ ، قُرْبَ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ ، وَرَدِّهِ خَيْرٌ مِنْ خُلْفِ (٦) . وَإِذَا

حُدِّثْتُمْ فَعُوا (٧) ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا ، فَإِنَّهُ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ (٨) .

وَأَشْجَعُ الْقَوْمِ الْعَطُوفُ (٩) بَعْدَ الْكَرِّ ، كَمَا أَنَّ أَكْرَمَ الْمَنَائِيَا الْقَتْلُ . وَلَا خَيْرَ

فِي مَنْ لَا رَوِيَّةَ لَهُ عِنْدَ الْعُضْبِ ، وَلَا فِي مَنْ إِذَا عُوْتِبَ لَمْ يُعْتَبَ (١٠) . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ

(١) عنوة : قوة واقْتداراً . قسطوا : جاروا وظلموا . (٢) لحا : اخزى . زلقة :

مقربة . (٣) القرط : اخلق مفردا قرط . الشنوف : القروط او ما يعلق في أعلى

الاذن خلافاً للقرط ، مفردا شنف . يثرب : مدينة الرسول . (٤) عتياً : أي وصل الى

حيث ولى امره . (٥) يقول : رب طاب ترده خير من وعد لا تقي به . (٦) عوا : احفظوا

ما تسمعون . (٧) الاهذار : الهذيان . (٨) الذي يعطف على المنهزمين فيحميمهم . (٩) يعتب :

يعطي الرض ويترك ما كان يفض لاجله ، والمعنى : لا خير فيمن اذا استرضي ولم يرض .

لَا يُرَجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يُخَافُ شَرُّهُ ، فَبِكُوْرُهُ خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ ^(١) وَعَقُوْرُهُ خَيْرٌ مِنْ بَرِّهِ . وَلَا تَدْرُوْجُوا فِي حَبِيْكُمْ ، فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى قَمِيْحِ الْبَغْضِ . « ٥٠ » هـ .

غير اننا لا نقطع بصحة هذه الوصية لان النثر لا يمكن الاعتماد فيه على الرواية وحدها ، كما هي الحال في الشعر . ولكن الذي يجدر بنا ذكره ان هذه القطعة قليلة التكلف اللفظي ، خالية من الاغراب الذي تجده في اكثر النثر المنسوب الى عرب الجاهلية ؛ وهو ليس من صنعهم بل من صنع شيوخ العلم في الاسلام . وتجد من هذا النثر المنحول امثلة كثيرة في « امالي القاضي » . وفي الوصية سهولة ولين يوافقان اسلوب عمرو بن كلثوم في شعره .

وعمر بن مذكور في طبقات المعمرين ، واكثر الرواة يزعمون انه مات وله من العمر خمسون سنة ومئة .

تأمله

لم يصل الينا من شعر عمرو بن كلثوم شيء يستحق الذكر غير المعلقة ، واما ما بقي فايات ومقطعات قليلة ، منها في الافتخار بنفسه وقومه ، ومنها في مدح يزيد بن شمر ، ومنها في هجاء عمرو بن هند والنعمان ابي قابوس . وقد اوردنا بعضها في هذا البحث .

اما معلقته فهي الخامسة بين المطولات ، نظمها في واقعتين : الاولى يوم تقاضى البكريون والتغليبيون الى عمرو بن هند . والثانية بعد قتله عمرو بن هند . ووقف بها خطيباً في سوق عكاظ وفي موسم مكة .

ولم يصل الينا من هذه القصيدة الا نحو مئة بيت وقيل انها كانت تبلغ الالف وزعم الاصمعي ان الشاعر ارتجلها كلها في موقف التقاضي ، وهو زعم مردود ؛ لان الشاعر كان على استعداد للدفاع عن قومه في حضرة ابن هند ، ولان ابيات المعلقة تدل على نظمها في حادثتين لا في واحدة . وسيبدو لنا ذلك عندما نشرح بدرسها .

(١) البكوة : قلة اللبن . الدر : كثرة اللبن .

عمرو بن كلثوم صورة طبق الاصل عن جده المهلهل ، فهو فخور مثله ، متكبر مثله ، كذوب مثله . وفي شعره سهولة وتكرار وهائلة كما في شعر جده . وسنرى في درسنا معلقته مبلغ تأثره باساوب المهلهل ، وطريقته في النظم . ولا عجب ان يتشبه الولد بابيه وجده او عمه وخاله . وانما العجب ان يشذ عنهم فلا يتأثر بهم في شي . كما هو شأن امرى القيس ، وقد زعموا انه ابن اخت المهلهل .

وصف الحمرة

يبتدى عمرو بن كلثوم معلقته بوصف الحمرة وتأثيرها في شاربها فيقول :

أَلَا هُتِي بِصَحْنِكَ فَأَصْبَحِينَا وَلَا تُبْتِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا (١)
 مُسْعَعَةً كَأَنَّ الْخَصَّ فِيهَا إِذَا مَا أَلْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا (٢)
 تَجُورُ بِنْدِي اللَّبَانَةَ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا (٣)
 تَرَى اللَّحْزَ الشَّجِيحَ إِذَا أُمِرَتْ عَلَيْهِ ، لِمَالِهِ فِيهَا ، مُهِينَا (٤)

(١) الصحن : القدح الكبير . فاصبحينا : فاسقينا صباحاً . الاندرين : قرية في جنوبي حلب على مسيرة يوم للراكب ، وقد فتحت نوحاً في الجر لانها ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث . ولا تعبر « ال » لانها زائدة ، ويجوز أن تعرب اعراب جمع المذكر السالم كما تعرب « عليون » . (٢) مسععة : مزوجة بالماء . الحص : الزعفران او الورس أي الورد الاصفر . سخينا : حاراً . يقول : اسقينا خمرة مزوجة كاخا ، وقد خالطها الماء الساخن ، مزجت بالزعفران لاصفرار لونها . وكانت قرية الاندرين تابعة لبلاد الروم ومن عادتهم ان يشربوا الخمر بالماء السخين كما ذكر ابو العلاء في رسالة الغفران . واماً ان نجول سخينا ، على رأي بعضهم ، فعلا من سخى اي جاد بماله ، فذاك منتهى السخافة في التفسير اذ يصبح السخاء مقصوراً على السكر دون الصحو ، وليس الى هذا يقصد الشاعر وهو القائل في البيت الرابع :

ترى اللّحزَّ الشّجيجَ إذا أمرت عليه ، لِمَالِهِ فِيهَا ، مُهِينَا

(٣) تجور : تميل . اللبانة : الحاجة . يقول : هي تميل بصاحب الحاجة عن حاجته اي انه اذا شربها لان ونسي همومه وحوائجه . (٤) اللّحز : الضيق الصدر . الشجيج : البخيل . يقول : ترى البخيل الضيق الصدر اذا ادبرت عليه وشربها جبن ماله ويجود به .

— وَإِنَّا سَوْفَ نُدْرِكُنَا الْمَنَآيَا مُعَدَّرَةً لَنَا وَمُعَدَّرِينَ^(١)

الغزل

ثم ينتقل الشاعر الى الغزل ، ويرى بعضهم ان مطلع القصيدة يبتدئ من هذا القسم ، ولكنه رأي ضعيف . قال :

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينًا نَحْبَرُكَ الْيَقِينَ وَتُخْبِرِينَا^(٢)
 يَوْمَ كَرِيهَةٍ ضَرْبًا وَطَعْنًا أَقْرَبَ بِهِ مَوَالِيكَ الْعِيُونَا^(٣)
 قَفِي نَسْأَلُكَ هَلْ أَحْدَثْتَ صَرْمًا لَوْشِكَ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتَ الْأَمِينَا^(٤)

الفخر

ثم يتابع الغزل فيصف ذراعي صاحبه ، وصدورها ، وقامتها ، حتى يتخلص الى مخاطبة عمرو بن هند ، فيأخذ في الافتخار ، وهو القسم الذي نظمه في موقف التقاضي . وهنا تظهر الصلة واضحة بين شعر ابن كلثوم وشعر المهمل ، فيبدو لك الغلو الفاحش في فخره ، والتكرار والتكثير ، فضلاً عن السهولة التي ترافق المعلقة في جميع اقسامها واغراضها

✓ أبا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نَحْبَرُكَ الْيَقِينَا^(٥)
 ✓ يَا أَنَا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيضًا وَنُضِدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا^(٦)

(١) ومقدرينا : أي نحن ، مقدرون لها . وذكر الروزي بعد هذا البيت ثلاثة اخر وهي :

صَبْنَتِ الكَأْسَ عَنَا امْ عَمْرُو وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا
 وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرُو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تُصْبِحُنَا
 وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبِعْلَبِكَ وَأُخْرَى فِي دِمَشْقٍ وَقَاصِرِينَا

وهذه الايات لعمرو بن عدي ابن اخت جزيمة الابرش (٢) ياظعينا : ترخيم ظعينة وهي المرأة المسافرة في هودجها . (٣) الكريجة : من اسماء الحرب . الموالي : اراد بهم ابناء العم . (٤) الصرم : القطيعة . لوشك البين : لسرعة الفراق . (٥) ابا هند : يريد عمرو ابن هند فكناه . انظرنا : امهلنا . (٦) أورد الابل : اتى بها الماء للشرب . اصدرها : ارجعها عن الماء بعد السقي . يقول على سبيل الاستعارة : اننا نأتي براياتنا الى ساحة الحرب ييضاً ونرجع بها حُمْرًا قد رويت من دم الاعداء .

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طَسْوَالٍ عَصَيْنَا أَلْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا ^(١)

الى ان يقول ، وفيه غلوٌ ظاهر :

مَتَى نَنْقَلُ إِلَى قَوْمٍ رَحَانًا يَكُونُوا فِي أَلِقَاءِ لَهَا طَحِينًا ^(٢)
يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرِيقِي نَجْدٍ وَهَوَاتُهَا قَضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا ^(٣)

ولكن هذا الغلو جميل رائع ، على ما فيه من تكبر واعتداد بالنفس . واليك الان كيف يصف قومه في الحرب ، وتنكيلهم في الاعداء . وهنا ترداد الصلة بين شعره وشعر جده ، فترى شيئاً من التكرار فضلاً عن المغالاة والتكثير :

وَرِثْنَا أَلْمَجْدَ ، قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ، نَطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا ^(٤)
وَنَحْنُ إِذَا ، عِمَسَادُ أَلْحَيِّ خَرَّتْ عَنِ أَلْأَحْفَاضِ ، نَمْنَعُ مِنْ يُبَلِينَا ^(٥)
نُدَافِعُ عَنْهُمْ أَلْأَعْدَاءَ قُدَمَاءَ ، وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا ^(٦)
نَطَاعِنُ مَا تَرَخَى أَلتَّاسُ عَنَا ، وَنَضْرِبُ بِأَلسُيُوفِ إِذَا غَشِينَا ^(٧)
بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا أَلْحَطِي لُدُنِ ، ذَوَابِلُ ، أَوْ بِيضٍ يَعْتَلِينَا ^(٨)
نَشْقُ بِهَا رُؤُوسَ أَلْقَوْمِ سَقَاءَ ، وَنُخْلِهَا أَلرَّقَابَ فَيَخْتَلِينَا ^(٩)

(١) غرٌّ : مشهورة . نديننا : نطيع . رحانا : حربنا ، شبه الحرب بالطاحون .
(٢) الثفال : خرقه او جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الطحين . اللهوة : القبضة من الحب تلقى في فم الرحى . يقول : تكون معركةنا في الجانب الشرقي من نجد ، وتكون قبضتنا قضاة اجمين ، فاستعمار للمعركة اسم الثفال وللقبضة اسم اللهوة ليشاكل الرحى والطحين في البيت السابق . (٣) قباثل معدن بن عدنان . يبين : يظهر . (٤) الاحفاض : جمع حفص وهو البعير الذي يحمل اثمعة البيت . يابينا : يقرب منا . يقول : نحن اذا سقطت الخيام عن الابل للاسراع في الحرب نمنع ونحمي جيراننا . (٥) قدماً : قدماً . (٦) تراخي : تأخر وتباعد . اذا غشينا : اذا امانا العدو . (٧) بسمر : صفة للرماح الناضجة في منابتها والجار متعلق بنطاعن . الحطي : نسبة الى مرفا الخط في البحرين وكانت تباع فيه الرماح . لُدُن : لينة . ذوابل : يابسة بعض اليبس دلالة على اخالم تجف كل الجفاف فتشقق اذا طعن بها . بيض : صفة للسيوف وهو متعلق بنضرب . يعتلين : يملين الرؤوس . (٨) نخليها : نجعل لها الرقاب كالحلى وهو الحشيش . فيختلين : اي يقطعن الرقاب .

- كَانَ جَمَاهِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا
 نَجْدٌ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ ،
 كَانَ سُيُوفَنَا ، فِينَا وَفِيهِمْ ،
 كَانَ ثِيَابَنَا ، مِنَّا وَمِنْهُمْ ،
 إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَفِ حَيٌّ^١
 نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتَ حَدٍّ ،
 بِشِبَانٍ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا ،
 حُدَيَا النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ،
 أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَا
 أَلَا لَا يَجْهَلُونَ أَحَدٌ عَلَيْنَا ،
 وَسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا^(١)
 فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا^(٢)
 مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِينَا^(٣)
 خُضْبِنَ بَارِجُونَ أَوْ طَلِينَا^(٤)
 مِنْ أَمُولِ الْمَشْبِيِّ أَنْ يَكُونَا^(٥)
 مُحَافِظَةً ، وَكُنَّا السَّابِقِينَ^(٦)
 وَشِبَّانٍ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَ^(٧)
 مُقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَن بَيْنِنَا^(٨)
 تَضَعُّعْنَا ، وَأَنَا قَدْ وَنِينَا^(٩)
 فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ أَجَاهِلِينَا^(١٠)

الست ترى في هذه الايات نفساً تناطح السحاب بكهريائها وابائها ؟ . . .
 انا هي نفس البدوي تأبى الذل والضم ، وتقابل الحسنات والسيئات بامثالها او

- (١) فيها : في السيوف . وسوق : جمع وسق وهو الحبل . الاماعز : جمع امعز وهو الارض الصلبة الكثيرة الحصى . (٢) نجد : تقطع . في غير بر : في غير شفقة . (٣) مخاريق : جمع مخراق وهو سيف من خشب يلبس به الصبيان . يقول : كنا نضرب بسيوفنا في سرعة غير حافلين كما يضرب الصبيان بمخاريقهم غير حافلين بمضاربعنا . (٤) خضبنا : صبغنا . الارجوان : صبغ احمر يصبغ به . طلين : لطحن . (٥) عي بالامر : عجز عنه . الاسناف : التقدم . يقول : اذا عجز حي عن الاقدام في الحرب خوفاً من هول منظر ، وجواب اذا في البيت بعده . (٦) نصينا : وضعنا واقتنا . رهوة : جبل . ذات حد : ذات شوكة . يقول : اذا تأخر القوم تقدمنا بكتيبة مثل الجبل ذات شوكة وبأس وذلك محافظة على احسابنا فظفرنا وسبقنا . (٧) شبان : متعلق بالسابقينا . (٨) حديا : اسم جاء على صيغة التصغير بمعنى التحدي ، وهي المنازعة والمباراة . يقول : نحن نباري الناس وننازعهم جميعاً في مفاخرتنا بينهم دفاعاً عن بيننا . (٩) الاقوام : يريد جمع بني بكر . ونينا : فترنا . (١٠) الجبل : السفه ضد الحلم والعقل . يقول : لا يسفه علينا احد فسفه عليه فوق سفه اي تجازيه بسفه جزاء يربو عليه . فسي جزاء الجبل جهلاً للشاكلة في اللفظ كما جاء في القرآن : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » اي وهو مجازعهم بخداعهم فسي جزاء المداع خداعاً .

باكثر منها . ولا اتصور عمرو بن كلثوم في معلقته هذه ، الا رجلاً ملكت عليه
 عزة نفسه واجساد قومه جميع مشاعره ، فتغلبت عاطفته على عقله فاصبح لا يرى
 ولا يحس الا بها . فاذا هو في حضرة عمرو بن هند يفاخر بني بكر ويهددهم ،
 دون ان يراعي مقام الملك او يصانعه بكلمة راضية . فلا عجب اذاً ان يخسر
 التغليبون قضيتهم ، بعد ان وقف الحارث بن حلزة الرجل الحكيم ، واصلح بدهائه
 ما افسده خطيبهم النعمان بن هرم .

وقدر رأينا في هذا القسم مبلغ تأثر عمرو بشعر جده المهمل . على اننا سنرى هذا
 التأثر يزداد وضوحاً في القسم الاخر ، وهو القسم الذي انشأه بعد قتله عمرو بن هند .
 قال :

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ ، عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ،	تُطِيعُ . بِنَا أَلْوَشَاءَ ، وَتَزْدَرِينَا
بِأَيِّ مَشِيئَةٍ ، عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ،	نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا ^(١)
تُهَدِّدُنَا وَتُوَعِدُنَا ! رُوَيْدَا !	مَتَى كُنَّا لِأَمِكَ مَقْتَوِينَا ^(٢)
فَإِنْ قَنَاتْنَا ، يَا هَمْرُو ، أَعَيْتُ	عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ ، أَنْ تَلِينَا ^(٣)
إِذَا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَا أَشْمَازَتُ ،	وَوَلَّتْهُ عَشْوَزَنَةٌ زَبُونَا ^(٤)
عَشْوَزَنَةٌ ، إِذَا انْقَلَبَتْ ، أَرَأَيْتُ	تَشِجُّ قَفَا الْمُتَّقِفِ وَأَلْجِينَا ^(٥)

(١) القيل : الملك دون الملك العظيم . القطين : الخدم . يقول : كيف تشاء ان نكون
 خدماً لمن وليت علينا من الامراء وانت تعرف انفتنا . (٢) مقتوين : خدام الملوك . وترفع
 بالواو فيقال : مقتوون مراعاة لصيغة الجمع ، مفردها مقتوي ومقتي . يشير هنا الى
 حادثته امه واستخدام ليلي ام عمرو بن هند لها . (٣) القناة : قصبه (الرمح) ، استعارها للعز
 والمنمة . اعيت على الاعداء : اعجزتهم . يقال : لانت قناته اذا ضعف وذل . يقول : ان
 قناتنا لا تلين للاعداء اي اننا لا نذل ولا نخضع . (٤) الثغاف : الحديد التي تقوم بها الرماح .
 اشمازت : نفرت . عشوزنة : صلبة شديدة . الزبون : الدفوع التي تضرب برجلها ، من
 زبنت الناقة حالها اذا ضربته ، ومنه الزبانية : الشرط الذين يدفعون اهل النار اليها . يتابع
 وصف قناتهم فيقول : انها لا تخضع للثغاف بسبل نفرت وتوليه منها قناة صلبة دفعوا .
 (٥) أرأت : صوتت من الارنان . القفا : مؤخر الرأس . يقول مبالغاً في وصف القناة :
 انها تصوت اذا اريد ثقيفها ولا تطاوع مثقفا اذا قلبها بل تشج قفاه وجبينه ، كذلك عزهم
 لا تخضع لمن رام تذليلها بل تهلكه وتقره .

فَهَلْ حَدَّثَتْ فِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ بِنْتُصَ . فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينَ؟ (١)

فَعَرَهُ بِأَبَاهُ

وَرَثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينًا (٢)
 وَرَثْتُ مُهْلَهْلًا ، وَأَخْيَرُ مِنْهُ زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَ (٣)
 وَعَتَابًا ، وَكَلْثُومًا ، جَمِيعًا ، بِهِمْ نَلْنَا تَرَاثَ الْأَكْرَمِينَ (٤)
 وَذَا الْبُرَّةِ ، الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ بِهِ نَحْمَى ، وَنَحْمِي الْمَلْتَجِينَ (٥)
 وَمَنَا قَبْلَهُ السَّاعِي كَلِيبُ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا (٦)
 مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ تَجْدُ الْحَبْلِ أَوْ تَقْصِ الْقَرِينَا (٧)
 وَتُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَارًا وَأَوْفَاهُمْ ، إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا (٨)

فإذا استثنينا البيتين الآخرين ، نرى في الايات الخمسة الاولى لنا كثيراً بل اسفاف عرفناه في بعض شعر المهلهل ، فوقفنا منه موقف الشك . ونحن نسأل انفسنا هنا : أنظم ابن كلثوم هذه الايات ام اضيفت اليه لتعداد اسماء جدوده ؟ . . . وسواء كان هذا او ذلك فالايات بيئنة الضعف بادية التكلف . ثم ينتقل الى ذكر وقائع قوميه مفاخرها بالبكرين ، فيصف لنا يوم

(١) جشم بن بكر : من بطون تغلب . يقول : هل حدثت ان احداً انتقص حنفا واضطهدنا في امر من الامور الماضية . (٢) علقة بن سيف : رجل منهم يقال انه اتزل بني تغلب ارض الجزيرة . (الدين : القهر . أي جعل لنا حصون المجد مباحة قهراً وعزوة . (٣) المهلهل : جده من جهة أمه . زهير : جده من جهة ابيه . يقول : ورثنا مجد مهلهل ومجد زهير الذي هو خير منه فنعم ذخر الذاخرين . (٤) عتاب : جد جد الشاعر . كلثوم : ابو الشاعر . (٥) البررة : الحلقة . وذو البرة : رجل من تغلب لقب بذلك لشعر كان على انفه يلتوي كالخلفة . (٦) قبله : أي قبل ذي البررة . الساعي : الساعي الى المجد . كليب : كليب وائل اخو المهلهل . ولينا : دانينا . (٧) القرينة : الناقة تقرن الى غيرها . تجد : تقطع . نقص : من وقص العنق : دقها . يقول : متى قرنا ناقتنا باخرى قطعت الحبل او كسرت عنق القرين ، والمعنى متى قرنا بقوم في حرب او جدال غلبناهم وقهرناهم . (٨) الذمار : ما يجب على الرجل حمايته .

خزازی بقصة موجزة هي خير مثال للشعر القصصي في الجاهلية^(١) . قال :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازِي ، رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِيْنَا ^(٢)
 بِرَأْسِ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ نَدُّهُ بِهِ السُّهُولَةَ وَالْحَزُونََا ^(٣)
 وَكُنَّا الْأَيْمِينَ ، إِذِ التَّقِينَا ، وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَيْبِنَا ^(٤)
 فَصَالُوا صَوْلَةَ فِيمَنْ يَلِيهِمْ ، وَصَلْنَا صَوْلَةَ فِيمَنْ يَلِينَا ^(٥)
 فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا ، وَأَبْنَا بِالثُّلُوكِ مُصَقَّدِينَا ^(٦)
 إِيكُمُ يَا بَنِي بَكْرٍ ، إِيكُمُ ! أَلَا تَعْرِفُوا مِنَّا أَلَيْقِينَا ! ^(٧)
 أَلَمْآ تَعَلَّمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابَ يَطْعَنَ وَيَرْتَمِينَا ^(٨)
 عَلَيْنَا أَلْيَيْضُ وَأَلْيَلْبُ أَلْيَا فِي وَأَسْيَافُ يَقْمَنَ وَيَنْجِينَا ^(٩)
 وَتَحْمِلُنَا ، غَدَاةَ الرَّوْعِ ، جُرْدٌ عُرْفَنَ لَنَا نَعَانِدُ ، وَأَفْتَلِينَا ^(١٠)

(١) الشعر القصصي عند العرب كالشعر الحكمي تابع لنوع الغنائي الذي لم يعرف الشعر العربي نوعاً سواه . (٢) رفدنا : اعطينا . الرفذ بفتح الراء مصدر رفد ، وبكسر الراء اسم بمعنى العظيمة . وقوله هنا : رفدنا أي أعاناً وساعدنا ، وهو يشير الى اليوم الذي عقدت فيه ربيعة ومضرواها على كليب وائل فحاربهما جموع اليمن في جبل خزازی، فهزمها وانقذ قبائل معد من سيطرتها . وكان كليب قد بث رجلاً من تغلب يعرف بالسفاح وامره ان يلو خزازی ويوقد بها النار ليهتدي الجيش بناره ، وقال له : ان غشيتك الهدى فاوقد نارين . فاقبلت جموع اليمن ، فاوقد السفاح نارين ، فصبحهم كليب في جموع ربيعة فهزمهم . (٣) برأس من بني . . . اي كليب . الخزون : جمع حزن وهو ما غلظ من الارض . المعنى : اتنا خزم به الضعاف والاشداء . (٤) بنو ايينا اي ابناء عمنا مضر . (٥) صالوا صولة : حملوا حملة . يليهم : يدانيهم ويقرّب منهم . (٦) أبوا : رجعوا . النهاب : جمع نهب وهو الغنيمة . مصقدين : مقيدن بالاصفاد اي الاغلال . (٧) اليكم : اي اليكم عنا . يقول : تنجوا عنا يا بني بكر ألم تعرفوا اليقين من شدة بأسنا ، يعني عرفتم اليقين . (٨) يطعن ويرتمين : يتطاعن بالرمح ويترامين بالنبال . (٩) البيض جمع بيضة وهي الخوذة من حديد . اليلب : نسيجة من جلد تلبس تحت البيضة او الدروع من جلد الابل . يقمن وينجين : حالة السيوف عند الضرب من . (١٠) الروع : الفرع . ويريد به الحرب . الجرد : الخيول التي رق شعرها وقصر . اليقائد : جمع تقيذة وهي المنقذة من ايدي الاعداء . افتمين : فطمن . يقول : تحملنا غداة الحرب جرد لنا وقد اتقذناها من ايدي الاعداء وطمنت عندنا .

وَرِثْنَا هُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ ، وَنُورِئُهَا ، إِذَا مُتْنَا ، بَيْنِنَا ^(١)

وكانت نساء العرب يرافقن ازواجهن في الحروب ، ويقتن خيولهم ، ويجرضنهم على الصبر في القتال ، فيدافعون عنهن مستقتلين مخافة ان يسبين فيلحقهم العار . والى ذلك يشير ابن كلثوم بقوله :

عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حَسَانٌ نُجَادِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهْوَنَا ^(٢)
يَقْتَنَ جِيَادَنَا ، وَيَقْتَنَ : « لَسْتُمْ بُعُولَتِنَا ، إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا ! » ^(٣)

وانظر الى هذه الابيات وما فيها من تكرار والحاح ، فتذكرك تكرار المهامل والحاحه :

وَقَدْ عَلِمَ أَقْبَابِلُ مِنْ مَعَدٍ ، إِذَا قُبِّبُ بِأَبْطَحِهَا بُيْنِنَا ^(٤)
بِأَنَا الْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا ، وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتَلَيْنَا ، ^(٥)
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا ، وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا ، ^(٦)
وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْنَا ، وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا ، ^(٧)
وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطْعِمْنَا ، وَأَنَا الْعَارِمُونَ إِذَا عُصِينَا ^(٨)

ويحتم معلقته بهذه الابيات التي هي منتهى الغلو والتكثير ، بل هي الكذب الساذج بعينه فيقول :

مَلَأْنَا أَلْبَرَ حَتَّى ضَاقَ عَنَا ، وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمْلُوهُ سَفِينَا

(١) آباء صدق : آباء كرام شأنهم الصدق . (٢) نهون : نذل . يقول : نساونا الحسان خلفنا ندافع عنهن خوفاً من ان يسبين العدو فيقتسمهن ويذلهن . (٣) يقتن : يطعمن بعولتنا : جمع بل وهو الزوج . تمنعونا : تمنعونا . (٤) القبيب : جمع قبة وهي الخيمة . الابطح : ابطح مكة تقصده الناس من كل جهة ، واصل معنى الابطح : مسيل او واد فيه دقائق الحصى . يقول : قد علمت قبائل معد اذا اجتمعت بالابطح وضربت خيامها بأنا . . . (٥) بأنا : الباء زائدة للتوكيد أي علم القبائل أننا . قدرنا : طبخنا في القدور . ابتلينا : جربنا . (٦) شينا : شئنا . اي تمنع (اناس) ما اردنا منهم اياه . (٧) سخطنا : غضبنا . أي ان سخطنا على شيء فتركناه ، لا يقدر احدهم ان يجبرنا على اخذه . (٨) العاصمون : المانعون اي تمنع من يطعمنا . العارمون من عرم فلاناً : اذا اصابه بأذى ، أي نوذي من عصانا .

أَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا ، وَنَبْطِشُ ، حِينَ نَبْطِشُ ، قَادِرِينَا
إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

فقد رأيت كيف ملأ البر والبحر بجيوشه وسفنه ، وكيف جعل الدنيا ومن عليها ملكاً له ولبني تغاب ، وكيف ترك الجبابرة تسجد لفظيهم . فاما وقد رأيت ذلك فلا تحمل نفسك على معرفة ما كان له من قوى برية وبحرية ، بسل حسبك ان تعلم انه سبط المهمل ، وان جده ، لولا عصف الرياح ، لامتص صليل سيوف قومه على مسافة عشرة ايام .

عمرته

تبين لنا مما تقدم ان عمرو بن كلثوم ورث عن جده المهمل اكثر ميزاتهِ ، فله رفته ولينه ، وله تكراره وغلوه ، وله كذبه وتكثره . ولكن في شعره خاصة نجدها ضعيفة في شعر جده ، وهي تلك الفوائد التاريخية التي نراها في المعلقة وغير المعلقة ؛ فهو يجهزنا في هجوه النعمان ، ان ام النعمان كانت ابنة صانع ، وان اخاها صانع ينفخ الكبر في يثرب . ويذكر لنا في مطولته كيف كانت النساء تتبع الرجال في الحروب ، وتقوت جيادهم ، وتحشم على الصبر في القتال . ويطلعنا على شيء من صناعات العرب وملاهي اولادهم .

ولمعلقته ، ميزات بواته منزلة سامية من الشعر . فهي في سهولتها وانسجامها ، وفي رنتها الموسيقية المطربة اصدق مثال للشعر الغنائي . وهي على ما فيها من غلو ، تكثر ، معجبة محبوبة ، لان غلوها وتكثرها لا تكلف فيها ، بل تراهما صادرين عن نفس صادقة في عزتها وابطائها ، ممتلئة بمفاخر قومها . فاذا غالت احببانا ، واذا كذبت حيناً ، فانما هي تتكلم بعاطفتها لا بعقلها . فالغفر عند ابن كلثوم عاطفي محض لا سلطة للعقل عليه .

وقد بلغت معلقته ، على منزلتها الادبية ، منزلة قومية ، لم تبلغها قصيدة سواها . فان بني تغلب كانوا يعظمونها جداً ، ويرونها صفارهم وكبارهم ، حتى هجاهم بذلك بعض بني بكر بن وائل فقال :

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبَ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ قَصِيدَةً قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ ،
يَرُودُ نَهَا أَبَدًا مُذْ كَانَ أَوْلَاهُمْ ، يَا لِلرِّجَالِ لِشِعْرِ غَيْرِ مَسْوُومٍ (١)

وقال المفضل الضبي : « لله در عمرو بن كلثوم لو انه رغب في ما رغب فيه اصحابه من كثرة الشعر ، ولكن واحده اجود من مائتهم . » وروى ابو زيد القرشي في جهرته عن عيسى بن عمر قوله : « لو وضعت اشعار العرب في كفة ، وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة ، لمالت باكثرها »

عنترَة

(٩) ٦١٥

حياته : هو عنترَة الفوارس . وأحد اغربة العرب . أمه أمة سوداء . لم يعترف به ابوه اولا . كيف اعترف به ابوه ؟ . اخلاقه وشجاعته . ماذا قال عمرو بن معديكرب فيه ؟ . قول الخطيب لعمر بن الخطاب . وقائمه . حبه لبلبة . موته والاختلاف فيه .

آثاره : ديوان شعر فيه كثير من النحل . اشهره المعلقة . ليست المطلقة اولى قصائد عنترَة كما زعم الرواة . سبب نظمها .

ميزته : غزله وما فيه من مرارة وألم . النضال بين حبه ولونه ونسبه . النضال بينه وبين معيريه . حماسته . وصفه المارك . وصفه عدوه في الحرب . رقة شعره صورة لاخلاقه . هو شاعر الحماسة . مترلته .

حياته

هو عَنْتَرَة (٢) بن شدّاد بن عمرو ، وقيل : ابن عمرو بن شدّاد بن معاوية

(١) مسووم : مملول . (٢) العنترَة : واحدة العنتر وهو الذباب .

ابن قُرَادِ العَبْسِيِّ ، من اهل نَجْد ، ينتهي نسبه الى مُضَر . وَيَكْنَى بَابِي المُنْغَلِسِ (١) لغاراته في الغلَس ، ويلقب بعنترَة الفوارس لشجاعته ، وعنترَة الفلحاء (٢) لانشقاق شفته السفلى } وهو احد اغربة (٣) العرب المشهورين في الجاهلية ، سموا بذلك لسوادهم ، وهم ثلاثة : عنترَة ، وُخْفَافُ بن نُذْبَةَ السُّلَمِيِّ ، وُذْبَةُ أمه ، والسُّلَيْكُ بن السُّلَيْكَةِ (٤) والسُّلَيْكَةُ أمه . (وام عنترَة حبشية سوداء . يقال لها زُبَيْبَةُ (٥) سبأها ابوه في احدى غزواته فاولدها عنترَة) ، وكان لها اولاد عبيد من غير شداد ؛ فلم يعترف به ابوه في اول الامر ، بل انكره جرياً على عادة العرب ، لانهم كانوا يستعبدون اولاد الاماء ، ولا يعترفون بهم الا اذا ظهرت عليهم النجابة .

كيف ادعاه ابوه ؟

قال ابن الكلبي : « وكان سبب ادعاء ابيه اياه ، ان بعض احياء العرب اغاروا على بني عبس فاصابوا منهم ، واستاقوا ابلاً . فتبعهم العبسيون ، فلحقوهم ، فقاتلوا عما مهمهم ، وعنترَة يومئذ فيهم . فقال له ابوه : « كِرَّ يا عنترَة . » فقال عنترَة : « العبد لا يُحْسِنُ الكِرَّ ، انما يحسن الجلاب والصر (٦) . » فقال : « كِرَّ وانت حرٌّ فكَرَّ ، وقاتل يومئذ قتالاً حسناً ، فادعاه ابوه بعد ذلك ، والحقه بنسبه . »

وحكى غير ابن الكلبي : « ان السبب في هذا ان عبساً اغاروا على طيء ، فاصابوا نِعْمَةً فلما ارادوا القسيمة قالوا لعنترَة : « لا نقسم لك نصيباً مثل انصابتنا لانك عبد . » فلما طال بينهم الحطَبُ ، كرت عليهم طيء . فاعتزلهم وقال : « دونكم القوم فانكم عددٌ هم . » واستنقذت طيء . الابل . فقال له ابوه : « كِرَّ يا عنترَة . » فقال :

(١) المُنْغَلِسُ : السائر في الغلَس وهو ظلمة آخر الليل . (٢) الفلحاء : موث الافلح وهو المشقوق الشفة السفلى ، وانما قيل له الفلحاء بالتأنيث حملاً على تأنيث اسمه او على ارادة الشفة الفلحاء . (٣) اغربة : جمع غراب ويضرب به المثل في السواد . (٤) السليك : تصغير السلك وهو فرخ القطا او الحجل وموئته السلكة . (٥) ضبطها بعضهم زُبَيْبَةُ بفتح الزاي . (٦) الجلاب : مصدر حلب الشاة وغيرها . الصر : ان يشد ضرع الناقة بالصرير لتلا برضعها ولدها .

« أَوْ يُحْسِنُ الْعَبْدُ الْكُرَّ؟ » فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : « الْعَبْدُ غَيْرُكَ . » فَاعْتَرَفَ بِهِ ، فَكَّرَ وَاسْتَنْقَذَ النَّعْمَ .

اغترفه وسجاعته

وَكَانَ أَشَدَّ أَهْلَ زَمَانِهِ ، وَاجْرَأَهُمْ فُؤَاداً ، وَاسْتَخَاهُمْ يَسْداً . وَهُوَ عَلَى شَجَاعَتِهِ وَشِدَّةِ بَطْشِهِ ، حَلِيمٌ ، لَيْنُ الطَّبَاعِ ، سَمِحُ الْمَخَالَفَةِ^(١) إِذَا لَمْ يُظْلَمَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :
أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ ، فَإِنِّي سَمِحٌ مُخَالَفَتِي ، إِذَا لَمْ أُظْلَمَ .
وَكَانَ عَفِيفَ النَّفْسِ وَاللِّسَانِ ، لَا يَتَعَهَّرُ وَلَا يَفْحَشُ . وَهُوَ الْقَائِلُ :

وَأَغْضُ طَرْفِي ، مَا بَدَّتْ لِي جَارَتِي ، حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَاوَاهَا
وَلَمَّا أُنشِدَ النَّبِيُّ قَوْلَهُ :

وَأَقْدَأُ بَيْتُ عَلِيٍّ الطَّوِيُّ ، وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ التَّمَاكِلِ^(٢)
قَالَ : « مَا وَصَفَ لِي أَعْرَابِي قَطُّ ، فَاحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ ، إِلَّا عَنَتَهُ . »

وَرُوِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ، وَكَانَ مُعَاوِرًا لَهُ ، أَنَّهُ قَالَ : « لَوْ سَرْتُ بِظُلْمِينَةٍ^(٣) وَوَحَدِي عَلَى مِيَاهِ مَعْدَرٍ كُلِّهَا ، مَا خِفْتُ أَنْ أَغْلِبَ عَلَيْهَا ، مَا لَمْ يَلْقَانِي حُرَّاهَا أَوْ عِبْدَاهَا . فَمَا الْحُرَّانُ فَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، وَعُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ . وَامَا الْعَبْدَانُ فَاسْوَدُ بْنُ عَبْسٍ » يَعْنِي عَنَتَهُ « وَالسُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ ؛ وَكُلُّهُمْ لَاقِيَتْ . فَمَا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَسَرِيعُ الطَّعْنِ عَلَى الصَّوْتِ ، وَامَا عُتَيْبَةُ فَأَوَّلُ الْحَيْلِ إِذَا أَغَارَتْ ، وَآخِرُهَا إِذَا آبَتْ^(٤) ، وَامَا عَنَتَهُ فَعَقِيلُ الْكَبُورَةِ ، شَدِيدُ الْجَلْبِ^(٥) ، وَامَا السُّلَيْكُ فَبَعِيدُ الْغَارَةِ كَاللَّيْثِ الضَّارِي . »

وَحَدَّثَ عَمْرُ بْنُ شَبَةَ قَالَ : قَالَ عَمْرُ بْنُ الْحَطَّابِ لِلْحُطَيْبَةِ : « كَيْفَ كُنْتُمْ فِي حَرْبِكُمْ ؟ » قَالَ : « كُنَّا الْفُؤَادِ فَارِسِ حَازِمٍ . » قَالَ : « وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ » قَالَ : « كَانَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ فِينَا وَكَانَ حَازِماً ، فَكُنَّا لَا نَعْصِيهِ . وَكَانَ فَارِسَنَا عَنَتَهُ ، فَكُنَّا

(١) سَمِحُ الْمَخَالَفَةِ : أَي سَهْلُ الْمَخَالَفَةِ . (٢) الطَّوِيُّ : الْجَوْعُ . (٣) الظَّالِمَةُ : الْمَرَأَةُ فِي الْهُدُوجِ . (٤) آبَتْ : رَجَعَتْ . (٥) الْكَبُورَةُ : السَّقَطَةُ . الْجَلْبُ : الصِّيَاحُ .

نحمل اذا حمل ونحجم اذا احجم . وكان فينا الزبيع بن زياد ، وكان ذا رأي ، فكننا نستشيريه ولا نخالفه . وكان فينا عروة بن الورد ، فكننا نأتم بشعره . فكننا كما وصفت لك . « فقال عمر : « صدقت . »

وقال الهيثم بن عدي : قيل لعنترة : « أنت اشجع العرب واشدها ؟ » قال : « لا . » قيل : « فماذا شاع لك هذا في الناس ؟ » قال : « كنت اقدم اذا رأيت لاقدام عزوا ، واحجم اذا رأيت الاحجام حزموا ، ولا ادخل موضعاً الا اري لي منه مخرجاً . وكنت اعتمد الضعيف الجبان ، فأضربه الضربة الهائلة ، يطير لهسا قلب الشجاع ، فائني عليه فأقتله . »

وفائعه

لعنترة كثير من الوقائع المشهورة ولكن اضيف اليه ما ليس له حتى اشتبه الصحيح بالموضوع . وقد حضر حرب داحس والغبراء^(١) فأحسن فيها البلاء وهدمت مشاهده ، وفيها قتل ضمضاً المري ابا حصين وهرم . ولذلك قال :

وَأَقْدَحَيْتُ بَانَ أُمُوتَ وَلَمْ تَدْرُ / لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي ضَمْضَمٍ
الْشَّاتِمِي عَرِضِي وَلَمْ أَشْتَهَمَا ، / وَالنَّادِرِينَ ، إِذَا لَمْ أَقْتَهَمَا ، دَمِي^(٢)
إِنْ يَفْعَلَا ، فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا / جَزَرَ السَّبَاعِ وَكَلَّ نَسْرَ قَشَمٍ^(٣)

عنه لعنه

واحب عبلة ابنة عمه مالك بن قراد ، فهاجت شاعريته واتسع خياله ، فنظم القصائد الطوال ، وازداد طموحاً الى المعالي ، فجد في طلبها ، ليمحو ببيض فعاله سواد لونه . واني له ان يطمع فيها وهو عبد لم يعترف به ابوه ، وانكره ابنا . عمه ، فقامر لاجلها ولاقى اشد الاهوال حتى بلغ امنيته فألحقه ابوه بنسبه ، وزوجه عمه ابنته .

(١) راجع خبر هذه الحرب في بحث زهير بن ابي سالى . (٢) النادرين : من نذر الشيء على نفسه اوجبه . يقول : يوجبان على انفسها سفك دمي اذا لم ارهما ، يريد احصا يتوعدانه في حال غيبته فاما في حال الحضور فلا يتجامران عليه . (٣) جزر السباع : فريسة السباع . القشع : النسر المسن . يقول : ان يشتاني ويتوعداني فلا بدع لاني قتلت اباها .

اختلف بموته ، فقال ابن حبيب وابن الكلبي : « اغار عنزة على بني نهبان من طي . فاطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير ، فجعل يرتجز ، وهو يطردها ، ويقول :

حَظُّ بَنِي نَهْبَانَ مِنْهَا الْأَخْبَثُ كَأَنَّما آثَارُها بِالْحِثِّ
آثَارُ ظُلْمَانَ بِقَاعٍ مُخَدَّثِ^(١)

وكان وزر بن جابر النبهاني في فتوة ، فرماه وقال : « خذها وانا ابن سلمى ! »
فقطع مطاه^(٢) فتعامل بالرماية^(٣) حتى اتى اهله فقال وهو مجروح :

وَإِنْ أَبْنُ سَلْمَى عِنْدَهُ ، فَأَعْلَمُوا ، دَمِي وَهَيْهَاتَ الْأَيُّرْجَى أَبْنُ سَلْمَى وَوَلَادِمِي
إِذَا مَا تَمَشَّى بَيْنَ أَجْبالِ طِيءٍ مَكَانَ الثَّرِياءِ ، لَيْسَ بِالْمَتَهَضِّمِ^(٤)
رَمَانِي ، وَلَمْ يَدَهْشْ ، بِأَزْرَقٍ لَهْدَمٍ عَشِيَّةً حَلُّوا بَيْنَ نَفْسٍ وَمَخْرَمِ^(٥)

وقال ابن الكلبي : « وكان الذي قتله يلقب بالاسد الرهيص^(٦) »

وذكر ابو عمرو الشيباني : « انه غزا طيئاً مع قومه ، فانهزمت عبس ، فخر
عنزة عن فرسه ، ولم يقدر من الكعبان يعسود فيركب ، فدخل دغلاً^(٧) وابصره
ريثة^(٨) طي . فترل اليه ، وهاب ان يأخذه اسيراً ، فرماه وقتله . »

وقال ابو عبيدة : « انه كان قد اسن واحتاج ، وعجز بكعبه عن الغارات .
وكان له على رجل من غطفان بعير ، فخرج يتقاضاه اياه ، فهاجت عليه ريح من

(١) يقول : حظ بني نهبان من هذه الطريدة اخبت الحظوظ وكان اثار اقدامها وانا
اطردها امامي في الحثيث « موضع » اثار ظلمان في قاع مهد ومسوى تراه . والظلمان :
جمع ظلم وهو ذكر النعام . والقاع : ارض سهلة مطبنة انفرجت عنها الجبال والاكام .
(٢) المطا : الظهر . (٣) الرمية : السهم الذي رمي به . (٤) الثريا : سبعة كواكب في
عنى الثور ، والثور : اسم نجم . المتهدم : الذليل المقصوب . يقول : هو يتمشى في جبال
طيء غير ذليل ولا ينصب مكانه فكأنه في الثريا . (٥) لم يدهش : لم يتحير . الازرق :
السهم . الاهدم : الطويل الحاد . نف ومخرم : موضعان . (٦) الاسد الرهيص : الثابت
في مكانه ، والرهيص : الحائط المني : (٧) الدغل : الشجر الكثير اللثف . (٨) الريثة :
طليعة الحيش ، وهو الذي يقف في مكان عال لمراقبة الاعداء .

صيف وهو بين شرح وناظرة^(١) فاصابته وقتلته . « على ان الرواية الاولى اشهر
الثلاث . ومات عنقرة بعد ان بلغ التسعين .

اماره

ديوان شعر مشهور ، اصابه كثير من النحل لطول ما تداوله الرواة
والقصاصون . واكثره في الفخر والحماة ، وذكر الوقائع ، والغزل العفيف بابنة
عمه عبلة ، وقليل منه في المدح والثناء . واشهر شعره المعلقة ، وهي السادسة بين
السبع الطوال . وكان السبب في نظمها ، ما روي من انه جلس يوماً في مجلس ، بعدما
كان قد ابلى ، وحسنت وقائمه ، واعترف به ابوه واعتقه ، فسابه رجل من بني
عبس ، وذكر سواده وسواد امه واخوته ، وانه لا يقول الشعر ، فسبه عنقرة وفخر
عليه وقال :

« وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ لَيَتَرَافِدُونَ ^(٢) لِلطَّعْمَةِ ^(٣) فَمَا حَضَرْتَ أَنْتَ وَلَا أَبُوكَ
وَلَا جَدُّكَ مَرَّافِدَ ^(٤) النَّاسِ قَطُّ . وَإِنَّ النَّاسَ لَيَدْعُونَ فِي الْغَارَاتِ ،
فَيَعْرِفُونَ بِتَسْوِيهِمْ ^(٥) ؛ فَمَا رَأَيْتَكَ فِي خَيْلٍ مُغِيرَةٍ ، فِي أَوَائِلِ النَّاسِ قَطُّ .
وَإِنَّ اللَّبْسَ ^(٦) لَيَكُونُ بَيْنَنَا ، فَمَا حَضَرْتَ أَنْتَ وَلَا أَبُوكَ وَلَا جَدُّكَ
حُطَّةَ الْفُضْلِ ^(٧) . وَإِنَّمَا أَنْتَ فَفَعٌ بِفَرَقَرٍ ^(٨) . وَإِنِّي لَأَحْضِرُ النَّاسَ ^(٩) ،
وَأُوفِي الْمَغْنَمَ ، وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَأَجُودُ بِمَا مَلَكَتْ يَدَيَّ ، وَأَفْضِلُ
الْحُطَّةَ الصَّمَاءَ ^(١٠) . وَلَمَّا أَلْشِعْرُ فَسَتَعْلَمُ . »

(١) شرح وناظرة : ما ان لبني عبس . (٢) يتراقدون : يتعاونون : (٣) الطعمة :
الدعوة الى الطعام . (٤) المرافد : مجامع الرفد اي العطاء . (٥) التسويم : الاغارة .
(٦) اللبس : الخبرة والتباس الامور واختلاطها . (٧) حطه الفصل : طريقة فصل الامور .
(٨) الفقع : الكماة الرخوة البيضاء . الفرقر : الارض المنخفضة . ومن امثالهم : « هو
أذل من فقع بقرقر » . (٩) احضر الشيء : جعله حاضراً . البأس : الشدة على الحرب .
يقول : انه يجعل البأس حاضراً طوع امره . ويجوز ان يؤخذ البأس بمعنى الحرب على سبيل
المجاز فيكون المعنى : اني احضر الحرب . (١٠) الصماء : الصعبة كالصخرة الصماء .

ثم انشأ معلقته ، وكان لا يقول قبل ذلك البيتين او الثلاثة ، فتنزل في اولها ، ثم وصف ناقته ، ثم تحاى الى الفخر بشدة بأسه وذكر وقائعسه . وكانت العرب تسميها الذهبية .

على اننا لا نظمن الى زعم الرواة ان المعلقة اول قصيدة انشأها عنزة ، وانه لم يكن ينظم قبلها الا البيتين او الثلاثة . فلعنزة قصائد كثيرة تقدمت المعلقة ، والرواة انفسهم يعترفون بها ويروونها له . وليس من المعقول ان تبقى قريحته خامدة عن نظم الشعراء اوماً طويلاً لا يؤثر فيها حب عبلة ، ولا الوقائع التي شهدها ، خصوصاً حرب داحس والغبراء . وقد حضرها وابلى فيها البلاء الحسن ، وذكرها في معلقته . ومن المعلوم ان هذه الحرب انتهت حوالي سنة ٦٠٩ م ، اي قبل وفاة الشاعر ببضع سنوات . فسواء نظمت المعلقة بعد الحرب ، او في اثنائها ، فان عنزة كان متقدماً في السن لما انشأها . فكيف ينبغي لنا ان نسلم بما زعم الرواة ، وهم يذكرون للشاعر قصائد قيلت قبل هذه الحرب ، وقبل ان يعترف به ابوه ، ويوم كان يضربه بالعصا ضرباً مبرحاً حتى شفعت به سمية^(١) بعد ان شكته اليه ، فقال فيها شعراً جميلاً لا يصح ان يكون من اوائل نظمه . فكيف يصح ان تكون المعلقة اولى قصائده وهي « نادرة » كما وصفها ابن سلام في « طبقات الشعراء » ولم ينظمها الشاعر الا بعد ان كبر وعشق ولقي الاهوال ، فأخلق بقريحته ان تتفتق للشعر في هنفوان الشباب ، بعوامل الحب والحماسة ، والجد في طلب المعالي ، لا ان يكون بدء ولادتها في خريف العمر او في شتائه . . .

هذا ولعنزة قصة شهيرة سنأتي على ذكرها في العصر الذي جمعت فيه وهو العصر العباسي الثالث .

مبزنه

عرفنا عنزة عبداً اسود ، احب ابنة عمه فلم يستطع الوصول اليها ، وهو غير حريينكره ابوه . وعرفناه فارساً مغواراً ، جري الفؤاد ، طامحاً الى المعالي . وعرفناه

(١) سمية : زوجة ابيه شداد .

كريمًا جواداً ، وجليماً سهل المخالقة ، وعفيفاً شريف النفس ايها ، لا يغمض على قذى^(١) فلا غرو ان تظهر جميع هذه الصفات على شعره ، ويكون لها اثر كبير فيه ، ولا سيما اثر ذلك النضال العنيف الذي اشترك فيه من ناحية حبه ووجهه في طلب المعالي . ومن ناحية اخرى عبوديته وسواد لونه ، فترك في شعره مرارة وألماً هما صورة لما في نفسه من ألم العبودية والحب ومرارة التعيير . وترك فيه ايضاً تلك الحماسة التي تتمثل بها شجاعته ونفسه الطموح .

غزله

لم يكن عنتره ناعماً في حبه فتظهر آثار هذه النعمة على شعره ، بل كان شقياً تاعساً يطمع في عبلة ، فيبعده عنها والدها ، ويحاول استرضاءه فلا يجد الى ذلك سبيلاً . فكان اذا تغزل تألم وشكا . وليس في غزله غير شكوى وآلام . وحسبك ان تقرأ شيئاً منه حتى تبدو لك هذه الحفاصة المحزنة ، وتتمثل لك حالة الشاعر في يأسه واشجانه . قال مستهلاً معلقته :

يَا دَارَ عَبَلَةٍ ، بِالْجَوَاهِ ، تَكَلِّمِي ، وَعَمِّي صَبَاحاً دَارَ عَبَلَةٍ وَأَسْلَمِي^(٢) ،
دَارٌ لِأَنْسَةٍ غَضِيضٍ طَرْفُهَا ، طَوْعَ الْعِنَاقِ ، لَذِيذَةِ الْمُتَبَسِّمِ^(٣) ،
فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي ، وَكَأَنَّهَا فِدْنٌ ، لِأَقْضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ^(٤) .

(١) القذى : ما يقع في العين فيؤذيها . يقال : لا يغمض على قذى أي يأبى الذل والضم .

(٢) الجواه : موضع في نجد . والمشهور ان مطلع المعلقة :

هل غادرَ الشعراء من مُتَرَدِّمٍ أم هل عرفتَ الدارَ بعد نوم

المتردم : المرقع . يقول : لم يترك الشعراء فناً من فنون الشعر الا طرقوه ، والاستفهام هنا انكاري . ثم اضرب عن هذا الكلام وأخذ في فن آخر فقال مخاطباً نفسه : هل عرفت دار حبيبتك بعد أن تقرست فيها ، وأم هنا بمعنى بل . ولا يخفى ما في هذا البيت من الاضطراب وعدم الالتحام بين الصدر والمعجز ، لذلك فضانا ان نبشئ بالبيت (الثاني) ، ولا سيما ان كثيراً من الأئمة الاقدمين يعدونه مطلع المعلقة ، كالأصمعي وابن سلام وابن عبد ربّه .

(٣) الأنسة : الجارية التي تأنس بك . الغضيب : القاتر الاجفان . المتبسم : صفة لوصوف

مخدوف أي الفم المتبسم . (٤) الفدن : القصر . المتلوم : المنتظر . يقول : فحبست ناقتي فيها

لاقضي حاجتي التي انتظر . . وشبهه ناقته بالقصر في عظم جرمها .

وَتَعْلُ غَبْلَةٌ بِالْجِوَادِ ، وَأَهْلُنَا
 حَيْثَ مِنْ طَلَلٍ ، تَقَادِمَ عَهْدُهُ ،
 حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّرَائِرِينَ ، فَأَصْبَحَتْ
 عَلِقَتْهَا عَرْضًا ، وَأَقْتَلُ قَوْمَهَا
 وَقَدْ نَزَلَتْ ، فَلَا تَطْئِي غَيْرَهُ ،
 إِنْ كُنْتِ أَرْمَعْتِ الْفِرَاقِيَّ ، فَإِنَّمَا
 مَا رَأَعِي إِلَّا حَمُولَةَ أَهْلِهَا

ومن قوله :

أَعَاتِبُ دَهْرًا لَا يَلِينُ لِتَأْصِحَ ،
 وَقَوْمِي مَعَ الْأَيَّامِ عَوْنٌ عَلَى دِمِي ،
 وَقَدْ أَبْعَدُونِي عَنْ حَبِيبِ أُحْبَهُ ،
 وَقَدْ هَانَ عِنْدِي بِذَلِكَ نَفْسٌ عَزِيزَةٌ ،

وله :

بَيْنَ الْعَتِيقِ ، وَبَيْنَ بُرْقَةِ تَهْمِدِ ،
 طَلَلٌ لِعَبْلَةٍ مُسْتَهْلٍ الْمَهْمَدِ (١١)

(١) الجواد والحزن والسمان والمثلثم : اسماء مواضع . (٢) اقوى : خلا من سكانه .
 أم الهيثم : كنية عبلة . (٣) الزرائرين : الاعداء جعلهم يزأرون زئير الاسد . يقول :
 تزلت الحبيبة بأرض الاعداء فمسر علي طلبها . وانتقاله من الغائب الى المخاطب صورة بيانية
 جميلة تعرف بالالتفات . (٤) علقها : احببتها . عرضاً : فجاءة من غير قصد . زعماً :
 طمعاً . بزعم : بطمع . يقول : احببتها وانا اقاتل قومها ، ثم قال : لعمر ابيك اني اطعم
 في حبك طمعاً لا موضوع له . (٥) غيره : أي غير المحب المكرم . (٦) أزعج : عزم . زومت :
 شدت . ركابكم : ابلكم . يقول : ان عزمت على الرحيل فاني شعرت بزم ابلكم في ليل مظلم .
 (٧) راغي : افزعني . الحمولة : الابل . تسف : تأكل . الحسخم : بقلة لها حب اسود . يقول :
 ما اخافني الا استغاف اهلها حب الحسخم وسط الديار فعلمت ان المرعى انقضت مدته وحسان
 الرحيل . (٨) القنا : الرماح . الصفائح : السيوف . (٩) نازح : بعيد . (١٠) الجوانح : الاضلاع
 تحت الترائب مما يلي الصدر سميت بذلك لانخائها وميلها ، واحدها جانحة . (١١) العتيق :

يَا مَسْرَحَ الْأَرَامِ فِي وَادِي الْجَمِيٍّ !
 فِي أَيَّمَنْ الْعَلَمِينَ دَرَسُ مَعَالِمٍ .
 مِنْ كُلِّ فَاتِنَةٍ تَلَقَّتْ جِيدَهَا
 عَبَلٌ كَمْ يُشْجِي فُؤَادِي بِالنَّوَى ،
 كَيْفَ السُّلُوكِ ؟ وَمَا سَيِّغَتْ حَمَائِمًا
 وَلَقَدْ حَبَسْتُ الدَّمْعَ لَا بُخْلًا بِهِ ،
 وَسَأَلْتُ طَيْرَ الدُّوْحِ : « كَمْ مِثْلِي شَجَا
 نَادِيَّتُهُ ، وَمَدَامِعِي مُنْهَلَةٌ :
 لَوْ كُنْتُ مِثْلِي مَا آسَتْ مَلُونًا ،

هَلْ فِيكَ ذُو شَجْنٍ يَرُوحُ وَيَقْتَدِي ؟
 أَوْ هِيَ بِهَا جَلْدِي ، وَبَانَ تَجَلْدِي (١)
 مَرَحًا ، كَسَالِقَةِ الْغَزَالِ الْأَغْيَدِ (٢)
 وَيَرُوعُنِي صَوْتُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ ! (٣)
 يَنْدُبُنْ ، إِلَّا كُنْتُ أَوَّلَ مُنْشِدِ (٤)
 يَوْمَ الْوَدَاعِ ، عَلَى رُسُومِ الْمَعْهَدِ (٥)
 بِأَيْنِيهِ ، وَحَنِينِهِ الْمُرْتَدِّدِ ؟ (٦)
 « أَيْنَ الْحَلِيِّ مِنْ الشَّجِيِّ الْمَكْمَدِ ! (٧)
 وَهَتَفْتَ فِي غُضْنِ التَّقَا الْمَتَاوُدِ » (٨)

الوادي ، واسم موضع . البرقة : ارض ذات حجارة وطين . شهيد : مكان في نجد . مستهل :
 منهل . المعهد : المطر يأتي بعد مطر .

(١) المسرح : المرعى . الارام : الظباء ومفردها رثم . يقول : هل فيك ذو شجن مثلي
 يروح ويقتدي ، أي هل في ظيانتك . (٢) العليمين : الجليين . الدرس : الطريق الحفي . المعالم :
 ما يستدل به على الطريق من اثر ونحوه . أو هي : أضعف . الجلد : القوة والصبر على
 الامور . بان : غاب وبعد . تجلدي : تكلفني القوة والصبر . يقول : في الجهة اليسرى من
 الجبل آثار طريق خفي ، وقفت استدل بها على ديارم فخارت قواي من الجزع وغاب عني
 صبري وتكلفني القوة . (٣) جيدها : عنقها . مرحاً : تبحراً واختيالاً وبطراً . السالفة :
 صفحة العنق وناحية مقدمها من لدن معلق القرط الى الترقوة . الاغيد : المائل العنق اللين
 الاعطاف ويستحب ذلك منه . يقول : كان في هذه الديار كل مليحة فأنته يتلفت عنقها تبحراً
 وبطراً كأنه في تلفته صفحة عنق الغزال الاغيد . (٤) النوى : البعد . وصوت الغراب عند
 العرب شوئم نذير بيفرق الخلان . (٥) يقول : كيف لي ان اسلك يا عبلة وانا كلما سمعت
 حمامة تنوح على الفها تذكرك وكنت اول من ينوح معها . (٦) المعهد : المتزل . يقول :
 حبست دمي يوم وداعها ونحن واقفان على رسوم المتزل ، ولم احبسه بخلاً به ولكن حذراً . من
 ان ينم بي ويفضح امري . (٧) الدوح : الشجر . شجا : احزن واطرب من الاضداد .
 الحنين : الاشتياق وشدة البكاء ، وصوت الطرب عن حزن او فرح . يقول : وسألت
 طائر الدوح كم احزن او اطرب مثلي من امساق باينته وحنينه المتردد . وقد اكتفى بارجاع
 الصفة في « المتردد » الى احد الموصوفين لعدم الالتباس . (٨) يتدلل بقولهم : اين الحلي من
 الشجي ، أي اين حلي الفؤاد من حزينه . (٩) التقا : قطعة من الرمل تنقاد محدودية . المتأود :

رَفَعُوا الْقِيَابَ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَشْرَقَتْ
 وَأَسْتَوْقَفُوا مَاءَ الْعَيْنِ ، بِأَعْيُنِ .
 قَالُوا : «اللقاءُ غداً يُنْعَرَجُ اللَّوَى»
 فِيهَا ، فَغَيَّبَتِ السَّمَى فِي الْفَرْقَدِ (١)
 مَكْحُولَةٌ بِالسِّحْرِ ، لَا بِالْإِيمِدِ (٢)
 وَأَطْوَلَ شَوْقَ الْمُسْتَهَامِ إِلَى غَدَا (٣)
 بَيْنَ الطَّلُولِ ، مَحَتِ نُفُوشَ الْمِبْرَدِ (٤)

ألا ترى في هذا الغزل المحزن عاطفة صادقة كل الصدق في تصوير آلام صاحبها
 ويأسه؟ وما أشد ألمه ويأسه عندما يطلب ابنة عمه فيجدها في ارض أعدائه ،
 في ارض من يقاتلهم ويقتلهم ، فيقول : احبك ، واقتل قومك ، واطمع فيك
 وليس لي من مطمع . وينظر الى نفسه ، فيرى انه وحيد تحلى قومه عنه ، وجاروا
 عليه ، وابعده عن حبيب يحبه فيقول : « وقومي مع الايام عون على دمي » .
 ويتملكه اليأس فيهون عليه بذل نفسه العزيزة ، غير آسف عليها . وهو متطير
 يروعه صوت الغراب ، وشجي يبيكيه نوح الحمام ، وجزوع فارغ الصبر ، لا يقوى
 على انتظار اللقاء في الغد . واطول شوق المستهام الى غدا و اوصيك ان تنقبه
 الى وصفه انفاسه الحارة بين الطلول ، وقوله : « محت نفوش المبرد ! . . . »

محماسية

ولم ترافق عبلة عنترة في شعره الغزلي وحده ، بل رافقته في شعره الحماسي
 ايضا ، وكثير ذكرها في هذا كما كثر ذكرها في ذاك . ولا بدع ان ترافقه في فخره

المثالي . يقول مخاطباً حمام الدوح : لو كنت حزيناً مثلي لما بقيت مزيناً بالوان ريشك وغنيت
 على غصن الرمل المثالي .

(١) القياب : الحيام ، وهنا بمعنى الموادج ، مفردها قُبَيْة . السهى : كوكب خفي .
 الفرقد : نجم . وما فرقدان . يقول : رفعا الموادج ساعة الرحيل على نساء اشرفت وجوها
 فحجبت انوار النجوم . (٢) الائمد : الكحل . يقول : رفعا الموادج للرحيل واستوقفوا
 دمع عيوننا باعين فتيات نظرن اليانا ملتصقات عدم البكاء خوف الفضيحة ، فاطعننا كأن
 عيونهن في ساطعها كحلت بالسحر لا بالإيمد . (٣) المنعرج : المنعطف بمنة وبسرة . اللوى :
 ما التوى من الرمل . (٤) يقول : وتحسب انفاسي ، وانا ارددها بين طلوع الحبيبة بمد رحيلها ،
 انها لشدة حرارتها لو سقطت على مبرد لاذابت نفوشه ومحتها .

وحماسة وذكر حروبه ، فلما هو يفتخر ويغامر من أجلها . وإذا لم يكن لديه من
الجمال وكرم المحند ما يشفع به اليها ، أفلا يسعى لارضائها بوصف شجاعته ، وجوده ،
وعفته ، وذكر وقائمه ومشاهده ؛ حتى إذا ذكرها في مجلس تستطيع ان ترفع
رأسها به . وهنا يبدو لك اثر النضال العنيف بين حبه ، وسواد لونه ، وضعة نسبه .
قال في معلته يفتخر ببطشه ، وحسن اخلاقه وابائه ، وشربه الخمر ، وكرمه في
حالي السكر والصحو :

- (١) إِنْ تُغْدِي دُونِي الْقِنَاعَ ، فَإِنِّي طَبُّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلِمِ .
 (٢) أَتَيْتُ عَلِيَّ بِمَا عَلِمْتُ ، فَإِنِّي سَمِحٌ مُخَالَفِي ، إِذَا لَمْ أَظْلَمِ .
 (٣) فَإِذَا ظَلِمْتُ ، فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ ، مَرَّ مَدَاقِقَهُ ، كَطَعْمِ الْعَلَقِمِ .
 (٤) وَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ ، بَعْدَمَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ ، بِالْمَشُوفِ الْعَلَمِ .
 (٥) بَزْجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أُسْرَةٍ ، قُرِنَتْ بِأَزْهَرِ فِي الشَّمَالِ مُقَدَّمِ .
 (٦) فَإِذَا شَرِبْتُ ، فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعَرِضِي وَأَفْوُّ لَمْ يُكَلِّمْ .
 (٧) وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى ، وَكَمَا عَلِمْتَ شَمَائِلِي وَتَكْرَمِي .

(١) تغدي : ترخي . المستلم : اللابس اللائمة وهي الدرع : يقول : ان ترخي قناعك
دوني وتستري مني فكيف اعجز عن اخذك وانا لا اعجز عن اخذ الفرسان الدارعين .
(٢) سمح مخالفتي : سهل مخالفتي . (٣) باسل : هنا بمعنى كريمة . العلقم : الحنظل (الذي
ادركت مرارته . (٤) ركد : سكن . الهواجر : اشد اوقات النهار حرًا . المشوف :
المجلو . وقوله : المشوف المعلم : اي الدينار . يقول : شربت بعد ما سكنت هواجر النهار
من خمرة اشتريتها بالدينار ، والعرب تفتخر بشرب الخمر ولعب الميسر لأنها من دلائل الجود
عندها . (٥) بزجاجة : الباء متعلق بشربت . ذات أسرة : ذات خطوط ومفردها سرار .
بأزهر : بابر يق أزهر أي ايض . في الشمال : اي مبرد في ربيع الشمال . ومنه المشولة :
وهي الخمرة المبردة في ربيع الشمال . مقدم : مسدود بالقدم وهو مصفاة تجمل على فم
الابريق ليصفى بها ما فيه . (٦) لم يكلم : لم يرح . (٧) الندى : الجود . شائلي :
اخلاقي ، ومفردها شال . يقول : اذا شربت فانني استهلك مالي ، ثم احترس فقال : لكنني
احافظ على عرضي فيظل وافراً لا يرحه احد . ثم استدرك في البيت التالي لئلا يقصر جوده
على السكر فقال : واذا صحوت فلا اقصر عن ندى . وقد اجمع الرواة الاقدمون على تقدم

فقد رأيت كيف مجيد ذكر شمائله ليستميل اليه عبلة ، وينسبها سواد لونه ؛
فقد وصف نفسه باحسن الحلال واشرفها . وانظر اليه الآن كيف يصف لها بلاءه
في الحروب ، طالباً ان تسأل عنه من شهد الواقعة فيخبرها بفعاله . ويتخذ لذلك اسلوباً
قصياً رائعاً ، يجعل به قرنه اشد الفرسان ، تتحماهاه الابطال وتترك لقاءه ، ويجعله
كريم الاصل نبيلاً ، ليظهر فضله في التغلب عليه ، ثم يجود له بسنان رحمة او يعاونه
بشفرة سيفه قال :

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا بِنْتَهُ مَا لِكِ ۚ / إِنَّ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تُعَلَّمِي ۙ
يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقَيْعَةِ أَنَّنِي ۙ / أَغْشَى الْوَعْيَى ، وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ (١) ۙ
وَمُدْجِجٌ ، كَرِهَ الْكُمَاةَ نِزَاةً ۙ / لَا تُؤْمِنُ هَرَبًا ، وَلَا مُسْتَسْلِمًا (٢) ۙ
جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ۙ / بِمُتَّقِفِ صَدَقِ الْكُمُوبِ ، مُقَوْمٍ (٣) ۙ
فَشَكَّتْ بِالرَّمْحِ الْأَصْمَ ثِيَابَهُ ۙ / لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحْرَمٍ (٤) ۙ
فَتَرَكْتَهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُئُهُ ۙ / يَفْضُنُ حُسْنَ بِنَانِهِ وَالْمِعْصَمِ (٥) ۙ

هذين البيتين في باجها . وعيب على طرفة في هذا المعنى قوله مفتخراً بقومه :

فَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَانْتَشَوْا ۙ / وَهَبُوا كُلَّ أُمُومٍ وَطَيْمِرٍ ۙ
ثُمَّ رَاحُوا ، عَبَقَ الْمَسْكُ رِجْمٍ ۙ / يُلْحِفُونَ الْأَرْضَ هُدَابَ الْأَزْرِ ۙ

فذكر اضم يعطون اذا سكروا ولم يشترط ذلك في صحوهم كما فعل عنزة

(الاموم : المطية التي يؤمن عثارها . الطيمر : الفرس الجواد او المستعد للوثب والعدو .
يلحفون الارض : اي يجررون عليها هُدَابَ اَزْرِهِمْ اختيلاً . وهُدَابُ الْاَزْرِ : اطرافها .
والازر جمع ازار : وهو الملحفة وكل ما سترك)

(١) يخبرك : مضارع مجزوم لانه جواب الطلب وهو قوله : هل سألت . أعف عند
المغنم : اي يترك نصيبه من الغنائم فلا يأخذه . وما احسن ما ينسب اليه في ما يشبه ذلك :
لِي النَّفُوسِ وَلِلطَّيْرِ لِلحُومِ وَلَا / وَحَشِ الْعِظَامِ وَاللَّخْيَالَةَ السَّلْبِ
(٢) المدجج : التمام السلاح . الكمأة : الابطال . لا تؤمن هرباً : أي لا يقاعد هرباً .
ونصب هرباً على انه مفعول لاجله . (٣) بمتقف : برمح مقوم . صدق الكموب : اي صلبها .
والكعب : عقد الاناييب . (٤) الاصم : الصلب المتين . ثيابه : أي جسمه الحال في
ثيابه وهو مجاز مرسل . وقوله : ليس الكريم على القنا بمحرّم : اي ان قرنه رجل كريم
ولكن اجسام الكرام غير محرمة على الرماح . (٥) الجزر : الشاة الذبوحه . وقوله : جزر

واليك هذه الصورة البديعة التي يصف بها احدى معاركه فيرينا الابطال
تتقي به الاسنة ، وتحته على الاقدام ، والاعداء تلهج باسمه مشرعة رماحها الى صدر
جواده ، فاذا هو ركن المعمة وقوامها ، وحجر رحاها وثقالها :

وَأَقْدَحَفِظْتُ وَصَاةَ عَيْبِي بِالضَّعْيِ ، إِذْ تَقْلَصُ السَّفْتَانِ عَنْ وَضْحِ الْقَمِ ، ^(١)
فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي عَمْرَاتَهَا الْإِبْطَالَ ، غَيْرَ تَغْمَغِمِ ، ^(٢)
إِذْ يَنْتَقُونَ بِي الْأَسِنَّةَ ، لَمْ أَحْمِ عَنْهَا ، وَلِكَيْبِي تَضَائِقَ مُقَدِّمِي ^(٣)
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَنْبَهُمْ ، يَتَذَاوِرُونَ ، كَرَرْتُ غَيْرَ مُذْمَمِ ^(٤)
يَدْعُونَ عَنَتَهُ ، وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بَشَرٍ ، فِي لَبَانِ الْأَدْهِمِ ، ^(٥)
مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِشُغْرَةٍ فَخَرَّهَ ، وَكَبَارِهِ ، حَتَّى تَسْرِبِلَ بِالدَّمِ ^(٦)
فَأَزُورَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا ، فَزَجَرْتُهُ ، فَسَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ ، وَتَحَمَّخَمِ ^(٧)

السياب : اي فريسة السباع . يشنه : يتناولنه . يفضمن : يأكلن ويكسرن باطراف اسنانهن .
البنان : اطراف الاصابع . الممصم : موضع السوار من الساعد . وقوله : حسن بنانه
والممصم : كناية عن تغممه وترف عينه . وهو تأكيد لقوله في البيت السابق انه رجل كريم

(١) الوصاة : الوصية . تقصص : تقصص . وضح القسم : الاسنان . يقول : حفظت
وصية عمي باقتحام القتال في اشد احوال الحرب وهي حبال تقصص الشفاه عن الاسنان . أي
عندما نكسر الابطال فرقا من الحرب وتضايقا منها . (٢) حومة الحرب : معظمها . غمرات
الحرب : شدائدتها التي تغمر اصحابها اي تغلب قلوبهم وعقولهم . التغمم : صباح وجلب لا يفهم
منه شيء . يقول : اذ تقصص الشفتان في ساحة الحرب التي لا تشكو فيها الابطال الا يجلبسة
وصباح غير مفهومين . (٣) ينتقون بي الاسنة : يعملونني وقاية لهم منها . لم احم : لم اجبن
ولم اتأخر . المقدم : موضع الاقدام . يقول : حين اتقى بي الابطال اسنة اعدائهم لم اجبن
عنها ولم اتأخر ، ولكن تضايق موضع اقدامي لتألب الفرسان علي يريدون قتلي . وروى ابو
زيد القرشي والاعلم : ولو اني تضايق مقدمي . (٤) يتذامرون : يحض بعضهم بعضاً على القتال .
ويريد بالقوم : الاعداء . غير مذمم : غير مذموم . (٥) الشيطان : الحبال ومفردها
شطن . اللبان : الصدر . الادهم : صفة فرسه . يقول : رماح الاعداء ممدودة الى صدر
فرسه كأنها حبال البئر . (٦) الشغرة : النقرة بين الترقوتين . يقول : ما زلت ارمي الاعداء
بنحر جوادي وصدره حتى تحضب بالدم ، وصار الدم له بمترلة السربال وهو الثوب ، أي عم
جسده عموم السربال جسدا لابس . يقال : تسربل : لبس السربال . (٧) ازور مال واعرض .

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ أُسْتَكَى، ✓ وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ، مُكَلِّمِي (١)
 وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا ✓ قِيلُ الْفَوَارِسِ: وَيَكْ عَنْتَرٌ، أَقْدِمَا (٢)
 وَالْحَيْلُ تَفْتَحُهُمُ الْجَبَّارَ عَوَابِسًا، ✓ مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ (٣)

ولا ارى حاجة الى التنويه بجمال هذه الابيات ، ولا سياتي صور فيها شكوى
 فرسه . غير اني اريد منك ان تنظر الى قوله : « ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها »
 واي شفاء احب الى نفسه من ان تلوذ به الفوارس في حومة الحرب ، وتلقي آمالها
 عليه فتقول له : « ويك عنتر اقدم ! » ولطالما كانوا يميرونه أمه وسواده واعتلال
 نسبه ، فاصبحوا الآن يتقون به الاسنة في الوعى .

ولا بد لنا ، الكي نظهر في شعر عنتره خاصة الدفاع عن لونه ونسبه ، من ان
 نلجأ الى غير المعلقة ، الى الاشعار التي نظمها في الرد على معييره ، وعندئذ تم لنا
 صورة ذلك النضال الذي تكلمنا عليه ، وبان لنا شيئا كثيرا منه .

قال ابو عمرو الشيباني : « غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زهير ،
 فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم . فوقف لهم عنتره ولحقتهم كوكبة (٤) من الحيل
 فحامي عنتره عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِر . وكان قيس بن زهير سيدهم ، فسأه
 ما صنع عنتره يومئذ ، فقال حين رجع : « والله ما حمى الناس الا ابن السوداء . »
 وكان قيس اכולاً فقال عنتره يفتخر ويعرض به :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنصِباً شَطْرِي ، وَأَحْمِي سَاثِرِي بِالْمُنْصَلِ (٥)

زجرته : صحت به ودفعته . هذه رواية ابي زيد القرشي . وروى الاعلم والخطيب والزوزني :
 « فَاذْوَرَّ مِنْ وَقَعِ الْغَنِيِّ بِلَبَانِهِ » . التحمحم : صهيل الفرس ما كان له شبه حنين ليرق
 صاحبه له . يقول : قال فرسي واعرض مما اصابه من رماح الاعداء فصحت به وسفته فشكا
 الي با كياً محمحمًا ، أي نظر اليه ومحمم ليرق له .

(١) المحاوره : المخاطبة . يقول : لو قدر على المخاطبة لشكا الي ما اصابه من الجراح .
 وروى الاعلم العجز هكذا : « او كان يدري ما جواب تكلمي » . (٢) قيل : قول .
 ويك : ويلك . (٣) الحبار : الارض اللينة المسترخية التي لا يأمن السائر فيها من ان
 تفوس فيها ارجل دابته . وفي المثل : من تجنب الحبار أمن المثار . ورواية ابي زيد القرشي الفبار .
 الشيطمة : الفرس الطويلة . والذكر شيطم . الاجرد : القصير الشعر (٤) الكوكبة : الجماعة (٥) يقول

وَإِذَا أَلْ كَتَيْبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَلَا حَظَّتْ ،
 إِذْ لَا أَبَادِرُ فِي الْمَضِيقِ فَوَارِسِي ،
 وَالْحَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَنِّي
 وَقَدْ آيَيْتُ عَلَى الطَّوْرِ وَأَظْلُهُ ،

ومن ذلك ما ينسب إليه :

إِنْ كُنْتُ فِي عَدَدِ الْعَيْدِ ، فَهَيْتِي
 أَوْ أَنْكَرَتْ فُرْسَانُ عَيْسٍ نَسَبِي ،
 وَبِذَارِيْلِي ، وَمُهَنْدِي نِلْتُ أَعْلَى ،
 وَقَدْ يَفْتَخِرُ بِأَخْوَالِهِ نَكَايَةً بِمِجْرِيهِ فَيَقُولُ :
 وَأَنَا أَلْمُجْرَبُ فِي أَلْمَوَاقِفِ كُلِّهَا ،
 فَوْقَ الثَّرْيَا وَالسَّمَكَ الْأَعْزَلِ (٥)
 فَيَسْنَانُ رُمَحِي وَالْحَسَامُ يُقْرَأُ لِي (٦)
 لَا بِالْقَرَابَةِ وَالْعَدِيدِ الْأَجْزَلِ (٧)
 مِنْ آلِ عَيْسٍ ، مَنْصِيْبِي وَقَعَالِي (٨)

إني امرؤ نصف نسبي من والدي وهو خير بني عبس مكانة، وأما الباقي من نسبي الذي انتمى به إلى أمي فاحميه وأشرفه بمنصلي أي سيفي . وقوله سائري أي : الباقي مني .

(١) الكتيبة : القطعة من الجيش مجتمعة . احجمت : تأخرت . تلاحظت : صار يلحظ بعضها بعضاً مما تزل بها من الضيق والشدة . الفيت : وجدت . مع نخول : كرم الاعمام والاخوال . يقول : إذا حمي وطيس الحرب وتأخر الجيش وصار الفرسان يلاحظ بعضهم بعضاً مما تزل بهم من الضيق ، وجدت في أقدامي وبلائي ، خيراً من رجل كرم الاعمام والاخوال أي من رجل أبوه وامه من بني عبس وبريد به قيس زهير . (٢) الرعيل : القطعة القليلة من الجيش . يقول : لا استبق فوارسي إلى الحرب واتركهم في الشدة والضيق ، ولا أكون في القطعة من الجيش التي تنصرف قبل غيرها من ساحة الحرب . (٣) فيصلي : سيفي . (٤) الطوى : الجوع . يقول : : لست كمن يعيش ليأكل ولو كان الذل وراء طعامه ، ولكنني آييت على الجوع وابتقى عليه حتى أنال كرم المائل . وهذا البيت وما قبله تمريض بقر بن زهير سيد بني عبس ، لأنه كان أكلواً ، وكان في جملة المهزيمين . (٥) الثريا : سبعة كواكب في عنق الثور . (الساك الأعزل : اسم كوكب نير في جهة الجنوب . وهما ساكان : الأعزل والرامح . (٦) قوله : يقرئ لي ، على تقدير : فسنان رمحي يقرئ لي والحسام كذلك ، فاستغنى برد الضمير إلى أحد السابقين وهو تركيب غير مستنكر ولا سباً في الشعر . (٧) الذابل : صفة للرمح المستدق . المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . الاجزل : الاعظم . وبريد بالعديد الاجزل : كثرة الجيش والانصار . (٨) الفصائل : كرم الفعال والاخلاق .

مِنْهُمْ أَيْ حَقًّا ، فَهُمْ رِي وَالدُّ ، وَالْأُمُّ مِنْ حَامٍ ، فَهُمْ أَخْوَالِي (١)
 ثم يُفْرَطُ فِي حِمَاسِهِ فَيَقُولُ :

وَأَنَا أَلْتَمِيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ، وَالطَّغْنُ مِنِّي سَابِقُ الْأَجَالِ (٢)

أما الآن وقد اتضحت لنا ميزة الشاعر الفارس ، بما فيها من ألم ومرارة ، وعرفنا طارقه في استرضاء عيلة ، وفي فخره وحماسه ووصف وقائعه ، والدفاع عن نسبه ، والرد على معبريه ؛ فلا ينبغي لنا أن نغفل عن تلك العذوبة التي نتذوقها في شعره فإنه مثام في الرقة على غير ضعف ، سهل العبارة على غير اسفاف . ولا نعجب لوجود هذه الرقة في شعر عبد اسود خشن العيش ، هائل المنظر ؛ بل يجب أن ننظر الى اخلاقه الحسنة ، وتأثير الحب فيها ؛ فاننا شعره صورة لنفسه .

مترنه

لعنترة منزلة عالية في الشعر ، كما له منزلة عالية في الفروسية . وهو من الشعراء الذين يتنازع الرواة فيهم التقديم والتأخير . فقد روى الاصمعي عن ابن ابي طرفه قوله : « كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب (٣) والنايغة اذا رهب (٤) ، والاعشى اذا طرب (٥) ، وعنتره اذا كلب (٦) » ولمعلقاته قيمة ادبية ، لم يخسرها حقها الادباء الاقدمون . فان ابن سلام وصفها بقوله « قصيدة نادرة » ، وقال ابن رشيقي : « وقول عنتره : « هل غادر الشعراء من متردم . » يدل على انه يعد نفسه محدثاً ، قد ادرك الشعر بعد ان فرغ الناس منه ، ولم يغادروا له شيئاً . وقد اتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه اليه متقدم ، ولا تازعه اياه متأخر . »
ونحن يمكننا ان نختم هذا البحث بقولنا : عنتره في المعامع سيد الفرسان ، وعنتره في الحماسة سيد الشعراء . . .

(١) بنو حام : يراد بهم السودان . (٢) سابق الاجال : أي ان طغنه يجعل الاجال المكتوبة لامبار الناس تسبق اراضا . (٣) رغب : أي رغب في المدح . (٤) رهب : خاف . لانه نظم احسن قصائده وهو طريد خائف من الثمان . (٥) لانه كان يشرب ويطرب ويتفق بشعره . (٦) كلب : غضب .

الحرث بن حلزنة

(القرن السادس)

- حياته : من وجوه العراق . ينتمي الى ربيعة . عرف بالدعاء والرزانة . دافع عن البكرين يوم التقاضي بعد ان طرد خطيبهم النعمان . بهرص ، ضربت دونه سبعة ستور . اعجاب الملك وأمه بالقصيدة . رفع الستور السبعة ، وجلس الحرث قرب الملك واكله معه . القصيدة لم ترتجل ارتجالاً .
- مبالغات الرواة وتنافسهم ، واندفاعهم مع ميولهم . عمّر الحرث كعمرو ابن كلثوم
- آثاره : قليلة كأخباره . أهمها المعلقة وهي السابعة والاخيرة
- ميزته - المعلقة : قوة المعارضة . الدعاء السياسي . ارتجاله بعضها . هو كالمجامي يحتاج الى شيء . يبتدئه ساعة الدفاع . غزله ووصف ناقته التي يشبهها بالنعامة . يقتصد في الغزل كقتصاده في وصف النساقة . رده وفخره . نعمته في بسط شكوى الاراقم . رده على عمرو بن كلثوم . دحض شكوى التغلبيين والفاوة تبعه الحرب عليهم . اسلوبه الناعم الموجه في تعبيرهم . يذكر انكسارهم زاعماً اثم يطالبون بها قومه . استرضاء عمرو بن هند . آياته الثلاث . تنسيق دفاعه . الفوائد التاريخية عن ايام العرب . كثرة الايجاز . مترته : مثال للشعر الخطابي والشعر السياسي في الجاهلية

حياته

هو ابو ظالم الحرث بن حلزنة^(١) بن مكروه بن يشكر البكري من وجوه قومه في العراق ينتمي نسبه الى ربيعة . وكان حكيماً زينياً ، حسن المصانعة ، يجابه الخطوب بهدوء وروية ، وهو الذي دافع عن بني بكر يوم التقاضي في حضرة الملك

(١) الحلزنة : اسم دويبة تكون في صدف ، واسم للبوطة ، والذكر حلز . ويقال : امرأة حلزة للقصيدة والبخيلة . والحلز : السبي الخاق . وقال قطرب : حكي لنا ان الحلزة ضرب من النبات ولم نسمع فيه غير ذلك . اما سبب تسمية والد الحرث بالحلزة فلم يذكره احد من رواة اخباره .

عمرو بن هند ، بعد هلاك التغلبيين في ارض بني شيان ، كما ذكرنا في كلامنا على عمرو بن كلثوم . وقد علمنا ان النعمان بن هرم كان يومئذ خطيب البكرين ، وهو رجل اصم اصلح من شيوخ بكر ، من بني ثعلبة بن غنم بن يشكر .

فلما دخل النعمان على عمرو بن هند ، تحرش به عمرو بن كلثوم قائلاً : « يا اصم ، جاءت بك اولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك . » قال : « وعلى من اظلت السماء يفخرون ، ثم لا يُنكر ذلك . » قال عمرو : « والله لو لطمتُك لطمَةً لما اخذوا لك بها . » فقال النعمان : « والله لو فعلت ما أفلتَ بها انت و من فضلك . » فغضب عمرو بن هند من هذا التمريض وكان يفضل بني تغلب على بني بكر . فرمى النعمان بكلمة قارصة فرد عليه باشد منها ، فتلاطى الملك غيظاً وطرده من حضرته .

لا يرمع

فوقف عند ذلك عمرو بن كلثوم وانشد قسماً من معلقته ، ولكنه لم يحسن اصطیاد الفرص ، فقد بالغ في فخره حتى جاوز الحد ، ولم يرع حرمة الملك فعرض به حاسباً انه نال المرام من خصومه البكرين بعد ان طرد خطيبهم . واذا بالحرث ابن حلزة يصدمه بمعلقته ، فيصلح بها ما افسد النعمان .

وكان ابن حلزة شاعر بكر ، قد اعد قصيدة لهذا اليوم ورواها جماعة من قومه ، فلما قاموا بين يديه لم يرضه انشادهم ، فقال : « اني لا ارى احداً يقوم بها مقامي ، لكن اكره ان اكلم الملك من وراء سبعة ستور وينضح ^(١) اثري بالماء اذا انصرفت عنه . » وكان الحرث به وضح ^(٢) ، فأشفق من ان يفعل به الملك ما يفعل بسائر البرص ، وقد جرت له عادة بذلك لكبريائه وعظم سلطانه . وقيل : بل هي عادة العرب في ذلك العصر .

فلما طرد النعمان بن هرم ، وانشد ابن كلثوم قصيدته ، خاف الحرث على قومه وقال : « انا محتمل ذلك . » وقيل للملك ان به وضحاً ، فأمر بان تمد بينه وبين الحرث سبعة ستور ، فجعلت . وانشد الشاعر معلقته وهو يرتجف غضباً ، وكان متوكئاً على عنزة ^(٣) فأثرت في جسده دون ان يشعر لشدة غيظه . وبالغ الرواة في

(١) ينضح : ينسل . (٢) وضح : برص . (٣) عنزة : رمح صغير فيه حديدة .

هذه العترة ، حباً للاغراب ، فزعم ابن السيد في « ادب الكتاب » انها ارترت^(١) في جسده . وزعم بعضهم ان العترة كانت قوساً ، فاقتطعت^(٢) كفه وهو لا يشعر من الغضب .

ونحن نرى ان الرواة لا يقتصرون على الاغراب في قصتهم ، بل يُغربون ايضاً في الغاظها ، اعظماً لها ، فهم يستعملون ارترت بدلاً من غرز ، واقتطم بدلاً من اقتطع ؛ وفي ذلك ما فيه من التفنن والفكاهة .

وكان لقصيدة الحرث وقع حسن في نفس الملك فاعجب بها ، وكانت امه هند تسمع ، فقالت لابنها : تالله ما رأيت كاليوم قط رجلاً يقول مثل هذا القول ، يكلم من وراء سبعة ستور . « فقال الملك : « ارفعوا ستراً وأدنا الحرث . » وما زالت هند يزيد اعجابها به والمملك يقول : « ارفعوا ستراً وأدنا الحرث » حتى ازيلت الستور السبعة ، واقعدده قريباً منه على مجلسه ، ثم اطعمه في جفنته ، وامر ان لا ينضح اثره بالماء . ثم جز نواصي السبعين الذين كانوا في يده رهنأ من بكر ، ودفعا اليه ، فلم تزل تلك النواصي في بني يشكر يفتخرون بها . وضرب بالحرث المثل في الفخر : « افخر من الحرث بن حلزة . » وكان من اعجاب الملك بقصيدته ، أن امره ان لا ينشدها الا متوضئاً^(٣) .

وقد زعم الرواة ان الحرث ارتجلها ارتجالاً ، كما زعموا ان عمرو بن كلثوم ارتجل طويلته ، ومثل هذه المزاعم لا يعول عليها . وحسبك ان تقرأ معلقة بن حلزة ، وترى ما فيها من التنسيق الفكري ، واعمال الرويسة ، والدهاء في التعريض ، وسرد الحوادث التاريخية ، لتحكم انها ليست بنت ساعتها . ومن المعقول ان لا يشهد شاعراً بكر وتغلب يوم التقاضي الا وهما على اهبة للدفاع والنضال .

ولكن ما الحيلة في هؤلاء الرواة ، وهم في اكثر اخبارهم يصطنعون المقالة والاغراب ، ولا سيما اذا تناولوا في حديثهم قبيلتين مشهورتين بالعداء كتغلب وبكر ، ولا بد لكل قبيلة من رواة ينتسبون اليها ، او يجازيونها ؛ فكيف

(١) ارترت : غرزت . (٢) اقتطعت : اقتطعت . (٣) متوضئاً : مفننلاً .

تريد ان يجعل الراوية التغلبي، عمرو بن كلثوم يرتجل معلقته، ولا يجعل الراوية البكري الحرث بن حلزة يجاربه في الارتجال . وما يجدر بنا ذكره ان التنافس الجاهلي بين بكر وتغلب بقي له اثر قوي في الاسلام .

ويزعم الرواة ان الحرث بن حلزة عَمِرَ خمسين سنة ومائة كما يَأْتِيها عمرو بن كلثوم . ولعل في ذلك شيئاً من التنافس ايضاً . ولكنهم يجمعون على ان شاعر بكر كان شيخاً هرمأ يوم انشد معلقته ولم يكن شاعر تغلب يومئذ كذلك .

أما

آثار الحرث كاخباره، لم يصل إلينا منها غير القليل، ولولا المعلقة لما كان فيها غناء . وقد عرفنا الاسباب التي حملته على نظم معلقته، فنحن ندرسها مستندين الى هذه الاسباب . وهي السابعة والاخيرة بين القصائد الطوال .

سيرته - المعلقة

عرفنا ان عمرو بن هند طرد النعمان بن هرم خطيب البكرين، وعرفنا انه كان يؤثر تغلب على بكر . فكيف استطاع الحرث بن حلزة ان يستميل ملك العراق فيحمله على الحكم لقومه، بعد ان كان الفوز مضموناً للتغليبين ؟ وكيف اتبع له ان يرتق ما فتق سفاه^(١) النعمان بن هرم ؟

لا ريب ان اندفاع عمرو بن كلثوم في الفخر والحماة، والتعريض بالملك، مهد بعض السبيل لأن يصلح البكريون ما افسد خطيبهم . ولكن لا بد لمن يظطلع بهذا الخطب ان يكون كالحارث بن حلزة، ليس في الشاعرية وحدها، بل في الدهاء السياسي، وقوة المعارضة، ورباطة الجأش . فقد وقف الشاعر يدافع عن قومه مثقلاً بغضب الملك، وباشتمزازه من رؤيته، فلم تطر نفسه ولا فت في عضده . وكان له من الدهاء وقوة المعارضة ما رد به اقوال شاعر تغلب، واسترضى عمرو ابن هند . ونحن اذا انكرنا عليه ارتجاله المعلقة برمتها فلا ينبغي ان ننكر ارتجال

(١) السفاه : الجهل .

بعضها، فمَثَلُ الحَرْثِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ قَوْمِهِ مَثَلُ المَحَامِي البَلِيغِ الَّذِي يُعِدُّ خِطَابَهُ لِدِفَاعٍ عَنِ مَوَكِّلِهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي سَاعَةَ التَّقَاضِي عَنِ شَيْءٍ يَتَدَهَّهُ لِوَرْدِهِ حُجْجٍ خِصُومِهِ . وَسَمَرِي فِي دَرَسِنَا المَعْلَقَةِ آيَاتًا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا قِيلَتْ أَرْتَجَالًا .

الغزل ووصف الغافة

يبتدى الشاعر قصيدته بالتغزل وذكر الفراق فيقول :

أَذَنْتَنَا بِيَدَيْنِهَا أَسْمَاءُ ، رَبِّ تَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١)

ولكنه صاحب جدرٍ وحزم ، فما يطيل غزله ، بل ينتقل الى وصف ناقته التي يستعين بها على المهم :

غَيْرَ أَنِّي قَدْ اسْتَعِينُ عَلَى الِأَهْمِ - إِذَا خَفَ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ (٢)

بِزُفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أُمُّ - رِئَالٍ دَوِيَّةٌ سَقَفَاءُ (٣)

وهو مقتصد في وصف ناقته، التي شبهها بالنعامة ، كاقْتِصَادِهِ فِي غَزَلِهِ، لَا يَلْبِثُ أَنْ يَتَنَاوَلَ الغَايَةَ الَّتِي يَرْمِي إِلَيْهَا دُونَ أَنْ يَضِيعَ وَقْتُهُ فِي مَا لَا يَفِيدُ .

رده وفخره

يستهل الشاعر هذا القسم في ذكر دعوى تغلب على بكر، واستعدادها للحرب . وهي توطئة فنية لمحام يريد ان يلمس الموضوع ليشرح بالدفاع :

وَأَتَانَا مِنَ الْخَوَادِثِ وَالْأَنْزِ بَاءُ ، خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ : (٤)

(١) أَذَنْتَنَا : أعلمتنا . البين : الفراق . اسما : اسم صاحبه . (ثاوي : المقم . الثواء : الإقامة . يقول : أعلمتنا اسما بعزمها على الرحيل . ثم قال رب مقيم فعمل إقامته إذا طالت ، ولكن ليست اسما منهم . (٢) الثوي : المقيم . النجاء : الاسراع في السير . يقسول : ولكنني استعين على قضاء امري اذا جد المقيم في السير ، لشدة الخطب . (٣) الزفيف : اسراع النعامة ويستعار لسير غيرها . والزفوف : المسرعة في سيرها . الهقلة : النعامة . الرئال : اولاد النعامة ، مفردعا رأل . الدوية : المنسوبة الى الدو وهي المفازة . السففاء : الطويلة مع الخنا . يقول : استعين على المهم بناقة تسرع في سيرها كانها نعامة أم رئال ، وهذه النعامة برية لا تفارق الفاوز ، طويلة منحنية . (٤) الخطب هنا : الامر العظيم . نعنى به : نهم به . نساء : نكدر .

أَنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلَوْنَ نَ عَلَيْنَا ، فِي قَيْلِهِمْ إِحْفَاءُ ، (١)
يَخْلُطُونَ الْبُرِّيَّ مِثْلًا بِذِي الذَّنْبِ ب ، وَلَا يَنْفَعُ الْجَلْبِيَّ الْخَلَاءُ (٢)
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ أَلْعِيَّ رُمُومًا لَنَا ، وَأَنَا أَوْلَاهُ ، (٣)
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا ، أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ (٤)
مِنْ مُنَادٍ ، وَمِنْ مُجِيبٍ ، وَمِنْ تَضُّعَالٍ خَيْلٍ ، خِلَالِ ذَلِكَ رُغَاءُ (٥)

فانظر الى هذه النعومة في قوله : « ان اخواننا الاراقم » وقوله : « زعموا ان كل من ضرب العير » وقابل بها تزق عمرو بن كلثوم في خطابه البكرين : « اليكم يا بني بكر اليكم ! » وقوله : « ألا لا يجلسن احد علينا ! » فترى الفرق بين الشاعرين من حيث ارزانة والدهاء ، ومن حيث الحبث اذا صح التعبير .

واوصيك خيراً بالبيتين الاخيرين ، فانها ابداع مثال للبلاغة والايجاز ، ولا سيما البيت الثاني ، فقد جمع فيه الشاعر مختلف الاصوات ، عند تأهب القوم

(١) الاراقم : بطون من تغلب سُموا بحالان امرأة شبيهت عيون ابائهم بعيون الاراقم اي الحيات . وهو يدعوهم اخوانه لان بكرأ وتغلب ابنا وائل . يقولون : يجاوزون الحد من الغلو ، او تنلي صدورهم حنقاً من الغليان . القيل : القول . الإحفاء : المبالغة والالحاح . يقول مفسراً ذلك الخطب : هو غليان اخواننا الاراقم علينا . او غلوتهم في عداوتهم ومبالغتهم في اقوالهم . (٢) الجلي : البري . الخلاء : البراءة . (٣) اختلف الائمة في شرح هذا البيت لاختلافهم في فهم لفظه «العير» حتى قال عمرو بن العلاء : « قد ذهب من كان يعرف معنى هذا البيت » وخلصه الآراء ان العير : السيد ، وأراد به كليب وائل . فيكون المعنى : زعم بنو تغلب ان كل من رضي بموت كليب هو من حلفائنا . او ان العير : الحمار . فيكون المعنى : زعموا ان كل من صاد حملاً كان حليفنا ، اي أزموا العامة جناية الخاصة . او ان العير : الوتد . فيكون المعنى : زعموا ان كل من ضرب وتد خيمة كان موالياً لنا . وقوله : « وانا الولاء أي اصحاب الولاء . (٤) اجمعوا امرهم : اتفقوا وعقدوا بينهم . ضوضاء : جلبة وصياح واكثر ما يستعمل في الحرب . وهو اذا صرفته وذكرته جعلته بمنزلة ققام فتكون الهزة متقلبة عن ياء لان اصله ضوضاي ، قلبت الياء هزة كما قلبت في نحو اعياء واعاء . واذا منعه من الصرف وأنته جعلته بمنزلة عوداء وكانت الهزة للتأنيث . على ان تكبيره اولى . يقول : عقدوا في العشيبة بينهم على قتالنا وجدالنا فلما دخلوا في الصباح اخذوا يصيحون ويجلبون . (٥) الرغاء : اصوات الابل . في هذا البيت يفصل الضوضاء فيقول : اختلفت اصوات الداعين والمجيبين باصوات الخيل والابل ، يريد بذلك وصف تأهبهم وتجمعهم .

واستعدادهم للحرب . ثم يأخذ الحرث في الرد على عمرو بن كلثوم ، وتسفيه
شكوى التغلبيين . وزجج ان ردوده على شاعر تغلب ارتجلت ارتجالاً : *وحميد*
تقول اهلك لانه هذا الداهية يعرف كلام عمرو بن كلثوم بقدر
أَيْهَا النَّاطِقُ الْمُرَقَشُ عَنَا عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ ا^(١)
لَا تَحْلُنَا عَلَى غَوَاتِكَ إِنَّا ، قَبْلُ مَا قَدْ وَسَى بِنَا الْأَعْدَاءُ^(٢)
فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءَةِ ، تَنْبِيذُ نَا حُصُونُ ، وَعَزَّةُ قَعَسَاءُ^(٣)
قَبْلُ مَا أَلْيَوْمِ ، بَيَّضَتْ بَعِيُونَ النَّاسِ ، فِيهَا تَعِيطُ وَإِبَاءُ^(٤)
إَفْكَانَ الْمُنُونِ تَرْدِي بِنَا أَرْ عَن ، جُونَا ، يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ^(٥)
مُكْفَهَرًا عَلَى الْخَوَادِثِ ، لَا تَرُ تُوهُ لِلدَّهْرِ مُوَيْدُ صَمَاءُ^(٦)
أَيَّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُو هَا إِلَيْنَا ، تَسْمَى بِهَا الْأَمْلَاءُ^(٧)
إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قِبِ ، فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ^(٨)

(١) المرقش : موه الكلام . وهل : استفهام انكاري أي لا بقاء لشمويك . (٢) الغرارة :
الاغراء والوشاية . والمفعول الثاني لتحننا محذوف والتقدير لا تحننا متذللين او ما اشبه ذلك .
ما : زائدة للتأكيد . يقول : لا تحسبنا على اغرائك الملك نذل ، فقد طالما وصى بنا الاعداء
قبلك . (٣) الشنائة : البغضاء . تنبينا : ترفعنا . قعساء : ثابتة . يقول : فبقينا على
بنيض الناس ايانا واغرائهم الملوك بنا ، ترفع قدرنا حصون منيعة وعزة ثابتة . (٤) ما : زائدة .
بضت : اعمت . بعيون : الباء زائدة . التعيط : الارتفاع والامتناع . يقول : قبل اليوم
اعمت عزتنا عيون الناس لمسا فيها من ارتفاع اباء . (٥) تردي : ترمي . الارعن : الجبل
الذي له مقدمة تخرج منه كالر عن وهو الانف . الجون : الاسود . ينجاب : ينشق . العماء :
السحاب . يقول : كأن الدهر برميه ايانا بمصائبه وبلاياه ، يرمي جبلاً ضخماً صاباً اسود
عالياً حتى ان السحاب ينشق عنه فلا يبلغ اعلاه . يريد ان فوائب الدهر لا تؤثر فيهم كما
لا تؤثر في مثل هذا الجبل . (٦) المكفهر من الجبال : المتراكم بعضه على بعض . لا تروه :
لا تضعفه . المويذ : الداهية . الصماء : الشديدة . يقول متابعاً وصف الجبل : هذا الجبل
صلب متراكم بعضه فوق بعض لا تضعفه داهية شديدة من دواهي الدهر . (٧) الخطسة : الامر
والطريقة . أدوها : ابعثوها . الاملاء : الجماعات ذوو اشرف مفردهما ملاء . يقول : ابعثوا
الينا باية خطة اردتم للسفاضة فتسمى بها بيننا وبينكم جماعات الاشراف . فان شهدت بما
تقولون كان ذلك لكم والافليس دعواكم بشي . (٨) ملحاة والصاقب : جبلان متجاوران في
ديار جهينة وراء المدينة . الاموات : اراد بهم القتلى الذين لم يؤخذ بأثرهم . الاحياء : القتلى

- أَوْ نَقَشْتُمْ ، فَالْتَقَشُ يَجْشِمُهُ الْتَأْسُ ، وَفِيهِ الْإِسْقَامُ وَالْإِبْرَاهُ (١)
 أَوْ سَكَّشْتُمْ عَنَا ، فَكُنَّا كَمَنْ أَاءَ حَضَّ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا الْأَقْدَاءُ (٢)
 أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ ، فَمَنْ حُدِّثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا أَلْعَلَاءُ ؟ (٣)

وبعد ان يذكر شيئاً من مفاخر البكرين ينتقل الى مدح والد عمرو بن هند فيقول :

- فَمَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ ، حَتَّى مَلَكَ الْمُنْذِرُ بِنُ مَاءِ السَّمَاءِ (٤)
 مَلِكٌ أَضْرَعُ الْبَرِّيَّةَ ، لَا يُوجِدُ فِيهَا ، لِمَا لَدَيْهِ ، كِفَاءً (٥)

وكان الشاعر بعد ان بسط دعوى التغليبين وظهر بطلانها ، اراد ان يلقي على عاتقهم تبعه الحرب ، اذا كان لا بد من نشوبها ، فعاد الى خطابهم ، وشرع يذكروهم ما بينهم وبين بكر من حلف وعهود ، ويحذرهم من نقضها :

- فَأْتَرَكُوا الطَّيْخَ وَالتَّعْدِي ، وَإِمَّا تَتَعَاشَرُوا ، فَفِي التَّعَايِشِي الدَّاءُ (٦)
 وَأَذْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ ، وَمَا قَدِمَ فِيهِ : أَلْعَهْودُ وَالْكَفْلَاءُ (٧)

الذين أخذ بثأرهم . يقول : ان نبشتم ما كان بيننا وبينكم من الحروب في هذين الموضوعين وجدتم قتلى امواتاً لم يثار بهم وهم قتلاكم ، وقتلى احياء نُثر بهم وهم قتلانا .

- (١) نقشتم : استقصيتم وبجستم . النقش : الاستقصاء . يجشمه : يتكلفه . يقول : واذا استقصيتم في البحث عما جرى بيننا ، فذلك شيء يتكلفه الناس وفيه ما يبين ذنبكم وبراءتنا . كذى بالسقم عن الذنب وبالبره عن البراهة . (٢) الاقضاء : جمع قذى وهو ما يقع في العين فيؤلها . يقول : وان اعرضتم عنا ، اعرضنا عنكم ، على اننا نكون كمن أغمض الجفون على القذى بسبب ما تقدم من اساءتكم لنا . (٣) يقول : وان منعت ما سألتكم من امر الصلح ، فلا نعجز ان تقابلكم بمثل صنيعكم وانتم تعرفون عرنا ، فهل حدثتم ان احدنا اعلانا وفضلنا ، فتطمعوا فينا . (٤) المنذر : والد عمرو بن هند ويعرف بالمنذر الثالث ، انتهى ملكه نحو السنة ٥٥٦ م على رأي المؤرخين المحدثين . ونحو السنة ٥٦٢ م على رأي القدماء . وفي هذا البيت اقواء كما لا يخفى . (٥) أضرع : أخضع . لما لديه : اي لما لديه من العزة والسلطان . كفاء : مثل ومساوي . يقول : ليس له كفوء في البرية كلها . (٦) الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي . يقول : فاتركوا التكبر والتعدي علينا . واذا تعاميت ولم تتركوا ذلك ، فان فيه الداء الذي يقضي بكم الى شر عظيم . (٧) الخلف : العهد . ذو المجاز : الموضوع الذي جمع فيه المنذر بكراً وتغلب واصلح بينهما وَاخذ منهما العهود والكفلاء اي الزهون . وقوله : العهود والكفلاء : جواب لسائل مقدر سألته : ماذا قدم فيه ؟ فقال : قدم العهود والكفلاء .

حَذَرَ الْجُورِ وَالتَّعَدِي، وَهَلْ يَنْتَ قُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ، الْأَهْوَاءِ؟^(١)
وَأَعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمْ، فِيهِ مَا اشْتَرَطْنَا، يَوْمَ احْتَفَلْنَا مَسْوَاءِ؟^(٢)

ثم اخذ يعبرهم اياماً غلبوا فيها . فانظر الى هذا الاسلوب النساءم الموجه الذي اتخذته لتعيرهم :

أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ، أَنْ يَنْتَ نَمَّ غَازِيَهُمْ، وَمَنَا الْجَزَاءُ؟^(٣)
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى الْعِبَادِ، كَمَا نِيَهَ طَرَّ بِجُورِ الْمُحْتَمَلِ الْأَعْبَاءُ؟^(٤)
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى حَنِيفَةَ، أَوْ مَا جَمَعْتَ مِنْ مُجَارِبِ غَيْرَاءِ؟^(٥)
أَمْ جَنَائِيَا بَنِي عَتِيقٍ؟ فَمَنْ يَنْتَ بَدْرٌ، فَإِنَّا مِنْ غَدْرِهِمْ بَرَاءُ؟^(٦)
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى قُضَاعَةَ؟ أَمْ لِي سَعَالَيْنَا، فِيَمَا جَنَوْنَا أُنْدَاءَ؟^(٧)

(١) المهارق جمع مهرق : الصحيفة . يقول : اصطالحنا في ذي المجاز واخذت المهود والكفلاء حذراً من الظلم والتعدي ، وكتب ذلك في الصحف ، فكيف تنقضه اهواؤكم الباطلة . (٢) يقول : اشترطنا ان تكون الجنائيات علينا وعليكم ، فلم نلزمونا وحدنا ذلك ؟ (٣) الجناح : الاثم . يتهمك الشاعر على التغليب فيذكر انكسار احم زاعماً احم يطالبون بما بني بكر فيقول : ان كندة انتصرت عليكم وغنمت منكم فكيف تريدون ان نحمل ذنبها فيكون لها المغنم وعلينا الجزاء ؟ . وقيل : كانت كندة قد كسرت الحراج على الملك فبعث اليهم رجسالا من تغلب ليطلبهم فقتلوه ولم يدرك ثأرهم فعيبرهم ذلك . (٤) الجري : الجناية . العباد : قوم نصارى ، كانوا يتولون جهة الخيرة ، غزوا بني تغلب فلم يأخذ هؤلاء بالثأر منهم . نبط : علق . الجوز : الوسط . المحمل : اي البعير المحمل . الاعباء : الاحمال مفردا عبء . يقول : تريدون ان تحملونا جناية العباد كما تغلق الاحمال على وسط البعير . أي ان هذه الاحمال ليست للبعير وانما هو يحملها على الرغم منه . (٥) حنيفة : اسم قبيلة كانت حليفة لبني تغلب . فالشاعر هنا يمرض الملك عمراً عليها وعلى حلفائها التغلبيين ، فيذكره بمقتل والده المنذر بن ماء السماء ، وقائله رجل من بني حنيفة يقال له شعر بن عمرو . الغبراء : الارض والسنة المجذبة . يقول : أم علينا جنسية بني حنيفة ، أم جنائيات ما جمعت عليكم الارض او السنة المجذبة من المحاربين . (٦) يقول : أم علينا جنائيا بني عتيق . ثم قال : ان تقضم العهد فاننا ابرياء من غدركم . (٧) قضاة : اسم قبيلة كانت قد غزت بني تغلب في دارهم ونالت منهم فلم ياخذوا بثأرهم . الانداء : جمع ندى : اراد بها هنا الذنوب والاثام لانها تصيب الجاني كما يصيب الندى الارض . يقول : ام علينا جناية بني قضاة ؟ بل ليس علينا ذنب فيما جنوه عليكم . وام الثانية بمعنى بل .

أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادٍ؟ كَمَا قِيلَ لَلِإِطْسَمِ : أَخُوكُمْ ' الْأَبَاءُ (١)
عَنَّا بَاطِلًا ، وَظُلْمًا ! كَمَا تَرَى عَنْ حَجْرَةَ الرَّيِّضِ الْطَّبَّاءِ (٢)

الآ ترى كيف عدد للتغليبين أيام انكساراتهم ليغض من شأنهم لدى الملك .
ثم ألا ترى الى هذا الاسلوب الناعم الموجه في التعبير ، فهو لم يقل لهم ابتداء : انتم
انهزمت يوم كذا او يوم كذا ، بل زعم انهم يطالبون بكراً بذنوب غيرها من القبائل .
فجعل يسمى تلك القبائل التي انتصرت على بني تغلب ويقول لهم : « أعلينا يقسع
الذنب اذا قهركم بنو كندة ، وبنو قضاة وبنو العباد الخ . . . »

ثم تابع الحرف تعبيرهم فذكرهم بمقتل ساداتهم : قيس ، وجندل ، والحداء ،
الذين قتلهم المنذر الثالث . وذكّرهم بغزوة بني تميم ، وما اتزلوا بهم من ويل وحرب .
وبغزوة الغلاق ، وهو رجل من تميم اغار على تغلب برجال ملك العراق فقتل منهم ،
ولم يدر كوا ثأرهم :

مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِيٍّ فَظَلُّوا لَّهُ ، عَلَيْهِ ، إِذَا أُصِيبَ ، الْعَفَاءُ (٣)

ثم ذكرهم ، وذكّر عمرو بن هند ، بمقتل والده المنذر ، وفتكته بهم ،
لاحجامهم عن نصرته في طلب الثأر . وكأنه اراد بهذه الذكوى ، ايضار صدر
الملك عليهم . وكان ذلك آخر سهم مسنون ، رشقه من كنانة تهكمه وتعييره :

(١) إياد : قبيلة . قيل : كانوا لا يطون الاثاوة احداً من الملوك . واغاروا مرة على
امرأة كسرى واخذوها . فبعث عليهم كسرى بالجيوش مرتين فهزمتهم إياد . ثم بعث عليهم
بجيش كثيف ففرقهم . طسم وجديس : قبيلتان وكانت جديس قد كسرت الخراج على الملك
فاخذ طسماً بدين جديس . الأباء : الشديد الاباء والامتناع . يقول : يا بني تغلب اتمحلون
علينا ذنوب الناس ، كما قيل لطسم : اخوك جديس كسر الخراج ، وهو ممنوع علينا فنحن
نأخذك بجزيرته . (٢) العفن : الاعتراض . تُعتر : تذبح العتيرة ، وهي الضحية كانت
تذبح للاصنام في رجب . الحجرية : الحظيرة . الريض : الغنم . يشير هنا الى عادة جاهلية
وهي ان الرجل كان يذّر للاصنام بان يضحي بواحدة من غنمه اذا بلغ عددها مائة . فاذا تم
له ما اراد ضنت نفسه بالشاة فاخذ ظلياً وذبحه مكانها . يقول : انتم تعترضون علينا اعتراضاً
باطلاً وتظلموننا ظلماً بذنوب غيرنا كما تظلم الطباء بجزيرة الشياه . (٣) مطلول : مهدور
لم يؤخذ بثأره . العفاء : التراب والاحياء . يقول : كل تغلي اصابه رجال الغلاق ، فدمه
مهدور ، وينسى حتى يصبح بمنزلة الشيء الدارس الذي غطي بالتراب .

كَتَايِفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا أَلْمُنَّةُ نِدْرُ : هَلْ نَحْنُ لِأَبْنِ هَنْدِرِ رَعَاءُ (١)

وبعد ان بلغ الشاعر امنيته من اعدائه ، ورامهم بقاصمة الظهر ، مال الى عمرو ابن هند ، يدححه ويسترضيه ، ويذكره متلظفاً ، ما لقومه البكرين من الايادي البيض ، على المناذرة ، ما يجمعهم واياهم من صلة وقربى . واستهل كلامه مخاطباً عمرو بن كلثوم :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُبْلَغُ عَنَا عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لِدَاكَ أَنْتِهَاءُ !
 مَلِكٌ مُقْسِطٌ ، وَأَفْضَلُ مِنْ يَمِي شَيْءٍ ، وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ الثَّنَاءُ (٢)
 إِرْمِي ، بِبَيْثِهِ جَالَتِ الْحَيَّةُ لِي ، فَأَبْتٌ ، لِحَصِيهَا الْإِجْلَاءُ (٣)
 مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيَا تٌ ثَلَاثٌ ، فِي كَلْمَيْنِ الْقَضَاءِ (٤)

وهنا انتقل من مدح الملك الى تعداد آيات قومه ، مبيّناً ما لهم من الفضل على ملوك الحيرة :

(١) التكايف : المشاق مفردها تكلفه . رعاء : جمع راع . يقول : هدرت دماؤكم في حرب الغلات كما هدرت يوم فتك بكم عمرو بن هند ، لما كلف قومننا ان ينصروه في الآثار لايه فنصروه وذلك اذ غزا ابوه المنذر بني غسان فقتل . اما انتم فلم تنصروه وقتلتم : هل نحن لابن هند رعاء ؟ . . . وهذا استفهام انكاري اي لسنا لابن هند رعاء . (٢) مقسط : عادل . ومن دون ما لديه الثناء : اي الثناء قاصر عما عنده من الخلال الشريفة . (٣) ارمي : نسبة الى ارم جد عاد بن عوص ، يريد انه قديم الشرف . الاجلاء : مصدر اجلى القوم عن موضعهم : فرقم . قال الازوزي في شرح هذا البيت : « هو ارمي من الحسب قديم الشرف ، بمثله ينبغي ان تجول الخيل وان نأبى لخصمها ان يبغى صاحبها عن اوطانها ، يريد ان مثله يحمي الحوزة ويذب عن الحرم . » فعلى هذا الشرح تكون أبت بمعنى لم ترض وقد اشيعت مزحاً لاقامة الوزن ، ويكون الاجلاء مفعولاً لها وفي القافية اقواء وفي التفسير تعسف . اما نحن فرأينا ان نشرح البيت هكذا : « هو قديم الشرف بمثله ينبغي ان تجول الخيل في الميدان وترجع وقد اجلت خصمها عن موضعه » فعلى هذا الشرح لا يبقى اشباع ولا اقواء ولا تعسف . لاننا اعتبرنا أبت من آب : رجع ، لا من أبي : لم يرض . وقوله : لخصمها : اي لخصم فارسها ، مجاز مرسل . (٤) آيات : علامات مفردها آية . يقول : هو الذي لنا عنده ثلاث آيات تقضي لنا بالفضل على غيرنا .

الاية الاولى

آيَةُ شَارِقِ الشَّقِيقَةِ إِذَا جَا مَاتَ مَعَدُّهُ ، لِكُلِّ حَيٍّ لُؤَاءُ ^(١)
 حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْتَمِينَ بِكَبْشٍ قَرظِيٍّ ، كَأَنَّهُ عِبْلَاءُ ^(٢)
 قَرَدَدْنَا هُمْ بَطْعُنَ ، كَمَا يَحُ رُجٌ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءِ ^(٣)

الاية الثانية

وَفَكَكْنَا غُلَّ أَمْرِي الْقَيْسِ عَنْهُ ، بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ ^(٤)
 وَأَقْدَنَاهُ رَبَّ غَسَانَ بِالْمُنَى ذِرِّ كُرْهَاءَ ، إِذْ لَا تُكَالُ الدِّمَاءُ ^(٥)

الاية الثالثة

وَوَلَدْنَا عَمْرَوَ بْنَ أُمِّ إِيَّاسٍ مِنْ قَرِيبٍ ، أَمَا أَتَانَا الْجَبَاءُ ^(٦)

(١) شارق : ناحية الشرق . الشقيقة : ارض صلبة بين رملتين . يقول : كانت اولى تلك الايات : في شرقي الشقيقة لما جاءت قبائل معد ينشر كل حي منها لواءه . اراد بشارق الشقيقة : الحرب التي قامت بها . (٢) مستلمين : مدرعين . الكبش : هنا سيد القوم . قرظي نسبة الى بلاد القرظ وهي اليمن . والقرظ شجر يذبح به الجراد . العبلاء : الحضة البيضاء . يقول : جاؤوا متحصنين بسيد يعني كانه في منتهى حضية من الحضاب . وقولاه : بكبش : تجريد من قيس اي مستلمين منه بكبش . وقيل : ان قيساً هو ابن معدي كرب عم امرئ القيس الشاعر . وقيل بل هو امرؤ القيس نفسه الذي كان يطوف على القبائل بعد ان جد المنذر الثالث في طلبه على اثر مقتل ابيه . (٣) الخربة : الثقب . المزاد : قربة الماء . يقول : رددناهم بطعن يتدفق الدم في اثره تدفق الماء من افواه القرب . (٤) الغل : القيد . وامرؤ القيس هذا : اخو عمرو بن هند كان اسيراً في بني غسان ، اسروه يوم حليمة ، بعد ان قتل ابوه المنذر الثالث فسار عمرو بن هند مع البكرين الى الشام ، فأخذ بثأر ابيه المنذر وخلص اخاه امرؤ القيس من الاسر . وقد عبر الشاعر بني تغلب في بيت سابق لاضم احجموا عن نصره عمرو بن هند للاخذ بثأر ابيه ، ففتك بهم . (٥) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به . رب غسان : ملكها . إذ لا تكال الدماء : كناية عن كثرة القتل ، وكثرة الدماء التي اريقت حتى لا يستطيع كياها ومعرفة مقدارها . يقول : قتلنا بالمنذر ملك غسان . ورب غسان : بدل من ضمير النصب المتصل في اقدناه . (٦) الجباء : العطاء ، ويراد به هنا مهر المرأة . عمرو بن أم إياس : هو عمرو بن حنجر جد الملك عمرو بن هند لأمه . وام إياس من بني بكر . يقول : وآيتنا (الثالثة) هي القرابة التي بيننا وبين الملك ، لان ام جده من بني بكر ، فنحن أخواله وهذه القرابة

مِثْلَهَا يُخْرِجُ النَّصِيحَةَ الْقَوِيَّةَ ، فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءُ (١)

أرأيت كيف توصل الشاعر الى غرضه ، بحكمته ودهائه ، وحسن تنسيق دفاعه ، فخذل خصمه واستمال الملك اليه ، ففضل قصيدته على قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقضى لبني بكر على بني تغلب . ولسنا نعجب لفوز الحرث ، فان قصيدته ، وان تكن دون قصيدة ابن كلثوم روعةً وهلابةً وانسجاماً ، فهي تفوقها من حيث الفن الخطابي ، سواء في ترتيب افكارها ، او في الاسلوب الحكيم الذي اتخذته الشاعر لتعبير التغلبيين ، واسترضاء عمرو بن هند . فعمرو بن كلثوم افتخر وغالى ، ولكن بني اكثر مفاخره على الاوهام والادعاء الفارغ ، واما الحرث فانه افتخر واكثر الافتخار ، ولكن بني مفاخره على الحقائق التاريخية ، فلم يترك يوماً لبني بكر الا ذكره ، ولا يوماً على بني تغلب الا عيرهم اياه . وعدا ذلك ، فعمرو بن كلثوم اساء التصرف في اغضاب الملك ، والحرث احسن التصرف في استرضائه .

ولا نرى حاجة الى تعداد ما في هذه القصيدة من الفوائد التاريخية ، فانما هي قصة جامعة لطائفة من ايام العرب واخبارها . وهذا ما جعلنا ننفي عنها زعم الارتجال ويحمل بنا ان ننظر الى ما فيها من ايجاز دقيق ، فاكثر ابياتها يحتاج الى شرح مستفيض ، لضيق لفظه عن معناه . والايجاز خاصة ظاهرة في شعر الحرث ، فهو مولع به حتى السرف . وأئمة البيان يستشهدون ببيت له على الايجاز المخل وهو قوله :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِرِ النَّوْكَ ، مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا (٢)

فلفظه لا يفيد بالمعنى . لانه يريد ان يقول : « ان العيش الناعم في ظلال الحمق خير من العيش الشاق في ظلال العقل » .

من عهد قريب لمأ اتانا من جده لامة مهر أم اياس .
 (١) الافلا . جمع الفلا . والفلا : جمع الفلاة . يقول : مثل هذه القرابة تستخرج من الملك النصيحة للقوم الاقارب اي تحمله على ان يحكم لنا لانها قرابة متصلة الارحام كفلاة واسعة متصل جما فلوات . (٢) النوك : الحمق . الكد : التعب . وهو هنا بمعنى مكسود أي متعب .

قال ابو عبيدة : « اجود الشعراء قصيدة واحدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد ». وقال ابو عمرو الشيباني : « لو قالها في حول لم يُلم » .

ولا بدع ان يُعجب بها الادباء الاقدمون ، فانها هي رائعة من روائع الشعر الخطابي ، وخير مثال للشعر السياسي في الجاهلية .

سائر الشعراء المشهورين

(الشعراء المتخصصون)

عرفنا من شعراء الجاهلية شاعرين قديين : احدهما يمثل الحياة البدوية الحشنة وهو الشنفرى ، والثاني يمثل تأثير الترف والحزن في النفس ، وهو المهلهل . ثم عرفنا اصحاب المعلقة السبع ، واطلعنا على طائفة من منتخباتهم ، فدرسنا فيها مناحي تفكيرهم وتعبيرهم ، وبددنا شيئا غير قليل من اخلاق العرب وعاداتها ، واحوالها الاجتماعية والسياسية ، وتأثير العوامل الخارجية في نفوس شعرائها . فوأيضا فيهم شاعرا اميرا ، يحسن وصف النساء والحياد والصيد ، وشاعرا فتي ، يلهو ويسخر ويأتي بروائع الحكيم ، وشاعرا جليلا ، لا ينطق الا بالحكمة على رأس لسانه ، وشاعرا حازما ، يتأسى ويعظ نفسه في المصائب ، وشاعرا فخورا متهورا ، يرى الدنيا وما عليها ملكا له ، وشاعرا فارسا ، تدفقت الحماسة من صدره وشاعرا داهية ، يعرف من اين تؤكل الكتف .

على ان معرفتنا لهؤلاء الشعراء لا تغنينا عن درس طائفة اخرى من شعراء الجاهلية ، لنتمكن من الامام بخصائص الشعر الجاهلي من جميع اطرافه ، والوقوف

على تطوره السريع في اواخر عصره .

واذا كانت السبع الطوال خير ما وصل اليها من الجاهلية ، فان اصحابها لم ينفردوا بجودة الشعر ، بل هناك فحول من غير اصحاب المعلقات ، يُعدُّ بعضهم في مقدمة الطبقة الاولى : كالنابغة والأعشى ، والبعض الآخر يجاريهم جميعاً ولا يقصر عنهم ، كالخطيب . وقد ادرك كلهم الاسلام الا النابغة ، واشتهر كلهم بنوع من الشعر اختص به ، لذلك اطلقنا عليهم لقب الشعراء المتخصصين .

المدح

ليس من شاعر في الجاهلية الا وقد نظم في المدح . ومن اصحاب المعلقات من وقف شعره على هذا الفن وهو زهير . وما كان احرى بنا ان نكتفي به ، لو لم يكن هناك شاعر ، له في المديح صفة خاصة ينفرد بها عن زهير وغيره من شعراء الجاهلية ، وهي اتصاله ببلاط الملوك ، ومدحه اياهم ، وما له في المديح من القوائد الاعتذارية الرائعة ، وهذا الشاعر هو النابغة الذبياني .

النابغة الذبياني

(٦٠٢) (?)

حياته : سمي النابغة لنبوغه بالشعر واكثره منه . نادى النعمان بن المنذر ، فكثير ماله . وصف زوجته المتجردة . وشى به المنخل الشكري وبنو قريع . هجا النعمان وهرب الى بني غسان . رضي عنه النعمان بن المنذر فعاد اليه . النابغة من سادات قومه ، وزعيمهم ، وممثلهم عند الملوك . درس تاريخي . اتصال الشاعر بعمر بن الحرث واخيه النعمان . اختلاط الروايات . قولهم ان الشعر غض منه . اقواؤه ، واصلاحه

آثاره : ديوانه شرحه البطليوسي . اشهره قصائده الاعتذارية . ودالية في وصف المتجردة . وبائية في مدح الغساسنة . وراثية عداها ابو زيد القرشي من المعلقات . ونسب اليه نثر آثار النحل بادية عليه .

ميزته : ما ينفرد به ، وما يشارك فيه غيره . وصفه المرأة . تشبيهاته القصصية .
 تشبيه ناقته بالثور الوحشي كما شبهها لبيد . صورة حسية كصور زهير .
 استطراداته القصصية في مدائحه واعتذاراته . تحويله الخطب وعظم ما يقاسيه .
 اقسامه وهجو اعدائه . مبالغته في مدح النعمان وتعميم سلطانه . رثاء
 المدحوح حياً . الفوائد التاريخية عن ملوك غسان . وضوح معانيه .
 رونق الفاظه . بعده عن المشو والتكلف والركيك . مترلته : في الطبقة
 الاولى . شاعر الملوك . حكم عكاظ . نابغة الشعراء .

هياته

هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، ينتهي نسبه الى مُضر ، ويُكنى
 ابا أمامة ، ويُلقب بالنابغة لنبوغه بالشعر واكثره منه .

وكان من بطانة ابي قابوس النعمان بن المنذر ، ينادمه ويأخذ جوائزهُ ، ويُقدّم
 على كل من يتقرب منه . ولم يحظّ شاعر في الجاهلية كما حظي النابغة ، فكثير ماله ،
 حتى انه كان يأكل بانية عن الفضة والذهب .

ودخل ذات يوم على النعمان فرأى زوجته المتجردة ، وقد سقط نصيفها^(١) ،
 فاستترت منه بيدها ، فأمره النعمان بان يصفها فانشأ قصيدته التي يقول فيها :

سَقَطَ النَّصِيفُ ، وَلَمْ تَرُدِّيْ سَقَاطَهُ ، فَتَنَاوَأْتُهُ ، وَأَتَقَتْنَا بِأَيْدِي

ووصف منها مواضع لا يليق ذكرها . وكان المنخلُ الشكري الشاعر من
 ندماء النعمان ، وكان يهوى المتجردة ، ويحسد النابغة على علو قدره عند الملك ،
 فغار من وصفه ، ووشى به الى النعمان ، فتغيّر عليه . فضاف النابغة وهرب الى ملوك
 غسان في الشام .

وقيل انه هجا النعمان ، بعد هربه ، بهذه الايات :

حَدِّثُونِي بِنَبِيِّ السَّقِيَّةِ ! مَا يَنْعُ نَعُ فَقَعًا بِبَقْرَقَرٍ ، أَنْ يَزُولَا^(٢)

(١) النصيف . الحمار او نصفه . (٢) بني السقيقة : يريد بهم قوم النعمان . والسقيقة
 تجمع على سقائق وهي نبت احمر الزهر مبعقع بنقط سود . قيل ان النعمان مر بمكان قد
 انفرش فيه هذا الزهر فقال : ما احسن هذه السقائق . وامر بحمايتها فنسبت اليه وعرفت

قَبِحَ اللهُ ، ثُمَّ تَنَّى رِبْلَعْن ، وَارِثَ الصَّانِعِ ، الْجَبَانَ ، أَلْجَهُوْلاً^(١)
 مِنْ يَضُرُّ الْأَدْنَى ، وَيَعْجِزُ عَنْ ضَرْبِهَا ، وَالْأَقْصَى ، وَمَنْ يَخُونُ الْحَلِيلَ^(٢)
 يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأَلُوفِ ، وَيَعْرُوْهُ ، ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فِتِيلاً^(٣)

واعلم هذه الابيات هي التي نقلها بعض بني قريع بن عوف الى النعمان ، ليوغروا صدره على الشاعر ، فأربناه في قصائده الاعتذارية ، يجتهد في دفع التهمة عنه متنصلاً من مقال نسب اليه زوراً : « لَقَدْ نَطَقْتُ بِطَّلَاعِي الْأَقَارِعُ » .

فلما صار النابغة الى الشام نزل بعمر و بن الحرث الأصغر الفسائي فدحه ومدح اخاه الملك النعمان فحظي عندهما وافاد مالا وفرأ . ولما مات النعمان انقطع الى اخيه عمرو يدحه حتى رضي عنه النعمان بن المنذر فعاد اليه ولزم بلاطه .

واختلفت الروايات في اسباب الصلح بينه وبين النعمان . ف قيل : ان النعمان اطلع على ما بين زوجه المتجرده والمُنْعَلِ الشكري من علاقات فقتلها . ثم كتب للنابغة يقول : « انك لم تعتذر من سخطة ان كانت بلغتك ؛ وكنا تعيرنا لك عن شي . مما كنا لك عليه . ولقد كان في قومك مُتَمَتِعٌ وحصن فتركته ثم انطلقت الى قوم قتالوا جدي وبني وبينهم ما قد علمت » . فقدم اليه فوجده محمولا على سرير يُنْقَلُ ما بين العَمْر وقصور الحيرة^(٤) فخطب حاجبه عصاماً بابيات مطلعها :

أَلَمْ أَقْسِمَ عَلَيْكَ ، أَنْتَجِرَ تَنِي ؛ أَمْحَمُولٌ عَلَى التَّنَشْرِ أَلْهَمَامُ ؟

وحدث حسان بن ثابت ان النابغة قدم في جوار رجلين من فزارة لها منزلة عند النعمان ، فرأى احدي قيان الملك ، فلقتها قصيدته التي اعتذر اليه فيها وهي :

بشفاق النعمان . الفقع : الكحأة البيضاء الرخوة . القرقور : الارض المنخفضة . ومن امثالهم : هو اذل من فقع بقرقر . ان يزول : ان يموت .

(١) وارث الصانع : النعمان . وكانت امه سلمى ابنة صانع في يثرب وقد مر ذكرها في اخبار عمرو بن كلثوم . (٢) الادنى : الاقرب . الاقاصي : الابعاد . (٣) يرزأه : يصيبه بما يضره . فتيلاً : شيئاً بقدر الفتيل . يقول : هو يجمع الجيش الوفاً للغزو ولكنه لا يصيب من العدو شيئاً . (٤) العمر هنا : موضع . قال ابو عبيدة : كان الملك اذا مرض حملته الرجال على اكتافها . ويقولون انه اوطأ له من الارض اي اسهل واكثر راحة .

يَادَارَ مَيْمَةَ ، بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ ، أَتَوَتْ ، وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ

فشرب النعمان ، فلما سكر غنته فيها ، فطرب وقال : « هذا شعرٌ علويٌّ ^(١) هذا شعر ابني أمانة » ورضي عنه .

وسئل عمرو بن العلاء : « أمن مخافته امتدحه واتاه بعد هربه منه ، أم لغير ذلك ؟ » فقال : « لا لعمر الله ، لا لمخافته فعل ، أن كان لآمناً من أن يوجه إليه جيشاً . وما كانت عشيرته لبسامة لاول وهلة . ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره ^(٢) . وكان النابغة من سادات قومه ، وكانوا يرجعون إليه في خطوبهم ، فيأمرهم بالحرب مرة ، وينهاهم عنها اخرى . ولطالما رد عنهم غزوات الغسانيين ، بماله من دالة وكرامة . ولكنه كان محسوداً لعفته وشرفه ، فلم يسلم من السنة بعضهم ، فكان يؤنبهم ويذكروهم بما له عليهم من الفضل في قضا . حوائجهم عند الملك . وظل النابغة رفيع القدر وافر النعمة حتى توفي بعد ان اسن وكبر . وقيل انه مات في السنة التي قتل فيها النعمان بن المنذر ، اي حوالي السنة الثانية بعد المئة السادسة .

درس تاريخي

لم يسلم خبر اتصال النابغة بالغسانيين من اختلاط في الروايات . فقد زعموا ان الشاعر نزل على عمرو بن الحرث الاصغر ، وظل مقبياً معه يدحه حتى مات ومملك اخوه النعمان ، فانقطع اليه . مع ان النعمان مات قبل اخيه عمرو ثم ملك عمرو بعده . وقد رثى النابغة النعمان الغساني بعد وفاته وانتقال الملك الى اخيه . ويؤيد ذلك ما جاء في ديوانه الذي شرحه الوزير ابو بكر البطليوسي المتوفى سنة ٨٠٩ م و ١٩٤ هـ قال : « وكان النعمان بن الحرث حمى ذا أقر ^(٣) فاحتماه الناس ، وبنو ذبيان تربعوه ^(٤) ، فنهاهم النابغة وخوفهم اغارة الملك ، فغيروه خوفه النعمان ، وكان منقطعاً اليه ، فلما مات النعمان رثاه وانقطع الى عمرو بن الحرث اخيه » .

(١) علوي : نسبة الى عالية بنجد . (٢) العصافير نوق كرائم كانت للنعمان . والجبل المصغوري : ذو السنامين . (٣) ذا اقر : واد لبني مرة . (٤) تربعوه : اقاموا به في الربيع .

ولعل هذا الاختلاط ناتج عن قولهم : « ان النابغة لما هرب الى الشام نزل على عمرو بن الحارث ومدحه ببايئته المشهورة :

كِلِينِي لَهُمْ ، يَا أُمَيْمَةَ ، نَاصِبٍ ، وَكَيْلٍ أَقَاسِيهِ ، بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

ولكن نزول الشاعر على عمرو لا يعني ان عمراً ملك ومات قبل اخيه، بل يعني ان النابغة وفد على عمرو اولاً ثم اتصل باخيه الملك، حتى اذا مات النعمان انقطع الى عمرو . وقد تسلط هذا الوهم التاريخي على بعض كتابنا المعاصرين فوقعوا فيه ^(١)؛ ومنهم من ذكر الروايتين دون تصحيح او ترجيح ^(٢) .

وزعموا ايضاً ان النابغة « احدُ الاشراف الذين غضَّ الشعرُ منهم » فنقل كتابنا المعاصرون هذا الزعم بغير مشقة ، ثم اضافوا اليه ما قيل في الشاعر ، من انه كان يأكل بآنية من الفضة والذهب ، وانه كان عالي المكانة عند الملوك ، وان حسان بن ثابت كان لا يفد على الغساسنة والمناذرة اذا عرف ان النابغة عندهم ، مخافة ألا يحفلوا به . وذكروا ايضاً ان النابغة كان حكم سوق عكاظ ، وانه كان مهيباً ، فاذا اقوى ^(٣) لا يجروا احد ان يقول له : أقويت . ويروون على ذلك حادثة لا بأس بذكرها ، وهي ان النابغة قدم المدينة ، فأنشد الناس قصيدته التي وصف بها المتجردة :

مِنَ آلِ مَيْمَةَ ، رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدٍ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ ، وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ ^(٤)

وكان اقوى فيها فما تجاسر احد ان يقول له ، فاتوه بقينة فغنت منها :

سَقَطَ التَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدِّ إِسْقَاطُهُ ، فَتَنَّاوَلْتُهُ ، وَأَتَقْنَا بِالْيَدِ

(١) جرجي زبدان في تاريخ آداب اللغة العربية . (٢) الاب لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية . (٣) اقوى : خالف في حركة الروي . (٤) قوله : او مُغْتَدٍ : عَطَفَ بأولان همزة الاستفهام في اول الكلام محذوفة ولو ذكرها لقال : أمن آل ميمَةَ رائح أم مغتد . رائح : سائر في العشي . عجلان : منصوبة على الحال من الضمير في اسم الفاعل . يقول مخاطباً نفسه : أتروح أم تغدو في حال عجلتك ، وانت مزود او غير مزود من نظرة الى محبوبك مية . وقيل الزاد : ما كان من تسليم ورد تحية .

بِخَضْبٍ رَخِصٍ ، كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ ، يَسْكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ^(١)

فمدت القينة صوتها باليد فصارت الكسرة ياء ، ومدت يعقد فصارت الضمة واواً فانتبه ولم يعد الى الاقواء . و يروى عنه قوله : « دخلت يثرب وفي شعري بعض العاهة ، فخرجت منها وانا اشعر الناس » .

وكان النابغة ، كما عرفنا ، زعيم قومه ، وممثلهم عند الملوك ، فكيف ينطبق ذلك كله على قولهم : « ان الشعر غض منه » فاهي تلك الغضاضة ، واين هي ؟ لعلمهم يرونها في رجوعه الى النعمان واعتذاراته ؟ ولكنه رجع معزراً مكروماً ، وظل له المقام الاعلى في نظر قومه وغير قومه .

أما

ديوان شعر شرحه ابوبكر البطليوسي ، واشهر ما فيه قصائده الاعتذارية ، ودالية يصف بها المتجرده ، وبائية يدح بها الغساسنة .
وعده المغضض الضبي ، وابو عبيدة ، وابوزيد القرشي ، من اصحاب المعلقات ، ومطلع معلقته :

عُوجُوا فَخَيُّوا لِنَعْمِ دِمْنَةَ الدَّارِ ، مَاذَا تُخَيُّونَ مِنْ نُؤْيٍ وَأَحْجَارِ^(٢)

ونسب اليه نثر مسجع ، يدح به عمرو بن الحرث ، ولكننا نشك في صحته كل الشاك ، لان آيات النحل والتعمل بادية عليه . واليك شيئاً منه :

(١) بخضب : أي بمصم مخضب وهو بيان لقوله : وانفتنا باليد ، اي انفتنسا بمصم مخضب . البنان : الاصابع واحدها بنانة . ويقال : بنان مخضب ، لان كل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء ، يوحد ويذكر . العنم : شجر احمر الثمر لين الاغصان يشبه بشمره البنان المخضوب . يقول : انفتنا بمصم مخضب يكاد بنانه يعقد من لطافته ، وهو يشبه العنم في حمرة . قيل : ان النابغة غير الشطر الاخير بعد سماعه غناء القينة وجعله : « عنم على اغصانه لم يعقد » ولكننا لا نطمئن الى هذا الاصلاح ، ونرجح انه اصطنع في الاسلام .
(٢) عوجوا : قفوا . نعم : اسم امرأة . الديمنة : ما اجتمع من آثار الديار . النؤي : ضمير حول الحباء يمنع ماء المطر من ان يجري اليه .

« أَلَا أَنْعِمُ صَبَاحًا أَتَيْهَا الْمَلِكُ الْمُبَارِكُ . أَسْمَاءُ عَطَاؤِكَ ، وَالْأَرْضُ
وِطَاؤِكَ ، وَوَالِدِي فِدَاؤِكَ ، وَالْعَرَبُ وَقَاؤِكَ ، وَالْعَجَمُ حِمَاؤِكَ ، وَالْحِكْمَاءُ
جُلَسَاؤِكَ ، وَالْمُدَارَاةُ سَيْمَاؤِكَ ، وَالْمَقَاوِلُ^(١) إِخْوَانُكَ ، وَالْعَقْلُ سِعَارُكَ ،
وَالسِّلْمُ مَنَارُكَ ، وَالْجِلْمُ دِنَارُكَ^(٢) . الخ . . . »

صبرته

للتابغة ميزة خاصة ينفرد بها في مدح الملوك والاعتذار اليهم، وميزة عامة
يشارك فيها غيره من شعراء الجاهلية . واذا كانت شهرته قائمة على ميزته التي انفرد
بها، فلا ينبغي لنا ان نهمل تلك التي شارك فيها غيره، لانها متممة للاولى، ولان
ميزته الخاصة لا تظهر واضحة الا بظهور ميزته العامة .

يصف النابغة المرأة، فترى في وصفه شيئاً من تعهر امرى القيس، وان يكن
الرواة مجمعين على ان النابغة كان عفيفاً، وترى فيه شيئاً من طرفة اذا وصف
العتق والشعر :

— فَبَدَّتْ تَرَائِبُ شَادِنٍ مُتْرَبِبٍ أَحْوَى أَحْمَرَ الْمُقْلَتَيْنِ مُقْلِدٍ^(١)
— أَخَذَ الْمَذَارَى عِقْدَهَا ، فَنَظَّمْنَهُ مِنْ لَوْلُورٍ مُتَتَابِعٍ مُتَسَرِّدٍ^(٢)
— تَجَلَّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيِّكَةِ ، بَرْدًا ، أَسْفَ لثَانَتَهُ بِالْإِثْمِيدِ^(٣)

(١) المَقَاوِلُ : الملوك دون الملك الاعلى مفردها مَقَوْلٌ . لغة يمانية . (٢) دِنَارُكَ :
عطاؤكَ . (٣) التَرَائِبُ : عظام الصدر مفردها تَرِيبة . الشَادِنُ : الغزال الذي قوي واستغنى
عن امه . مُتْرَبِبٌ : تربية النساء في البيوت . الاحْوَى : الذي في شفثيه حُوةٌ اي سمرة .
الاحْمَرُ : شديد السواد . الْمُقْلِدُ : الذي قلد الخلي وزين به . (٤) مُتَسَرِّدٌ : يتبع بعضه بعضاً
اخذ من سرد الحديث . يقول : انها رفيعة القدر يخدمها المذارى وينظمن عقدها . (٥) جِلا :
كشفت وصقل . القَادِمَةُ : ريشة في مقدم الجناح وهن اربع قوادم . الايِّكَةُ : الشجرة
المتنفة . البرْدُ : مستعار للفر يجمع البياض في الاسنان . اَسْفُ : ذر عليه . اللثات :
مغارز الاسنان مفردها لِثَةٌ . الاثْمِدُ : الكحل . اِخْتِافٌ في تفسير هذا البيت . فالقُبَيْبِي
والاصمعي وابو عمرو يرون ان الشاعر يقول : اذا ابتسمت كشفت عن ثغركانه برد أسف
لثاته بالاثمد بسفتين كانها في سوادها قادمنا حمامة . والقوادم في الطير اشد سواداً من

كَالْأَقْحَوَانِ ، غَدَاةَ غَيْبِ سَمَائِهِ . جَعَّتْ أَعَالِيهِ ، وَأَسْفَلُهُ نَدِيٌّ ^(١)

ثم ترى فيه شيئاً كثيراً من الصور الحسية التي رأيتها في شعر زهير، وما يرافقها أحياناً من وصف قصصي لذيد، مما يدل على ان النابغة رسّام بارع؛ ومحدث فكه في آن واحد .

فاذا وصف ناقته، شبهها بالثور الوحشي، ثم اخذ يقص عليك خبر هذا الثور وشدته في صراع الكلاب . ولعلّ لبيدأ تأثر بشعر النابغة لما وصف ناقته وشبهها بالأتان الوحشية التي افترس السبع ولدها، فراحت تطلبه، فطاردها الكلاب، فصارعتن بقرنها . قال النابغة من معلقته :

كَأَمَّا الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ ذِي جُدَدٍ ذَبَّ الرِّيَادِ ، إِلَى الْأَشْبَاحِ نَظَارِ ^(٢)
 مُطَرَّدٍ ، أَفْرَدَتْ عَنْهُ حَلَالِئِلُهُ ، مِنْ وَحْشٍ وَجِرَّةٍ ، أَوْ مِنْ وَحْشِ ذِي قَارِ ^(٣)
 بَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ سَهْبَاءَ ، تَسْفَعُهُ بِحَاصِبِ ذَاتِ إِشْعَانَ ، وَأَمْطَارِ ^(٤)
 وَبَاتَ ضَيْفًا لِأَرْطَاةٍ ، وَالْجَاهُ ، مَعَ الظَّلَامِ ، إِلَيْهَا وَابِلٌ سَارِ ^(٥)
 حَتَّى إِذَا مَا أَنْجَلَتْ ظِلْمَاءَ لَيْلَتِهِ ، وَأَسْفَرَ الصُّنْحُ عَنْهُ أَيَّ إِسْفَارِ ،

الخوافي . ويرى ابو بكر : انه شبه الاصبعين اللتين فأخذ بها السواك بقادمتي حمامة في اللطافة والطول . ونحن نميل الى هذا التفسير .

(١) الاقحوان : نبت اصفر الزهر في وسطه، وحواليه ورق ابيض . غيب : بعد . سائمه : مطره . يقول : ثمرها كلاقحوان في بياضه ، وهذا الاقحوان امطرته السماء ليلاً فلما اصبح جفت اعاليه وظل الماء في اسفله . أي ان اسناخها نظيفة كزهر الاقحوان اذا غسله المطر وأسفل اسناخها ندي بما فيه من ماء ولّس . (٢) الجُدَد : خطوط بيض وحمر ويريد بها ثوب الوحش . الذب : الدفع . الزباد والارتياد : الطواف . وذب الرياد : أي ثور الوحش لانه يروء هنا وهناك . يقول : كأن الرحل من ناقتي فوق ثور وحشي، يحفظ الجلامد فيقظ يكثير المدو كلما نظر الى الاشباح التي تتخيل له . (٣) الحلالل : الزوجات مفردها حليلة . وجرة وذوقار : موضعان . يقول : هذا الوحش طارده الصيادون فانفرد عن زوجاته، وهو من وحش وجرة أو من وحش ذي قار . (٤) سهباء : ذات ريج باردة وصقيع . تسفعه : تلفحه وترميه . الحاصب : الريح التي تحمل الحصى . الإشعان : ما تثار من ورق العشب بعد يسه، يقول : بات الوحش في ليلة شديدة البرد تلفحه ريج ذات حصي واعشاب يابسة وامطار . (٥) الارطاة : شجرة ثمرها كالعناب ، جمعها الأرطى . الوايل : المطر الكثير : الساري : ما جاء من المطر ليلاً .

- أَهْوَى لَهُ قَانِصٌ يَنْعَى بِأَكْلِهِ ،
يَنْعَى بَعْضُهُمْ بِرَأَاهَا، فَهِيَ طَاوِيَةٌ ،
حَتَّى إِذَا الثَّورُ بَعْدَ النَّفْرِ أَمَكْنَهُ ،
فَكَرَّ مَحْمِيَةً مِنْ أَنْ يَفِرَّ، كَمَا
فَشَكَ بِالرُّوقِ مِنْهَا صَدْرَ أَوْلَاهَا ،
ثُمَّ أَتَتْهُ بَعْدُ لِلثَّانِي، فَأَقْصَدَهُ
وَأَثَبَتْ الثَّلَاثَ الْبَاقِي بِنَافِذَةٍ ،
وَوَظَلَّ فِي سَبْعَةٍ مِنْهَا لِحْشَنَ بِهِ ،
حَتَّى إِذَا مَا قَضَى مِنْهَا لِبَانَتَهُ ،
إِنْقَضَ كَالْكُوكَبِ الدَّرِّيِّ مُنْصَلِّتًا،
فَذَاكَ شَبَهُ قَلُوصِي إِذْ أَضْرَبَهَا
- (١) عَارِي الْأَشَارِجِعُ، مِنْ قُنَاصٍ أَمَّارٍ (١)
طُولُ أَرْتَحَالِ لَهَا مِنْهُ ، وَتَسْيَارِ (٢)
أَشْلَى وَأَرْسَلَ غُضْفًا كُلُّهَا ضَارٍ (٣)
كَرَّ الْمَحَامِي حِفَاطًا، خَشِيَةً الْعَارِ (٤)
شَكَّ الْمَشَاعِبِ أَعْشَارًا بِأَعْشَارِ (٥)
بِذَاتِ ثَعْرٍ، بَعِيدِ الْقَعْرِ، نَعَارِ (٦)
مِنْ بَاسِلٍ، عَالِمٍ بِالطَّنِّ، كَرَارِ (٧)
يَكُرُّ بِالرُّوقِ فِيهَا كَرَّ إِسْوَارِ (٨)
وَعَادَ فِيهَا بِأَقْبَالِ وَإِدْبَارِ ، (٩)
يَهْوِي وَيَخِاطُ تَقْرِيْبًا بِأَحْضَارِ (١٠)
طُولُ السَّرِيِّ، وَالسَّرِيُّ مِنْ بَعْضِ أَسْفَارِي (١١)

- (١) أهوى: قصد. القانص: الصياد. الاكلب: جمع كلب. الاشاجع: عروق ظاهر الكف. وهي تحمد في الرجال اذا كانت عارية أي لا يسترها اللحم. امار: قبيلة من تزار معروفون بالصيد. (٢) الغضف: الكلاب المسترخية الاذان. براها: أضربها فبرى لحمها. طاووية: ضامرة البطن. التسيار: السير الطويل. يقول: يسعى الصياد بكلاب مسترخية الاذان أضربها طول الارتحال والسير الكثير فهي ضامرة البطن. (٣) النفور: اشلى: أغرى. الضاري: الذي اعتاد الصيد. يقول: لما مكنته الثور من نفسه بعد نفاذه، أغرى به كلابه. وارسلها عليه وكلها معناد الصيد. (٤) محمية: مصدر حمى أي دفع ومنع. يقول: كرت الثور للدفاع بدلاً من أن يفر كما يكر من يحمي الحصى، محافظةً عليه وخشية العار. وهذه المصادر منصوبة على انها مفعول له. (٥) الروق: القرن. المشاعب: النجار. الاعشار: القديح أي سهم الميسر صار عشر قطع فشك النجار بعضه في بعض. هكذا شرحه ابو زيد القرشي في جهرته. (٦) اقصده: قتله. بذات ثعر: أي بطعنة فتحت فيه ثعراً. بعيد القعر: عميق. نعار: متفجر بالدموله صوت. (٧) اثبت: اي اثبت الكلب في مكانه. بنافذة: أي طعنة نافذة. باسل: شجاع أي من ثور شجاع. (٨) الاسوار: القائد الثابت على جواده. (٩) لبائته: حاجته. عاد فيها: صار يحرق فيها مقبلاً مدبراً. (١٠) منصلتاً: مسترسلاً كالكوكب في انقضاؤه. يهوي: يحمي في السير. التقريب والاحضار: نوعان من السير. (١١) قلووس: الناقة الشابة. السري: السير ليلاً. وقوله: والسري من بعض اسفاري: أي

فقد رأيت ما في هذه الصورة من الروعة والجمال، وما في هذا الاسلوب القصصي من العذوبة والفكاهة، وكيف ان الشاعر اطنب في قوة الثور وشدة عدوه حتى اذا انتهى من سرد قصته، اوجز فقال: « فذاك شبه قلوصي . . . »

وللنابعة صورة اخرى كهذه في قصيدته « الدالية » التي اعتذر بها الى النعمان، فقد شبه ناقته بوحش من وحوش وجرة، طارده الصياد بكليبه، فشك بقرنه احدهما « ضمران »^(١) فصرعة . واليك هذه الصورة الحسية، تمثل القرن نافذاً من جنب الكلب ابلغ تمثيل :

كَأَنَّهُ بَخَارِجاً مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ ، سَفُودُ شَرْبِ نَسُوهِ عِنْدَ مُفْتَأَدٍ^(٢)
فَلَمَّا رَأَى « وَاشِق »^(٣) اقعاص^(٤) صاحبه ، ولى هارباً :

قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ : إِنِّي لِأَرَى طَمَعاً ، وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ ، وَلَمْ يَصِدِرْ^(٥)
حتى اذا انتهى الشاعر من هذا التشبيه القصصي الحصب، عاد الى ناقته فأوجز وقال :

فَتِلْكَ ، تُبَلِّغُنِي التُّعْمَانَ إِنْ لَهُ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ فِي الْأَذْنَى ، وَفِي الْبُعْدِ^(٦)

فاما وقد عرفنا الان ما في النابعة من خصائص يشارك فيها غيره من الشعراء، فيجدد بنا ان نستناول بالدرس ميزته الخاصة التي عرف بها، وهي مدحه الملوكة، وما في هذا المدح من استرضاء واعتذار .

صدايح واعتذاراته

النابعة في مدحه، كالنابعة في وصف ناقته، لا يترك تشابهه القصصية المحسوسة

ان اسفاره كثيرة في اوقات مختلفة والمرى من بعضها . (١) ضمران : اسم كلب .
(٢) الصفحة : الجانب . السفود : حديدة يشوى بها اللحم . الشرب : القوم يشربون .
نسوه : تركوه . المفتأد : مكان الفأد أي شيء اللحم . يقول : ان قرن الثور في حال خروجه محمراً من جانب الكلب يشبه سفوداً انتظم عليه اللحم، وترك عند المفتأد ليشوي .
وخص الشرب لانهم يحتاجون اليه في كل ساعة لسلاكل . ونصب خارجاً على الحال .
(٣) واشق : اسم كلب . (٤) اقعاص : موت . (٥) مولاك : ابن عمك ، اي الكلب المقتول . (٦) البعد : جمع بعيد . وبرى : البعد : جمع باعد مثل خادم خدام .

بل تراه ينتقل فيها من واحد الى آخر مستغيضاً في وصف المشبه به ، فاذا وقاه حقه
اطمان الى ان ممدوحه اخذ منه قسطه الاوفر . واليسك كيف يمثل للنعمان عظمة
ملكه ، ويضرب له الامثال القصصية :

وَلَا أَرَى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ ، وَلَا أَحَاشِي مِنْ الْأَقْوَامِ ، مِنْ أَحَدٍ ، ^(١)
إِلَّا سُلَيْمَانَ ، إِذْ قَالَ الْإِلَهِ لَهُ : قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ ، فَأَحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ ^(٢)
وَخَيْسَ الْجِنِّ ، إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ ، يَبْثُونَ تَدْمُرَ بِالصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ ^(٣)
فَمَنْ أَطَاعَكَ ، فَأَنْفَعَهُ بِطَاعَتِهِ ، كَمَا أَطَاعَكَ ، وَأَدَلَّهُ عَلَى الرَّشْدِ ؛
وَمَنْ عَصَاكَ ، فَعَاقِبَهُ مُعَاقِبَةٌ ، تَنْهَى الظُّلُومَ ، وَلَا تَقْعُدُ عَلَى ضَمَدٍ ^(٤)

ثم يعود بعدهذا الاستطراد المشبع ، الى ممدوحه الذي لا يرى فاعلاً يشبهه ، فيقول :

أَعْطَى الْفَارَهَةَ حُلُومَ تَوَابِعُهَا ، مِنْ التَّوَاهِبِ ، لَا تُعْطَى عَلَى نَكْدٍ ^(٥)

واراد الشاعر ان يطلب الى الملك ، ان يكون حكيماً في تمحيص اقوال الوشاة
الذين سعوا به اليه ، فلم يجد سبيلاً الى ذلك ، غير التمثيل القصصي فقال :

وَأَحْكُمُ كَحُكْمِ فِتَاةِ الْحَيِّ ، إِذْ تَنْظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ ، وَارِدِ الشَّمَدِ ^(٦)

(١) فاعلاً : أي فاعلاً للخير . احاشي : استثنى . (٢) سليمان : اي الملك سليمان بن
داود النبي . البرية : المخلوقات . احدها : ادفعها وامنعها . الفند : الخطأ والظلم .
(٣) تدمر : مدينة قديمة في بركة الشام قبل بناها سليمان الحكيم . واما تسخير الجن لبنائها فخرافة
جاهلية . خيس : ذليل . الصفاح : الحجارة العراض . العمدة : جمع عمود . (٤) الضمد :
الذل والفيظ . (٥) الفارهة : الناقة الكريمة . توابعها : ما يتبعها من هبات . على نكد :
على ضيق وعسر . وقوله أعطى : صفة . أي ولا ارى فاعلاً اعطى منه لجة سنية ، ولا يقنع
بتلك الهبة حتى يتبعها هبات بغير مظل وتكيد . (٦) واحكم : اي كن حكيماً . الحكم :
هنا الحكمة . والمعنى : كن حكيماً في امري ولا تقبل وشاية احد بي ، كما كانت حكيمة
فتاة الحي . سراع : مسرعة . الشمد : الماء القليل وهنا الماء مطلقاً . قال ابو عبيدة : فتاة
الحي هي زرقاء الياقوت من بقايا طسم وجديس ، وكان لها قطعة فربما يوماً سرب من القطا
بين جبلين ، وكانت تبصر الاشياء على مسافة ثلاثة ايام ، فقالت : « ليت هذا الحمام لي ، ونصفه
الى حمامتي فتم لي مائة » وارادت بالحمام القطا . فوقع الحمام في شبكة صائد فعرف عدده فاذا
هو كما حسبت ، ست وستون قطاة . ويمكننا ان نضيف هذه الرواية ايضاً الى خرافات الاقدمين .

يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٌ، وَتُبَعُهُ
 قَالَتْ: «أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا
 فَحَسْبُوهُ، فَأَلْفُوهُ، كُنَّا زَعَمَتْ،
 فَكَمَلَتْ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا،
 مِثْلَ الزُّجَاجَةِ، لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ (١)
 إِلَى حَمَامَتِنَا، وَرَضْفُهُ فَقَدِرٌ» (٢)
 تَسْعًا وَتَسْعِينَ، لَمْ تَنْقُصْ، وَلَمْ تَزِدْ (٣)
 وَأَحْسَنْتَ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ (٤)

وهو اذا مدحه بالكرم استطرد ايضا الى التمثيل القصصي فيقول :

فَمَا الْفَرَاتُ، إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ،
 تَرْمِي أَوَاذِيهِ الْعَبْرِينَ بِالزَّبْدِ (٥)
 يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتَرَعٍ لِحَبِّ،
 فِيهِ رُكَّامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْحَضْدِ (٦)
 يَظُلُّ مِنَ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا
 بِالْحَيْزُرَانَةِ، بَعْدَ الْإَيْنِ وَالنَّجْدِ (٧)
 يَوْمًا بِأَجُودٍ مِنْهُ سَيْبٌ نَافِلَةٌ،
 وَلَا يَجُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ (٨)

(١) يحفه : يحيط به . النيق : الجبل . تبعه مثل الزجاجه : أي عيناً صافية مثل الزجاجه ، لم يصيبها رمد فتحتاج الى كحل . واذا كان الطير بين جانبي جبل ضاق عليه فركب بعضه بعضاً فكان اصعب لمدته . (٢) ليتما : اذا دخلت ما على لبت جاز ان تكفها عن العمل فيكون ما بعدها مبتداً وخبراً ، وجاز ان لا تكفها فيبقى لها عملها . فقد : فحسب اي لا غير . (٣) ألفوه : وجدوه . تسعاً وتسعين : اي بعد ان ضم اليه نصفه . (٤) روى ابن الاعرابي : أحسنت ، وروى الاصمعي وغيره : اسرعت . يقول : فأتمت حمامتها المائة وهي احسنت في حساب ذلك العدد . (٥) جاشت : غات وهاجت . الغوارب : الامواج واعالي الماء . الاواذي : الامواج مفردا آذي . العبرين : الضفتين . الزبد : رغوة الماء في اضطرابه . (٦) يمدُّه : اي يزيد الفرات مدداً ويقويه . مترع : ملآن . لحب : ذو صوت . الركام : الاشياء المترامك بعضها فوق بعض . الينبوت : ضرب من الشجر ذو شوك . الحصد : المنكسر من الشجر . يقول : هذا النهر يقويه كل وادٍ ملآن بالماء . يسمع له هدير لشدة جري مائه حتى ان مائه يكسر في طريقه الاشجار ويلقيها ركاماً . يريد بذلك ان يصف قوة ماء الفرات . (٧) الملاح : النوتي الذي يشتغل في السفينة . معتصماً : منسكماً . الحيزرانة : السكان وهو دفة السفينة . الاين : التعب والاعياء . النجد : العرق . يقول معظماً وصف الفرات : انه بلغ من خوف الملاح ان يتمسك بسكان السفينة من عظم ارتجاج امواجه وهيجهانه مخافة ان يتنجح في سيرها فتلتطم بالشساط فتتفرق . والهاء في خوفه تعود الى الفرات . (٨) السيب : العطاء . النافلة : العطاية الزائدة . لا يبول : لا يمنع . وهذا البيت متصل بقوله فما الفرات : اي فما الفرات ، وهو في مثل هذه الحال ، باكثر جوداً بياهاه من النعمان اذا

وإذا اراد النابغة ان يعتذر الى النعمان، شرع في تهويل الخطب، وعظم ما يقاسيه من الحُوف والرعب لغضب الملك عليه، فيصور نفسه قلق المضجع، لا يقر قراره، يبيت على الشوك مرة، وتواتبه الافاعي أخرى . ثم يأخذ في تكذيب الوشاة، فيرميهم بلواذعهم، ويقسم الاقسام على براءته . وترى خلال ذلك مبالغة في مدح النعمان وتعظيم سلطانه . فاسمعه كيف يعتذر في « عينيته » ثم في « بائيته » وهما من عيون الشعر :

وَعَيْدُ أَرِي قَابُوسَ ، فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ، أَتَانِي ، وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَّاجِعُ ^(١) ،
 فَبِتُّ ، كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مِنْ الرُّقْشِ ، فِي أَثْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ ^(٢) ،
 أَتَانِي آيْتِ اللَّعْنِ ، أَنَّكَ لَمَتِّي ، وَتَلَكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا السَّمَاعُ ^(٣) ،
 مَقَالَةٌ ، أَن مَدَّ قَلْتِ : «سَوْفَ أَنَالُهُ» وَذَلِكَ ، مِنْ تَلْقَاءِ مِثْلِكَ ، رَائِعٌ ^(٤) ،
 لَعْمَرِي ، وَمَا عُمْرِي عَلَيَّ بَهْتِينَ ، لَقَدْ نَطَقْتُ بُطْلَاعِي الْأَقَارِعُ ،
 أَقَارِعُ عَوْفٍ ، لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا ، وَجَوْهَ قُرُودٍ ، تَبْتَغِي مَنْ تُجَادِعُ ^(٥) ،
 أَتَاكَ أَمْرٌ مُسْتَبْطِنٌ لِي بِغَضَّةٍ ، لَهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، مِثْلَ ذَلِكَ ، شَافِعٌ ^(٦) ،

جساد بالنوافل التي لا تجب عليه . ثم أكد جوده بأن قال : ولا يحول عطاء يومه دون عطاء غده . وحذف عطاء الثاني لدلالة الاول عليه .

(١) في غير كنهه : اي في غير موضعه او حقيقته . دوني : امامي . راكس : واد . الضواجع : جمع ضاجعة وهي منحنى الوادي . (٢) ساورتني : واثبتني . ضييلة : دقيقة اللحم وهي صفة للحية المجدوفة ، يدل عليها ما بعدها . الرقش : جمع رقشاء وهي التي فيها نقط سود وبيض . ناقع : يجتمع ثابت . (٣) تلك : اي تلك الملامة ، دل عليها قوله : لمتني . تستك : نصح وتضيق . (٤) مقالة : مرفوعة على انها بدل من فاعل اتى في البيت السابق ، تقديره اتاني لومك ، ثم يبين اللوم فقال : هو قولك سوف اناله . وذلك : اي ذلك القول . من تلقاء مثلك : اي من عند مثلك . رائع : مخيف . (٥) اراد بالاقارع بني قريع بن عوف الذين وشوا به . وهي بدل من الاقارع الاولى . وقوله : لا احاول غيرها : اي لا احاول هجاء غيرها . تجادع : تشاتم ، اي انها تعتمد الشتيحة والسباب . (٦) مستبطن : مخف مضمر . شافع : معين ، من شفع له بالمدواة اعانه . ويريد بالمعين المنخل الشكري الذي احمه بالمتجرودة

- أَتَاكَ بِقَوْلِ هَاهِلِ النَّسِجِ ، كَاذِبٍ ،
 وَأَتَاكَ بِقَوْلِ ، لَمْ أَكُنْ لِأَقْوَالِهِ ،
 حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً ،
 لَسَكَلْتَنِي ذَنْبَ أَمْرِي ، وَتَرَكْتَهُ ،
 فَإِنْ كُنْتُ ، لَا ذُو الضَّمْنِ عَنِّي مُكَدِّبٌ ،
 وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقْوَالِهِ ،
 فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ،
 أَتَوَعَّدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةٌ ،
 وَأَنْتَ رَيْبِعٌ يَنْعَشُ النَّاسَ سَيْبُهُ ،
 وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ (١)
 وَلَوْ كُنْتُمْ فِي سَاعِدَيَّ الْجَوَامِعِ (٢)
 وَهَلْ يَأْتِمَنُ ذُو أَمَةٍ ، وَهُوَ طَائِعٌ (٣)
 كَذِبِي الْعُرِّ يُكْوِي غَيْرَهُ ، وَهُوَ رَائِعٌ (٤)
 وَلَا حَلْفِي عَلَى الْبِرَاءَةِ نَافِعٌ (٥)
 وَأَنْتَ بِأَمْرٍ ، لَا مَخَالَاةَ وَاقِعٌ (٦)
 وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عِنْدَكَ وَاسِعٌ (٧)
 وَيَتْرُكُ عَبْدٌ ظَالِمٌ وَهُوَ ظَالِعٌ (٨)
 وَسَيْفٌ ، أَعْبَرْتَهُ الْمَنِيَّةُ ، قَاطِعٌ (٩)

وقد تحلل هذه الايات استطرادات قصصية لم نر حاجة الى اثباتها ، بعد ان قدمنا عليها الشواهد الكافية في المنتخبات السابقة .

- (١) هاهل النسج : سخييف ليس بقوي . الناصع : الواضح . يقول : اناك بقول ضعيف لا اصل له كالثوب المهلهل ولم يأت بالحق الواضح . (٢) الجوامع : الاغلال مفردها جامعة . (٣) الريبة : الشك . ذو امة : ذو دين . يقول : وهل ياتم من يدين لك ويكون في طاعتك . (٤) العر : داء يصيب البعير فاذا اصابه كوي له بعير صحيح اعتقاداً منهم ان ذا العر يبرأ من دائه . يقول : حلفت انك الزمتني ذنب جان وتركته فانا وهو بمنزلة ذي العر من الابل يكوي غيره وهو رائع . (٥) يقول : اذا كنت لا تكذب عني ذا الحقد والضغينة ، واذا كان حلفي لا ينفعني على البراءة . وقد اعترض بعضهم على هذا البيت فقال : « كيف يقول : « ولا حلفي على البراءة نافع » وقد قال قبل : « حلفت فلم اترك لنفسك ريبة » . وهو اعراض سخييف ، اذ لا يكفي ان يقول الشاعر : « لم اترك لنفسك ريبة » بل يلزم ان تكون هذه الريبة زالت حقاً من نفس الملك . (٦) يقول : اذا كنت لا اؤتمن على ما اقول من الصدق ، وانك عازم على امر تفعله بي . (٧) المنتأى : المكان البعيد . اعترض الاصمعي على هذا البيت فقال : « لا معنى لتخصيص الليل لان النهار يدركه كما يدركه الليل . » وهو اعراض في غير موضعه ، لان الليل اذهب للبخائف الطريد وأضيق مجالاً لتصريف الامور . (٨) الظالع : الجائر عن الحق . (٩) ينعش : يرفع من السقطة . سيبه : عطاؤه وقوله : اعبرته المنية : من المقلوب اي اعبر المنية . كما نقول : كسوت جبةً زيبداً وانما هو كسوت زيبداً جبةً . يقول : ان هذا السيف لا يجيأ من ضرب به لان المنية فيه .

واليك اعتذاره في قصيدته « البائية » :

أَتَانِي ، أَيْتَ اللَّعْنِ ، أَنْكَ لَمْتِي ، وَتَلَكَ أَلْتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ ^(١) ،
 فَيْتُ ، كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشْتِي هِرَاسًا ، بِهِ يُعَلَى فِرَاشِي ، وَيُقَشَّبُ ^(٢) ،
 حَلَقْتُ ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً ، وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ ^(٣) ،
 لَبْنِ كُنْتُ قَدْ بُلِقْتُ عَنِي خِيَانَةً ، لَمْ يَلْعَنَكَ الْوَالِشِيُّ أَغْشُ وَأَكْذَبُ ^(٤) ،
 فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي ، إِلَى النَّاسِ ، مَطْلَبِي بِهِ الْقَارُ ، أَجْرَبُ ^(٥) ،
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ، تَرَى كُلَّ مَلِكٍ ، دُونَهَا يَتَذَبذبُ ^(٦) ،
 بِأَنَّكَ شَمْسٌ ، وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ ، إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبُ ^(٧) ،
 فَإِنَّكَ مَظْلُومًا ، فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ ، وَإِنَّ تَكُ ذَا عَيْبِي ، فِيمِثْلِكَ يُعْتَبُ ^(٨) ،

وللناطقة اسلوب آخر في مدح الملوك ، قد نستنكره ونتمهم فيه ذوق صاحبه ، لولا ظننا انه لم يكن مستهجنًا في العصر الذي عاش فيه الشاعر . وهذا الاسلوب هو رثاء ممدوحه حياً ، والبكاء عليه قبل ان يموت .

على اننا وان كنا نزعم ان البكاء على مناقب المراء في حياته كان مقبولاً في العصر الجاهلي ، فلا يسعنا القول انه شاع عندهم ، بل ربما تحامته طائفة جليلة من

(١) أنصب : أتعب . (٢) العائدات : الزائرات في المرض . الهراس : نبت له شوك كثير . يُقَشَّبُ : يُجَدَّدُ . يقول : لما عرفت انك لمتني ، بت كأنني مريض لما بي من الهم ، وكان الزائرات في مرضي بسطن لي شوكة على فراشي يجدد مرة بعد مرة وانا اقلقل فوقه ولا انام . (٣) يقول : ليس بعد اليمين بالله طلب ليمين غير . (٤) أغش وأكذب : للمبالغة لا للتفصيل أي غاش كاذب . (٥) القار : القطران . يقول : لا تدعني تحت حديدك فتبعد عني الناس ، كما تبعد الابل الصحيحة من البعير الجرب المطلي بالقطران . وقوله : الى الناس : اي في الناس . وقوله : مطلي به القار : على القلب أي مطلي بالقار . (٦) سورة : مترلة وفضيلة . يتذبذب : يضطرب ويتردد لئسألها فلا يستطيع . (٧) اي انه يججب الملوك كما تججب الشمس الكواكب . ويريد هنا وصف عظمة السلطان لاجمال الوجه لان النعمان كان قبيحاً . (٨) العتبي : الرضي . يُعْتَبُ : يعطي العتبي ، ويترك ما غضب لاجله . أي وان رضيت عني فمثلك من يترك ما كان غضب لاجله .

الشعراء المداحين ، كزهير مثلاً فإنه لا يقل شهرة في المدح عن النابغة ، ولكن لم يتورط مثله في هذا الاسلوب العَبُوس^(١) .

على ان هذا الاسلوب لم يبق له حظ في الاسلام ، بعد ان لطفت الاذواق ، ورقت المشاعر ، فاصبح المدوح يتطير ، ويزجر مادحه اذا جاءه بهذه البضاعة السوداء^(٢) .

واليك شيئاً من بكاء النابغة على ممدوحيه وهم احياء . قال من قصيدة يعتذر بها الى النعمان وقد ذكر له انه عليل :

أَلَكْ أَخْيِرُ إِنِّ وَارَتْ بِكَ الْأَرْضُ وَاحِدًا ، وَأَصْحَحَ جَدُّ النَّاسِ يَظْلَعُ عَائِرًا ،^(٣)
وَرُدَّتْ مَطَايَا الرَّاعِيْنَ ، وَعَعْرِيَتْ جِيَادُكَ ، لَا يُحْفِي لَهَا الدَّهْرُ حَافِرًا^(٤)

(١) لا نذكر لزهير من هذا القبيل الا ثلاثة ابيات ، ولكنها ليست من باب الرثاء بل من الحكم والمواعظ وهي من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان :

فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ ، وَلَكِنْ حَسَدَ الْمَرءِ لَيْسَ بِمُخْلِدِ
وَلَكِنْ مِنْهُ بَاقِيَاتٌ وَرِائَةٌ فَأَوْرَثَ بِبَيْتِكَ بَعْضَهَا ، وَتَرَوَدُ (١)
تَرَوَدُ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَانْسَ ، وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ ، آخِرُ مَوْعِدِ
(١) يقول : ولكن يبقى من هذا الحمد ما يتوارث فيه يوم مقام الحياة لصاحبه ، فأورث بعض مكارمك ومحامدك ببنيك ، وتروود بعضها الآخر الى ما بعد موتك . وهذا البيت يدل على ايمان بالثواب والعقاب .

(٢) من قبيح ما وقع لابي نواس ، على لطف ذوقه ودقة احساسه ، ان الفضل بن يحيى (البرمكي بنى داراً استفرغ فيها مجهوده وانتقل اليها . فصنع ابو نواس قصيدة يمدحه بها اولها :

أَرْبَعُ الْبَيْلَى إِنَّ الْحُشُوعَ لِبَادٍ عَلَيْكَ ، وَائِي لَمْ أَخْنُكَ وَدَادِي
وقال في اوآخرها :

سلامٌ على الدنيا اذا ما فُقدتمُ بني بَرْمَكٍ من رائجين وغادر
فتطير منها الفضل واشماز حتى كلع وظهرت الوجحة عليه ثم قال : نعميت الينا انفسنا يا ابا نواس .
(٣) وارت : دفنت وغيبت . الجد : الحظ . يظلع : يخرج . يقول : ادعوك بالخير اذا وارتك الارض فانما تواري واحداً لا مثيل له في فعله ، ويصبح حظ الناس بعدك عائراً وتحتل احوالهم . (٤) الراغسون : الطالبون للمعروف . عريت جيادك : أي حطت عنها السروج ولم تستعمل في سفر ولا غزو ، وأهملت فما يحفي لها السير حافراً .

وقال فيه ايضاً :

فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ ربيعُ النَّاسِ ، وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ ^(١)
وَتُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجْبَ الظَّهْرُ ، لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ ^(٢)

ولا يقتصر التابفة على رثاء ممدوحه مريضاً ، بل ربما رثاه وهو صحيح الجسم معافى ، كما فعل في النعمان بن الحرث ، وقد خرج الى بعض متزهاته :

إِنْ يَرْجِعِ النُّعْمَانُ نَفْرَحَ وَنَبْتَهَجُ ، وَيَأْتِ مَعَدًّا مُلْكُهَا وَرَبِيعُهَا ^(٣)
وَيَرْجِعُ إِلَى غَسَّانِ مُلْكٌ وَسُودِدٌ ، وَتِلْكَ الْغَنَى لَوْ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُهَا ^(٤)
وَإِنْ يَهْلِكِ النُّعْمَانُ تُعْرَ مَطِيَّةٌ ، وَيُلْقَى إِلَى جَنْبِ الْفِنَاءِ قُطُوعُهَا ^(٥)
وَتَنْحَطُ حَصَانٌ آخِرَ اللَّيْلِ نَحْطَةً ، تَقْضُضُ مِنْهَا ، أَوْ تَكَادُ ضُلُوعُهَا ^(٦)
عَلَى إِثْرِ خَيْرِ النَّاسِ إِنْ كَانَ هَالِكًا ، وَإِنْ كَانَ فِي جَنْبِ الْفِرَاشِ ضَجِيعُهَا ^(٧)

أفلا ترى في هذه الامثلة رثاء لحي ، وعويلاً على غير ميت . بيد ان ذلك

(١) ربيع الناس : جمعه بمنزلة الربيع في الحصب لكثرة عطائه وفضله . الشهر الحرام : كناية عن الأمن ، لان الاشهر الحرم يمتنع فيها القتل والغزو . (٢) ذناب الشيء : طرفه .
أجب الظهر : اي لاستنام له . يقول : تمسك بعمده بطرف عيش قليل الخير بمنزلة البعير المهزول الذي قد ذهب سنامه . (٣) يقول : ان يرجع النعمان من رحلته نفرح ونبتهج الى معدد ملكها الذي كان لها بسببه خصها وصلاح حالها . واول هذا البيت لحقه الحرم فحذف فاء فعولن ، والحرم من العلل التي تطروء على الاوتاد . (٤) قال ابو بكر : « وقوله : تلك المنى . إشارة الى رجعتي اي رجعتي هي المنى لو استطعناها وقد رنا عليها . وظاهر هذا انه رثاه .
(٥) تعر : أي يترع عن المطية الرحل وتعري منه . فناء الدار : ساحة أمامها . القطوع : جمع قطع وهي كالطنفسة . يقول : ان هلك النعمان ترك كل وافد عليه مطيته ولم يستعملها ورمى بأدواتها الى جنب فناء الدار استغناء عنها . ويريد بالوافد طالب عرف النعمان . (٦) تنحط : تزفر من الحزن . الحصان : المرأة العفيفة . تقضض : تنكسر . يقول : اذا تذكرت معروفه وافضاله حاجت لما زفرت تكاد تنكسر منها ضلوعها ، وخص آخر الليل لانه وقت الحبوب من النوم ، وقيل انه وقت برقب فيه العدو او وقت الفسارة فتتذكر النعمان لذوده عنها ونصره لها . (٧) يقول : وان كان معها زوجها في تبكيه وتذكر معروفه وأياديه ولا تحتشم .

لا يقدر في شاعرية النابغة ، وله من درره الغوالي ما يشفع به ويوجب سيئاته ،
إن كان ثمة من سيئة .

ولا ندحة لنا عن ايراد شي . من « بائته » الشهيرة التي امتدح بها آل غسان ،
فهي خير ما يمدح به الملوك . قال :

كَلَيْنِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ ،
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ،
وَصَدْرِي أَرَا حَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَيْتِ ،
عَلَيَّ لِعَمْرٍ وَنِعْمَةٌ ، بَعْدَ نِعْمَةٍ
وَتَيْتُ لَهُ بِالْتَضَرِّ ، إِذْ قِيلَ قَدَغَزَتْ
إِذَا مَا غَزَاوَا بِالْجَيْشِ ، حَلَقَى فَوْقَهُمْ
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ
تَقْدُ السَّلُوقِي الْمُضَاعَفِ نَسْجُهُ ،

وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِي . الْكَوَاكِبِ (١)
وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبِ (٢)
تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٣)
لَوْ أَلِدُهُ ، لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ (٤)
كُتَابٌ مِنْ غَسَّانَ ، غَيْرُ أَشَائِبِ (٥)
عَصَابٌ طَيْرٌ ، تَهْتَدِي بِعَصَابِ (٦)
رَبُّونَ فُلُوقٍ ، مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ (٧)
وَتَوْقُدُ بِالصَّفَاحِ نَارَ الْجَبَابِ (٨)

(١) كليلني : دعيني . يا أميمة : هكذا رويت مفتوحة التاء . قال الخليل : « من عادة العرب ان تنادي الوثث بالترخيم فتقول يا أميم ، ويا عاز ، ويا سلم . فلما لم يرحم لمسلم حاجته الى الترخيم اجراها على لفظه مرخمة واتى بها بالفتح . والاحسن ان يُنشد يا أميمة بالرفع » . ناصب : من نصبه الهم : أنعبه . وقوله : بطي . الكواكب : اي بطيه ازوال لانه يغيب بغياب كواكبه . (٢) آيب : راجع . يقول : تطاول هذا الليل حتى ظننت انه لا ينقضي ، واني سأظل ارعى النجوم قائماً فلا ارجع الى اهلي . (٣) أراح : رد . عازب : بعيد . يقول : ورب صدر ، ويريد به صدره ، رد الليل ما بعد من هم في النهار فتضاعف الحزن فيه من كل جانب . والليل كما لا يخفى ثقيل على المهوم . (٤) عمرو : اي عمرو بن الحرث اخي النعمان . ليست بذات عقارب : اي لم يكدرها من ولا أذى . (٥) كتاب : قطع الجيوش مفردة كتيبة . اشائب : اخلاط . يقول : انه غزا بفسان لم يخالطها غيرها ولا احتاج ان يستعين بسواها . (٦) العصائب : الجعاعات . يقول : ان الطيور الجوارح ترافق جيوشهم الى الحرب ، لتمودها ان تنهش لحوم القملى كلما غزا ملوك غسان . (٧) الفلوق : الثلوم . القراع : المجادلة . يقول : لا عيب في بني غسان غير ان سيوفهم مثامة من كثرة مقارعة الجيوش . وهذا العيب فخر لهم وفضل ، ويسمى في البيسان توكيد المدح بما يشبه الذم . (٨) نقد : تقطع . السلوقي : نسبة الى سلوق مدينة باليمن او بغيرها

لَهُمْ شَيْمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ
مَجَلَّتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ ، وَدَرَبَتْهُمْ
رِقَاقُ التَّعَالَى ، طَيَّبَ حُجْرَاتَهُمْ ،
تُحَيَّتُهُمْ بِيضُ الْوَالِدِ بَيْنَهُمْ ،
يَصُونُونَ أَجْسَامًا قَدِيمًا نَعِيمَهَا ،
وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرًّا بَعْدَهُ ،

مِنَ الْجُودِ ، وَأَلْحَامٌ غَيْرُ عَوَازِبِ (١)
قَوِيمٌ ، فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ (٢)
يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَابِ (٣)
وَأَكْسِيَةَ الْأَضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ (٤)
بِحَالِصَةِ الْأَرْدَانِ ، خَضِرَ الْمَنَاقِبِ (٥)
وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَارِبِ (٦)

قتسب إليها الدرور والسكلاب . المضاعف نسجه : الذي نسج حلقتين او مثلين . الصفاح : حجارة عراض . الهياح : ما اقتدح من شرر النار في الهواء بتصادم حجرين ، وسراج الليل وهو ذباب يطير بالليل له شعاع . يقول : هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة وتقطع معها الفارس والفرس ، وتصل الى الحجارة فتقذح بها شرراً . وفي ذلك غلو فاحش يعيب به الشاعر .

(١) الشيمة : الطبيعة . الاحلام : العقول . عوازب : بعيدة . يقول : لهم شيمة من الجود لم يعطاها الله غيرهم . وعقولهم حاضرة معهم غير بعيدة منهم ولا غائبة عنهم . (٢) مجلتهم : الكتاب المتضمن للحكمة او كل كتاب ، وهي هنا الانجيل لان بني غسان كانوا نصارى . ذات الاله : أي كلامه لانه صادر عن الذات وهي النفس والارادة . فما يرجون غير العواقب : اي لا يخافون الا عواقب اعمالهم عند الله . (٣) رقاق التعال : كناية عن انهم ملوك ليسوا بأصحاب مني حتى تكون تعالهم غليظة . طيب حجراتهم : كناية عن انهم اعفاء محضون . والحجرات جمع حجرة : معقد الازار ، اي يعقدون ازرهم على عفة وحصانة . السباب : عيد السمانين عند النصارى . ويعرف اليوم بالثمانين . (٤) الولائد : الاماء . الاكسية جمع كساء : الثوب . الاضريح : الخزائر . المشاجب : جمع مشجب وهو عود يعلق عليه الثوب . يقول : هم ملوك اهل نعمة تحدهم الاماء البياض الحسن ، وتحبيهم بالريحان يوم السباب وثياهم مصونة لا تطرح على الارض بل تعلق على الاعواد . (٥) الاردان جمع الرذن : مقدم كم القميص . الخالص : الشديد البياض . المناكب : جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف . وقوله قديماً نعيمها : اي انهم ملوك ابناء ملوك ليسوا بحديثي النعمة . يقول : انهم يصونون اجسادهم بثياب بياض الاكام خضر المناكب . ويجوز ان تكون هذه الثياب بياضاً كما كانت . او ان تعود بلونها على اكسية الاضريح فكأنه يقول : يصونون اجسادهم بثياب من اكسية الاضريح بياض الاردان خضر المناكب . (٦) لارب : ثابت . وضربة لارب : اي شيء لازم ثابت . يقول : قد عرفوا تصرف ازمان وتقلبه فباذا اصابهم خير لم يتقوا بدوامه فيبطروا ، واذا اصابهم شر لم يرهقهم ولا يحملهم على القنوط . فوصفهم بالاعتدال

وفي هذه القصيدة الحسنة من الفوائد التاريخية عن ملوك غسان شيء يذكّر ،
 فهي تعلمنا انهم كانوا يلبسون النعال الرقيقة . والنعال الرقيقة لا تصلح للسير ، وما
 يدل على انهم كانوا لا يخرجون من دورهم الا مستطين صهوات جيادهم . وتعلمنا
 ايضاً انهم كانوا يباشرون الحفلات الدينية بانفسهم ، فاذا جاء عيد الشعانين ساروا
 الى الكنيسة ، والولائد البيض بين ايديهم تحميمهم بالرياحين . وتعلمنا على شكل
 ألبستهم وأوانها ، وانهم كانوا يعلقونها على أعواد تسمى « المشاجب » كما تعلق
 اليوم ثيابنا .

وقد تبين لنا من هذه القصيدة وغيرها ما في النابغة من خصائص يمتاز بها
 في المديح والاعتذار ، ورأينا ما في شعره من روعة وبهاء لوضوح معانيه ، ورونق
 الفاظه ، وبعده من الحشو والتكلف ، والركيك الساقط .

عزيمته

هو في طليعة شعراء الطبقة الاولى . عدّه ابن سلام بعد امرئ القيس ، وقبل
 زهير والاعشى ، وقد كثّر الخلاف في أيهم اشعر . قال ابن سلام : « قال من احتج
 للنابغة : كان احسنهم ديباجة شعر ، واكثرهم رونق كلام ، واجزلهم بيتاً . كان
 شعره كلام ليس فيه تكلف . » وشهد له عمر بن الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ،
 وابو الاسود الدؤلي وحماد الراوية ، والاختل ، وجريز ، فقالوا : انه اشعر العرب ^(١)
 وشهد حسان بن ثابت يوم رجوعه الى النعمان فكان يقول : فحسدته على ثلاث
 لا ادري على ايتهن كنت له اشد حسداً : على ادنا. النعمان له بعد المباحدة
 ومسامرته له واصفائه اليه ، ام على جودة شعره ، ام على مائة بعير من عصافيره امر
 له بها ؟ »

وجماع القول ان منزلة النابغة في الشعر سامية المقام ، عزيزة المنال . فهو شاعر
 الملوك ، وحكم سوق عكاظ ، ونابغة الشعراء . . .

(١) كان الاقدمون يفضلون الشاعر على غيره بيت او اكثر ثم يفضلون غيره عليه بيت
 او اكثر . فلا تعجب لقول عمر بن الخطاب : ان النابغة اشعر العرب ، وقد حكم لزهير
 بذلك ، على انه ينبغي لنا ان نعلم ان هذه الاحكام لم تتناول سوى فحول الشعراء .

قد نكون مسرفين في هذه التسمية ، لان الادب العربي لم يعرف الشعر الحمري على حقيقته ، الا بعد نبوغ ابي نواس شاعر الحمرة وزعيم شعرائها . على اننا لا نحب ان نبخس العصر الجاهلي حقه ، وفيه شاعراتن هذا الفن ، وفاق به معاصريه ، الا وهو الاعشى .

(١) الاعشى الاكبر

٦٢٩ م — ٥٧ هـ

- حياته : شاعر جوال متكسب شعره . يمدح ويحجو . تفنن الرواة في خبر المخلوق . اسره ومدحه لابن السموأل . خبره في الاسلام ، ومدحه الرسول . الشك في نسبة القصيدة اليه . تاريخ وفاته .
- آثاره : ديوان فيه شعر كثير . اشهره لاميتان تمدان من المعلقات . نظم في المدح ، والهجاء ، ووصف الحمر ، والغزل .
- ميزته - الشعر الحمري : وصف الحمرة للخمرة لا للتفاخر بشرحها . يصف التندم والساقى والقيسة وعودها . يصور حالة السكرى . صاحب لحو وعبث . السهولة والانسجام ، ووضوح المعنى . متراته : الاعشى في الجاهلية كالحسن في الاسلام .

حياته

هو مَيْمُونُ بن قَيْسِ بن جَنْدَلٍ ، ينتهي نسبه الى بكر بن وائل من ربيعة ، لقب بالاعشى لسوء بصره ، وكُني بابي بصير تفاقولاً بالشفاء ، او لنفاذ بصيرته . وُسْمِي صنّاجة^(٢) العرب لانه كان يتغنى بشعره . وكان يقال لايه « قتييل الجوع » وذلك

(١) الاعشى : الاعمى أو من ساء بصره فلا يبصر ايلاً . ووصف بالاكبر تمييزاً له عن غيره من الشعراء الذين عرفوا بهذا اللقب . (٢) الصنّاجة : صاحب الصنّج وهو آلة للطرب ، والثناء هنا للمبالغة لا للتأنيث .

انه كان في جبل ، فدخل غاراً ليستظل فيه من الحر ، فوَقعت صخرة من الجبل فسدت الغار ، فمات فيه جوعاً . وفيه يقول جِهَنَامُ واسمه عمرو ، وكان يستهاجى هو والاعشى :

أَبُوكَ قَتِيلُ الْجُوعِ قَيْسُ بْنُ جَنْدَلٍ ، وَخَالَكَ عَبْدٌ مِنْ خِمْعَةَ ، رَاضِعٌ^(١)

والاعشى من اهل اليامة ، من قرية تسمى «منفوحة» ولكنها لم تكن قراراً له ، بل كان ينتجع بشعره اقاصي البلاد سائلاً متكسباً . قيل انه وفد على ملوك فارس ، وسمعه كسرى مرة ينشد :

أَرَأَيْتُ وَمَا هَذَا الشُّهَادُ الْمُوَزَّقُ؟ وَمَا بِي مِنْ هَمٍّ وَمَا بِي مَعْشَقُ

فقال : « ما يقول هذا العربي ؟ » قالوا : « يتغنى بالعربية » قال : « فسروا قوله »

قالوا : « زعم انه سهو من غير مرض ولا عشق » قال : « فهذا اذا لص^٢ »

وهذا البيت مطلع قصيدة مدح بها رجلاً من بني كلاب يقال له الملق^(٣) ، والملحاق قصة فكهة استعملها الرواة ، فتفننوا فيها ما شاؤوا . واليكها :

عند المجلس الكلابي

كان الاعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة ، وكان الملق^(٤) الكلابي مثناً^(٥) مُبْلِقاً^(٦) . فقالت له امرأته : « ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر ، فما رأيت احداً

اقتطعه الى نفسه الا اكسبه خيراً » قال : « ويحك ما عندي الا ناقتي » قالت :

« الله يخلفها عليك . » فتلقاها قبل ان يسبقه اليه احد ، وابنه يقوده ، فاخذ الحظام^(٧)

فقال الاعشى : « من هذا الذي غلبنا على خطامنا ؟ » قال : « الملق » قال : « شريف

كريم » ثم سلمه اليه ، فأناخه ، فمخرو له ناقته وكشط^(٨) له عن سنابها^(٩) وكبدها

ثم اسقاه خمراً ، واحاطت به بناته بخدمته ويمسحنه^(١٠) . فقال : « ما هذه الجواربي

(١) خِمْعَةَ : اسم قبيلة . راضع : لثيم . (٢) الملق : سمي الملق لأن فرسه عضته في خده فتركت به اثرا على شكل الملقمة . (٣) المثنات : كثير البنات . (٤) مبلقاً : فقيراً . (٥) خطام الناقة : زمامها (٦) كشط : أي ازال الجلد ورفعه . (٧) السناب : الحدبة . (٨) يمسخنه : يدهنه بالطيب .

حوالي ؟ » فقال : « بنات اخيك وهن ثمان » . فلما رحل من عنده ، ووافى سوق عكاظ ، جعل ينشد قصيدته في مدحه . فسألم عليه الملقئ ؛ فقال له الاعشى : « مرحباً ياسيدي بسيد قومه » ونادى : « يا معاشر العرب ! هل فيكم مذكر (١) يزوج ابنه الى الشريف الكريم ؟ » فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة (٢) الا وقد زوجها .

ورواها التوفلي على شكل اغرب . فزعم ان ابا الملقئ رجل شريف اتلف ماله ، ولم يترك لابنه الملقئ وبناته الثلاث غير ناقه وحلتي برود (٣) . فاقبل الاعشى من بعض اسفاره يريد اليمامة ، فتزل الماء الذي به الملقئ ، فقراه (٤) اهل الماء . فألحت عمة الملقئ على ابن اخيها ان يرسل اليه الناقة والبردين ، وزق خم يستقرضه من بعض التجار ، ثم نطقت بتلك الجملة المأثورة التي سنسمعا بعد قليل من الاعشى : « والله لئن اعتلج (٥) الكبد والسنام والحمر في جوفه ونظر الى عطفيه (٦) ليقوان فيك شعراً يرفعك به » فرضي الملقئ بعد امتناع وجدال ، ووجه بالناقه والحمر والبردين مع مولى (٧) لايه وكان الاعشى قد ارتحل ، فخرج المولى يتبعه من بلد الى بلد حتى صار الى منزله في منفوحة ، فوجد عنده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم ، وصب لهم فضيخاً (٨) . فلما أخبر بقدمه ، وبما معه قال : « ويحككم ، اعرابي اوالذي ارسل الي لا قدر له . والله لئن اعتلج الكبد والسنام والحمر في جوفي لاقولن فيه شعراً لم اقل قط مثله . ثم نحرروا الناقة ، وشقوا خاصرتها عن كبدها ، وجلدها عن سنابها ، واقلوا يشوون ، وصبوا الحمر فشربوه ، واكل الاعشى وشرب معهم ، ولبس البردين ونظر الى عطفيه فيها ، وانشأ يمدح الملقئ . فسار الشعر وذاع في العرب ، فانت سنة حتى زوج الملقئ اخواته الثلاث ، كل واحدة على مائة ناقه ، فأيسر وشرف

ولم يكتب الرواة بنحو الملقئ وما فيه من اغراب ، بل اضافوا الى الاعشى

(١) المذكر : من بلد الذكور . (٢) مخطوبة : اي تصلح للخطبة . (٣) الحلبة : الثوب الجديد . البرود جمع برود : ثوب مخطط . (٤) قراه : اضافه . (٥) اعتلج : تضارب . (٦) عطفيه : جانبيه . (٧) المولى هنا : العبد . (٨) الفضيخ : اللبن يخلط بالماء حتى يغليه فيبرق .

مهرة ثانية في تزويج العوانس ^(١) ، فزعموا : « ان امرأة جاءت اليه فقالت : « ان لي بنات قد كسدن ، فشبب ^(٢) بواحدة منهن لعلها تنفق » فشبب بواحدة منهن ، فما شعر الا بجزور ^(٣) قد بعث به اليه . فقال « ما هذا » قالوا : « زوجت فلانة » فشبب بالاخري ، فأتاه مثل ذلك ، فسأل عنها فقيل : « زوجت » . فما زال يشبب بواحدة فواحدة حتى زوجن جميعاً . »

على ان هذا الاغراب في سرد الروايات ، وهذه الكثرة في التزويج ، لا يمنعان ان يكون لقصة المخلق وبنساته أو أخواته بعض الصحة . فالقصيدة التي مدحه بها الاعشى من جيد الشعر ، ولم يشك احد في نسبتها اليه . ومما جاء فيها قوله :

لَعْمَرِي ، لَقَدْ لَاحَتْ عِيُونٌ كَثِيرَةٌ ، إِلَى ضَوْءِ نَارٍ ، فِي يَفَاعٍ تُحْرَقُ ^(٤)
 تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ، وَبَاتَ عَلَى النَّارِ الْأَنْدَى وَالْمُحَلَّقُ ^(٥)
 رَضِيعِي لِبَانَ تُدِي ، أَمَّ تَحَالَفَا ، بِأَسْحَمَ دَاجٍ : عَوْضُ لَا تَنْتَفِرُقُ ^(٦)

وانتهى الى قوله :

أَبَا مَسْمَعٍ ، سَارَ الَّذِي قَدْ فَعَلْتُمْ ، فَأَنْجَدَ أَقْوَامٌ بِهِ ، ثُمَّ أَعْرَقُوا ^(٧)
 بِهِ تُعَقِّدُ الْأَجْمَالُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ، وَتُعَقِّدُ أَطْرَافُ الْجِبَالِ ، وَتَطْلُقُ ^(٨)

(١) العوانس : جمع عانس وهي البنت اذا طال مكثها في دار اهلها بعد ادراكها ولم تتزوج .
 (٢) شبب : نزل بالمرأة ووصفها . (٣) الجزور : ما يذبح من الشاء والابل واحدها جزرة وتوث . فيقال : رعت الجزور . (٤) لاح اليه : نظر اليه . اليفاع : المرتفع من الارض . وكان كرام العرب يوقدون نيرانهم ليلاً في الامكنة العالية ليتهدي بها الضيفان الى منازلهم .
 (٥) تُشَبُّ : توقد . المقرور : من أصابه البرد . يصبليانها : يستدفئان بحرّها . (الندى : الكرم . يقول : أوقدت هذه النار لرجلين غريبين اصابهما البرد . والرجلان هما الاعشى وابنه . ثم قال : وبات على النار الندى والمحلّق : اي ان الجود والمحلّق كانا يستبقان الى قري الرجلين فلا يفارقان النار . يشير بذلك الى كثرة الطبايح . (٦) اللبان : الرضاع ولبن المرأة . ورضيعي لبان حال من الندى والمحلّق . الاسحم : الاسود صفة ليل المحذوف . داج : مظلم . عوض : ابدأ ظرف زعمان مبني على الضم . يقول : ان المخلق والكرم أخوا لبان تحالفا في ليل مظلم وقالوا : « لا تنفرق ابدأ » وقوله : تحالفا في ليل مظلم . لان فيه يكثر طروق الضيفان . ورويت : رضيعي لبانٍ تُدِي أم ، بنصب تُدِي على تزعم الخافض أي من تُدِي أم . (٧) انجد : اتى نجداً . أعرق اتى العراق . يقول : ان عمل المخلق سار ذكره في البلاد . (٨) الاجمال : جمع حمل .

عند سُريح به السموأل

وكان الاعشى خبيث اللسان يحسن الهجاء كما يحسن المدح . فها مرة رجلاً من بني كلب فقال :

بَنُو الشَّهْرِ الحَرَامِ ، فَلَسْتَ مِنْهُمْ ، وَلَسْتَ مِنَ الكِرَامِ ، بَنِي عَيْدِ ،
وَلَا مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بْنِ قُرْطِ ، وَلَا مِنْ رَهْطِ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ .

وهؤلاء كلهم من بني كلب . فقال : الكلبي : « لا اباك انا اشرف من هؤلاء » .
وقد سبه الناس بهجاء الاعشى اياه .

واتفق ان الكلبي اغار على قوم قد بات فيهم الاعشى ، فأسر منهم نفرأ ،
واسر الاعشى وهو لا يعرفه . ثم جاء حتى نزل بشريح بن السموأل بن عادياء
اليهودي ، صاحب تيماء بحصنه الابلق . فرأ سُريح بالاسرى فعرف الاعشى ، فقال
للكلبي : « ما ترجو بهذا الشيخ ولا فداء له ، فبه لي » فوهبه له . فاخذه
سُريح فأطعمه وسقاه ، فلما اخذ منه الشراب سمعه يترم بهجاء الكلبي ، فاراد
استرجاعه فقال الاعشى :

سُريحُ لَا تَتْرُكْنِي بَعْدَ مَا عَلِقْتُ حَبَاكَ الْيَوْمَ ، بَعْدَ الْقَيْدِ ، أَظْفَارِي (١)
قَدْ جُلْتُ مَا بَيْنَ بَانِقِيَا إِلَى عَدَنَ ، وَطَالَ فِي الْعَجْمِ تَرْدَادِي ، وَتَسْيَارِي (٢)
فَكَيْفَ أَكْرَمَهُمْ عَهْدًا ، وَأَوْثَقَهُمْ مَجْدًا ، أُبُوكَ ، يَعْرِفُ غَيْرَ إِسْكَارِ (٣)
كَالْفَيْثِ مَا اسْتَمَطَرُوهُ ، جَادَ وَإِبْلَهُ ، وَفِي السَّدَادِ كَالْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي (٤)

يقول : ان كرمكم اشتهر في الناس فصاروا يتحدثون به في حلهم وترحالهم . (١) علقت :
استمسكت ، ونسبت وقوله حبا لك : نصيها على تزعم الخافض والاصل ان تعدى بالباء .
القيد : القيود . اظفار : فاعل علقت . يقول : لا تتركني بعد ان استمسكت ببغال معونتك بعد
القيد والاسر . (٢) بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . عدن : ثغر على مدخل مضيق باب المنذب
من ناحية اليمن . (٣) العرف : ما يعرفه الناس عامة ويستقر في نفوسهم . (٤) الفيث : المطر .
ما : مصدرية زمانية . استمطروه : طلبوا مطره . الوابل : المطر الغزير . المستأسد : المتشبه بالاسد ،
ويريد به هنا الاسد نفسه . الضاري : صفة الاسد المغترس وكل سبع . شبهه بالغيث في جوده ثم
فضله على الغيث بقوله : انه يظل يجود على الناس بوابله مدة طلبهم جوده أي انه لا يقطع عنهم العطاء

كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ
 إِذْ سَامَهُ خُطْبِي خَسْفٍ ، فَقَالَ لَهُ :
 « قَالَتْ » غَدْرٌ وَتُكَلُّ أَنْتَ بَيْنَهُمَا ،
 فَشَكَ غَيْرَ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
 وَسَوْفَ يُعْتَبِنِي ، إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ ،
 فَأَخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْ لَا يُسَبَّ بِهَا ،
 فِي جَحْفَلٍ ، كَهَزْبِيعِ اللَّيْلِ ، جَرَّارٍ ^(١)
 « قُلْ مَا تَشَاءُ ، فَإِنِّي سَامِعٌ حَارٍ ! » ^(٢)
 فَأَخْتَارَهَا ، وَمَا فِيهَا حَظٌّ لِمُخْتَارٍ ^(٣)
 « أَقْتُلْ أُسَيْدَكَ ، إِنِّي مَانِعٌ جَارِي ، » ^(٤)
 رَبِّ كَرِيمٍ ، وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْحَارٍ ! » ^(٥)
 وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِمُخْتَارٍ ^(٦)

فأعطاه شريح ناقة فركبها ووضى من ساعته . ثم عرف الكلبي حقيقة امره فارسل
 في اثره فلم يلحقه .

الاعشى في الاسلام

يجمع الرواة على ان الاعشى ادرك الاسلام ولكنه لم يسلم . ويضيف اليه
 بعضهم قصيدة مدح بها النبي محمداً لما وفد عليه . غير ان قريشاً حالوا دون
 وصوله الى الرسول ، فرصدوه على طريقه ، وكان فيهم ابوسفيان بن حرب . وقالوا :
 « هذا صنأجة العرب ، وما مدح احداً قط الا رفع قدره . » فلما ورد عليهم

ما داموا يستطرونه . ثم شبهه في الحروب بالاسد الضاري . (١) الهمام : السيد الشجاع ،
 ويريد به الحرث بن ظالم المرثي . الجحفل : الجيش العظيم . هزيع الليل : قطعة منه . جرار :
 كثير كأنه يجر وراءه جيوشاً . يقول : كن كأبيك السموأل في الوفاء لما اتاه الحرث في
 جيش جرار طبق الارض غباراً فكانه الليل في اسوداده . (٢) سامه الامر : كلفه اياه ،
 واكثر ما يستعمل في الظلم والضم . الحطسة : الطريقة . الحسف : الذل والقهر . حار :
 يا حارث منادي مرخم . يقول : طلب منه امر بن فيها ذل وقهر له . فقال السموأل : قل
 ما تشاء يا حارث فاني سامع لك . (٣) كان امرؤ القيس بن حجر الكندي الشاعر قد
 اودع عند السموأل دروعه قبل ذهابه الى القسطنطينية . فجاء الحرث بن ظالم المرثي ليأخذها
 منه فتحصن السموأل في ابلقه ، فاخذ الحرث ابن السموأل وكان في الصيد فقال : « إما
 سلمت الي الادراع ، وإما قتلت ابنك » فابى ان يسلمها ، فضرب الحرث وسط الغلام بالسيف
 فقطعه قطعتين . فضرب المثل بوفاء السموأل . (٤) شك غير طويل : تحير قليلاً في امره .
 (٥) يعقبنيه : أي يأتيني بعقب غيره . بيض : اي نساء بيض . (٦) العهد : الذمة . المختار :
 القادر اتقح الغدر .

قالوا : « اين اردت يا ابا بصير ؟ » قال : « اردت صاحبكم هذا لاسلم . » قالوا : « ينهاك عن خلال ويجرمها عليك و كلها موافق لك » قال : « وماهي ؟ » قالوا : « القمار والزبا والحمر . » قال : « اما القمار فلعلي ان لقيتسه ان اصيب منه عوضاً من القمار ؛ واما الزبا فما دُرْتُ ولا أدنْتُ ؛ واما الحمر ، اوه ا فأرجع الى صُباية قد بقيت في المهراس ^(١) فأشربها . » فقال ابو سفيان : « هل لك في خير مما هممت به ؟ » فقال : « وما هو ؟ » قال : « نحن الآن وهو في همدنة ، فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير اليه امرنا ، فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً ، وان ظهر علينا اتيتّه . » فقال : ما اكره ذلك . فجمعت له قوريش مائة من الابل ، فأخذها وانطلق الى بلده ، فلما كان قريباً من قريته «منفوحة» باليامة رمى به بعيه فقتله .

ولكن لا ندري مبلغ هذه الرواية من الصحة ، فالتفتن القصصي ظاهر علمها . زد على ذلك ، ان القصيدة التي يزعمون ان الاعشى مدح بها الرسول ، لا يمكن الاطمئنان اليها . وحسبك ان تقرأ منها هذه الايات ، حتى تتيقن ما فيها من تكلف واصطناع :

أَلَمْ تَقْتِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدًا ، وَرَبَّتْ كَنَابَاتُ السَّلِيمِ ، مُسَهَّدًا ^(٢)

ومنها يقول في ناقته متخلصاً الى المدح :

فَأَلَيْتُ لَا أَرْنِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ ، وَلَا مِنْ حَفَى ، حَتَّى تَرُورَ مُحَمَّدًا ^(٣)

مَتَى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ ، تَرَاخِي ، وَتَلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدًا ، ^(٤)

نَبِيٍّ يُرَى مَا لَا تَرُونَ ، وَذَكَرُهُ أَغَارًا ، أَعْمَرِي ، فِي أَلْبَلَادِ ، وَأَنْجَدًا ^(٥)

(١) الصباية : بقية الشراب . المهراس : حجر منقور مستطيل كالمساون . (٢) ليلة ارمد : اي رجل ارمد وهو من اصاب عينيه رمس . السلم : الممدوغ سمي سلمياً قنأولا بان يسلم . المسهد : الذي لا يستطيع النوم . (٣) آليت : حلفت . الكلاله : التعب . (٤) اناخ الناقه : ابركها . تراخي : تجدي الراحة . الفواضل : النعم . اليد : المعروف ، مجاز مرسل لان اليد سبب المعروف . (٥) اغار : اتى الغور وهو المنخفض من الارض . انجد : اتى نجداً والنجد : المرتفع منها . والمعنى : سار ذكره في اطراف الارض . وانكر الاصمعي أغار جهذا المعنى ، والصواب غار .

لَهُ صَدَقَاتٌ مَّا تُغِبُّ ، وَتَأْتِلُ ،
 أَجِدْكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ ،
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلِ بِزَادٍ مِنَ الثَّقَى ،
 نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَسْكُونَ كَيْثِلِهِ ،
 فَأَيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ ، لَا تَقْرَبْنَهَا ،
 وَذَا النَّصَبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَسْكُنُهُ ،
 وَلَا تَقْرَبَنَّ حُرَّةً ، كَانَ سِرُّهَا
 وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعْنَهُ ،
 وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَأَضْحَى ،
 وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ ،
 وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدًا ^(١)
 نَبِيَّ الْإِلَهِ ، حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدًا ^(٢)
 وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا ،
 فَتُرْصِدَ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدًا ^(٣)
 وَلَا تَأْخُذَنَّ سَهْمًا حَدِيدًا لِتُقْصِدَا ^(٤)
 وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ ، وَاللَّهُ فَاعْبُدَا ^(٥)
 عَلَيْكَ حُرَامًا ، فَانْكَحَنَّ ، أَوْ تَأْبَدَا ^(٦)
 لِعَاقِبَةٍ ، وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقْبِدَا ^(٧)
 وَلَا تَحْمَدِ الْمُتْرَيْنِ ، وَاللَّهُ فَاحْمَدَا
 وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْمَوْتِ مُخْلِدًا ^(٨)

(١) ما تُغِبُّ : ما تتأخر . النائل : المطاء . (٢) أجِدْكَ : أيجد منك . وهو منصوب على ترع الخافض ، أو على أنه مفعول مطلق والتقدير أجداً منك . والجد : ضد الهزل . وصاة : وصية . اشهد : جعله شاهداً له ، أي اشهد الله . وفي البيت مماثلة أو تضمين وهو ان تعلق قافية البيت بما بعده . (٣) أَرْصِدَ لِلْأَمْرِ : اعد له العدة . الذي : مفعول تُرْصِدُ . ومفعول أَرْصِدَ محذوف دل عليه ما قبله . (٤) الْمَيْتَاتِ : جمع ميتة وهي من الحيوان ما مات حتف انفه . يشير بذلك الى الآية التي تحرم أكل الميتة على المسلمين . السهم : النبلة . الحديد : الحاد . لتقص : لترمي به وتقتل . يشير الى تحريم القتل . (٥) النَّصَبِ : الصنم . الْمَنْصُوبِ : المرفوع . لَا تَسْكُنُهُ : لَا تَعْبُدُهُ . أي لَا تَعْبُدِ الْإِلَهِ ذَا الصَّنَمِ ، يشير الى تحريم عبادة الانصاب . وفي الآية : « إِنَّمَا الْحَسْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْانصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ » . والانصاب جمع نصب . وقوله : فَاعْبُدَا : أي فَاعْبُدَنَّ فَلَقَبِ نون التوكيد الفأ في حال الوقف . (٦) حرة : أي امرأة حرة . سِرُّهَا : زواجها . فَانْكَحَنَّ : تزوجن حلالاً . تَأْبَدَا : عش عزباً . وقوله : تَأْبَدَا : أي تَأْبَدَنَّ . (٧) ذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى : أي صاحب القرابة القريبة . والقربى : موث الاقرب . وقرابة الرحم عند اهل الفرائض هي من كان صاحبها ليس بذئ نصيب مقدّر من الارث ، ولا عصبية كابن الاخت و بنت الاخت . والعصبية : بنو الرجل وقرابته لا يسه . لَا تَقْطَعْنَهُ : لَا تَمُتْهُ وَتَحْجِرْهُ . العاقبة : النسل والولد . أي لَا تَحْجِرْ ذَوِي الرَّحِمِ الْقُرْبَى لِأَجْلِ وَلَدِكَ . وقوله وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقْبِدَا : أي وَلَا تَقْتُلِ الْأَسِيرَ . (٨) وَلَا تَسْخَرَنَّ : وَلَا تَحْزَنْ . الضرارة : ذهاب البصر ، ومنه الضرير أي العمى .

فما قولك بيدوي يأتي من اطراف اليمامة الى الحجاز ، يرى الرسول وينتحل
 الدين الجديد ، فيلقاه المشركون من قريش ، فيردونه بمائة من الابل ، ويقولون له :
 « ينهاك عن خلال ويجرمها عليك ، وكلها لك موافق . » فيقول : « وما هي ؟ »
 يسألهم عنها لانه يجهلها ، ثم نسمعه يمدح الرسول بهذا الشعر . فاذا هو عارف بجقائق
 الدين الاسلامي ، يحفظ القرآن وما سمع تلاوته ، ويستشهد بآياته وما فيها من
 تحريم وتحليل ، وشرع وفروض . أفلا ترى في ذلك كله اثرأ واضحاً للتكلف
 والاصطناع ؟

وقد أرخ الرواة موت الاعشى في السنة السابعة للهجرة أي في سنة ٦٢٩ م .
 استناداً الى قول ابي سفيان : « نحن الآن وهو في هدنة » فاستنتجوا من ذلك انها
 هدنة الحُدَيْبِيَّة ^(١) بين صاحب الشريعة الاسلامية ومُشركي قريش .

على اننا ، وان كنا نشك في صحة القصيدة التي اضيفت الى الاعشى في مدح
 الرسول ، لا نبيع لانفسنا انكار رواية ادراكه الاسلام ، اذ ليس لدينا ادلة
 كافية تدحضها . فنحن نقبلها باحتياط كما قبلنا غيرها ، ونؤرخ ، على ارتياب ، وفاة
 الشاعر في السنة السابعة للهجرة استناداً الى اقوال الرواة .

اناره

للاعشى شعر كثير مجموع في ديوان ، اشهره لاميتان طويلتان ، كلاهما تُعَدُّ
 من المعلقات . وقد طرق الاعشى جميع فنون الشعر فأجاد المدح والهجاء ، كما اجاد
 وصف الحمرة والتشبيب بالنساء .

ميرته - الشعر الحمري

لم تكن ميزة الاعشى محصورة في وصف الحمرة دون غيرها ، فقد عرفناه
 متصرفاً في ابواب الشعر كلها . ولعله في المدح اشعر منه في وصف الحمرة ؛ ولكن

(١) الحديبية : بئر قريية من مكة ، وعندها عقدت الهدنة بين النبي وقريش مدة عشر
 سنين . ولكن قريشاً تقضوا العهد في السنة الثامنة للهجرة فاستؤنف القتال وافتتح النبي مكة .

المدح صفة عامة للشعراء الجاهليين . ونحن نزيد ان ندرس في الشاعر المتخصص صفة
انفرد بها عن غيره من معاصريه ، وهي وصف الحمرة للخمرة ، لا للتفاخر بشربها ،
كما فعل سائر شعراء الجاهلية . فقد وصفها طرفة ، وليسد ، وعمرو بن كلثوم ،
وعنترة ، وغيرهم ، غير انهم لم يتجاوزوا حد الافتخار بشربها ، لان شربها دليل
الكرم عندهم . واذا تجاوز احداهم هذا الحد ، فالى شيء يسير من وصف لونهم
وزجاجتها ، والى شيء يسير من وصف تأثيرها في شاربها .

اما الاعشى فقد فاقهم جميعاً ؛ وعرف كيف يشربها ويلهو ، ويصفها ويطرب ،
فهو اذا وصف الحمرة وصف معها النديم والساقى ، ووصف الثينة وعودها . وصور
السكرارى تصويراً جميلاً ، في اسلوب لطيف لا يخلو من ظرف وفكاهة . مثال
ذلك قوله في احدي لاميتيه :

وَقَدْ اقْرُدُ الصَّبَى يَوْمًا فَيَبْغُنِي ، وَقَدْ يُصَاحِبُنِي ذُو الشَّرَّةِ اَقْرُلُ ^(١)
وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْخَانُوتِ ، يَبْغُنِي شَاوِرٌ ، مِثْلُ شُلُولٍ ، سُلْشُلٌ ، سُورٌ ^(٢)
فِي فِتْيَةِ كَسِيفِ الْهِنْدِ ، قَدْ عَلِمُوا اَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَن ذِي الْحَيْلَةِ اَحْيَلُ ^(٣)
نَازَعْتُهُمْ قُضْبَ الرِّيحَانِ مُتَكَبِّئًا ، وَقَهْوَةَ مَزَّةٍ ، رَاوَوْقَهَا حَظْلُ ^(٤)
لَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْهَا وَهِيَ رَاهِنَةٌ ، اِلَّا بِهَاتِ ، وَاِنْ عَلُوا ، وَاِنْ نَهَلُوا ^(٥)

(١) الشَّرَّةُ : هنا بمعنى الطيش . الفَزْلُ : الذي يحب الغزل . وقوله : اقود الصبى :
اي انصاى وألهو وان كنت كبيراً . (٢) الخانوت : بيت الخمر . شاور : شاي اللحم .
المشيل : الخفيف والجليد (السوق للابل . الشلول . بمعنى المشل . الشلشل : الخفيف اليد في
العمل والمتحرك . السورل : بمعنى الشلشل . وهذه الالفاظ كما ترى ، من واد واحد . قيل
ذكرت هكذا لتقوية المعنى . وقد يكون عجز البيت ضاع فأتمه الرواة على هذه الصورة
الرديئة . (٣) في فتية : الجار متعلق بغدوت . كسيوف الهند : اي بيض الوجوه ماضون في
امورهم . أن : مخففة من التثنية ، واسمها ضمير الشأن محذوف ، وجملة ليس يدفع : خبرها . وقوله :
عن ذي الحيلة الحيل : اي لا تدفع الحيل عن صاحبها الموت المحتوم . (٤) نازعتهم : جاذبتهم .
قُضْبُ الرِّيحَانِ : اي الاحاديث الظريفة . القهوة : الحمرة . المزَّة : اللذيذة الطعم . الراوق :
اناء تروق به الخمر . الحضل : الرطب الندي . (٥) راهنة : معدة . علوا : شربوا مرة
بعد مرة . شربوا اول الشرب . يقول : شرجم دائم ليس لهم وقت معلوم يشربون

يَسْمَعِي بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ، لَهُ نُطْفٌ،
 وَمُسْتَجِيبٌ، تَحَالُ الصَّنِجُ يَسْمَعُهُ،
 وَالسَّاحِبَاتِ ذُبُولَ الرِّيطِ أَوْسَةً،
 مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ،
 مُقْلَصٌ أَسْفَلَ السَّرْبَالِ، مُعْتَمِلٌ،^(١)
 إِذَا تُرْجِعُ فِيهِ أَلْقِينَهُ النَّضْلُ،^(٢)
 وَالرَّافِلَاتِ، عَلَى أَعْجَازِهَا الْعَجَلُ^(٣)
 وَفِي التَّجَارِبِ طَوْلُ اللَّهْوِ، وَالْغَزَلُ^(٤)

وله في وصفها :

فَقُمْنَا ، وَأَمَّا يَصِحُّ دِيكُنَا ، إِلَى جَوْنَةٍ ، عِنْدَ حَدَادِيهَا ،^(٥)
 فَقُلْتُ لَهُ : « هَذِهِ هَاتِيهَا ، بِأَدْمَاءٍ فِي حَبْلِ مُتَادِيهَا » ،^(٦)
 فَقَامَ ، فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً ، تَسَكُنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا ،^(٧)
 كَمَيْتًا تَكْشَفُ عَنْ حُمْرَةٍ ، إِذَا صرَّحَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَا ^(٨)

فيه ، والحمره معدة دائما لحم ، فلا تراهم الا سكارى فاذا استفاقوا وابطأ الساقى عليهم قالوا له هات وان كانوا شربوا مراراً او شربوا اول الشرب .

(١) ذو زجاجات : اي ساقٍ يحمل زجاجات الخمر . النطف : القروط او اللؤلؤ . مفردها : نطفة ونطفة : مقمص : مشر . السربال : الثوب . معتمل : نشيط .
 (٢) المستجيب : العود سمي بذلك لانه يجيب الصنج . الصنج : آلة طرب . ترجع : تردد صوتها . القنية : المغنية . الفضل : التي في ثياب فضلها وهي ثياب خفيفة للبيت . وقوله : تحال الصنج يسمعه . اي اذا غنت الغينة على العود سكت الصنج فكأنه يصغي اليه .
 (٣) الساحبات : في موضع نصب على اضمار فعل بمعنى تجد او ترى لان قبله فعلاً وهو تحال ، فلذلك اختير النصب فيه . الريط جمع ريطه : كل ملاءة غير ذات لفتين أي قطعتين متضامتين . الرافلات : المتبخترات في اثوابهن . الاعجاز جمع عجز : مؤخر كل شيء . العجل جمع عجلة : السقاء يكون للباء واللين والخمر . يقول : هن يخدمنا ومعهن العجل فيها الخمر . (٤) الطول : السعة . يقول سعة اللهو والغزل في اختيار الامور وتجاربها . (٥) الجونة : الخاية . حدادها : بوابها اي الذي يحافظ عليها . وقوله : لما يصح ديكننا أي قبل الصباح . (٦) الادماء : الناقة في لونها بياض واضح . وقوله : بادماء في حبل مقتادها اي هات هذه الخمر برمتها اي يحملتها . والرمة هي الحبل البالي . تقول : دفع اليه الامر برمته اي يحملته ، وهذا من باب تأويل الكلام . (٧) القهوة : الحمره . ارعادها : تصويتها ، ويكون تصويتها بتصفيقها اي بتحويلها من اناء الى اناء لتصفو . يقول تسكننا بعد ارعادها ، أي تسكرنا فنسكن ونهدأ (٨) كميئاً : نصبت على اخاصفة للقهوة . وهي ما يضرب لونها الى الحمرة . صرحت : ذهب زبدتها والزبد : الرغوة ومنه الازباد . يقول : هي خمره حمراء تتكشف عن حمرة اذا ذهبت رغوها بعد ازبادها

فَجَالَ عَلَيْنَا بِأَبْرِيقِهِ ، مُخَضَّبُ كَفِّ رِبْرِصَادِهَا ، ^(١)
 فَرُحْنَا ، تُتَعَمَّنَا نَشْوَةٌ ، تَجُورُ رَبْنَا بَعْدَ قُصَادِهَا ^(٢)

وللعشى اقوال كثيرة في الحمر ، توكأ عليها الاخطل ، وايوناس من بعده كقوله :

تُرِيكَ الْفَدَى مِنْ فَوْقِهَا ، وَهِيَ فَوْقَهُ ، إِذَا ذَاقَهَا مِنْ ذَاقَهَا ، يَتَمَطَّقُ ^(٣)
 اخذه الاخطل فقال :

وَلَقَدْ تَبَاكُرُنِي ، عَلَى لَذَائِهَا ، صَهْبَاءَ ، عَالِيَةَ الْفَدَى ، خُرْطُومُ ^(٤)
 وقوله :

مِنْ خُمُرِ عَانَةٍ ، قَدْ أَتَى إِخْتَامَهَا حَوْلٌ ، تَسْلُ غَمَامَةَ الْمَرْكُومِ ^(٥)
 فقال الاخطل :

وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْأَكْفُ خِتَامَهَا ، نَفَعَتْ ، فَنَالَ رِيَاحَهَا الْمَرْكُومُ ^(٦)
 وقوله :

كُأَسْ كَعَيْنِ الدِّيَكِ ، بَاكْرَتْ خَدْرَهَا ، بِقَتِيَانِ صِدْقٍ ، وَأَلْتَوَاقِيسِ تَضْرَبُ ^(٧)

(١) الماء بابريره عائد الى متأخر وهو مخضب . الفرصاد : صبغ احمر والضمير فيه يعود على الكف . وقوله مخضب كف : اي ساق مخضب الكف . (٢) النشوة : السكر او اوله . تجور : تميل . قصادها : الذين يقصدون النشوة ويطلبونها . اي اخا تسكرنا بعد ان يسكر غيرنا من طلاجها . (٣) الفدى : ما يقع في العين وفي الشراب من تبنه او غيرها . يتمطق : يقال ذاق الشراب والطعام فتمطق اي صوت بلسانه . والمعنى : اخا من صفاتها تريك الفدى ، اذا سقط فيها ، عاليا عليها مع انه يكون في اسفلها . واذا ذاقها شارحها يتمطق من لذة طعامها . (٤) الصهباء : الحمر . الخرطوم : الحمر السريعة الاسكار ، او اول ما يجري من ماء العنب قبل ان يداس . (٥) عانة : قرية على الفرات تنسب اليها الحمر . الحؤل : السنة . نسل : تترع . الغامة : السحابة ، واراد بها هنا ما يجده الماركوم من ضيق في أنفه . يقول : هي حمر مضت عليها سنة وهي محتومة ، واذا شهما الماركوم زالت غمامته من أنفه . (٦) تعاورت : تداولت وتماطت . نفعت : فاحت رائحتها . فسال رياحها : فشم رياحها . (٧) وكأس : اي وخمرة في كأس ، مجاز مرسل . كعين الديك : اي حمراء صافية . خدرها : دنها . بقتيان صدق : اي شأهم الصدق . النواقيس تضرب :

فأخذ أبو نواس تشبيهه الحمرة بعين الديك وأكثر استعماله . من ذلك قوله :
 وَأَشْرَبَ سَلَاةً كَعَيْنِ الدَّيْكِ صَافِيَةً ، من كَفَمَ سَاقِيَةً كَالرَّيْمِ حَوْرَاءَ (١)
 وقوله :

وَكَأْسٍ ، شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ، وَأُخْرَى ، تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
 فأخذه أبو نواس ووأد منه معنى آخر . قال :

دَعَّ عَنْكَ لَوْمِي ، فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ ، وَدَاوِي بَالْتِي كَانَتْ هِيَ أَلْدَاءُ
 فيتبين من ذلك ، ان الاعشى صاحب لهو وعبث ، كما كان الاخطل و ابو نواس
 من بعده ، وانه وصف الراح شعفاً بها ، فأحسن وصفها . وكانت له مجالس قصف
 وطرب ، فيها التديم والساقى والقيان ، فوصفها جميعاً واحسن وصفها . واننا لنفس
 روحاً نواسياً في قوله :

لَا يَسْتَقِيمُونَ مِنْهَا ، وَهِيَ رَاهِنَةٌ ، إِلَّا بِهَاتِ ، وَإِنْ عَلُوا ، وَإِنْ نَهَلُوا
 فهذه السكرات الطويلة التي لا يستفيق منها صاحبها ، الا يرجع اليها ، هي التي
 يمثلها لنا الاعشى بقوله :

وَكَأْسٍ ، شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ، وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

فيردد أبو نواس بعده : « دواوني بالتي كانت هي الداء . . . »
 و اذا كان الاعشى سأل بشعره وتكسب ، فلكي يلهو ويعبث ، لا ليجمع المال
 ويحرص عليه . فالرواة يذكرون لنا ان داره في منفوحة كانت مجتمع القتيان ،
 يأكلون عنده ويشربون . ويذكرون ايضاً ، ان قتيان منفوحة لم ينسوا شاعرهم بعد

اي اجراس الكنايس . وكان الاعشى يختلط بنصارى الحيرة ونصارى نجران . وله مدح في
 اساقفتهم . وقيل انه اخذ النصرانية من العباديين نصارى الحيرة .

(١) السلاف : الحمرة الخالصة . الرم : الظبي الخالص البياض . الحوراء : التي في عينيها
 حور وهو اشتداد البياض والسواد واستدارة الحدقة ورقة الجفون . وقد ورد تشبيه الحمرة
 بعين الديك لشعراء في الجاهلية غير الاعشى ، مثل عدي بن زيد اذ يقول :

ثُمَّ ثَارُوا إِلَى الصَّبُوحِ فَقَامَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرَيْسُ
 قَدَّمَتْهُ عَلَى عَقَارِكِ بَيْنَ الدَّرِّ - يَكْرِ صَفَى زُلَالَهَا الرَّأْوُوقُ

موته ، فكانوا يأتون الى قهره ويسكرون عنده ويريقون الاقداح على ثراه ،
 ياخذ الميت نصيبه من الراح .

الدرسيات

اشرنا الى لاميتي الاعشى ، وذكرنا شيئاً من احدهما في وصف الخمر . ولكن
 ذلك لا يكفي لظهار ميزة هاتين القصيدتين الشهيرتين ، بل يجدر بنا ان نجمل لهما
 قسطاً من التحليل ولو قليلاً ، فنظهر بعض خصائص في الشاعر لا ينبغي اغفالها ، وان
 كنا قصرونا للدرس والنقد على شعره الخمري .
 قال مستهلاً احدهما :

وَدَرَعُ هُرَيْرَةَ ، إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ ، وَهَلْ تُطَيِّقُ وَدَاعاً ، أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟

ثم يعمن الشاعر في الغزل حتى ينتهي الى وصف الحمرة ومجلس اللهو ، وهو
 القسم الذي نشرناه ، فينتقل الى وصف السفر والناقة فلا يلمسها الا قليلاً .
 ولكنه يفيض في وصف البرق والمطر :

بَلْ ، هَلْ تَرَى عَارِضاً قَدِ بَتَّ أَرْمُقُهُ ، كَأَنَّما أَلْبَرُقُ فِي حَافَاتِهِ سُعْلُ ^(١)

ولكنه لا يبلغ فيه شأواً امرى القيس . ثم ينهري لرجل يقال له يزيد الشيباني ،
 وكانت بينهما ملاحاة ، فيهدده ويفتخر عليه ، ويذكر له انتصارات قومه على
 القبائل . وفي هذا القسم يحتتم طويته :

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَا لَكُمُ : أَبَا نُبَيْتٍ ! أَمَا تَنْفَكُ تَأْتِكُلُ ، ^(٢)

أَلَسْتُ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتَيْنَا ، وَأَسْتَ ضَائِرَهَا ، مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ ^(٣)

(١) العارض : السحاب المعترض . ارمقه : انظر اليه . حافاته : جوانبه مفردهماً
 حافة . (٢) ما لك : رسالة . ابانبت : كنية يزيد ، وهنا النقات من الغيبة الى الخطاب .
 تأنكل : أي يأكل بعضك بعضاً من القبيظ . (٣) الاثلة : هنا الاصل ، ونحت الاثلة : كناية
 عن الذم والتنقص . ضائرها : ضاراً بها . أطت : حنت . يقول : مها نقصتسا لا تضر
 بنا ما دامت الابل تحن ، والابل تحن أبداً ، اذن لا يضرهم ابداً .

كَنَاطِحٍ صَخْرَةَ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا ،
 سَأَلْتُ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا ، فَقَدْ عَلِمُوا ،
 وَأَسْأَلُ قَشِيرًا ، وَعَبْدَ اللَّهِ كَلْهَمٌ ،
 كَلًّا ، زَعَمْتُمْ بَأَنَّا لَا نُنْقَاتُكُمْ ،
 نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْخَنُوزِ ضَاحِيَةً ،
 قَالُوا: الْخَيْرُ أَدُ ، فَقَلْنَا: تِلْكَ عَادَتُنَا ،
 فَلَمْ يَضِرْهَا ، وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ (١)
 أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا سَكَلٌ (٢)
 وَأَسْأَلُ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْعِلُ (٣)
 إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ ، يَا قَوْمَنَا ، قُتِلُ (٤)
 جَنْبِي فُطَيْمَةَ ، لَا مَيْلُ ، وَلَا عُزْلُ (٥)
 أَوْ تَنْزِلُونَ ، فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزِلُ (٦)

(١) كَنَاطِحٍ : أي كوعل ناطح . والوعل : قيس الجبل . ليوهنها : ليضعفها . فلم يضرها : فلم يضر بها . أوهى : أضعف . (٢) سَكَلٌ : اختلاف أي انباء مختلفة . (٣) قَشِيرٌ : وعبدة الله ربيعة : قبائل . نَفْعِلُ : اي نبتدع افعالاً لم نسبق اليها . (٤) كَلَّا : حرف ردع وزجر ، ويكون رداً لكلام وفيه معنى الردع . قُتِلُ : قاتلون . وهو جمع قول للمبالغة . (٥) يوم الخنو : من ايسام ذي قار . ضاحية : علانية . فطيمة : موضع بالبحرين كانت به وقعة بين بني شيبان وبني ضبيعة وتغلب من ربيعة ظفر فيها بنو تغلب على بني شيبان . الميل : جمع اميل وهو الذي لا يثبت في الحرب . العزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه ، واصطفاها عزل فضست الزاي اتباعاً للعين ومراعاة للوزن يقول : نحن الفوارس يوم الخنو ويوم فطيمة . اما يوم ذي قار : فهو اول يوم اتصرت فيه العرب على العجم . وذو قار : مائة لبني بكر بن وائل قريب من الكوفة . وسبب هذه الواقعة ان كسرى غضب على النعمان ابي قابوس ، ففر النعمان من الخيرة وادع اهله وسلاحه في بني شيبان عند هاني بن مسعود ، وبقي مدة متقللاً في القبائل . ثم ذهب الى كسرى يتنذر اليه فحبسه بساباط حتى هلك ويقال أوطاه الغيلة . ثم طلب كسرى من هاني وديعة النعمان فأبى تسليمها لانها أمانة عنده يجب عليه حفظها . فجهز كسرى جيشاً كثيفاً من الفرس والعرب الموالين له . وجمعت بكر وحلفاؤها جموعهم . حتى اذا التقى الجيشان دارت الدائرة على الفرس فولوا منهزمين وقُتل قائدهم الها مَرز . وايام ذي قار خمسة : يوم ذي الخنو ، ويوم قُراقرز ، ويوم الجبابيات ، ويوم ذات العجرام ، ويوم بطحاء ذي قار . وكلهن حول ذي قار وقد ذكرهن الشمراي . واختلف الرواة في تاريخ هذه الحرب فمنهم من قال انها كانت يوم ولادة النبي . ومنهم من جعلها بعد بعثه وبعد وقعة بدر الكبرى . ولكننا اذا نظرنا الى تاريخ مقتل النعمان وهو على الارجح سنة ٦٠٢ ومنهم من يجعله سنة ٦٠٤ يبين لنا ان هذه الحرب ، وقد وقعت على اثر مقتل ملك الخيرة ، لا يمكن ان تكون يوم ولادة الرسول ولا بعد بعثه . لان محمداً وُلد سنة ٥٧٠ م . فتكون سنه في حرب ذي قار حوالي الخامسة والثلاثين . وهو لم يظهر دعوته الا في الاربعين من عمره . (٦) يقول : ان طاردتم بالرماح فتلك عادتنا وان تزلتم للمجالدة بالسيوف

ويبتدى اللامية الاخرى بقوله :

مَا بُسَّكَاءَ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ ، وَسَوَّالِي ، وَمَا تَرَدُّ سُوَالِي ؟ (١)

وبعد ان يتغزل ويذكر الفراق ، يصف ناقته ويشبها بحمار الوحش في سرعتها :

عَنْدَرِيْسٌ تَعْدُو ، إِذَا حَرَكْتَ السَّوْ طُ ، كَعَدُو الْمُصَلِّصِ الْجَوَالِ (٢)

ويشبهه عظام صدرها بإران الميت (٣) كما شبها طرفه . ثم يتخلص الى مدح الاسود

ابن المنذر اخي الثعمان فيقول :

لَا تَشْكِي إِلَيَّ وَأَنْتَجِييَ الْأَسَدَ وَدَ أَهْلَ النَّدَى ، وَأَهْلَ الْفَعَالِ (٤)

فَرَعٌ نَبْعٌ يَهْتَرُ فِي غُضْنِ النَّبْعِ دَرْ غَزِيرُ النَّدَى ، شَدِيدُ الْمِحَالِ (٥)

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْقَوْمِ مَ ، إِذَا مَا كَبَتَ وَجْوهُ الرَّجَالِ (٦)

ويطيل الاعشى في مدح الاسود ويبالغ حتى ينتهي الى قوله :

جُنْدُكَ التَّالِدُ الطَّرِيفُ مِنْ أَلْفَا رَاتِ أَهْلِ الْهَبَاتِ ، وَالْأَكَالِ (٧)

غَيْرُ مِيلٍ ، وَلَا عَوَاوِيرَ فِي آلِهَةِ بَجَا ، وَلَا عُزْلٍ ، وَلَا أَكْفَالِ (٨)

فينصرف الى نفسه ، ذاكراً مشييه ، متذكراً شبابه :

فَلَنْ لَاحَ فِي الْمَفَارِقِ شَيْبٌ ، يَا لَ بَكَرٍ ! وَأَنْكَرْتَنِي أَنْقَوَالِي (٩)

رُلْنَا . وَتُرُلٌ : جمع نازل غير قياسي . (١) يقول : ما بسكاه شيخ كبير مشلي وسووالي من لا يرد علي . (٢) عنديس : ناقه كثيرة اللحم شديدته . تعدو : تركض . المصلص : حمار الوحش . الجوال : كثير الجولان . (٣) الإران : الشمس . (٤) لا تشكي : اي لا تشككي . انتجعي : اقصدي . الندى : الجود . الفعّال بفتح الفاء : الفعال الكريمة . (٥) الفرع : ما يتفرع من الاصل . النبع : أي الاصل . الميحال : القوة . (٦) كبتت : سقطت . (٧) التالذ : ما ورثته . الطريف : ما كسبته . الاكّال : جمع أكل وهو من الحظ من الدنيا والرزق الواسع . يقول : جندك له يجد الغارات تالدها وطريقها وهو من اهل الهبات والحظوظ وسمة العيش . (٨) ميل : جمع أميل وهو الذي لا يثبت في الحرب . العواوير : الجنباء مفردها عوار . عزل : من لا سلاح معهم مفردها أعزل . الاكفّال : الذين لا يثبتون على الحيل . (٩) المفارق : اي مفارق الشعر . بال : مخفف يا آل . الفوالي : جمع فالية وهي التي تغلي الرأس . اي انكرته وما عرفته لما رأت الشيب في رأسه .

فَلَقَدْ كُنْتُ فِي السَّبَابِ أَبَارِي ، حِينَ أَعْدُو مَعَ الطَّمَاحِ ، ظَلَالِي ^(١)

ثم يشرع بوصف لهوه وعيشه ، وجواده وصيده :

وَلَقَدْ أَعْتَدِي ، إِذَا صَقَعَ الدَّيْرُ
يَمَلَأُ الْعَيْنَ عَادِيًا ، وَمَقُودًا ،
فَإِذَا نَحْنُ يَا أَوْ حَوْشِ تُرَاعِي
فَجَرَى بِالْفَلَامِ شَبَهَ حَرِيْقِ
لَمْ يَسْكُنْ غَيْرُ لَحَةِ الطَّرْفِ ، حَتَّى
وَطَلَيْتَيْنِ ، ثُمَّ أَيَّهَتْ بِاللَّهْ
وَطَلَلْنَا مَا بَيْنَ سَاوِرٍ ، وَوَدِي قَدْ
فِي سَبَابٍ يُسْقُونَ مِنْ مَاءِ كَرَمٍ ،
ذَلِكَ عَيْشٌ شَهِدْتُهُ ، ثُمَّ وَلِي ،
لِكُ ، يَمْتَهَرُ مُشَذَّبِ جَوَالِ ^(٢)
وَمُعْرَى ، وَصَافِنَا فِي الْجِلَالِ ^(٣)
صَوْبَ غَيْثٍ مُجَلِّجِلٍ ، هَطَالِ ^(٤)
فِي يَيْسٍ ، تَذْرُوهُ رِيحُ الشَّمَالِ ^(٥)
كَبَّ تَسْمَا ، يِعْتَامُهَا كَالْمَغَالِي ^(٦)
ر ، أَنَادِي : فِدَاكَ عَمِّي وَخَالِي ^(٧)
ر ، وَسَاقٍ ، وَمُسْمِعٍ مِحْفَالِ ^(٨)
عَاقِدِينَ الْبُرُودَ قَوْقِ الْعَوَالِي ^(٩)
كُلُّ عَيْشٍ مَصِيْرُهُ لِلزَّوَالِ

هذا هو الاعشى في خمرياته وغير خمرياته . وقد رأيت ما في شعره من سهولة وانسجام وجلاء ، وعرفت انه من شعراء ربيعة ، ولكن هناك ملحوظة ذات

(١) أباري : أسابق . الطامح : النشاط . ظلاي : جمع ظل . أي يسابق ظله لنشاطه .
(٢) صقع : صاح . مشذب : قلبيل اللحم . (٣) الصافن : الغرس إذا قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابطة . يقول : هو فرس يملأ العين ويروقها في حال ركضه ، وقياده بالرسن ، وتبريته من الجلال ، ووقوفه صافناً والجلال عليه . (٤) تراعي : أي ترعى منع المطر . الصوب : السحاب ذو الصوب تسمية بالمصدر ، والصوب : المطر . الغيث : المطر . مجلجل : راعذ . الهطال : الكثير السيل . (٥) تذرؤه : تطيره ونفقه . أي فجرى الغرس بالفلام كما تجري النار في الهشم إذا ذرته ريح الشمال . (٦) كب : صرع . تسمأ : أي تسع أثن : جمع أنان وهي الحمارة . يعتامها : يختارها . كالمغالي : أي كمن يشتريها بشئ غالٍ . (٧) الظلم : ذكر النعام . أيجت : صحت . (٨) ذي قدر : صاحب قدر للطبخ . المسيع : الأثني . المحفال : مبالغ في ما اخذ فيه بحسن القياس به . (٩) ماء الكرم : الحمرة . البرود : الاثواب . العوالي : أعالي الرماح . وذكر الرماح هنا دليل على اخم اهل نجدة كما هم اهل لحو وعيث وعقد البرود كناية عن التشمير للطعام والشراب والقناء .

قيمة ، لا بد من الاشارة اليها ، وهي ان الشعر في اواخر هذا العصر ، ظهر عليه التطور ظهوراً عاماً ، فوضحت معانيه ، وسهلت الفاظه ، وقلَّ غريبه . فاصبح الشارح لا يحتاج الى سوى تفسير بعض الالفاظ ، حتى يتضح معنى البيت . ونستطيع ان نتبين هذا التطور في اكثر الشعراء الذين ادركوا الاسلام او كادوا ، والاعشى خير مثال لهم في جلاء افكاره ، وظهور معانيه ، ونعمومة الفاظه ، وسلاسة قوافيه .

مضمرته

وضعه ابن سلام في الطبقة الاولى بعد امرى القيس والنابغة وزهير . وكان اهل الكوفة يقدمونه عليهم جميعاً . وسئل يونس بن حبيب النحوي : « من اشعر الناس ؟ » فقال : لا اومى الى رجل بعينه ، ولكن اقول : امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب . وكان عمرو ابن العلاء يعظم محله ويقول : « مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره » واذا سئل عنه وعن لبيد قال : « لبيد رجل صالح ، والاعشى رجل شاعر » . وروي ان عبد الملك بن مروان قال لمؤدب اولاده : « ادبهم برواية شعر الاعشى فانه ، قاتله الله ، ما كان اعذب بحره ، واصاب صخره ا » وقال المفضل الضبي : « من زعم ان احداً اشعر من الاعشى فليس يعرف الشعر » . وقال ابو عبيدة : « من قدم الاعشى ، يجتج بكثرة طواله الجياد ، وتصرفه في المديح والهجاء ، وسائر فنون الشعر ، وليس ذلك لغیره » وقال يحيى بن الجون العبدي راوية بشار : « نحن حاكة الشعر في الجاهلية والاسلام ، ونحن اعلم الناس به . اعشى قيس استاذ الشعراء في الجاهلية ، وجريز الحطفي استاذهم في الاسلام » . وقال ابو عبيدة ايضاً : « الاعشى هو رابع الشعراء المعدودين ، وهو يقدم على طرفه لانه اكثر عدد طوال جياد ، واوصف للخمر ، وأمدح وأهجى » . وسئل حماد الراوية : « من اشعر الناس ؟ » فقال : « ذاك الاعشى صنأجها » وشهد له الاخطل فقال : « هو ، والمسيح ، اشعر مني » .

وفي الاعشى اقوال كثيرة غير هذه لا نرى حاجة الى ذكرها ، فان ما اوردناه

كاف لآظهار منزلة الشاعر عند الائمة والادباء الاقدمين . على ان هناك قولاً لبعضهم ينطبق على الحاصة التي درسناها في شعره الحمري ، وهو قولهم : « الاعشى في الجاهلية ، كالحسن في الاسلام » ويعنون بالحسن ابانواس الحسن بن هاني ، وهذا التشبيه صحيح ، اذا وضعنا حداً بين العصر الذي عاش به الاعشى ، وما فيه من بدابة وخشونة ، والعصر الذي عاش به ابونواس ، وما فيه من ترف ورخاء . فالاعشى كان يتعمّر ويتطلب اللذة المادية في حبه وسكره ولهوه ، وهكذا كان ابونواس في العصر العباسي الاول . فكلا الشاعرين لها ، وعبث ، وتعهر على قدر ما سمحت له البيئـة التي عاش فيها ، وقد ظهر لهوه ، وعبثه ، وتعهره في شعره . فليس اذاً يستنكر ان نقول : « الاعشى في الجاهلية كالحسن في الاسلام » .

الرماء

كل شعراء الجاهلية نظموا في الرثاء ، ومنهم من امتاز به من حيث التفجع ورقة العاطفة كالمهلل . ولكن فيهم شاعرة بذاتهم جميعاً ، وصار اسمها مثلاً في اللوعة والبكاء على الميت ، وهي الخنساء .

الخنساء

٦٤٦ م — ٢٤ هـ

حياتها : تقاض بنت عمرو بن الشريد . مصرية . تلقب بالخنساء لجمال عينيها . خطبها دريد ابن الصمة فردته . ثم تزوجت من قومها . لها اربعة بنين وابنة واحدة . كلامها لابنتها يوم زفافها . مقتل اخيها معاوية . جرح صخر ومرضه الطويل وملل زوجته . موته . رثاء الخنساء . اخبارها في الاسلام . مع عمرو . مع عائشة . مقتل اولادها في حرب القادسية . توفيت في اول خلافة عثمان

آثارها : ديوان كله في رثاء اخوجا، وأكثره في صخر .

ميزتها : الرثاء العاطفي . خطابها لعينها . تلهفها على صخر . تعداد شئائه . التفجع الصادق . المغالاة في مدح أخيها . وصفها آياه، وتثيله بصور مادية . تعابيرها الخاصة في صيغ المبالغة . وقوفها على القبر . لا تعزي نفسها ولا ترتفع الى الحكم السامية . اذا تجلدت فمن الانتحار لا عن اللوعة والبكاء . خلوشرها من القصائد الطوال، يرجع بعضه لضعف تخيلة المرأة، وبعضه لوحدة موضوعها وعدم تعدد اغراضها . مترلتها : هي اشعر النساء فضأت على كثير من الرجال .

درس ادبي تاريخي : وقوفها في سوق عكاظ، وانشادها امام النايفة . تقدمها بيت حسن بن ثابت . فساد النقد . نكران نسبه اليها، اديباً وتاريخياً : تاريخ موت النايفة . تاريخ موت صخر .

هبانها

هي قماض بنت عمرو بن الحرث بن الشريد من بني سليم، ينتهي نسبها الى مضر . وتكنى أم عمرو، وتلقب بالحنساء. ^(١) ولقبها غلب على كنيته . وكانت في اول عمرها من اجل نساء عصرها . وراها دريد بن الصمة تهنأ ^(٢) بعبأ لها، فأعجبته، فجاء يحطباها الى ايها، فقال له ابوها : « مرحباً بك يا ابا قرّة ^(٣) ، انك للكريم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يرد عن حاجته، والفعل لا يقرع انفه ^(٤) . ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لقبها، وانا ذاكرك لها وهي فاعلة » . ثم دخل اليها وقال لها : « يا حنساء، اتاك فارس هوازن، وسيد بني جشم دريد بن الصمة يحطبك . وكان دريد يسمع حديثها، فقالت : « يا أبت أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح، وناكحة شيخ بني جشم، هامة اليوم او قد ^(٥) ؟ » ثم انشأت تقول :

أَتَكْرُهْنِي، هَبِلْتَ عَلَيَّ دُرَيْدِ، وَقَدْ طَرَّدْتُ سَيِّدَ آلِ بَدْرِ ^(٦)

(١) الحنساء : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة لحسن هبتها . (٢) هنا البعير : طلاه بالحنساء . وهو القطران . (٣) ابو قرّة : كنية دريد . والقرّة : البرد وما تقر به العين . (٤) لا يقرع انفه : اي لا يعاب . (٥) الهامة . هنا الجثة . (٦) طرّدت وطرّدت :

مَعَادًا اللَّهُ يَرْضَعُنِي حَبْرَ كِي ، قَصِيدُ الشَّيْبَرِ ، مِنْ جُشَمِ بْنِ بَسْكَرٍ (١)
 يَرَى مَجْدًا ، وَمَكْرَمَةَ أَتَاهَا ، إِذَا عَسَى الصَّدِيقَ جَرِيمَ تَمْرٍ (٢)
 وَأَوْ أَصْبَحَتْ فِي جُشَمٍ هَدِيًّا ، إِذَا ، أَصْبَحَتْ فِي دَنْسٍ وَفَقْرٍ (٣)
 فخرج إليه ابوها فقال : « يا ابا قرّة قد امتنعت ، ولعلها ان تجيب فيا بعد »
 فقال دريد : « قد سمعت قولكما » . وانصرف غضبان . وله من قصيدة في
 هجر الحنساء :

وَقَالَ اللَّهُ يَا ابْنَةَ آلِ عَمْرٍو ، مِنْ الْأَزْوَاجِ أَشْبَاهِي ، وَنَفْسِي (٤)
 فَلَا تَلِدِي وَلَا يَنْكِحُكَ مِثْلِي ، إِذَا مَا لَيْلَةٌ طَرَقَتْ بِنَحْسٍ (٥)
 وَتَرْعَمُ أَنْبِي شَيْخٍ كَبِيرٍ ، وَهَلْ خَبَرْتَهَا أَنِّي ابْنُ خُمْسٍ ؟ (٦)
 تُرِيدُ شَرَنْبَثَ الْقَدَمِينَ شُنْثًا ، يُقْلَعُ بِالْجَدِيرَةِ كَسْلَ كَرَسٍ (٧)
 وَمَا قَصُرَتْ يَدِي عَنْ عَظْمِ أَمْرٍ ، أَهْمُ بِهِ ، وَلَا سَهْمِي بِنَكْسٍ (٨)
 فقيل للحنساء : « ألا تجيبينه ؟ » فقالت : « لا اجمع عليه ان أرده »
 وان اهجوّه .

ثم تزوجت رباحة بن عبد العزيز السلمي ، فولدت له عبد الله . ثم خلف
 عليها مرداس بن ابي عامر السلمي ، فولدت له يزيد ومعاوية وعمراً وبتناً اسمها عمرة
 روى علقمة بن جوير قال : « لما كانت ليلة زفاف عمرة ، كانت أمها جالسة
 ملتفة بكساء احمر ، وقد هرمت . وكانت تلاحظ ابنتها لحظاً شديداً . فقال القوم :
 « يا عمرة ألا تحرشت بها ، فانها الآن تعرف بعض ما انت فيه . » فقامت عمرة تريد

واحد . وقولها هبت : دعاء عليه اي تُكَلِّت . قال ابن الاعرابي : ولا يقال في الدعاء هبت .
 (١) برضعني : يتزوجني . الحبر كمي : الطويل الظهر القصير الرجلين . الشبر : العمر والزواج
 والخبر وكلها تناسب معنى البيت . وقولها : معاذ الله أي اعوذ بالله وهو منقول مطلق عامله محذوف
 كسبحان . (٢) البوم : التمر المصروم أي المقطوع . (٣) الهدي : الدروس . (٤) أي من
 اشباهي ومن نفسي . (٥) النحس : البرد والظلمة . (٦) خمس : اي خمس سنوات . ويريح
 ابن امس . (٧) الشرنبث : الغليظ الاصابع . الشثن : الحشن . الجديرة : الخطيرة . الكرس :
 البعر والبول يتلبد بعضه فوق بعض . (٨) النكس : السهم اذا انكسر فوقه فيجعل اعلاه اسفله
 وهذا عيب فيه . والفوق موضع الوتر من السهم . يريد انه ليس بضعيف جبان .

حاجة ، فوطئت على قدمها وطأة اوجعتها ، فقالت لها ، وقد اغتاظت : « أف لك يا حمقاء انني كنت احسن منك عرساً ، واطيب ورساً ^(١) وارق منك نعلأ ^(٢) واكرم نعلأ ^(٣) . وذلك اذ كنت فتاة أعجب الفتيان ، لا أذيب الشخم ^(٤) ، ولا ارعى البهيم ^(٥) . كالمهرة الصنيع ^(٦) لا مضاعة ، ولا عند مضيع . » فضحك القوم من غيظها .

عقل افوبريا

وكان للخنساء اخوان : احدهما معاوية ، وهو اخوها لامها ، والثاني صخر ، وهو اخوها لابيها ، وكان احبها اليها . واستحق صخر ذلك لامور منها : انه كان موصوفاً بالحلم ، مشهوراً بالجدود ، معروفاً بالتقدم والشجاعة ، محظوظاً في العشيوة ، واجمل رجل في العرب .

قيل : ان عمرو بن الشريد ابا معاوية وصخر ، كان يأخذ بيدي ابنه ويقول : « انا ابو خيرى مضر » فتعترف له العرب بذلك .

وكان مقتل معاوية في يوم حورة الاول نحو سنة ٦١٢ للمسيح وهو يوم تسليم على غطفان ، وقاتله هاشم بن حرملة . . . ابن مرة الغطفاني . وغزا صخر بني مرة في العام التالي فأصاب منهم ، وقتل دريداً اخا هاشم ، وكان ذلك يوم حورة الثاني ، ثم قتل هاشم بن حوملة ، وقاتله عمر بن قيس الجشمي . وفيه تقول الخنساء :

فِداً لِلْفَارِسِ الْجُشَمِيِّ نَفْسِي ، وَأَفْدِيهِ بِأَيِّ لِيٍّ مِنْ حَمِيمٍ ^(٧)

واما صخر فكان هلكه ^(٨) مجروح رقيب ^(٩) اصابه في حرب الكلاب او ذات الاثل ^(١٠) ، وهو يوم بين سليم وأسد ، فرض من ذلك وطال مرضه حتي ملته زوجته سلمى . فاذا عاده عائد وسألها على باب الحباء : « كيف اصبح

(١) الورس : نبت اصفر اللون طيب الرائحة اي اطيّب رائحة . (٢) ارق نعلأ : أي ليست بصاحبة مشي ، تعني انها اكثر نعلماً . (٣) نعلأ : زوجاً . (٤) أي لا نتخدم في البيت . (٥) البهيم : اولاد الضأن والمز مفردها بهيمة . (٦) الصنيع : المهرة التي احسن القيام على تربيتها ، اي كنت كالمهرة الصنيع . (٧) الحميم : القريب والصديق . (٨) هلكه : موته . (٩) رقيب : واسع الجوف . (١٠) الاثل : شجر عظيم .

صخرُ الغداة ، وكيف بات البارحة ؟ » قالت : « لا هوحي فيرجي ، ولا ميت فينعي » . فسمعها صخر فيشق ذلك عليه . واذا سأل أمه اجابت : « ارجي له ممناً من يومنا ، ولا تزال بخير ما رأينا سواده ^(١) فينا . » وافاق صخر بعض الافاقه ، فاراد قتل زوجته فقال : « ناولوني سيفي لانظر كيف قوتني . » فناولوه ، فلم يُطق حمله وفي ذلك يقول :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَأَتَمَلُّ عِيَادَتِي ، وَمَلْتُ سُلَيْمَى مَضْجِعِي وَمَكَانِي
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً عَلَيْكَ ، وَمَنْ يَفْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ ؟ ^(٢)
أَهْمُ بِأَمْرِ الْخَزْمِ لَوْ اسْتَطِيعَهُ ، وَقَدْ أُحِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ ^(٣)
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ ، كَأَنَّهَا مَعْرَسٌ يُعْسَبُ بِرَأْسِ سِنَانٍ ^(٤)
وَأَيُّ أَمْرِي سَاوَى بِأَمِّ حَلِيلَةٍ ، فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانٍ ^(٥)

ثم نكس بعد ذلك في مرضه ، فمات في سنة ٦١٥ (?) فوجدت ^(٦) به الحنساء وجدأ عظيماً ، وجلست على قبره زماناً طويلاً تبكيه وترثيه . وفيه جلُّ مراتبها .

الحنساء في الاسلام

ولما ظهر الاسلام قدمت الحنساء في قومها بني سليم فأسلموا جميعاً وقيل : رآها عمر بن الخطاب فسألها : « ما اقروح ماقي عينيك ؟ » قالت : « بكائي على السادات من مضر » قال « يا حنساء ، انهم في النار » قالت : « ذاك اطول بعويلي عليهم ، اني كنت ابكي لهم من النار ، وانا اليوم ابكي لهم من النار . »

(١) سواده : شخصه . (٢) الجنازة : الميت ، وكل ما ثقل على قوم فاعتصموا به . يقول زوجته : ما كنت اخاف ان اكون ثقيلاً عليك فتفتحي بي ، ولكن لا يفتتر بمجواذات الايام ولا يوثق بها . (٣) حيل : منع . العير : الخمار . النزوان : الوثب . وهذا مثل يضرب في شدة الامر وصخر اول من قاله . (٤) معرس : محلة . العسوب : طائر اصغر من الجراداة او اعظم لا يضم جناحيه اذا وقع . يقول : الموت خير من حياة ضيقة اليمه وكأني وانا فيها يسوب اراد القبول فوق على رأس سنان . (٥) الحليلة : الزوجة . الهوان : الذل . (٦) وجدت : حزنت .

وحكي : انها اقبلت في خلافته حأجة ، فزلت بالمدينة في زي الجاهلية ، فقام اليها عمر في اناس من اصحابه ، فاذا هي على ما وصف له ، فعذها ووعظها ، وقال لها : « ان الذي تصنعين ليس صنع الاسلام ، وان الذين تبكين هلكوا في الجاهلية ؛ وهم اعضاء اللهب وحشوجهم » فقالت : « اصمع مني ما اقول في عذلك اياي ، ولومك لي » فقال : « هاتي » فأنشدته :

سَمَىٰ جَدْنَا، أَكْنَافُ غَمْرَةَ دُونَهُ ، مِنْ أَلَيْثِ ، دِيَمَاتُ الرَّبِيعِ ، وَوَابِلُهُ ^(١)
 أُعِيرُهُمْ سُنْعِي ، إِذَا ذُكِرَ الْأَسَى ، وَفِي أَلْقَابِ مِنْهُ زَفْرَةٌ مَا تُزَايِلُهُ ^(٢)
 وَكُنْتُ أُعِيرُ الدَّمْعَ ، قَبْلَكَ ، مَنْ بَكَى ، فَأَنْتَ عَلَيَّ ، مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ ، شَاغِلُهُ ^(٣)

فتعجب عمر من بلاغتها وقال : « دعوها فانها لا تزال حزينة ابداً . »

ورأت عائشة زوجة النبي على الحنساء رصداً ^(٤) من شعر ، فقالت : « ياخنساء أتلبسين الصدار وقد نهى الرسول عنه ؟ » قالت : « لم اعلم بنبيه » قالت : « بما الذي بلغ بك ما ارى ؟ » قالت : « موت اخي صخر ، ولصداري سبب » قالت : « وما هو ؟ » قالت : « زوجني أبي رجلاً متلافاً ماله ، فأسرع فيه حتى نفد ، فقال لي : « اين تذهبين يا خنساء ؟ » فقلت : « الى اخي صخر » فلقيناه ، فقسم ماله بيننا وبينه شطرين ، ثم خيرنا ، فقالت له زوجته : « اما كفالك ان تقسم مالك حتى تخبرهم ؟ » فقال :

وَاللَّهِ لَا أَمْنَحُهَا شَرَّارَهَا ، وَهِيَ حَصَانٌ ، قَدْ كَفَّتْنِي عَارَهَا ^(٥)
 وَلَوْ هَلَكْتُ مَزَّقَتْ خِمَارَهَا ، وَأَتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا ^(٦)

فلما هلك اتخذت هذا الصدار . والله لا اخلف ظنه ، ولا اكذب قوله ماحييت .

(١) الجذث : القبر . الاكناف : النواحي مفردها كَنَفٌ . غمرة : اسم موضع .
 الديمات : الامطار الدائمة مفردها ديمة . الوايل : المطر الغزير . (٢) منه : اي من الاسى وهو الحزن . ترايله : تفارقه . (٣) تقول : كنت قبل موتك أعين بدعي من يبكي عزيزاً له ، فاصبحت بعد موتك وليس لدعي شاغل سواك . والحطاب لاختها صخر . (٤) الصدار : قميص صغير يلي الجسد . (٥) شرارها : أي شرار الاموال او شرار الحصص . والشرار والامرار واحد . حصان : شريفة ذات بعل . (٦) خمارها : برقعها .

وشهدت الحنساء حرب القادسية^(١) ومعها بنوها الاربعة ، وكانوا رجالا . فقالت لهم من اول الليل : « يا بني ، انكم اسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين . والله الذي لا اله الا هو ، انكم ابنؤرجل واحد^(٢) ، كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت اباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هيجنت^(٣) حسبكم ، ولا غيرت^(٤) نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا ، وصابروا^(٥) ورابطوا^(٦) واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها^(٧) فتيّموا وطيسها^(٨) ، وجالدوا رئيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والقيامة . » فلما اصبحوا باكروا مراكزهم ، فتقدموا واحداً بعد واحد ، وهم يرتجزون ذاكرين وصية العجوز حتى قتلوا عن آخرهم فبلغها الخبر فقالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة . »

وكان عمر يعطيها ارزاق بنيتها الاربعة مائتي درهم عن كل واحد حتى قبض .
وتوفيت الحنساء في اول خلافة عثمان وكان موتها في البادية .

أماها

ديوان شعر طبع في بيروت ، كله في رثاء اخويها ولا سيما صخر ، واكثره قيل في الجاهلية . ولذلك خالفنا رأي من يعدها من الشعراء المخضرمين^(٨) .

(١) كانت هذه الحرب بين المسلمين والفرس ، وكان يقود جيش الاسلام سعد بن ابي وقاص ، فهزموا الفرس عن القادسية وافتتحوا الموصل وما يليها من المدائن . وكان ذلك في خلافة عمر سنة ١٦ هجرية و ٦٣٨ مسيحية . ولم تقم للفرس بعد وقعة القادسية قائمة .
(٢) الرواة يقولون : ان الحنساء تزوجت اثنين ، وان ابنها عبد الله من الرجل الاول وقد ذكر ذلك في موضعه . (٣) هيجنت : جعلته هجيناً وهو العربي المسؤول من أمة او من ابوه خير من أمه . (٤) صابروا : غالبوا أعداءكم في الصبر . (٥) رابطوا : لازموا ارض العدو . (٦) يقال على سبيل المجاز : شمرت الحرب عن ساقها اي اشتدت ، واصله من تشهير المخدرات في الحرب ، او تشهير المحاربين في القتال . فالحرب سبب . (٧) تيمّموا : اقصدوا . وطيسها : حرّتها . (٨) المخضرم : من عاش في الجاهلية والاسلام .

الحنساء ، ما الحنساء ؟ . . . ان هي الا قمرية^(١) على الغصون
تبكي لفقد اليها . فاذا شجاك نوح القاري ، فشعر الحنساء لا بد ان يشجوك .
فهو ذوب العاطفة المتألدة ، والنفس الدائمة ، والوفاء الاخوي الثالث .

واذا همت الحنساء برثاء صخر ، وصخر شقيق روحها ، سابقتها الدموع الى
رثائه ، فتفجرت من مآقيا ، فاذا هي لا ترى غير عينها عوناً لها على الاسى ،
فتخاطبها بشعرها ، وما اكثر ما تستهل الحنساء قصائدها بخطاب عينها :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا دَمَعَهَا سَرَبٌ ، أَعَادَهَا حَزَنٌ ، أَمْ عَادَهَا طَرْبٌ ؟^(٢)
أَمْ ذِكْرُ صَخْرٍ بَعِيدِ النَّوْمِ هَيَّجَهَا ، فَالدمعُ مِنْهَا عَلَيْهِ الدَّهْرُ يَنْسِكُ ؟^(٣)

يَا عَيْنِ جُودِي بَدْمَعٍ مِنْكَ مَسْكُوبٌ ، كَأَنَّ لَوْ جَالَ فِي الْأَسْمَاطِ مَفْجُوبٌ^(٤)
إِنِّي تَدَاكَرْتُهُ ، وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ ، فَفِي فُؤَادِي صَدْعٌ غَيْرُ مَشْعُوبٍ^(٥)

يَا عَيْنِ جُودِي بَدْمَعٍ مِنْكَ هَمَّالٍ ، وَعَبْرَةٌ بِنَجِيبٍ ، بَعْدَ إِعْوَالٍ^(٦)
لَا تَسْأَمِي أَنْ تَجُودِي ، غَيْرَ خَاذِلَةٍ ، فَيَضَا كَفَيْضِ غُرُوبٍ ، ذَاتِ أَوْشَالٍ^(٧)
وَأَبْكِي لِصَخْرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ ، وَأَنْتِجِي حَتَّى تَحْلِي ضَرْبِي بَيْنَ أَجْبَالٍ^(٨)

واذا هي آنتت في عينها جموداً أثبتتها على مجلها ، فكانها لا تريدها الا

مفروقة ندية :

(١) القُمرية : الحمامة . (٢) سَرَبٌ : سائل . عَادَهَا : زارها . والبكاء . يكون من
الطرب كما يكون من الحزن . (٣) عَلَيْهِ الدَّهْرُ : أي مدى الدهر . (٤) يَا عَيْنِ : على حذف ياء .
المتكلم في المنادى المضاف اليها . الاساط : الحيوط تنظم فيها اللاتي لتعلق في الرقاب . مفردا
سقط . شَبَّهت دمعها في صفائه باللاتي المنظومة في الاساط . (٥) مُعْتَكِرٌ : مظلم . صَدْعٌ : شق .
مشعوب : مجموع ملووم . (٦) هَمَّالٌ : هطال . وعبرة بنجيب : اي دمعته مقترنة بنجيب . والنجيب :
هو رفع الصوت بالبكاء . الاعوال : الصياح بالبكاء جمعت انواع البكاء كلها . (٧) الاتسامي :
لا تضجري . غير خاذلة : غير فاركة . الغروب : الدلاء العظيمة ، مفردا غرب . الاوشال : المياه
الكثيرة والقليلة مفردا وشل وهي من الاضداد . (٨) طول الدهر : مدى الدهر : اجبال : جمع جبل .

يَا عَيْنِ مَا لَكَ لَا تَبْكِينَ تَسْكَابًا، إِذ رَابَ دَهْرٌ، وَكَانَ الدَّهْرُ رِيَابًا (١)

.....

أَعْيَنِي، جُودًا وَلَا تَجْمُدَا، أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرٍ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْعَجْرِي، الْجَبِيلَ، أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا

.....

أَعْيَنِي، هَلَّا تَبْكِيَانِ عَلَى صَخْرٍ! بِدَمْعٍ حَيْثُهَا، لِأَبْكِيَةٍ وَلَا نَزْرٍ! (٢)
وَتَسْتَفْرِغَانِ الدَّمْعَ أَوْ تُذْرِيَانِيهِ، عَلَى ذِي النَّدَى وَالْجُودِ، وَالسَّيِّدِ الْعَمْرِ (٣)
فَمَا لَكُمَا عَنْ ذِي يَمِينَيْنِ فَابِكِيَا عَلَيْهِ مَعَ الْبَاكِيِ الْمُسَلَّبِ، مِنْ صَبْرٍ (٤)

وقد تولها عيناها اذا قرأها البكا . فتخطب نفسها على سبيل التشكك او تجاهل العارف :

قَدَى بَعِينِكَ، أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَارُ؟ أَمْ ذَرَفَتْ، إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ؟ (٥)
كَأَنَّ عَيْنِي لَذَكَرَاهُ، إِذَا خَطَرَتْ، فَيْضٌ، يَسِيلُ عَلَى الْحَدَّيْنِ، مِدْرَارٌ (٦)
تَبْكِي لِصَخْرٍ، هِيَ الْعَبْرَى، وَقَدَوْلَهَتْ، وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أَسْتَارٌ (٧)
تَبْكِي خُنَاسٌ، فَمَا تَنْفَكُ، مَا عَمَّرَتْ، لَهَا عَلَيْهِ رَنِينٌ، وَهِيَ مِفْتَارٌ (٨)

- (١) التسكاب : السكب الكثير . راب الدهر : وقع الانسان بصروفه وواجهه . الرياب : المفزع والرامي بصروفه . (٢) هلا : اذا تقدمت المضارع افادت التحضيض . حيث : سريع . البكي . القليل . (التر : القليل الثافه . (٣) تستفرغان : تبذلان . تذرياته : تصبانه . العمر : الكرم الوسع الخلق . (٤) ذي يمينين : لقب صخر . المسلب : من التسلب وهو لبس الثياب السود . نقول : فما لكما صبر عن صخر فابكيا عليه مع الباكي المسلب ، وفي البيت تقديم وتأخير . (٥) قذى بعينك : اي أقذى ، حذفته الحمزة لوزن الشعر . والقذى ما يقع في العين فيولها . العوار : ما أصاب العين من القذى او الرمذ فأوجعها . ذرفت : قطرت قطراً متتابعاً . (٦) اذا خطرت : اي مرت ذكرها ببالها . الفيض : السيل . مدرار : غزير كثير الدر . (٧) العبى : الدامعة . ولحت : جزعت . وجديد التراب : وجهه وما اثير من باطن الارض . (٨) خناس : اي الخنساء معدول عنها لخلوة اللفظ والتجيب . ما عمّرت : ما عاشت وبقيت . رنين : بكاء . مفتار : ضعيفة منكمرة .

تَبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرٍ، وَحَقَّ لَهَا إِذْ رَأَتْهَا أَلْدَهْرُ، إِنَّ أَلْدَهْرَ ضَرَّارٌ^(١)

وإذا انتهت الخنساء من حديث عينيها ، فرغت للتلف على أخيها ، وتعداد شمائله وخلاله . فما تدع مكرمة الاجعلتها فيه ، ولا حسنة الا وصفته بها . فهو اشجع الناس ، واكرمهم ، واعفهم ، واجملهم ، وانجدهم . ومما يزيد ثناءها حسناً ان مدحها لصخر لا يشوبه التكلف والجفاف ، وانما هو مشبع بصدق اللهجة وصدق العاطفة معاً ، يرافقه التفجع في جميع اقسامه .

وهي في مدحها كما في تلفيها وبكائها ، لها اسلوب خاص ذو وحدة في التعبير والتفكير :

يَاصْخُرُ ، وَرَادَ مَا هُ قَدْ تَنَازَرَهُ	أَهْلُ الْمَوَارِدِ ، مَا فِي وَرْدِهِ عَارٌ ^(٢)
مَشَى السَّبْتَى إِلَى هَيْجَاءٍ مُغْضَلَةٍ ،	لَهُ سَلَا حَانَ : أَنْيَابٌ وَأَطْفَارٌ ^(٣)
وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَبْدُنَا ،	وَإِنَّ صَخْرًا ، إِذَا نَشْتُو ، لَنَحَّارٌ ^(٤)
وَإِنَّ صَخْرًا لَيْقْدَامٌ ، إِذَا رَكِبُوا ،	وَإِنَّ صَخْرًا ، إِذَا جَاعُوا ، لَعَقَّارٌ ^(٥)
أَغْرُ أْبْلَجٍ ، تَأْتُمُّ أَلْهُدَاةُ بِهِ ،	كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارٌ ^(٦)
جَلْدٌ جَمِيلٌ أَلْحِيًّا ، كَامِلٌ ، وَرَعٌ ،	وَاللَّجْرُوبُ غَدَاةٌ ، أَلرُّوعُ مِسْعَارٌ ^(٧)

(١) حَقَّ لَهَا : اي كان البكاء حقيقاً بها وهي حقيقة به . راجعاً : اوجمها بصروفه .
 ضَرَّارٌ : شديد الضر . (٢) وَرَادَ : صيغة فَعَالٍ للمبالغة ، من ورد الماء بلفه ليُشْرَبَ والمساء هنا مستعار للموت . تنازره : أنذر بعضهم بعضاً صعبته وهولته . الموارِد جمع مورد : محل الورد . وقولها اهل الموارِد : كناية عن الابطال . ورده : شربه . تقول : وردت موردًا تحافه الابطال . ويُذَرُ بعضها بعضاً منه ، ولكن ليس في ورده عار . (٣) السبتي : النمر . ومشى السبتي : أي مشته . الهيجاء : الحرب . المغضلة : الشديدة . وقولها : له سلاحان : أنياب واطفار : ترشيح للتشبيه بزيده بلاغة . (٤) نشتو : ندخل في الشتاء . نحَّارٌ : ينحر الابل والمواشي لان في الشتاء يكثر الطارق ويضيق العيش . (٥) المقدم : الذي يتقدم الفرسان في الحرب . ركبوا : اي ركبوا للحرب . العقَّار : النحَّار للابل . (٦) الاغر : الكرم المشهور . الابليج : الطلق الوجه ذو الكرم والمعروف . تأتم به : تقتدي به وتتخذة إماماً . الهداة : الأدلاء والمرشدون ، مفردها هادي . العليم : الجبل العظيم . تقول : كأنه في شهرته وظهوره جبل عظيم يأتم به الهداة ليهتدوا به ، ثم اوظت وما اكتنفت فقالت : في رأسه نار . (٧) جلدٌ :

حَمَلُ أَلْوِيَّةٍ ، هَبَّاطُ أَوْدِيَّةٍ ، شَهَادُ أُنْدِيَّةٍ ، لِلْجَيْشِ جَرَّارٌ ^(١) ،
 لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا ، لِرَبِيَّةٍ ، حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ أَلْجَارُ ^(٢) ،
 وَلَا تَرَاهُ ، وَمَا فِي أَلَيْتِ يَأْكُلُهُ ، لَكِنَّهُ بَارِزٌ بِالصَّخْرِ ، مِهْمَارُ ^(٣) ،
 مَوْرَثُ الْمَجْدِ ، مَيْمُونٌ نَقِيَّتُهُ ، ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ ، فِي الْعَزَاءِ مَفْوَارُ ^(٤) ،
 لَيْبِكُهُ مُقْتَرٌ ، أَفْنَى حَرِيَّتُهُ ، دَهْرٌ ، وَحَافَتُهُ بُوسٌ وَإِقْتَارُ ^(٥) ،
 وَرَفْعَةٌ ، حَارَ هَادِيهِمْ بِمَهْلِكَةٍ ، كَأَنَّ ظُلْمَتَهَا فِي الطُّخْيَةِ الْقَارُ ^(٦) ،

ومن قولها :

يَأْتَهُفُ نَفْسِي عَلَى صَخْرِهِ ، إِذَا رَكَيْتُ خَيْلٌ لِحَيْلٍ تُنَادِي ، ثُمَّ تَضْطَرِبُ ^(٧) ،
 قَدْ كَانَ حِصْنًا شَدِيدَ الرُّكْنِ مُسْتَعْمًا ، لَيْثًا ، إِذَا نَزَلَ الْفَيْثَانُ أَوْ رَكِيوَا ^(٨) ،
 أَغْرُ ، أَزْهَرُ ، مِثْلُ الْبَدْرِ صُورَتُهُ ، صَافٍ ، عَثِيقٌ ، فَمَا فِي وَجْهِهِ نَدْبٌ ^(٩) ،
 سَقِيًّا لِقَبْرِكَ مِنْ قَبْرِ ، وَلَا بَرَحَتْ جُودُ الرُّوَادِعِ تَسْقِيهِ وَتُحْتَابُ ^(١٠) ،

قوي الجلد أي الصبر والثبات . ورع : مبتعد عن الآثم والمعاصي . الروع : الغزع . مسعارة :
 موقد للمبالغة ، من سمر الحرب اوقدها .

(١) الألوية : الرايات مفردها لواء . الأندية : المجالس مفردها نادٍ . تقول : هو
 يحمل اللواء في الحرب ، ويقطع الأودية المغفرة التي تحميها السباع ، ويخطف في المجالس
 ويفصل في الأمور ، ويقود الجيش الجرار . (٢) لربيعة : لامر يشتم به . (٣) مهيار : من
 مهر ما في الضرع : حلبه كله . تقول : لا يأكل ما في بيته وحده لكنه يخرج بصحنه ليقرى
 الضيوف ، ويحلب لحم اللبن الكثير . (٤) ميمون : مبارك . النفية : النفس . الدسيعة :
 العظيمة . العزاء : الشدة . موار : كثير الغارات . (٥) المقتر : الفقير . الحريرة : المال
 الذي يعيش به . إقتسار : فقر . (٦) المهلكة : المسافة وهي البرية الواسعة يكثر فيها
 الهلاك . الطخية : سحاب يغطي النجوم فيتحير الهادي . القار : الرقت . تقول : لتبكه
 رفعة تسير في مهلكة وقد حار هاديا لشدة الظلام ، فان صخرًا كان جدجا ويشجما .
 (٧) خيل لحيل : أي فرسان لفرسان ، مجاز مرسل . (٨) ليثًا : أسدًا . إذا نزل الفتيان
 أو ركبوا : أي إذا نزلوا للمجادة بالسيوف أو ركبوا للمطاردة بالرمح . (٩) الأغر :
 الأبيض . الأزهر : الأبيض مع حسن . صاف عتيق : أي بقي الوجه خالصه . الندب : اثر
 الجرح ، أي لا تشوه وجهه آثار الجراح . (١٠) سقيًا : مصدر لفعل محذوف أي يسقى

مَاذَا تَصَنَّنَ مِنْ جُودٍ ، وَمِنْ كَرَمٍ ،
وَمِنْ خَلَائِقَ مَا فِيهِنَّ مُقْتَضِبٌ (١)
ومن قولها :

خَطَابٌ مُحْفَلَةٌ ، فَرَّاجٌ مَظْلَمَةٌ ،
سُمُّ الْعُدَاةِ ، وَفَسْكَالُ الْعِنَاةِ ، إِذَا
أَسْدَأُ ، تَنَادَرُهُ الرَّفَاقُ ، ضَبَارِمًا ،
حَامِي الْحَقِيقِ ، تَحَالُهُ عِنْدَ الْوَعَى
سُنَّ الْهَرَاثِينِ ، لِأَحَقِّ الْأَقْرَابِ ،
ضَحْمَ الدَّسِيعَةِ ، بِالنَّدَى مُتَدَفِّقًا ،
مَأْوَى الْيَتِيمِ ، وَغَايَةَ الْمُتَنَابِ (٢)
وقولها :

وَقَائِلَةٌ ، وَالنَّعْشُ قَدَفَاتَ خَطْوَاهَا ،
الْأَتْسِكَلَتْ أُمَّ الَّذِينَ مَشَوْا بِهِ
وَمَاذَا يُوَارِي الْقَبْرُ تَحْتَ تَرَابِهِ ،
لِتُدْرِكُهُ : « يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرِهِ » (٣)
إِلَى الْقَبْرِ ، مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ
مِنَ الْخَيْرِ يَا بُوسَ الْخَوَادِثِ وَالذَّهْرِ

سقبًا . والجملة انشائية متضمنة معنى الدعاء . الجود : الامطار الغزيرة مفردتها الجائد . الرواعد : السحب فيها الرعدة مفردتها الراعدة . تختلب : اي يجلب جميع ما فيها من الماء .
(١) الخلائق : السجاييا والطباع مفردتها خليفة . مقتضب : مقطوع . اي ليس في سجايها واحدة ناقصة مقطوعة قبل تمامها . وقولها مقتضب بالتذكير : اي شيء مقتضب .
(٢) الخطاب : المتصرف في الخطبة والكثير الخطاب . المحفلة : المجلس . المظلمة : ما يلحق الانسان من الظلم او ما يؤخذ منه ظلماً . واذا رويت مظلمة تكون بمعنى داهية مظلمة . المعضلة : الامر الشديد . سنى لصا باباً : فتح لها باباً اي انه يهد الشدائد ويفتح لها ابواب الفرج . (٣) سم العداة : اي انه يقتل الاعداء كأنه سم لهم . العناة : الاسرى . (٤) الحقيق : ما تجب حمايته كالعرض وغيره . ويكثر استعمال حامي الحقيقة بدلاً من الحقيق . يشة : واد في النيمن تكثر فيه الاسود . (٥) تنادره الرفاق : اي يخوف بعضهم بعضاً منه . الرفاق : اي رفاق السفر . ضبارم : أسد مجتمع الخناق موثقه . شئن : خشن . البرائن : الاظفار . لاحق : ضامر . الاقرب : الحواصر مفردتها قرب . والاسود موصوفة بضمور خصورها . وهذه الصفات كلها ترشيح للاستعارة . (٦) الدسيعة : العطية . الغاية : المقصد والهدف . المنتاب : من انتابه المصائب او من انتاب القوم : ذارهم مرة بعد اخرى . (٧) وقائلة : اي ورب قائلة وقد سبقها النعش : يالهف نفسي . تريد ان تظهر توجع الناس على اخيها

وقولها :

وَأَبْكِي أَخَاكَ لِإِيْتَامِهِ وَأَرْمَلَهُ ،
 وَابْكِي أَخَاكَ لِحَقِّ الضَّيْفِ وَالْجَارِ (١)
 جَمُّ فَوَاضِلُهُ ، تَسْدَى أَنَامِلُهُ ،
 كَأَبْدَرِ يَجْلُو ، وَلَا يَخْفَى عَلَى السَّارِي (٢)
 رَدَادُ عَارِيَةٍ ، فَكَأَنَّكَ عَانِيَةٌ ،
 كَضَيْغَمٍ بَاسِلٍ ، لِلقَرْنِ هَضَارِ (٣)
 جَوَابُ أَوْدِيَةٍ ، حَمَالُ أَلْوِيَةٍ ،
 سَمَحُ الْيَدَيْنِ ، جَوَادٌ غَيْرُ مَقْتَارِ (٤)

وقولها :

يَأْلَهْفُ نَفْسِي عَلَى صَخْرِهِ ، إِذَا رَكَيْتَ
 خَيْلٌ لِحَيْلِهِ ، كَأَمْثَالِ الْيَعَافِيرِ (٥)
 وَأَلْفَحَ الْقَوْمُ حَرْبًا ، لَيْسَ يَلْفَحُهَا ،
 إِلَّا الْمَسَاعِيرُ أَبْنَاءَ الْمَسَاعِيرِ (٦)
 يَأْصَخِرُ ، مَاذَا يُؤَارِي أَقْبَرُ مِنْ كَرَمِ ،
 وَمِنْ خَلَاتِقِ عَمَّاتٍ مَطَاهِيرِ (٧)

ونحسب ان هذه المنتخبات كافية لاطهار ميزة الشاعرة ، وطرق تفكيرها وتعبيرها . فسائر ديوانها يجري على هذا النمط من البكاء والتفجع ، والمغالة في مدح اخيها . ولعل القائل اظهر خاصة في الحنساء ، فهي مغالية في حزنها ولوعتها ، مغالية في ما تنعت به صخرأ من النعوت الحسنة . ولكنك غلو صادق من حيث تفجعها وبري . من حيث وصفها لآخيها . فنحن نشعر بشدة آلامها عندما تذرف الدموع السخينة ، وتخطب عينيها . وتبين اعجابها الكثير باخيها ، عندما تصف

وأكبرهم المصيبة . (١) قولها : لِحَقِّ الضَّيْفِ وَالْجَارِ : اي حق الضيف والجار ان يُحْمَى وَمَنْ لَهَا بَعْدَ صَخْرٍ ؟ (٢) جَمُّ : كثير . فَوَاضِلُهُ : مكارمه . تَسْدَى : تَقَطَّرُ . أَنَامِلُهُ : اصابعه . أَي تَسْدَى بِالْجَوَادِ أَنَامِلُهُ . يَجْلُو : يظهر . السَّارِي : السَّائِرُ لَيْسَلاً . (٣) العارِيَةُ : الشَّيْءُ يُتَدَاوَلُ وَيَسْتَعَارُ . أَي إِذَا اسْتَعَارَ شَيْئًا يَرُدُّهُ . عَانِيَةٌ : أَي جَمَاعَةٌ عَانِيَةٌ وَهِيَ الْإِسْرَى . الضَّيْغَمُ : الْإِسْدُ . الْقَرْنُ : الْحَصْمُ الَّذِي يُقَارَنُكَ بِقُوَّتِهِ وَغَيْرِهَا . الْهَضَارُ : الَّذِي يَهْضُرُ فَرِيَسْتَهُ أَي يَسْحَقُهَا . (٤) الْجَوَابُ : الْقَطْأَعُ . سَمَحُ الْيَدَيْنِ : سَخِي . الْجَوَادُ : الْكَرِيمُ . غَيْرُ مَقْتَارٍ : لَا يَضِيقُ عَلَى عِيَالِهِ . (٥) خَيْلٌ لِحَيْلِهِ : أَي فَرَسَانٌ لِفَرَسَانٍ ، بِمَازٍ . ثُمَّ قَالَتْ : وَهَذِهِ لِحَيْلِهِ فِي سُرْعَتِهَا تُشَبِّهُ الْيَعَافِيرَ : أَي الظُّبَاءَ مَفْرَدَهَا يَغْفُورُ . (٦) أَلْفَحَ النَّاقَةُ : أَتَتْجَهَا ، وَيَسْتَعَارُ لِلْحَرْبِ أَي اوقدها . الْمَسَاعِيرُ : موقدو الحرب ، مَفْرَدَهَا مَسْعَارُ . (٧) خَلَاتِقِ : سَجَابًا مَفْرَدَهَا خَلِيقَةٌ . عَمَّاتٍ : عَفِيفَاتٍ مَفْرَدَهَا عَمَّاتٌ . مَطَاهِيرِ : كَثِيرَةٌ (الطهر مفردا مطهرا .

شجاعته فتصوره اسداً تاماً بانياب واطفار ، شثن البرائن ، لاحق الاقرباب . او
تصف جوده ، فتجعله مأوى اليتيم ، وغاية المنتاب ، بارزاً بالصحن مهراً . او تصف
جماله ، فهو البدر في صورته ومحياه .

ولا يقتصر غاؤها على المعاني وما فيها من صور مادية بارزة ، بل يتناول الفاظها
ايضاً ، فأكثر ما يكون لفظها في صيغ المبالغة التي تترك اثرأ محسوساً في النفس .
فن تعابرها الخاصة قولها : شهاد اندية ، حال الوية ، هبأط اودية ، نحر ، مغوار ،
مسعار ، أغرأ بليج ، او أغرأ زهر ، الى غير ذلك من امثلة المبالغة . ولها تعابير فخمة
تتضمن العلو في نفسها ، مثال قولها : ضخم الدسيعة ، اذار كبت خيل خيل . . .
وقد تحم رثاءها بالوقوف على القبر الذي ضم رفات اخيها ، فأتدري كيف تظهر
له تلك النعمة التي حلت عليه بجلول صخر فيه . . . ماذا يوارى القبر من كرم ؟ . . .
او من خير ؟ . . . او من خلانق عفات مطاهير ؟ . . .

فيتبين من كل ذلك ان رثاء الحنساء عاطفي بحت ، لا يشوبه تكلف ، ولا
يرتفع بها الفكر الى المعاني الحكمية السامية التي نجدها في رثاء لبيد ل اخيه . فهي
حزينة لا تتعزى ، وضعيفة لا تملك ان تعظ نفسها ، ونادبة تهبج البواكي ، وتستحث
قومها على ادراك الثأر ، وتشير نخوتهم بذكر مناقب اخيها . واذا خطر لها ان تتأسى
شيئاً ، فلكني تمنع نفسها عن الانتحار ، لا عن التفرجع والبكاء :

يَذْكُرْنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا ، وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ ،^(١)
وَلَوْلَا كَثْرَةُ أَبَاكِينِ حَوْلِي ، عَلَى إِخْوَانِهِمْ ، لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَلَكِنْ ، لَا أَزَالُ أَرَى عَجُولًا ، وَبَاكِةً تَنُوحُ لِيَوْمِ نَحْسٍ .^(٢)
أَرَاهَا وَالْهَاءُ تَبْكِي أَخَاهَا ، عَشِيَّةَ رُزْئِهِ ، أَوْ غِبِّ أَمْسٍ .^(٣)
وَمَا يَبْكُونُ مِثْلَ أَخِي ، وَلَكِنْ ، أُعْزِي النَّفْسَ عَنْهُ بِأَلْتَأْسِي .^(٤)

(١) اي انها تذكره عند طلوع الشمس للغارة ، وعند مغيبها لقرى الضيفان . وهو من
الطف الاشارات البيانية وأبدعها . (٢) عجولا : ثكلى جمعها : عجل . (٣) الواله : من
ذهب عقلها من الحزن ويستوي فيها الذكر والمؤنث . غب : بعد ، اي بعد امس رزئه
(٤) يبكون : أي النساء والرجال . التأسى : التصبر .

فَلَا وَاللَّهِ ، لَا أَنْسَاكَ حَتَّى أَفَارِقَ مُهْجَتِي ، وَيُشَقَّ رَمْسِي ^(١)
 فَقَدْ وَدَّعْتُ يَوْمَ فِرَاقِ صَخْرٍ ، أَرَبِي حَسَانَ ، لَدَاتِي وَنُسِي ^(٢)
 فَيَا لَهْفِي عَلَيْهِ ، وَلَهْفَ أُمِّي ، أَيُضِحُّ فِي الضَّرِيحِ ، وَفِيهِ يُمْسِي ١

ومما يجدر ذكره ان شعر الحنساء خال من القصائد الطوال التي عرفناها في الشعراء الجاهلين . فاطول قصيدة لها الرائية: « قَدَى بَعَيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَارُ . . . » وهي لا تتجاوز الخمسة والثلاثين بيتاً . واكثر شعرها ابيات ومقطعات ، او قصائد قصيرة . ولعل ذلك ناتج بعضه عن ضعف الخيلة في المرأة ، وبعضه الآخر عن وحسنة موضوع الشاعرة وعدم تعدد اغراضها . فهي لم تطرق غير الرثاء ، بما فيه من تفجع ومدح ، وما يتبع المدح من ذكر غزوة ، دون ان تعد الى وصف الحرب وتصويرها ، وانما تجعل همها في النواح على صخر ، واطراء شمائله وتمثيلها مادياً ، مما جعل افكارها محصورة في صور محدودة المعاني والتعابير .

على ان قصر قصائدها لا يضير شاعريتها ، ولا يحط من منزلتها الادبية ، فانما هو زفرات متقطعة ، وافلاذ من حشاشتها الدامية .

مركزها

هي اشعر النساء ، وتُفَضَّلُ على كثير من فحول الشعراء . وقد عدّها ابن سلام الثانية بين اصحاب المراثي ، فقدّم عليها مُتَمِّمُ بن نُويرَةَ ، وقدّمها على اعشى باهلة ، وكتب بن سعد العنزي . ورؤي ان جريراً سُئِلَ : « من اشعر الناس ؟ » فقال : « أنا ، لولا هذه الحبيثة (يعني الحنساء) فضلها على جميع الشعراء . وقدمها بشار على الرجال .

وكان النبي محمد يُعجب بشعرها ، ويستنشدُها فتنشدُه وهو يقول : هيه ^(٣)
 يَا حُنَّاسُ ١ « ويومئذ بيده .

(١) المهجة : الروح ودم القلب . الرمس : القبر . (٢) ابو حسان : كنية صخر .

(٣) هيه : كلمة استعادة .

وقصارى القول : ان شعر الحنساء مشال للرقعة على غير ضعف، وعنوان الرثاء العاطفي غير مدافع^(١)

درس ادبي تاريخي

زعم الرواة ان الحنساء وقفت في سوق عكاظ، فأشدت النابغة^(٢) قصيدتها « الرائية » التي رثت بها صخرأ، فأعجبه شعرها، وقال لها : « اذهبي فأنت اشعر من كل ذات ثديين، ولولا ان ابا بصير^(٣) انشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم . » وكان ممن عرض شعره حسآن بن ثابت فغضب وقال : « انا اشعر منك ومنها . » فقال النابغة : « ليس الامر كما ظننت . »

وهنا يزعم بعض الرواة ان النابغة قبض على يد حسان وقال : « يا ابن اخي، انت لا تحسن ان تقول :

وَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي، وَإِنْ خَلْتُ أَنْ أَلْمُنْتَأَى عَنكَ وَاسِعٌ»

فحَسَن^(٤) حَسَّان لقوله . ويزعم غيرهم ان النابغة التفت الى الحنساء وقال : « خاطبني يا حُنَّاس » فقالت له : « ما اجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفا ؟ » قال : قولني فيها :

لَنَا الْجَفْنَاتُ الْغُرُّ، يَلْمَعْنَ فِي الصُّحَى، وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ، مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا^(٥) .

فقالت : « ضعفت افتخارك واترته^(٦) في ثمانية مواضع في بيتك هذا » قال : « وكيف ذلك ؟ » قالت : « قلت : الجفنات، والجفنات ما دون العشر، ولو قلت : الجفان لكان اكثر . وقلت : الغرُّ، والغرة يباض في الجهة، ولو قلت : البيض لكان اكثر اتساعاً . وقلت : يلمعن، واللمع يأتي شي : بعد شي .، ولو قلت : يشرقن لكان اكثر لان الاشراق ادوم من اللمعان . وقلت بالضحى، ولو قلت :

(١) غير مدافع : اي غير مزاحم . (٢) كان النابغة الذي يسماني تُضرب له قبة حمراء في عكاظ ونائبه الشعراء وتنشده فيفضل من يرى تفضيله . (٣) ابو بصير : كنيته الاعشى الأكبر . (٤) حَسَن : تنحى وتأخر . (٥) الجفنات : القصاع الكبيرة مفردها جفنة . (٦) الغر : البيض . النجدة : القتال والشجاعة والبأس . (٦) أترته : قلأته .

بالدجى لكان اكثر طُرَاقاً^(١) . وقلت : اسياف، والاسياف مسا دون العشرة،
ولو قلت : سيوف لكان اكثر . وقلت : يقطرن، ولو قلت : يسلن لكان اكثر .
وقلت : دَمَا، والدَمَا اكثر من الدم . « فسكت حسّان ولم يُعحر جواباً .

على ان هذا النقد فيه كثير من التكلف والتعنت، لا تصح نسبتته الى شاعرة
في الجاهلية خالية الذهن من قواعد اللغة، بعيدة من التصنع الذي ينافي فطرتها
الطّبيعية . اصف الى ذلك ان ناقد البيت لم يصب في نقده، لان باب المجاز واسع في
اللغة، ولولا المجاز لضاقت العربية على ابنائها، وسدّت في وجوههم مذاهبها . هذا
وان جموع القلة تستعمل للكثرة كما تستعمل جموع الكثرة للقلة، وقد يُستغنى ببعض
ابنية القلة عن بعض ابنية الكثرة كرجل وأرجل، وبعض ابنية الكثرة عن بعض
ابنية القلة كرجل ورجال . والحُسناء نفسها لم يسلم شعرها من استعمال جمع القلة
للكثرة، ولا سلم منه شاعر في الجاهلية والاسلام . قال السمورال :

وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ،
بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ^(٢)

وقالت الحُسناء :

سَعَى الْإِلَهِ ضَرْيحاً جَنّاً أَعْظَمُهُ ،
وَرَوْحُهُ ، بِغَزِيرِ الثَّمَنِ هَطَالٍ^(٣)

فالأعظم جمع قلة، مع ان جسم الانسان يحتوي اكثر من عشر عظام .

وهكذا يمكن القول في الافعال والامماء التي تفيد الكثرة او القلة، فالأغر
يفني عن الابيض، وان دلّ في اصله على بياض الجبهة، فيقال وجهه أغر، ولا
يراد به الجبين وحده . ولمع يقوم مقام اشرق توسعاً، وعلى سبيل المجاز . وزى ان
قوله : « يلمعن في الضحى » اوقع من ان يقول : يشرقن، لان الجفونات تلمع في
نور الشمس لماعاناً ولا تشرق اشراقاً .

ولا ندرى اين ذهب الناقد بالموضع الثامن الذي ضعّف فيه حسّان بيسته؛ فهو
لم يذكر لنا الا سبعة مواضع . ومن الغريب ان ينقل الرواة هذا النقد على اختلافه
مطمئنين، دون ان يبحثوا عن الموضع الثامن الضائع، او ان يشكروا في صحته،
وضحة نسبتته الى الحُسناء .

(١) طُرَاقاً : اي ضيوفاً . (٢) فُلُول : ثلوم (٣) جَنّ : ضمّ وحوى

على اننا اذا تركنا النقد الادبي جانباً، ونظرنا الى هذه الرواية من حيث التاريخ تبين لنا جلياً اصطناعها، وخطأ اسنادها الى الحسناء. ذلك بان صخرأ اخاها قُتل في يوم الكلاب او يوم ذات الاثل نحو سنة ٦١٥ م ونحن نعلم ان النابغة مات سنة ٦٠٢ م اي في السنة التي قُتل فيها النعمان بن المنذر، او في سنة ٦٠٤ م على رأي بعضهم، فكيف تسنى للحسناء ان ترثي صخرأ، وتقف «برائيتها» في سوق عكاظ، وتنشدها امام النابغة، مع ان النابغة هلك قبل اخيها بنحو احدى عشرة سنة على اقل تعديل؟... فالرواية، كما ترى باطلة، من اساسها، وربما كانت اثرأ باقياً من عدا القريشيين والانصار، اريد باختلاقها الطعن في شاعرية حسن بن ثابت الانصاري. ولكن الخطأ من ادبائنا المعاصرين^(١) الذين نقلوها على علاقتها دون تدقيق وتمحيص.

الهجاء

كان الشاعر في الجاهلية يهجو للمفاخرة، كهجاء الحوث بن حلزة لبني تغلب، او للدفاع عن حق مهضوم، كهجاء زهير لبني حصن وهو يعتقد انهم ظلموا الرجل النطفاني الذي نزل عليهم. واما الهجاء التجاري فقل من كان يصطنعه فيهم، وربما كان الاعشى اقربهم الى هذا النوع من الشعر، ولكنه لم يشتهر فيه كما اشتهر الشاعر الذي نحن بصدده الآن الا وهو الخطيئة.

الخطيئة

(ادرك معاوية^(٢))

حياته : جرّول العبسي . لقب بالخطيئة لقصره . مغموز النسب متدافعه بين القبائل . ابوه أوس بن مالك ، وأمه أمة . انتسب للافقم . مطالبته

(١) احد الابهاء اليسوعيين في ديوان الحسناء . جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية . الاخ ساروفيم فيكتور في كتابه تاريخ الآداب العربية . (٢) معاوية بن ابي سفيان اول خليفة أموي . مدة خلافته من سنة ٦٦١ الى ٦٨٠ م . و ٦١ الى ٦٠ هـ .

ببرائه . مدح ذهلاً ثم هجاء . خبره في الاسلام . رقة دينه وارتداده .
هجاؤه الزبرقان . حبسه واطلاقه وخبره عند عمر بن الخطاب . الاختلاف
بموته . ادرك معاوية . الاستناد بذلك الى اخباره وشعره . وصيته .
اخلاقه : جشع ، سوؤل ملحف ، دنيء النفس ، كثير الشر قليل الخير ،
بخيل . عطفه على اولاده . طرده ضيوفه .

آثاره : ديوان في المديح والفخر والنسيب ، خصوصاً الهجاء . من اصحاب
المشوبات .

ميزته : بروي شعر زهير ، ويحذو حذوه في تهذيب قصائده والاعتماد على الصور المادية .
هجوه يلذع ولا يُفحش . تغاب عليه العفة . يتناول الناس في منزلتهم
الاجتماعية والصفات الحسنة التي يُحمدون عليها . هجوه الزبرقان وطريقته
فيه ، وقول عمر فيه ، ثم قول حسان . صواب القولين . هجاؤه التجاري ،
وهجاؤه العاطفي . مدحه . استعطافه عمر . تأثره بالقرآن . منزلته :
حلاوة لفاظه ووضوح معانيه . بعده من الاسناف . مثانه شعره وسيرورته .
فاتحة الشعراء الهجائين .

هباته

هو جرول بن أوس بن مالك العبسي ، ينتهي نسبه الى مُضَر ، ويُلقب بالخطيئة
لقصره وقربه من الارض ، ويُكنى ابا مَلَيْكَة ، ومَلَيْكَة ابنته ، ولكن لقبه
غاب على كنيته .

وكان مغموزاً في نسبه ، لان أمه أمة يقال لها الضراء ، وابه اوساً مات ولم
يعترف به . وكان لأوس زوجة حرّة من بني ذهل له منها ولدان ، وكان للذهلية
أخ يسمى الأقمم لفقمه ^(١) . فلما وُلد الخطيئة جاء دميماً شبيهاً به ؛ فنسبته الضراء
الى الاقمم ولم تنسبه الى أوس خوفاً من مولاتها ، فنشأ الخطيئة مُتدافع النسب بين
القبائل . فكان اذا دفعته عبس غضب عليها وقال انا من ذهل ، واذا دفعته ذهل
غضب عليها وانتسب الى عبس .

(١) الفَقَم : ان تدخل الاسنان العليا في الفم وتخرج السفلى .

روي انه اتى اهل القرية^(١) وهم بنو ذهل ، وطلب ميراثه من الاقربى ومدحهم
بقوله :

إِنَّ أَلْيَمَامَةَ خَيْرُ سَاكِنَيْهَا ، أَهْلُ الْقُرْيَةِ ، مِنْ بَنِي ذَهْلِ
الضَّامِنُونَ لِأَمَالِ جَارِهِمْ ، حَتَّى يَتِمَّ نَوَاهِضُ الْبَقْلِ^(٢) .
قَوْمٌ إِذَا أَنْتَسَبُوا ، فَفَرَّعَهُمْ ، فَرَعِي ، وَأَثَبْتُ أَصْلِهِمْ أَصْلِي
فدفعوه ولم يعطوه شيئاً ، فحول المديح هجاء :

إِنَّ أَلْيَمَامَةَ شَرُّ سَاكِنَيْهَا ، أَهْلُ الْقُرْيَةِ ، مِنْ بَنِي ذَهْلِ .
ثم عاد الى بني عبس وانتسب الى أوس بن مالك .

الخطيئة والاسلام

وادرك الخطيئة الاسلام فانتحله ديناً ، ولكنه كان مغموز العقيدة ، كما كان
مغموز النسب . فلما توفي النبي ارتدت الخطيئة في جملة المرتدين وقال في ذلك :
أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَا ، فَيَا لِعِبَادِ اللَّهِ ، مَا لِأَبِي بَكْرٍ ؟
أَيُورِثُهَا بَكْرًا ، إِذَا مَاتَ ، بَعْدَهُ ، وَتِلْكَ ، لَعْنَةُ اللَّهِ ، قَاصِمَةُ الظُّهْرِ^(٣)
ولكنه لم يجاهر بكفره ، بل ظل يتكلف الدين رهبة لا رغبة ، وفي نفسه
ما فيها من النزوع الى عيشة البدوي الحر الذي لم يكن قبل الاسلام يتقي سلطاناً ،
ولا يرعى نظاماً .

هجاءه الزبيرية^(٤)

كان النبي قد ولي الزبيرقان بن بدر التميمي عملاً . فلما ولي الخلافة عمر بن

(١) القرية : قرية في اليمامة . (٢) المال : (نعم) ويكون من الابل والشاة . البقل :
النبث . يقول : اخم يغطون جارهم انعامه ويضمنون له علفها حتى ينهض البقل ويخصب
المرعى . يشير بذلك الى ميراثه فيقول انه محفوظ عندهم . (٣) أيورثها : فاعلها ابو بكر .
والضمير عائد الى الخلافة المقدرة . يقول : اذا مات ابو بكر أيورث الخلافة بعده بكرأ .
قاصمة : قاطعة . وقاصمة الظهر : الداهية التي تقطع الظهر . (٤) الزبيرقان : (الزبيرقان : القم)
والرجل الخفيف اللحية .

الخطاب، قدم عليه الزبرقان في سنة مجدبة ليؤدي صدقات قومه . فلقبه الخطيئة بقرقرى^(١) ومعه ابناه أوس وسودة ، وبناته وامراته . فقال له الزبرقان وقد عرفه ، ولم يعرفه الخطيئة : « اين تريد ؟ » قال : « العراق فقد حطمتنا هذه السنة . » قال : « وتصنع ماذا ؟ » قال : « وددت ان اصادف بها رجلاً يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي ابدأ . » فقال له الزبرقان : « قد اصبتك ، فهل لك فيه يُوسِعُكُ لبناً وقرأ ، ويجاورك احسن جوار واكرمه ؟ » فقال له الخطيئة : « هذا وايبك ، العيش ، وما كنت ارجو هذا كله . » قال : « فقد اصبتك . » قال : « عند من ؟ » قال : « عندي . » قال : « ومن انت ؟ » قال : « الزبرقان بن بدر . » قال : « واين محلك ؟ » قال : « اركب هذه الابل ، وأستقبل مطلع الشمس ، وسئل عن القمر حتى تأتي منزلي . » وكتب الى زوجته ان تحسن اليه .

فسار الخطيئة وعياله الى منزل الزبرقان ، فلقبي من زوجته اكراماً واحساناً . فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس . . . ابن قرّيع التميمي ، وكان جده جعفر يُلقب بأنف الناقة^(٢) ، فارسل الى الخطيئة ان يأتيه فأبى ؛ فسد بغيض واخوته الى هندية امرأة الزبرقان ، ان زوجها انما يريد ان يتزوج مليكة بنت الخطيئة ، وكانت جميلة كاملة . فظهرت من المرأة للشاعر جفوة ، وهي في ذلك تداريه . ثم ارادوا النجعة^(٣) فتقدموه ، وتركوه يومين او ثلاثة ولم يرجعوه اليهم فألح عليه بنو انف الناقة وقالوا له : « قد تركت بئضعة . » فاجابهم الخطيئة وسار معهم فضربوا له قبة ، وربطوا له بكل طنّب^(٤) من اطنايبها جلّة هجرية^(٥) واراخوا^(٦) عليه ابلهم ، واكثروا له من

(١) قرقرى : ارض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل . (٢) سمي جعفر انف الناقة لان اياه قريراً نحر ناقة ففسمها بين نسائه فبعثت جعفرأ هذا أمه ، فأبى اياه ولم يبق من الناقة الا رأسها وعنقها ، فقال : « شأنك بهذا » فادخل يده في انفها وجرّ الرأس . فلقب بأنف الناقة . وكان ابناؤه يستحون بهذا الاسم حتى مدحهم الخطيئة بقوله :

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْإِذْنَابُ غَيْرُهُمْ ، وَمَنْ يَسَاوِي بِأَنْفِ السَّنَاةِ الذَّنْبَا !

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ، ويمدون به اصواتهم في جهارة . (٣) النجعة : طلب الكلاب في موضعه . (٤) الطنّب : حبل طويل يشد به وتد الخيمة . (٥) الجلّة : وعاء يوضع فيه التمر . هجرية : نسبة الى هجر : بلاد البحرين وهي مشهورة بثمرها . (٦) اراح الابل : ردها في العشي من المراعي ، وأراخواها عليه : اي مروا بها عليه في المساء ليسقوه من لبنها .

التمر واللبن ، واعطوه لقاها^(١) وكسوة . فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته ، فركب فرسه واخذ رمحه ، وسار حتى وقف على نادي بني شماس القرعيين ، فقال : « ردوا عليّ جاري . » فابوا ، واوشك ان يكون بين الحين حرب . ثم خيّر الحطيثة فاختر القرعيين . فجاء الزبرقان ووقف عليه وقال : « ابا مليكة ، أفارقت جوارى عن سُخْطٍ وذم . » قال : « لا . » فانصرف وتركه .

فجعل الحطيثة يمدح بني انف الناقة من غير ان يهجو الزبرقان ، وهم يحضونه على ذلك فيأبى ويقول : « لا ذنب للرجل عندي . » حتى ارسل الزبرقان الى رجل من النير بن قاسط ، يقال له دنار بن شيان ، فهجا بغيضاً بابيات منها :

وَمَا أَضْحَى لِسْتَمَاسِ بْنِ لَأْيٍ ، قَدِيمٌ فِي الْفَعَالِ ، وَلَا رَبَّاهُ^(٢)
سِوَى أَنْ الْحَطِيئَةَ قَالَ قَوْلًا ، فَهَذَا مِنْ مَقَالَتِهِ جَزَاءُ^(٣)

فحينئذ هجا الحطيثة الزبرقان وناضل عن بغيض في قصيدته التي يقول فيها :

دَعِ الْمَسْكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُعَيْتِهَا ، وَأَقْعُدْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَارِسِي

فاستعدى عليه الزبرقان عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فرفعه عمرُ إليه ، واستنشده القصيدة ، فأنشده اياها ، فقال عمر : « ما اسمع هجاء ولكنها معاقبة . » فقال الزبرقان : « اما تبأسُ مروءتي الا ان آكلَ وأبَسَ ؟ » فقال عمر : « عليّ بحسان » فجيء به ، فسأله ، فقال : « لم يهجه ولكن سلح عليه » فألقاه عمرُ في بئرٍ وحبسهُ ، حتى كلفه فيه عمرو بن العاص وغيره ، فأخرجه من السجن . ودخل الحطيثة عليه فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بِيْذِي مَرَّخٍ ، زُعْبِ الْخَوَاصِلِ ، لَا مَاءَ وَلَا شَجْرُ؟

فبكى عمرُ . فقال عمرو بن العاص : « ما اظلت الحضراء ، ولا أقات العهراء أعدل من رجل يبكي على تركه الحطيثة . »

وروي ان عمر اشترى من الحطيثة اعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم وقال له :

(١) اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب . (٢) الفعال : كريمة (الفعال والاخلق . الرباء : المنة والفضل . (٣) قوله : فهذا من مقالته جزاء : اي قولي هذا جزاء لمقالته فيهم .

« اياك وهجاء الناس ا » قال : « اذن يموت عيالي جوعاً ، هذا مكسبي ومنه معاشي . »

صوته ووصفه

اختلف في تاريخ موته ، فزعم بعضهم انه مات في اواخر خلافة عمر ، وقال غيرهم انه ادرك معاوية بن ابي سفيان . ونحن نميل الى ترجيح القول الثاني استناداً الى اخباره وشعره . فقد جاء في الاغاني بالاسناد الى زيد بن أسلم عن ابيه : « ان عمر ابن الخطاب لما أطلق الحطيئة قال له : « يا حطيئة ، كأنى بك عند فتى من قريش ، وقد بسط لك غرقة ^(١) وكسر لك اخرى وقال : « غننا يا حطيئة » فطقت تغنيه باعراض الناس . « فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر ، وقد بسط له غرقة وكسر له اخرى ، وقال : « غننا يا حطيئة » فجعل يغنيه . فقلت له : « يا حطيئة اتذكر قول عمر ؟ » ففرغ وقال : « يرحم الله ذلك المرء ، اما انه لو كان حياً ما فعلت . » وقلت لعبيد الله : « سمعت اباك يقول كذا وكذا ، فكنت انت ذلك الرجل . »

فمن هذه الرواية نستدل ان عمر بن الخطاب مات قبل الحطيئة ، وان الشاعر لم يهلك في اواخر خلافته كما زعموا . واما انه ادرك معاوية فهذا ما نرجع به الى رواية ثانية والى شعر الحطيئة نفسه .

قال ابن قتيبة والاصفهاني : « اتى الحطيئة مجلس سعيد بن العاص وهو على المدينة يعبئ الناس ، فلما فرغ الناس من طعامهم وخف من عنده ، نظر فاذا رجل على البساط قبيح الوجه كبير السن رث الهيئة . وجاء الشرط ليقيموه وهم لا يعرفونه . فقال سعيد : « دعوه . » وخاضوا في احاديث العرب واشعارهم ، فقال الرجل : « ما اصبتم من الشعر احسنه . » قالوا : « او عندك علم من ذلك ؟ » قال : « نعم . » قالوا : « فمن اشعر الناس ؟ » قال : « الذي يقول :

لَا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عُدْمًا ، وَالسِّكِّنَ فَقْدُ مَنْ قَدَّرْزَيْتُهُ ، الْأَعْدَامُ ^(٢)

(١) النمرقة : الوسادة يتكأ عليها . (٢) الاقتار : الفقر . العدم : الحرمان ومثله

الاعدام . رزته : اصبته به . يقول : ليس الحرمان ان تقتقر بل ان تفقد عزيزاً .

واراد به أبا دُوَادِ الإيَادِي . قالوا : « ثم من ؟ » قال : « حسبكم بي ، والله اذا وضعتُ احدى رجلي على الاخرى ، ثم عويت في أثر القوافي عواء الفصيل الصادي ^(١) . » قالوا : « ومن انت ؟ » قال : « انا الحطيثة . » فرحب به سعيد وقال : « لقد أسأت في كتابتك ايانا نفسك ، وقد علمت شوقنا اليك ومحبتنا لك . » واكرمه واحسن اليه . فقال يمدحه :

لَعَمْرِي ، لَقَدْ أَضْحَيْتُ عَلَى الْأَمْرِ سَائِسٌ ، بَصِيرٌ ، بِمَا ضَرَّ الْأَعْدُو ، أَرِيبٌ ^(٢)
 سَعِيدٌ ، فَلَا يَغْرُرُكَ خِيفَةُ لَحْمِهِ ، تَحَدَّدَ عَنْهُ الْأَجْمُ ، وَهُوَ صَلِيبٌ ^(٣)
 إِذَا غَبَّتَ عَنَّا ، غَابَ عَنَّا رَيْبِعُنَا ، وَنُسَقَى الْعَمَامَ الْغَرَّ ، حِينَ تَوُوبٌ ^(٤)
 فَنِعْمَ أَلْفَتِي ! نَعْشُو إِلَى ضَوْءِ قَلْبِهِ ، إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ ، وَالْمَكَانُ جَدِيدٌ ^(٥)

وذكر ابن سلام شيئاً من هذا الشعر في طبقات الشعراء .

ومعلوم ان سعيد بن العاص لم يتول أمر المدينة الا في ايام معاوية ، مما يدل على ان الحطيثة ادرك هذا العهد .

ويروى للحطيثة وصية قبل موته ، قد يكون فيها شيء من المبالغة والاصطناع ولكنها لا تخلو من الفكاهة ، ولا تعدو نفسية الشاعر ورقة دينه . قال ابن قتيبة وصاحب الاغاني : « لما حضرت الحطيثة الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا : « يا أبا مليكة أوص . » فقال : « ويل للشعر من راوية السوء . » قالوا : « أوص رحمة الله يا حطاي . » قال : « من الذي يقول ؟ »

إِذَا أَنْبَضَ الرَّأْمُونَ عَنْهَا تَرَنَّتْ ، تَرَنَّتْ تَكَلَّمِي ، وَأَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِرُ ^(٦)

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه . الصادي : العطشان . (٢) . (٣) اريب : عاقل . (٤) . (٥) تحدد عنه اللحم : خف عنه . صليب : أي صلب العود . (٦) الغمام : السحب مفردا غمامة . الغر : البيض مفردا أغر وغراء . وأراد بالغمام الغر : غمام الربيع أو الغمام الكرم الفعالم تشبهاً له بالرجل الاغر . ويصح تذكير الغمام لانه من الجموع التي ليس بينها وبين مفردا غير الهاء . ترووب : ترجع . (٥) نعشو : نقصد في الظلام . اذا الريح هبت والمكان جديد : اي اذا اشتد الشتاء واحمل المرعى . (٦) أنبض الرامي القوس : جذب وترها لتصوت ، شبه تصويتها ببياء الثكلى .

قالوا: « السَّمَاحُ . » قال: « أبلغوا غطفان انه اشعر العرب . » قالوا: « ويحك أهذه وصية! أوص بنا ينفعك! » قال: « أبلغوا اهل ضابى. ^(١) انه شاعر حيث يقول: لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ ، غَيْرَ أَنَّنِي ، رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذٍ . »

قالوا: « أوص ويحك بنا ينفعك! » قال: « ابلغوا اهل امرى القيس انه اشعر العرب حيث يقول:

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ ، كَأَنَّ نَجُومَهُ ، بِكُلِّ مُقَارٍ أَلْقَتِ شِدَّتُ رِيْدُ بِلٍ ^(٢) »

قالوا: « اتق الله ودع عنك هذا . » قال: « ابلغوا الانصار ان صاحبهم ^(٣) اشعر العرب حيث يقول:

يُغْشُونَ حَتَّى مَا تَهْرُ كَلَابُهُمْ ، لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ ^(٤) »

قالوا: « هذا لا يفني عنك شيئاً ، فقل غير ما انت فيه . » فقال:

أَلَشِعْرُ صَغْبٌ ، وَطَوِيلٌ سَلْمَةٌ ، إِذَا أَرْتَقَى فِيهِ أَلْدِي لَا يَعْلَمُهُ ،

زَلْتُ بِهِ إِلَى الْخَضِيضِ قَدْمُهُ ، يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ ^(٥) »

قالوا: « هذا مثل الذي كنت فيه . » فقال:

قَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا شَدِيدَ الْمُعْتَمَدِ ، وَكُنْتُ ذَا غَرْبٍ عَلَى الْعَضْمِ أَلْدُ ،

فَوَرَدَتْ نَفْسِي ، وَمَا كَادَتْ تَرِدُ ^(٦) »

قالوا: « يا أبا مليكة ألك حاجة؟ » قال: « لا والله ، ولكن اجزع على المديح

(١) هو ضابى بن الحرث البربوعي . (٢) مفار القتل : اي جبل محكم القتل ، من أغمار الجبل : احكم قتله . يذبل : اسم جبل . يقول : نجومه لا تغيب كأنها شددت الى الجبل بجبال مفتولة . (٣) حسان بن ثابت . (٤) يغشون : يطرقون وتزل عليهم الضيوف . حتى : هنا ابتدائية لا تنصب المضارع . السواد : الشخص . يقول : لا تنبح كلاجهم الضيوف لانها تعودتهم ، وهم يضيغون الشخص المقبل دون ان يسألوا عنه . (٥) زلت : زلت . فإذا الخضيض : (القرار في الارض عند اسفل الجبل . والفاء في يعجمه للاستثناء ، والمعنى : فإذا هو يعجمه ، ولا يصح نصبه عطفاً على قوله يعربه لانه لا يريد اعجامة . (٦) الغرب : الحد . ومنه غرب السيف . ألد : شديد الحصومة . فوردت نفسي : أي اشرفت على الموت أو أوشكت .

الجيد يُدَح به من ليس له أهلاً . « قالوا : « فمن اشعر الناس ؟ » فأوماً بيده الى فيه وقال : هذا الجَحِير^(١) ، اذا طمع في خير « يعني فيه ، واستعبر باكيماً . فقالوا له : « قل : لا إله إلا الله » فقال :

قَالَتْ ، وَفِيهَا حَيْدَةٌ وَدَّعُرٌ : عَوِذُ بَرِّي مِنْكُمْ ، وَحَجْرٌ^(٢)

فقالوا له : « وما تقول في عبيدك وإيمانك ؟ » فقال : « هم عبيدُ قن^(٣) ما عاقب الليل النهار . » قالوا : « فأوصد للفقراء بشي . » قال : « أوصيهم بالإلحاح في المسألة فانها تجارة لا تبور » قالوا : « فما تقول في مالك ؟ » قال : « للانثى من ولدي مثلُ حظ الذكر . » قالوا : « ليس هكذا قضى الله لمن » قال : « لكنني هكذا قضيت . » قالوا « فما توصي لليتامي ؟ » قال : « كلوا اموالهم . » قالوا : « فهل شيء تعهد فيه غير هذا ؟ » قال : « نعم ، تحملونني على أتان^(٤) وتتركونني راكبها حتى اموت . فان الكريم لا يموت على فراشه ، والاتان موكب لم يمت عليه كريم قط . » فحمالوه على اتان ، وجعلوا يذهبون به ويحيثون عليها حتى مات وهو يقول :

لَا أَحَدٌ أَلَامٌ مِنْ حُطَيْتِهِ ، هَجَا بَيْنِي ، وَهَجَا أَلْمَرِيَا ،
مِنْ لُؤْمِهِ مَاتَ عَلَى فُرْيَةٍ^(٥)

اخلاقه

ليست اخلاق الحطيثة مما يورث الحمد والثناء ، فما تشاء ان تقول فيسه من عيب الا وجدته ، فهو كما وصفه الاصمعي : « جَشِعٌ ، سَوُولٌ ، مُلْحِفٌ^(٦) دنيء النفس ؛

(١) الجحير : تصغير الجحر وهو الفار البعيد القعر ، استماره للفم . او الجحر وهو كل مكان تحتفره السباع والحوام لانفسها . (٢) قالت : اي نفسه . الحيدة : النفور من الخوف . عوذ بريي : أي العياذ بريي . حَجْرٌ : دفع . أي دفعاً لكم . (٣) القن : عبد مملوك هو وابواه ، المفرد والجمع والمؤنث . (٤) الأتان : الحمارة . (٥) الأريّة : تصغير المرأة مع التسهيل . الأريّة : تصغير المرأة وهي الأتان الوحشية وتطلق على الاتان الداجنة . والذكر الأريّة ومنه المثل « كل الصيد في جوف الفراء » اي كل صيد دون حمار الوحش ، يضرب للرجل يكون له حاجات كثيرة وواحدة عظيمة منها تعني عن سائرهما . (٦) الملحف : الذي يلح في المسألة .

كثير الشر ، قليل الخير ، بخيل . « ولعل الجشع ^(١) هو الصفة الجامعة لساير صفاته القبيحة . لان طمعه الشديد في المال جعله سؤولاً ملحفاً ، وكثرة التسأل قيمت عزة النفس وتحبي الدناة . ولا بدّ لديني . النفس من ان يوافق في مصاحبة الناس ، ويتسلون بالوان متباينة ، ولا سيما اذا كان كالحطيئة معتل النسب ، انكره اقرباؤه وما اعترف به ابوه ، ولم يشرف بأمه ، فساءت حاله ، وضاق رزقه ، فلم يربأ بنفسه عن المداهنة للتكسب والانتفاع ، فوافق في مدحه ، ووافق في دينه ، وجارى اهواء الناس في اعدائهم ، وجارى هوى نفسه للانتقام والتشني ، فهجا وآلم في هجائه ، فكثرت شره وقلّ خيره .

ولم يكن بخله الشديد الا صفة متممة لجشعه ودناته . فما قواك برجل يمدح الكرام ، ويهجو البخلاء ، وهو البخل خلق الله وأجفّه يداً ^(٢) ؛ يطرد اضيافه ويشيعهم بالهجا .

وللحطيئة في ضيوفه اخبار عجيبة ، رواها صاحب الاغانى منها : ان ابن الحمّامة مرّ به وهو جالس بفناء بيته . فقال : « السلام عليكم ؟ » قال : « قلت ما لا يُنكر . » قال : « اني خرجت من عند اهلي بغير زاد ؟ » فقال : « ما ضمنت لاهلك قواك . » قال : « أفتأذن لي ان آتي ظلّ بيتك فأتقيأ به ؟ » قال : « دونك الجبل يفيء عليك . » قال : « انا ابن الحمّامة ؟ » قال : « انصرف ، وكن ابن اي طائر شئت . »

وضافه رجل من بني رؤاس فهجاه بهذين البيتين :

وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ ، فَقُلْتُ : « مَهْلًا ! كَمَنْتِكَ أَلْمَرَّةُ الْأَوْلى أَسْلَامًا ؟ »
وَنَفَقْتُ بَطْنُهُ ، وَدَعَا : رُوَاسًا ، لِمَا قَدْ نَالَ مِنْ شَيْعٍ ، وَنَأَمًا ^(٣)

على ان في هذا الرجل صفة حسنة ، لعلمها تشفع له في شيء من جشعه وبخله ، وهي حبه لاولاده وحنوه عليهم . فقد رأيناه كيف استعطف عمر بن الخطاب وابكاه بقوله : « ماذا تقول لافراخ بذي مرخ ؟ » وروى ابو عبيدة : ان الحطيئة اراد سفراً

(١) الجشع : الطمع والحرص على الشيء . (٢) اجفّه يداً : اي أجفّ مخلوق . وهو تعبیر مستحسبٌ يكثر استعماله في كلام العرب الاقدمين ، (٣) نفقت : قرقر . رؤاس : من بني كلاب . يقول : حين شبع بطر ونادى : يا لبني رؤاس .

فأثته امرأته ، وقد قدّمت راحلته ليركب ، فقالت :

أَذْكُرُّ تَحَنُّنًا ، إِلَيْكَ وَشَوْقًا ، وَأَذْكُرُّ بِنَاتِكَ ، إِنَّهُنَّ صَغَارُ
فَقَالَ . « حَطُّوا ، لَا رَحْلَتُ لِسَفَرٍ أَبَدًا »

ويحدثنا محمد بن سلام : ان الخطيئة خرج في سفر له ، ومعه امرأته أمامة ،
وابنته مأيكة ، فنزل منزلاً وسرح ذوداً له ثلاثاً ، فلما قام للروح فقد احداها فقال :

أَذْرِبُ الْقَفْرَ أَمْ ذَرِبُ أَنْبِيئُ ، أَصَابَ الْبُكْرَ ، أَمْ حَدَثَ اللَّيَالِي ؟^(١)

وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ ، وَثَلَاثُ ذُودٍ ، لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي^(٢)

ففي هذين البيتين ، وفي عدوله عن السفر ، وفي استعطافه عمر عاطفة صادقة وحنو
ظاهر ملموس .

أفاره

ديوان في المديح والفخر والنسيب ، وخصوصاً الهجاء . وهو من اصحاب

المشوبات^(٣) ومشوبته . ودونة في « جبهة اشعار العرب » ومطامها :

نَاتِكَ أُمَامَةٌ إِلَّا سُؤَالًا ، وَأَبْصَرْتَ مِنْهَا بَعِينَ خِيَالًا^(٤)

مبصرته

عرفنا اخلاق الخطيئة وصفاته ، وعرفنا شيئاً من اخباره وطرق معيشته ، فيمكننا

الآن ان نستند اليها جميعاً لنبتين ميزة الشاعر وخصائصه ومزلاته . فشعر الخطيئة
صورة ناطقة عن حياته و اخلاقه ، وهجاؤه اصدق ترجمان لسرائر نفسه .

على اننا لا نستطيع ان نجاول أساليبه الخاصة في النظم الا اذا عرفنا انه كان

(١) البكر : من الابل بمتزلة الفتي من الناس ، يقال على الذكر والانثى . (٢) الذود :

الثلاث من الابل الى العشر ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها . (٣) المشوبات : القصائد
التي شاجها الكفر والاسلام ، أي خالطها . (٤) نأتك : بعدت عنك . أمامة : زوجته .
السؤالا : أي ولم يبق لك منها الا السؤال عنها . وأبصرت منها بعين خيالاً : أي أبصرت
خيالها في رقائك . وهو يخاطب نفسه على سبيل التجريد .

يروى شعر زهير بن ابي سلمى ، ويجذو حذوه في تهذيب قصائده وتنقيحها ، ويضرب على غراره في الاعتماد على الصور المادية المحسوسة .

ولكعب بن زهير ابيات في الخطيئة تدلنا على مبلغ تأثر هذا الشاعر بأستاذه ، وعنايته بتدخّل^(١) اشعاره . روى ابن سلام : « ان الخطيئة كان راوية لزهير وآل زهير ، فقال لكعب : « قد علمت روايتي شعر كم اهل البيت ، وانقطاعي اليكم ، وقد ذهبت الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك ، وتضعني موضعاً بعدك ، فإن الناس لاشعاركم اروي ، واليه اسرع . » فقال لكعب :

فَمَنْ لِلْقَوَائِي شَانَهَا مَنْ يَحْوُكُهَا ، إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ ، وَفَوْزَ جَرْوَلٌ^(٢)
 كَفَيْتُكَ ، لَأَتَلْقَى مِنْ النَّاسِ وَاحِدًا ، تَنْخَلُ مِنْهَا مِثْلُ مَا نَنْخَلُ^(٣)
 نُنْتَفِقُهَا حَتَّى تَلَيْنَ مُتُونَهَا ، فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُسَمِّلُ^(٤)

فن هذه الابيات نعلم مذهب الخطيئة في تنقيح قصائده وتخيير الفاظها ، وهو مذهب زهير وابناء زهير . وسرى اثر هذا التخل ظاهرًا في حلوة الفاظ الشاعر ووضوح معانيه ، فلا نضطر الى ابرازها في شرح طويل .

هجو

قد يجيل الى بعض من يسمعون بشهرة الخطيئة في الهجاء ، والنيل من اعراض الناس ، اننا سندرس فيه شاعراً بديناً فحاشاً ، يجفل الاديب من رواية اشعاره . على حين ان الحقيقة غير ذلك ، فلئن كان الخطيئة اكثر شعراء الجاهلية هجواً ، هو اقلهم فحشاً ، وربما غلبت العفة على لسانه فما ينطق بما تستحي العذراء ان تتلوه لايها . ولو نظرنا الى قصيدته التي قالها في الزرقان وهي اشد قصائده الهجائية

(١) التخل : تخير افضل الاشياء . (٢) شاخا : عاجا . يحوكها : ينسجها أي ينظمها . ثوى : مات ، وكذا فوز ، ولا يقال فوز فلان حتى يتقدم الكلام كلام فيقال : مات فلان وفوز فلان بعده ، يشبه بالمصلي من الخيل بعد المجلي . (٣) يقول : يكفيك انك لا تجد واحداً من الناس ملنا يتخير منها مثل ما نتخير . (٤) نتفقا : تقوما . والتنقيف يكون لقناة الرمح ، استعاره للقوافي . يسمل : يضرب مثلاً . اي يقصر عنها كل بيت يضرب مثلاً .

لذعاً وابعدها صيتاً ، لوجدنا انها من اشرف الشعر ، وأعقبه وانقاه . فهو مؤلم في هجائه ، ولكنه لا يفحش ، بل يقصر همه على رمي مهجوه بالبخل ، وضعف الهمة ، والعود عن طلب المعالي ، او يفاضل بينه وبين خصمه فيفضل خصمه عليه . فكأنه يتوخى من هجائه ان يصيب الشخص في منزله الاجتماعيه ليس غير . واليك هجاءه للزبرقان :

وَاللَّهِ ، مَا مَعَشَرٌ ، لَأَمُوا أَمْرًا جُنُبًا ،
 مَا كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٌ ، لَا أَبَا لَكُمْ ،
 لَقَدْ مَرَيْتُمْكُمْ ، أَوْ أَنْ دَرَيْتُمْكُمْ ،
 وَقَدْ مَدَحْتُمْكُمْ عَمْدًا لِأُرْشِدِكُمْ ،
 لَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكُمْ غَيْبٌ أَنْفُسِكُمْ ،
 أَزْمَعْتُ يَأْسًا مَيْنًا مِنْ نَوَالِكُمْ ،
 جَارٌ لِقَوْمٍ ، أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ ،
 مَلُّوا قِرَاهُ ، وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ ،
 فِي آلِ لَأَيِّ بْنِ شَمَّاسٍ ، بِأَكْيَاسٍ (١)
 فِي بَائِسٍ جَاءَ يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ ؟ (٢)
 يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْجِي وَإِسَاسِي (٣)
 كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَسْجِي وَإِمْرَاسِي (٤)
 وَلَمْ يَكُنْ لِجَوَاحِي فِيكُمْ أَسْ ، (٥)
 وَكَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ (٦)
 وَعَادَرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسِ (٧)
 وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ (٨)

(١) الجُنُب : الغريب . أكياس : جمع كياس وهو الظريف الفطن . يقول : ان الذين يلومونني وانا رجل غريب لتحويلني الى آل شماس ، ليسوا بمعشر ذُطُن . (٢) بغيض : اي بغيض بن شماس . لا ابا لكم : كلمة جافية أي لا ابا حرا لكم . يقول : اي ذنب اقترفه بغيض في اضافة بائس وآه يسير في مؤخرة الناس وما من احد يلتفت اليه . (٣) مرَيْتُمْكُمْ : من مرى الناقه : مسح ضرعها لتسدر . والمراد داريتكم ومدحتكم لتدروا علي العطاء . الدرة : اللبن ، استعارها للخير والعطاء . الإِسَاس : ان يقال للناقه بيس بيس تسكيناً لها لتسدر . يقول : لم يدرك خيركم ولم يغدني شيئاً مسجى وإِسَاسِي اي مداراتي ومدحي . (٤) المتح : الاستقاء من البئر . الامراس : من امرس جبل بكرة البئر اذا اعاده الى مجراه عند وقوعه في جانب البكرة . وقوله : كما يكون لكم متجى وامراسي : أي ليكون طلبي عرفكم وتلقي اياكم فائدة لكم . (٥) غيب انفسكم : اي ما غاب من عيوبها . الآسي : المداوي . واراد يبراحه فقره وسوء حاله . (٦) أزمت : صممت . اليأس : قطع الرجاء . الميين : الواضح . النوال : العطاء . يقول : صممت أن أياس ياساً أكيداً من عطائكم . (٧) الهون : المذلة . الامراس : الفجور . (٨) قِراه : ضيافته . هرته : نهجته . وجرحوه : يريد

دَعِ الْكَارِمَ ، لَا تَرَحَّلْ لِابْنَيْهَا ،
 سِيرِي أَمَامَ ، فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى ،
 مَنْ يَقَعْلُ الْخَيْرَ لَا يُعْذَمُ جَوَازِيَهُ ،
 مَا كَانَ ذَنْبِي ، إِنْ فَاتَتْ مَعَاوِلَكُمْ ،
 قَدْ نَاضَلُوكَ ، فَسَلُّوا مِنْ كِنَانَتِهِمْ ،
 وَأَقْعُدْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي (١)
 وَالْأَكْرَمِينَ أَبَا مِنْ آلِ شَمَّاسِ (٢)
 لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ (٣)
 مِنْ آلِ لَأْيٍ صَفَاةٌ ، أَصْلَهَا رَأْسٌ (٤)
 مَجْدًا تَلِيدًا ، وَنَبْلًا غَيْرَ أَنْكَاسِ (٥)

فقد رأيت ما في هذا الهجاء من عفة ، وبراعة من الفحش والاقذاع ؛ فأنت لا تجد فيه لفظة تنبوعها المسامع ، ولا تقف على معنى تنقبض له النفوس ، بل تقرأ الابيات باجمعا مرتاحاً الى هذه الصور الجميلة ، وما فيها من فن رائع في التهكم والتعبير . اذا فلا ينبغي لك ان تعجب من قول عمر بن الخطاب للزبيرقان : « ما اسمع هجاء ، ولكنها معاتبه . » فعفة القول هي التي جعلت الخليفة الثاني ينكر الهجو ، ويحمله على محمل العتاب . زد على ذلك براعة الفن ، فان هجاء الزبيرقان على شدة لدعه ، منظوم في قالب شكوي يتخللها وعظ ومعاتبه . فنظر الإمام عمر صائب من حيث الظاهر ، ونظر حسّان بن ثابت صائب من حيث الفن . افليس

ان قوم الزبيرقان جرحوه بأنياب كلابهم واضراسها . وهذا هجو لاذع فقد كان من العار عند العرب ان تبيح الكلاب الضيفان . لان ذلك يدل على عدم تعودها مرأى الغريب في دار صاحبها ، فكيف بها اذا جرحته بالانياب والاضراس .

(١) بغيتها : طلبها . الطاعم : الحسن الحال في طعامه . الكاسي : ذو الكسوة . يقول : لا تعب نفسك في طلب المعالي بل حسبك من الاعمال ان تأكل ونكتسي حسناً . (٢) أمام : ترخيم أمامة وهي زوجته . الحصى : المدد . (٣) الجوازي : جمع الجازية وهي المكافأة على الشيء . العرف : المعروف . (٤) فلتت : تلمست . لأى : ابو شماس . الصفاة : الصخرة . يتهكم عليهم ويقول : ما ذنبى اذا تلمست صخرة آل لأى معاولكم ، ولم تتكمر لان اصلها ثابت . وقوله : فلتت معاولكم : أي غلبوكم في المجد والكرم وحسن الضيافة . (٥) ناضل : بارى في رمي السهام . سللوا : اخرجوا . كنانتهم : جمع كنانة وهي جعبة السهام . تليداً : موروثاً . انكاس : جمع انكس وهو اضعف السهام . يقول : فاخروك ففخروك بمجد موروث واعمال غير مزمومة . وقال الازهري في شرح هذا البيت : « كان العرب اذا اسروا اسيراً خيروه بين التخليه وجز الناصية ، والامر . فاذا اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ثم جعلوا ذلك الشعر في كنانتهم ، فاذا افتخروا اخرجوه واروهم مفاخرهم . »

من العتاب والشكوى قوله : « وَقَدْ مَدَحْتَكُمْ عَمْدًا لِأَرْشِدِكُمْ . . . ازمعتُ
 يأساً . . . ، جاراً لقوم . . . ، ملأوا قراه . . . الخ . » اوليست الحكمة السامية
 في تلك الموعظة : « من يفعل الخير . . . » ثم الا ترى الهجو القاتل في قوله : « دع
 المكارم . . . وجرحوه بأنياب . . . ، لقد مرَّيْتُمْ لَوْ أَنَّ دِرَّتْكُمْ . . . ،
 ما كان ذنبي . . . ، قد ناضلوك . . . الخ . »

ولا جرم انك تبينت ما في هذا الشعر من صور حسية ناثئة، تذكرك زهيرا
 وصور زهير ، ورأيت كيف يتحدى الخطيئة استاذه في ابراز معانيه بشكل مادي
 ملموس ، تجده في تشبيهه الزبرقان بالناقة التي لا تدر ، وفي مسحه ضرعها وابساسه لها ،
 وتجده في استعارته المتح والامراس لطلب العرف ، والتعلق ، وتجده في قوله :
 « ولم يكن لجراحي فيكم آس » وهو يريد فقره وسوء حاله ، وتجده في تجريمه
 بالانياب والاضراس ، وفي تمثيله مغالبة بغيض والزبرقان بصفة راسية تقرعها المعاول
 فتنتلم دونها ، وتجده اخيراً في تصويره مفاخرة آل شماس للزبرقان بنضال يخرجون
 فيه من كنائتهم مجدداً تليداً ونبلاً غير انكاس . واوصيك الا تغفل عن تلك الصورة
 الجميلة حيث يقول : « في بائس جاء يجدو آخر الناس . »

هذا ، ولو لم يكن لنا رأي آخر في هجاء الخطيئة ، لاكتفيناه بهذه القصيدة مثالا
 لهجوه ومتاجرته بشعره . غير اننا نرى ان هجاء هذا الشاعر على نوعين : نوع تجاري يندفع
 اليه حبا للمال ، كهجوه للزبرقان ، ونوع عاطفي يندفع اليه من تلقاء نفسه حبا للتشفي
 والانتقام ، كهجوه امه ، ونفسه ، واقربائه ، واضيافه . وهو في هجوه العاطفي
 اشد مرارة ولدعاً منه في هجوه التجاري ، لان هذا يأتيه عفواً لا تكلفاً . فالخطيئة
 نشأ مغموز النسب لا يعرف اباه ، ونشأ فقيراً محباً للمال حريصاً على جمعه . فكان
 لا ينفك يسأل امه عن ابيه لينسب اليه ويرث ماله ، وهي تحاط عليه ولا تجيبه
 جواباً صريحاً ، فيشتد قهره ، وينقم على امه الضراء . وعلى نفسه ، ثم يمضي وهو يقول :
 تَقُولُ لِي الضَّرَاءُ : اَنْتَ لِوَاحِدٍ ، وَلَا اَتْنَيْنِ ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ شَرِكْ اَوْلِيَاكَ !
 وَاَنْتَ اَمْرٌ تُبْغِي اَبَاً قَدْ ضَلَلْتَهُ ، هَيْبَتِ ! اَلَمْ اَتَسْتَفِقْ مِنْ ضَلَالِكَ !^(١)

(١) هَيْبَتٌ : أي تُكْبِلت . قال ابن الاعرابي : يقال في الدعاء هَيْبَتٌ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَلَا

ويشجيه الا يجد مالا يرثه فيتلظى سخطاً ، ويزفو زفرات ملتبهة يقذفها براكين
على الضراء فيقول :

جَزَاكَ اللهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ ، وَلَقَاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَيْنِ
فَقَدْ مَلِكْتَ أَمْرَ بَيْنِكَ ، حَتَّى تَرَكْتَهُمْ أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينِ
لِسَانِكَ مَبْرَدٌ لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَدَرَكِ دُرَّ جَاذِبَةَ دَهْنٍ ^(١)

ثم يقول :

تَنْحِي ، فَأَجْلِسِي مِثِّي بَعِيداً ، أَرَاكَ اللهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ !
أَعْرَبَالاً ، إِذَا اسْتُوذِعْتَ سِرًّا ، وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَّخَذِ تِينًا ؟ ^(٢)
حَيَاتِكَ ، مَا عَلِمْتُ ، حَيَاةً سُوءَ ، وَمَوْتِكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَ ^(٣)

وتزوج الضراء رجلاً مغموز النسب كابنها يقال له الكلب بن كئيس فما يجد
الخطيئة فيه خيراً ، ولا يرفع به رأساً ، فيهجوّه ويهجو امه معه اذ يقول :

وَلَقَدْ رَأَيْتِكَ فِي النَّسَاءِ فَسُوْتِي ، وَأَبَا بَيْنِكَ ، فَسَاءَ نِي فِي الْمَجْلِسِ ^(٤)
أَبْلَغُ بَنِي جَحْشٍ بِأَنَّ نَجَارَهُمْ لَوْمٌ ، وَأَنَّ أَبَاهُمْ كَالْهَجْرَسِ ^(٥)

وليست نغمته على امه باشد منها على نفسه ، فاذا ثارت به عاطفة الانتقام لبؤسه
وفقره ، ولم يجد احداً يهجوّه ، رأى من وجهه وقبح صورته ، موضوعاً للهجاء فيقول :

أَبَتْ سَفْتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَسَكَّلْنَا بِبَشَرٍ ، فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَاتِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا ، سُوءَ اللهُ خَلْقَهُ ، فَفُتِحَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَقُتِحَ حَامِلُهُ

وجبه للمال بل يخمله به يحمله على هجو ضيوفه هجواً صادقاً . وقد اوردنا شاهداً على

يقال هبلت بالبناء للمفعول . (١) الدرّ : اللبن . الجاذبة : الناقة التي جذبت لبنها من
ضرعها فذهب صاعداً . الدهين : الناقة البكيمة الغليظة اللبن التي يُحمرى ضرعها فلا يدر قطرة .
يشبهها بالناقة التي لا يدر لبنها أي اخلا لا خير فيها . (٢) العربال : النعام . الكانون : الثقل
من الناس . (٣) ما علمت : ما زمانية اي مدة علمي لحياتك . (٤) ابا بينك : زوجك
أي ورأيت ابا بينك . (٥) بنو جحش : يريد هم قوم الكلب زوجها . النجار : الحسب
والاصل . الهجرس : ولد الفرد والثعلب ، ويوصف به اللثيم .

ذلك نعتقد انه كاف هذه الامثلة لظهار خاصة الهجاء العاطفي في الشاعر .

مدحه

وقد نظلم الخطيئة ، اذا اقتصرنا على ذكر هجائه ولم نشر الى مدحه ، وهو متفنن في هذا تفننه في ذلك . ولا غرو فالمدح عنده كالهجاء آلة للتكسب ، فاذا لم يدر له المري والابساس ، استعان بالانبياء والاضراس ، واذا أخلف غيث الهجاء ، استمطر عارض الثناء . ألا وان من اروع الشعر استعطافه عمر بن الخطاب ومدحه اياه حيث يقول :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَخٍ ، زُغِبِ الْخَوَاصِلِ ، لَا مَاءَ وَلَا شَجْرٍ^(١) ،
 أَلْقَيْتَ كَسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ ، فَأَغْفِرْ ، عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، يَا عَمْرُؤُا^(٢) ،
 أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ ، أَلْقَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ أَنْهَى الْبَشَرُ^(٣) ،
 لَمْ يُؤَيِّرُوكَ بِهَا ، إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا ، لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْأَثَرُ^(٤) ،
 فَأَمَّنْ عَلَى صَبِيَّةٍ ، بِالرَّمْلِ مَسْكِنُهُمْ ، بَيْنَ الْأَبْطَاحِ ، تَفْشَاهُمْ بِهَا الْقِرَرُ^(٥) ،
 أَهْلِي فِدَاؤُكَ ، كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، مِنْ عَرَضِ دَاوِيَّةَ ، تَعْمَى بِهَا الْخُبْرُ^(٦) ،

ففي هذه الايات كثير من الخلاوة والرقه ، وكثير من الحنو الابوي . ومع ان الخطيئة لم يكن على شيء من الاسلام ، فتأثير القرآن ظاهر على شعره ؛ سواء في

(١) الافراح : استعارها لاولاده . ذو مرخ : وادٍ بالهجاز . الزغيب : جمع أزغب اي صنير الشعر والريش . الخواصل : جمع حوصلة وهي من الطائر بمتلة المعدة من الانسان . كنى بصغر ريش الخواصل عن صغر السن وعدم الادراك . لا ماء ولا شجر : حذف المسند أي لا ماء عندهم ، اراد ليس عندهم شراب ولا طعام . (٢) الكاسب : من يطلب معيشة اهله . مظلمة : اي بئر مظلمة . (٣) صاحبه : يريد به ابا بكر الصديق الخليفة الاول ، او اراد به النبي لان الخلفاء الراشدين جميعاً اصحاب النبي . مقاليد : مفاتيح . النهى : العقل لانه ينهى عن الفبيح ، واستعاره للخلافة بجامع الهداية . (٤) لم يؤثروك : لم يفضلك ويكرموك . بسا : أي بالإمامة دل عليها ما قبلها . الأثر : جمع أثره : مكرمة . يقول : لم يكرموك بالخلافة ولكنهم أكرموا انفسهم . (٥) الابطاح : جمع ابطح وهو مسيل واسع فيه زمل وحصى . تفشاهم : تفتاهم . القيرر : جمع قيرة وهي البرد . (٦) الداوية : الغلاة الواسعة . الخبر :

قوله هنا : « فَاغْفِرْ ، عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُؤُ . » او في قوله هناك : « من يفعل الحَيْرَ لا يعدم جَوَازِيهَ . » وقد رأيت ان صلة الصَوْرِ المادية بينه وبين استاذهِ زهيرٍ ، لم تنقطع في قصيدته هذه ، ولا في غيرها ، وحسبك منه تشبيهه اولاده بالافراخ ، لما اراد الكلام عليهم ثم لم يعتمد على الاستعارة المجردة ، بل رَشَّحَهَا بقوله : « زَغَبَ الحَوَاصِلُ » ليزيد صورته الحسية وضوحاً وبروزاً .

وللحطيطه مديح كثير غير هذا اجاده كل الاجادة ، ولكننا نقتصر على ما اوردناه ، لاننا اخذنا على انفسنا ان ندرس فيه خاصة المهجاء وحدها ، وهي الخاصة التي شهرته وخذت ذكره ؛ وعسانا ان نكون وفيناها بعض حقها .

مصرته

للحطيطه منزلة عالية في الشعر يزاحم بها افضل الشعراء ، ويمتاز بجلاوة الفاظه ووضوح معانيه ، وصحة تعبيره ، وإحكام قوافيه ، وبعده من الضعف والاسفاف . ولعل الفضل في ذلك لعنايته بتهديب شعره وتنخله . وقد عدّه ابن سلام في الطبقة الثانية ، وقال فيه : « هو متين الشعر شرود القافية ^(١) . »

وروي حماد عن ابيه اسحق قوله : « أما اني ما ازعم ان احداً بعد زهير اشعر من الحطيطه . » وقال ابو عبيدة : « ما تشاء ان تطعن في شعر شاعر الا وجدت فيه مطعناً ، وما اقل ما تجد ذلك في شعر الحطيطه . » وروي عن ابي صفوان الأحمزي قوله : « ما من احدٍ الا لو أشاء ان اجد في شعره مطعناً لوجدته الا الحطيطه . » وقيل لابن ميادة الشاعر : سبقك الحطيطه الى قولك : « تَمَسَّى بِعِظْمَانِهِ وَجَاذَرَهُ ^(٢) » فقال : « والله ما علمت ان الحطيطه قال هذا قط ، والان علمت اني شاعر حين واطأت ^(٣) الحطيطه . » وقال الاصمعي وقد انشد شيئاً من شعر الحطيطه : « أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع . »

جمع خبير وهو العالم حقيقة الشيء . و اراد بهم الادلاء الذين يخبرون الطرُق . (١) (ثقافية : اي اقصيدة مجاز مرسل جزء من كل . وقافية شاردة وشرود : اي سائرة في البلاد . (٢) الظمان : جمع ظم وهو ذكر النعام . الجاذر : جمع جوذر وهو ولد البقرة الوحشية . ونسبه به الحسان لجمال عينيه . (٣) واطأه : وافقه أي وطأ موطأه .

ووقف الحطيثة على حسان بن ثابت وهو ينشد، فقال له حسان: «كيف تسمع يا اعرابي؟» قال: «ما اسمعُ بأساً.» قال حسان: «أما تسمعون الى الاعرابي! ما كنيتهك ايها الرجل؟» قال: «ابو مليكة.» قال: «ما كنت قط اهون عليّ منك حين اکتنيت بامرأة، فما اسمك؟» قال: «الحطيثة.» فاطرق حسان ثم قال له «امض بسلام.»

وسئل الحطيثة: من اشعر الناس؟ فأخرج لسانه ثم قال: «هذا اذا طمع.» وقد صدق بقوله، وهو يُعدُّ فاتحة الشعراء المهجائين الذين كثر عددهم في الاسلام.



النثر في الجاهلية

- النثر : معناه اللغوي . تأخر ظهوره عن الشعر . ما وصل إلينا منه . بحسبة
 الانسان الفطري وحسه . الكتابة في الجاهلية وتدوين الآداب .
 موسيقي مسجع وموزون أحياناً دون تكلف .
 ميزة النثر الجاهلي : كانت قصيرة لقلة تعدد اغراضها، ولكي تحفظ . اندماجها في الشعر .
 الخطب : مكانة الخطيب عندهم . لم تكن الخطابة قائمة على القواعد العامة بل على
 السليقة والفطرة . مواضيع الخطب . خطبة قس بن ساعدة . خطبة
 أكم بن صيفي . الفرق بين الخطبتين من حيث الإنشاء العاطفي والإنشاء
 الهادي .
 الامثال : تبين اخلاق الشعب واحواله، وإيجاز الجملة القصيرة . اختلاط
 الامثال الجاهلية بالاسلامية . ابن ينفغي ان ندرس النثر الجاهلي ؟

النثر

النثر لغةً رَمِي الشيء . متفرقاً ، وعكسه النظم فهو الضم والتأليف . ومن ذلك
 قال الادباء : كلام منشور اذا كان لا يقيد به وزن وقافية ، وكلام منظوم اذا كان
 موزوناً مقفى^(١)
 والنثر خلاف الشعر ، يغلب فيه التفكير الصحيح على الخيال المطلق . فلا غرو
 اذا ان يتقدم الشعرُ النثر ، لان الشعب في فطرته خيالي عاطفي ، اكثر مما هو عاقل
 مفكر . ونحن في كلامنا على النثر ، نعني به الانشاء الفني لا الكلام الذي تتخاطب
 به الناس .

وانه لمن العيب ان نلتبس هذا الفن في الجاهلية ، ونضعه في درسنا الى جانب
 الشعر ، لان ما وصل إلينا منه زهيد لا يعتد به . والسبب في ذلك ان الانسان

(١) النظم والنثر في معناها الادبي مولدان ظهرا مع علم الادب .

الفطري على اميته ، فيه من قوة الخيلة والحس ما يفسح له في مجال التعبير الشفهي عن عواطفه وتصوراته ، دون ان يحتاج الى الكتابة . ومعلوم ان الحياة الجاهلية في حدودها السياسية والاجتماعية ، لا تتسع للفن الكتابي الذي انما هو ينشأ بنشوء الجماعات المنظمة ، وينمو بنمو القوى المفكرة ، ويعظم بعضهم الحاجة اليه . ورب معارض يقول : ان الكتابة كانت معروفة عند العرب في جاهليتهم . فنحن لا ننكر ذلك ، ولكنهم كانوا يعتمدون عليها في حاجاتهم الاقتصادية ، لا لتدوين شعرهم او نثرهم . واذا كان الشعر الجاهلي وصل الينا منه شيء غير قليل ، فلان العرب في جاهليتهم نظموا اكثر مما نثروا ، ولان الشعر اسهل للحفظ والرواية من النثر .

مبارة النثر الجاهلي

النثر في الجاهلية موسيقي كالشعر ، تتخلله احيانا جملة موزونة مسجعة يأتي بها البدوي دون تكلف . واكثر الجمل قصيرة موجزة ، فيها قوة وبلاغة تعبير . ويمكننا ان نجد امثلة للنثر الجاهلي في بعض ما وصل الينا من الخطب والامثال ، ولكن هذه الامثلة على قلتها ، لا تكفي وحدها لابتداء رأي صحيح في هذا الفن الادبي .

الخطب

لم يكن حظ الخطابة في العصر الجاهلي كحظها في صدر الاسلام ، ولكنها وجدت فيه على قدر ما . واشتهر خطباء مصارع كشمس بن ساعدة الايادي ، وأكثم ابن صيفي التميمي وغيرهما .

واكثر ما كانت الخطب عندهم قصيرة ، اقله تعدد اغراضها ، ولانها اسهل للحفظ . وكانوا يتخيرون لها الالفاظ المأنوسة ، والمعاني الواضحة بغية التأثير والاقناع . وربما تخللها الشعر دون تعمد من الخطيب ، لان نثرهم ، بما فيه من رنة موسيقية وتقييد احيانا بالوزن والقافية ، يندمج في الشعر من تلقاء نفسه ، فيتحول نظماً ثم يعود الى حاله . وربما لا يشعر الخطيب بهذا الاندماج لتشابه النثر والشعر عندهم .

على ان هذا التشابه لا يعني ان العرب في جاهليتهم لم يفرقوا بين النظم والنثر . فقد كان للشعراء مكانة ، وللخطباء مكانة دونها . فالشعر احفظ لمفاخر القبيلة وانسابها ، لانه اسهل للرواية . ولو كان النثر عندهم كالشعر لوصلت اليها خطبتهم في كثرتها ، كما وصلت اليها اشعارهم .

وقد يكون الشاعر خطيباً ، والخطيب شاعراً ولكن تغلب عليه احدى الصفتين فيسمى بها . وغالباً يكون خطيب القبيلة شيخها او اميرها ، وقد يكون قاضياً وقائدها في وقت معاً .

وبعد ، فلا يسوغ لنا ان نعد الخطابة في الجاهلية مرتكزة على القواعد العامة ، فانها انما كانت كالشعر تأتي بعوامل السليقة والقطرة ، لا بالاعتماد على الفن التعليمي وما فيه من مقدمات ونتائج . وكانت موضوعات الخطب محصورة في اسباب محدودة :

- ١ - المواعظ الدينية .
- ٢ - المفاخرة والمنافرة .^(١)
- ٣ - التحريض على الاخذ بالثار .
- ٤ - الحض على الصلح بعد الحرب .
- ٥ - الوصايا والنصائح^(٢)

وجميع هذه الموضوعات تناسب الحياة البدوية ، وما في القبائل من اختلاف وانفصال واستقلال .

ونورد هنا على سبيل المثال خطبة لقس بن ساعدة الايادي اسقف نجران^(٣) ، وقد ادر كه الرسول فراه في عكاظ على جمل احمر ، وهو يقول :

(١) المنافرة : المحاكمة في الحسب والنسب والمفاخرة فيها . وكانوا يتنافرون الى الناس في ذلك ليقتضوا لاحد المتنافرين على الآخر . وفي المنافرة يقوم الشاعر او الخطيب من كل فريق فيبين مفاخر قومه ومعائب منافريهم ، فمن فخر الآخر ففروه على خصمه .

(٢) منها وصايا الاءاء لبنيهم عندما تحضرهم الوفاة ، ونصائح الكهان والعرافين والحكماء والقضاة والشيوخ . (٣) نجران : بلد في اليمن كان اهله نصارى وفيه كعبة نجران وهو دير شهير في التاريخ .

« أيها الناس !

اسْمَعُوا وَعُوا^(١)، وَإِذَا وَعَيْتُمْ فَأَنْتَفِعُوا. إِنَّهُ مِنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ^(٢)
 وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ^(٣) : لَيْلٌ دَاجٌ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
 يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا بِالْقَامِ فَاقَامُوا ؟ أَمْ تَرَكُوا هُنَاكَ فَنَامُوا ؟
 أَقَسَمَ قَسٌّ بِاللَّهِ قَسَمًا حَقًّا ، لَا آئِمًّا وَلَا حَازِنًا ، إِنَّ لِلَّهِ دِينَأً هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ
 دِينِكُمْ الَّذِي آتَيْتُمْ عَلَيْهِ .

تَبَّ لِأَرْبَابِ الْعَقَلَةِ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ^(٤) . يَا مَعْشَرَ إِيَادَ ،
 أَيْنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ! وَأَيْنَ الْفِرَاعِنَةُ الشَّدَادِ ! أَيْنَ مَنْ بَنَى وَشَيَّدَ^(٥) ! وَزَخْرَفَ
 وَنَجَّدَ^(٦) ، وَعَرَّهَ الْمَالَ وَالْوَلَدَ ! أَيْنَ مَنْ بَعَى وَطَعَى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى^(٧)
 وَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ! أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ أَمْوَالًا ؟ وَأَطْوَلَ
 مِنْكُمْ أَجَالًا^(٨) ؟ طَحْنَهُمُ الثَّرَى بِكُلِّهِ^(٩) ؛ وَمَزَقَهُمْ بِتَطَاوُلِهِ ، فَتَلَكَّ
 عِظَامَهُمْ بِأَلِيَّةٍ ، وَيُبُوئُهُمْ خَاوِيَةً^(١٠) ، عَمَّرَتْهَا^(١١) الذَّبَابُ الْعَاوِيَةَ . كَلَّا بَلْ هُوَ
 الْمَعْبُودُ^(١٢) !

ثم انشأ يقول :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِينَ - مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ^(١٣)
 لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ^(١٤)
 وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا ، تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَارُ

(١) عوا : احفظوا ، من وعى . فسات : ذهب ولم يرجع . (٣) أي لا مهرب
 ما هو آتٍ . (٤) الخالية : الماضية . (٥) شيد البناء : رفعه . (٦) نجد البيت : زينه .
 (٧) أوعى : بنجل وشح في النفقة . (٨) آجالاً : أعماراً . (٩) الكلكل : الصذر . (١٠) الخاوية :
 المقفرة المنهدمة . (١١) عمرتها : أهلكها وسكتتها . (١٢) قوله : هو المعبود : أي إن
 الله هو الذي طحنهم لا الثرى . (١٣) القرون : هنا الأمم المهلكة أو الأمم بعد الأمم ،
 مفرداً قرن . البصائر : جمع البسيرة وهي العبرة يعتبر بها . (١٤) الموارِد : جمع مورد
 وهو السير إلى الماء وبلوغه . المصادر : جمع مصدر وهو الرجوع عن الماء . يقول : رأيت

لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي ، وَلَا يَبْقَى مِنَ الْمَاضِينَ غَايِرٌ ^(١)
 أَيَقْنَتُ أَرْنِي ، لَا مَخَا لَةَ ، حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا

فانت ترى كيف أدمج الشعر في خطبته ، فجاء كأنه قُدَّ من هيكلها ، لا نافراً
 ولا متقللاً . ورأيت ما فيها من سجع موسيقي لا اثر للعمل فيه .

واليك مثلاً آخر من خطبة لاکثم بن صيفي التميمي . قيل انه فاه بها في
 حضرة كسرى أنو شروان لما قدم وفود العرب عليه . وكان قد أسمع النعمان بن
 المنذر في العرب شيئاً أمضه ، فاحب ان يريه ذكاهم وفضلهم ، فأرسل اليه رهطاً
 من وجوههم وحكمائهم ، وفيهم اکثم بن صيفي ، فقام اکثم فقال :

« إِنَّ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ أَعَالِيهَا ، وَأَعْلَى الرَّجَالِ مُلُوكُهُمْ ، وَأَفْضَلَ الْمُلُوكِ
 أَعْمَهُمْ نَفْعًا ، وَأَفْضَلَ الْخُطَبَاءِ أَصْدُقُهَا . ^(٢) الصِّدْقُ مَنَجَاةٌ ^(٣) ، وَالْكَذْبُ
 مَهْوَاةٌ ^(٤) ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ ، وَالْحَزْمُ مَرْكَبٌ صَغْبٌ ، وَالْعِزُّ مَرْكَبٌ وَطِيءٌ ^(٥) .
 آفَةُ الرَّأْيِ الْهَوَى ، وَالْعِزُّ مِقْتَاحُ الْفَقْرِ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ الصَّبْرُ . حُسْنُ
 الظَّنِّ وَرَطَةٌ ^(٦) وَسُوءُ الظَّنِّ عِصْمَةٌ ^(٧) . إِصْلَاحُ فِسَادِ الرَّعِيَّةِ ، خَيْرٌ مِنْ
 إِصْلَاحِ فِسَادِ الرَّأْيِ ^(٨) . مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ ^(٩) كَانَ كَالْقَاصِ بِالْمَاءِ .
 شَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا أَمِيرَ يَهَا . شَرُّ الْمُلُوكِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيءُ . خَيْرُ الْأَعْوَانِ
 مَنْ لَمْ يُرَاهُ بِالتَّصِيحَةِ . أَحَقُّ الْجُنُودِ بِالتَّنْصُرِ مَنْ حَسُنَتْ سَرِيْرَتُهُ ^(١٠) . حَسْبُكَ
 مِنْ شَرِّ سَمَاعَةٍ . أَصْنَتُ حَكْمٍ ^(١١) وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ . الْبَلَاغَةُ الْإِيْجَازُ . »

فهذه الخطبة في إيجازها وقصر جملها ، تمثل الانشاء الجاهلي في بلاغته ، وهي ،
 كما ترى ، خالية من الشعر والتسجيع ، بعيدة من التكلف ، يصح ان تسيّر جملها

الذين يردون الموت لا يرجعون . (١) الغابر: الباقي . (٢) مَنَجَاةٌ : أي باعث على النجاة .
 (٣) مهوأة : من هووى سقط ، أي باعث على السقوط . (٤) وطىء : سهل . (٥) الوردية :
 الملكة . (٦) العصمة : المنعة . (٧) أي تدبير امرها وتحسين حالها . (٨) بطانة الملك :
 حاشيته ، مأخوذة من بطانة الثوب . (٩) الطوية : البريرة . أي من اخلص وحسنت طويته .
 (١٠) الحكم : الحكمة .

امثالاً لما فيها من الحكم والمواعظ . وقد رأينا في خطبة قس بن ساعدة مثالا للوعظ الديني العاطفي بما فيه من وعد ووعد ، وهي في سجعها وشعرها ، شديدة الوقع ، بعيدة الصدى في النفوس . في حين ان خطبة اكم بن صيفي تسير هادئة مطمئنة ، ترسل المواعظ والحكم بأناة وتؤدة . وما ذاك الا لاختلاف موقف الخطيبين وتباين غرضهما . فقس بن ساعدة أسقف يريد التبشير بالنصرانية ، وتجويف عبدة الاوثان من غضب الله ونعمته ، فاستعمل لذلك الانشاء العاطفي بما فيه من رنسة وتهويل . واكم بن صيفي اراد ان يعظ الملك ، ويظهر له ذكاء العرب وفضلهم دون ان يغضبهم ، فاستعمل لذلك الانشاء الهادي الرصين . وكلاهما اجاد في موقفه ، وبلغ غايته بقصد^(١) وايجاز .

لامثال

للعرب في جاهليتهم اقوال كثيرة ذهبت امثالاً . فمنها ما كان شعراً ، ومنها ما كان نثرأ . وقد جمع الميداني طائفة كبيرة منها في كتابه الموسوم : « بجمع الامثال » ولهذه الاقوال فائدة لا تنكر ، لصدورها عن مختلف طبقات الشعب ، فيمكننا ان نعرف فيها شيئاً كثيراً من اخلاق العرب واحوالهم . وهي في جملها القصيرة تمثل بلاغة الجاهلي وايجازه ، ومقدار ما وصل اليه من قوة التعبير . ولكن الامثال الجاهلية مخلوطة بالامثال الاسلامية ، فلا يتسنى التمييز بينها الا اذا كان في المثل ما يدل على جاهلية صاحبه . وهاك شيئاً منها :

إِنَّ الْهَزِيلَ إِذَا شَبِعَ مَاتَ^(٢) . . . أَوَّلُ الشَّجَرَةِ التَّوَاةُ^(٣) . . . أُمُّ الْعَجَبَانِ
لَا تَفْرَحُ وَلَا تَعْزَنُ^(٤) . . . أَتَى عَلَيْهِمْ ذُو أْتَى^(٥) . . . إِنَّ أَخَاكَ مِنْ آسَاكَ^(٦) .

(١) قصد : اي اعتدال دون تطويل . (٢) يُضْرَبُ لِمَنْ اسْتَفْنَى فَتَجِبَرُ . (٣) يُضْرَبُ لِلأمر الصغير يتولد منه الكبير . (٤) لانه لا يأتي بخير ولا شر ايما توجه لجنبه . (٥) هذا من كلام طي . وذو عندهم بمعنى الذي ، اي اتي عليهم الذي اتي على الخلق من حوادث الدهر . (٦) آسَاكَ : جعلك اسوة لنفسه ، يُضْرَبُ فِي الحث عَلَى مراعاة الاخوان .

إِنْ كُنْتَ كَذُوبًا فَكُنْ ذَكُورًا^(١) . بِكَلِّ وَادِرٍ أَثْرٌ مِنْ تَعَلُّبَةٍ^(٢) . بَرَقَ لَوْ
 كَانَ لَهُ مَطَرٌ^(٣) . الْمَرْءُ بِأَصْعَرِيهِ^(٤) .

على انه لو اتيح لنا معرفة الامثال جاهليها واسلاميا ، لما اعطتنا صورة تامة
 عن النثر قبل الاسلام ، لانها جعل مقتضبة لا تنشى في ذاتها ادباً صحيحاً نستطيع
 التعويل عليه . واذا كان لا بد لنا من درس النثر الجاهلي على حقيقته فلا ينبغي
 ان نلتزمه في الجاهلية استناداً الى خطبهم واثامهم ، بل في صدر الاسلام استناداً
 الى خطب الخلفاء والامراء وغيرهم ، فان فيها مثالا صادقا للنثر العربي في جاهلية
 اصحابه .



(١) يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَكْذِبُ ثُمَّ يَنْسِي فَيُحَدِّثُ بِخِلَافِ ذَلِكَ . (٢) قَالَهُ ثَعْلَبِيُّ رَأَى
 مِنْ قَوْمِهِ مَا يَسُوؤُهُ فَانْتَقَلَ عَنْهُمْ فَرَأَى مِنْهُمْ أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ . (٣) يُضْرَبُ لِمَنْ لَهُ حَسَنُ مَنْظَرٍ
 وَلَا مَعْنَى وَرَأَاهُ . (٤) أَيِ قَلْبِهِ وَلسَانِهِ .

صدر الاسلام

(٦٢٢ - ٧٥٠ م. و١٠١٣٢ - ٥١٣٢ هـ)

« يبتدى بالهجرة النبوية وينتهي بسقوط »

« الدولة الاموية وقيام العباسيين »

ملحة تاريخية

- الني محمد :
- مولده . نشأته . انفراده في القسار . نزول الوحي عليه . من آمن به ؟ . انكار قريش دعوته . هجرته الى المدينة . المهاجرون والانصار . المدينة . التاريخ الهجري . الحرب بين المسلمين والمشركين . فتح مكة . ازالة الاصنام . انتشار الاسلام . موت النبي . ابو بكر . الاختلاف في مبايعته . حروب الردة . فتح العراق . موته . عمر بن الخطاب . فتح اليرموك والقدس ودمشق وفارس . مقتل عثمان بن عفان . حضره المناصب في اقرائه . غضب الشعب عليه . مقتل افرقيية وقبرص . علي بن ابي طالب . اخلاقه وورعه . شجاعته . سياسته . تأليف حزب المعارضة . عائشة . الزبير . طلحة . معاوية في دمشق . واقعة الجمل . واقعة صفين . التحكيم . الحوارج . مقتل علي . الحسين بن علي . ننازله لمعاوية . مدة خلافة الراشدين .
- الخلفاء الراشدون :
- نقل الخلافة من المدينة الى دمشق . جمل الخلافة وراثته . مدة خلافة بني أمية . عدد خلفائهم . أولهم معاوية ، وآخرهم مروان .
- صدر الاسلام صدران : المخضرمون ، والامويون . ميزة كل عصر على حدة .

وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ فِي مَكَّةَ فِي سَنَةِ ٥٧٠ م . وَأُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ مِنْ قُرَيْشٍ . وَكَانَتْ حَامِلًا بِهِ لَمَّا تَوَفَّى زَوْجَهَا أَبُوهُ ، وَلَمْ يَتْرِكْ لَهَا مِنَ الْمَالِ إِلَّا خَمْسًا مِنَ الْإِبِلِ ، وَقَطِيعًا مِنَ الْغَنَمِ ، وَجَارِيَةً . فَكَفَلَ الصَّبِيَّ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ . ثُمَّ مَاتَتْ أُمُّهُ ، وَمَاتَ جَدُّهُ ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَالِدُ عَلِيٍّ ، وَكَانَ قَلِيلَ الْمَالِ كَثِيرَ الْعِيَالِ . فَنَشَأَ مُحَمَّدٌ يَتِيمًا فِي كَنَفِ عَمِّهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عَمْرِهِ تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ فِي الْارْبَعِينَ مِنْ عَمْرِهَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْضَاءِ قُرَيْشٍ وَأَسْرَافِهِمْ ، فَأَمَدَتْهُ بِأَهْلِهَا فَأَيْسَرَ وَأَتَسَّعَتْ حَالَهُ .

غَيْسَاتٌ وَسُرَيْفَاتٌ

وَكَانَ يُعِيلُ إِلَى الْعَزَلَةِ ، وَيَذْهَبُ إِلَى غَارِ قَرَبٍ مَكَّةَ يُسَمَّى غَارَ حِرَاءٍ ، فَيَنْفِرُ فِيهِ مُتَعَبِدًا .

وَفِيمَا هُوَ نَائِمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْغَارِ ، تَوَلَّى عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ الْارْبَعِينَ ، فَأَخْبَرَ زَوْجَهُ خَدِيجَةَ بِمَا رَأَى ، فَسَارَعَتْ إِلَى قَبُولِ دَعْوَتِهِ ، ثُمَّ تَبِعَهُ بَعْدَهَا ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ .

وَلَكِنَّ قَوْمَهُ انْكَرَوْا دَعْوَتَهُ ، وَسَخَرُوا مِنْهُ وَقَالُوا : « سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ » . ثُمَّ اخْتَدُوا بِضَطْهِدُونِهِ وَأَتْبَاعِهِ ، فَبَدَأَ مِنْهُمْ فَجَوْلَ وَجْهَهُ شَطْرَ الطَّائِفِ (١) ، وَدَعَى أَهْلَهَا ، فَأَذَاهُمْ أَقْسَى مِنْ قُرَيْشٍ ، وَاعْرَوَاهُ سَفَاهًا ثُمَّ فَرَّجُوهُ بِالْحِجَارَةِ .

ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ قَوْمَهُ يَرِيدُونَ الْإِيْقَاعَ بِهِ ، فَهَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى يَثْرِبَ مُسْتَخْفِيًا ، فَلَقِيَ فِي يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِهَا قَبِيلَتِي الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ اتِّبَاعًا يَنْصُرُونَهُ فَسُتُوا الْإِنصَارَ ، وَسُتِيَ الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِينَ ، وَسَمِيَتْ يَثْرِبَ الْمَدِينَةَ ، أَيَّ مَدِينَةَ الرَّسُولِ وَمِنْ ذَلِكَ الْوَحِينُ يَبْتَدَى التَّارِيخَ الْهَجْرِيَّ ، أَيَّ سَنَةِ ٦٢٢ م .

وَسَاءَ الْقُرَشِيُّونَ أَنْ يَنْجُوَ النَّبِيُّ وَيَحْتَمِيَ فِي يَثْرِبَ ، وَيَلْقَى هُنَاكَ أَنْصَارًا ، فَنَاصَبُوا أَهْلَهَا الْعَدَاءَ ، وَقَابَلَهُمْ هُؤُلَاءُ بِالْمِثْلِ ، فَقَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى قَوَافِلِهِمْ ، فَابْتَدَأَتْ الْفُزُورَاتُ يَتَّبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَكَانَ النَّصْرُ فِي أَكْثَرِهَا حَلِيفَ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى قُتِّ فِي

(١) الطائِف : بلد في الحجاز لبني ثقيف .

عُضد المشركين ، فغزا النبي مكة بعشرة آلاف مقاتل ، فافتتحها سالماً في سنة ٦٣٠ م . و ٩ هـ . و وقعت قريش في يده ، فأمنهم واسلموا . ثم دخل الكعبة وازال ما بها من اصنام وصور وتماثيل . واخذ العرب يدخلون في الاسلام افواجا بعد ان اسلمت قريش وهي صاحبة الزعامة هناك ، فتم النصر للنبي ، وبني حجر الزاوية في الوحدة العربية الاسلامية ، وظل يسوسها حتى قبض يوم الاثنين في ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هـ . و ٨ حزيران سنة ٦٣٢ م ، وكانت وفاته بالمدينة وفيها قبره .

الخلفاء الراشرون - ابو بكر

اختلفت الصحابة بعد موت الرسول فيمن يبابعونه بالخلافة ، فابى المهاجرون من قريش الا ان يكون الخليفة منهم ، وابى الانصار عليهم ذلك ، وقالوا : « منا امير ومنكم امير . » واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة ، فقال لهم ابو بكر : « منا الامراء ومنكم الوزراء ، وقد رضيت لكم احدهذين الرجلين : عمر بن الخطاب و ابا عبيدة بن الجراح . » فقام عمر وباع ابا بكر ، وباعه ابو عبيدة ؛ وباعه الناس . فقال الانصار : « لا نبايع الا علي بن ابي طالب . » وكان علي قد تخلف عن المبايعه ، وتخلف معه بنو هاشم ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيدالله . فما زال بهم عمر بن الخطاب حتى حملهم جميعاً على مبايعه ابي بكر ، فاستتب له الامر . ثم ارتدت اغلب قبائل العرب عن الاسلام ، فحاربهم حتى خضد شوكتهم وأرجعهم الى الدين . وفي ايامه افتتح خالد بن الوليد العراق وضرب الجزية على اهله . ومات ابو بكر وجيوش المسلمين تحارب الاروام في اليرموك من ارض فلسطين . قيل انسه مات مسموماً في طبخة ارز ، وقيل : بل استحم في يوم شديد البرد فحم ومات . وكانت خلافته من ٦٣٢-٦٣٤ م و ١١-١٣ هـ .

عمر بن الخطاب

وكان قد اوصى بعده بالخلافة لعمر بن الخطاب فبويع بها . وعلى عهده تم فتح اليرموك والقدس ودمشق وفارس ومصر . ومات عمر مقتولاً ، قتله

فيروز ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة من اجل خراج درهمين لم يعفه منها عمر لورعه
وحرصه على بيت المال . وكانت خلافته من ٦٣٤ - ٦٤٤ م و١٣ - ٢٣ هـ .

عثمان بن عفان

وكان عمر قد جعل قبل وفاته مجلس شورى للخلافة من ستة اشخاص ، بينهم
علي بن ابي طالب ، وعثمان بن عفان ، فتشاوروا فيما بينهم وبايعوا عثمان بعد جدال .
وعلى عهد عثمان فتحت افريقية وقبرص . ولكنه لم يكن محبوباً لخصره
مناصب الحكم في اقرباه ، فطلب منه الناس ان يعتزل فأبى ، فحاصروه في داره
اربعين يوماً ، ثم تساق محمد بن ابي بكر مع رجلين حائط قصره ، فقتلوه بالحرب
والعمد . وكانت خلافته من ٦٤٤ - ٦٥٥ م و٢٣ - ٣٥ هـ .

علي بن ابي طالب

ثم بويع علي بن ابي طالب ، فتخلف عن مبايعته بنو أمية اقرباء عثمان ، وبعض
الصحابة . وكان علي من الابطال المغاوير والفرسان المعدودين ، ومن افصح العرب
واخطبهم ، واتقى الناس واورعهم ، ولكنه لم يكن موفقاً في الخلافة ، لانه لم يعرف
ان يداهن في سياسته . وكانت عائشة زوج النبي تؤلب علي عثمان وتطعن فيه رغبة
منها في طلحة ، فلما بويع علي ولم يبايع الناس طلحة ، صرخت : « واعثماناه ! ما
قتله الا علي . » وعلم بالامر طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وكانا بايعا
علياً ، فرجعا عن مبايعتهما ، وانضما الى عائشة ، يناصبان معها ابن ابي طالب
العداء . . .

ولم يكن معاوية يومئذ يطمع في الخلافة ، ولكنه توقع الغزل عن ولاية
دمشق فأله الحطاب ، فجاهر بعداء علي ، وألف حزب « العثمانية » من اقرباء عثمان
للعطالبة بدم الخليفة « الشهيد » او « المظلوم » .

وذهب بنو أمية وعائشة ومجازنوم الى البصرة ، فنتفروا لحية ابن حنيف اميرها ،
فجاء المدينة وقال لعلي : « بعثني ذا لحية وقد جئتكم امرد . » قال : « أصبت
اجراً وخيراً . »

ورأى علي ان الفتنة قائمة ولا بد من اخادها ، فسار الى البصرة بسبعة آلاف مقاتل ، فالتقاه حزب عائشة وطلحة والزبير في جيش كبير ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكانت عائشة على جمل تحرض الرجال على الاقدام ، فرُمي هودجها وهو كالتنفيذ لما علق به من النبال ، بعد ان قُطع على خطام^(١) الجمل سبعون يداً . ولكنها لم تصب باذى ، وارجعها علي الى المدينة مكرمة . وانتهت الواقعة بانتصار علي ، وقتل الزبير ، وجرح طلحة جرحاً لم يلبث ان مات به . وسميت هذه الحرب واقعة الجمل اشارة الى جمل عائشة .

واقعة صفين

ثم سار علي لمحاربة معاوية فقطع الفرات الى الرقة فالتقي جيوش معاوية في سهل صفين ، وهو موضع غربي الرقة على ضفة الفرات اليمنى ، فاقتتلوا ثم تهادنوا ، ثم اقتتلوا . وكانت « ليلة المهزيب » احماها وطيساً ، اذ حمل الأستر النخعي قائد جيوش علي حملة زحزحت جيوش الشام عن مراكزها . وبيننا جيوش العراق يتقدمون والنصر حليفهم ، اذ رأوا المصاحف^(٢) مرفوعة على رؤوس الخراب في جيش معاوية ، فهابوا ، وتوقفوا عن القتال ، فاخفق علي بجيالة عدوه . ثم اقترح عليه معاوية التحكيم ، فرضي به مكرهاً .

التحكيم

واقام معاوية عنه حكماً عمرو بن العاص ، وهو داهية مثله . واقترح علي علي اصحابه ان يقيم حكماً أبا موسى الاشعري ، وكان قصير الرأي ، فأقامه علي علي غير رغبة منه . فأخلي للحكمين مكان يجتمعان فيه مدة ثلاثة ايام ، فأقبل عمرو بن العاص على ابي موسى بانواع من الطعام يشبه بها ، حتى اذا استبطن اخذ يقنعه بان

(١) خطام : زمام . (٢) المصاحف : نسخ القرآن واحداً مصحف .

يخلع علياً وهو يخلع معاوية، فتنجو الامة من الفتنة، وتحقن الدماء. فرضي ابو موسى بذلك، على ان يُبايع بالخلافة عبدالله بن عمر بن الخطاب.

ولما كان يوم التحكيم، اجتمع القوم على مقربة من مكان يعرف بدومة الجندل، فقام ابو موسى فخلع علياً، ولكن ابن العاص لم يسقط معاوية كما وعد واقسم، بل اثبتته في الولاية على دمشق، واجاز له حق المطالبة بسدم الخليفة الشهيد. فاضطرب جيش علي لهذا الحكم، وابى علي ان يذعن له، واراد استئناف القتال، ولكن شغله امر الحوارج من جيشه.

الحوارج

كان قسم كبير من جيش العراق رفض التحكيم، فلما رأوا ما آلت اليه نتيجته غضبوا وخرجوا على علي، ولم يرجعوا معه الى الكوفة، بل ساروا الى حروراء^(١) ثم احتلوا المدائن^(٢) وعاثوا فيها فساداً، نابذين كل سلطة متخذين شعارهم «الحكم لله لا للناس». وحجتهم في ذلك ان علياً ومعاوية كافران، فعلي كافر لانه رضي بالتحكيم، وشك فيما كان يعتقد من انه صاحب الحق الشرعي في الخلافة، وما كان له ان يشك في هذا الحق. فاما وقد فعل فليس من الخلافة في شيء. وقد تجاوز الدين فلا بد له من الاعتراف بالكفر ثم يتوب الى الله، والا فالحوارج حرب عليه. ومعاوية كافر لانه وال بغي على الخليفة، فلما خشى الانكسار لجأ الى التحكيم خديعة وكيداً، فالحوارج عدو له.

فلما استفحل امرهم قصدهم علي بجيشه فالتقوا بالنهروان^(٣) فأكثر فيهم التقتيل وارجع بعضهم مسلماً.

مقتل علي

ثم عاد علي الى الكوفة يتأهب لقتال معاوية. وفي اثناء ذلك اتفق ثلاثة من

(١) حروراء: قرية بظاهر الكوفة، واليها ينسب الحوارج فيقال لهم الحرورية لان اولهم خرج فيها. (٢) المدائن: يراد بها عدة مدن متجاورة وهي: الموصل والسواد وحلوان ومسايبذان وقرقيساء. (٣) النهروان: ثلاث قرى بين واسط وبغداد.

الخوارج على قتل « ائمة الضلال » في ليلة واحدة واراد بهم : علياً ، ومعاوية ، وعمرو ابن العاص . ولكن لم يُقتل من هؤلاء الثلاثة غير علي ، ونجا الآخران ، وقاتله عبد الرحمن بن ملجم ضربه بسيف مسجوم وهو في مسجد الكوفة يريد الصلاة (١) فمات بعد ثلاثة ايام ، وعمره ٦٣ سنة وخلافته من ٦٥٥ - ٦٦١ م و ٣٥ - ٤٠ هـ .

ويبيع الحسن بن علي في الكوفة بعد مقتل ابيه ، ولكنه تنازل لمعاوية نفوراً من الحرب ، وكانت مدة خلافته خمسة اشهر من ٦٦١ - ٦٦١ م و ٤٠ - ٤١ هـ .

الخلفاء الامويون

استولى معاوية على الخلافة بعده ، وانتزعها انتزاعاً من ابن بنت الرسول (٢) فجعل قاعدته دمشق بدلا من المدينة ، لان انصاره في الشام ولولاهم لما تم له الظفر . وتمكن بسياسته وحزمه من توطيد دعائم مملكته ؛ على ما كان يهددها من شر الخوارج الحوورية في الجزيرة ، ومن ثورات انصار علي وابنائهم في الكوفة وما يليها من العراق . وبلغ به الامر ان جعل الخلافة وراثية بعد ان كانت شورى ، ونادى بابنه يزيد ولياً لهده ، وحذا حذوه من جاء بعده من الخلفاء .

وظلت الخلافة في بني أمية من سنة ٦٦١ - ٧٥٠ م و ٤١ - ١٣٢ هـ . فتعاقب عليها منهم اربعة عشر ملكاً اولهم معاوية وآخرهم مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم الملقب بالحمار لصره على الاعمال . ثم انتقلت الى بني العباس .

فيتضح مما تقدم ان صدر الاسلام صدران : الاول عصر المخضرمين (٣) اي الذي عاشوا في الجاهلية والاسلام وهو عصر النبي والخلفاء الراشدين . والثاني عصر بني أمية . فينبغي ان ندرس شعر كل عصر على حدة ، لان ميزة الصدر الاول تختلف اختلافاً بيناً عن ميزة الصدر الثاني . واما النثر فلا يصح درسه الا اذا جمعنا العصرين معاً

(١) كان ذلك في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ و ٦٦١ م كانون الثاني ٦٦١ م . (٢) الحسن ابن علي واخوه الحسين من فاطمة ابنة النبي . (٣) المخضرمون : اصل اللفظة مأخوذ من الناقة المخضومة وهي التي قطع طرف اذنها . فكأن ما ذهب من عصر المخضرمين في الجاهلية ساقط لا يمتد به كما يسقط طرف اذن الناقة المخضومة .

الشعراء المخضرمون

ميزة الشعر المخضرم : لسه ميزة الشعر الجاهلي من حيث التعبير والايجاز، وفيه خصائص التطور الجديد . اكتسب تعابير والفاظاً جديدة من القرآن .
 اصابه فتور بعد وفاة الرسول .

شعراء النبي وشعراء قريش : اخذ شعراء قريش يهاجمون النبي واتباعه . فهاجم شعراء النبي وهم : حسان، وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك . شعراء قريش اشهرهم اربعة : ابن ابي عمير ، ابو سفيان ، ابن العاص ، ابن الخطاب . استفاد الشعر من هذه الملاحيات فنهض ، وكثر عدد الشعراء خصوصاً في قريش . لم يصل الينا من هذا الشعر شيء يستحق الذكر . عفى عليه الاسلام لما فيه من التعريض بالنبي .

الشعراء المخضرمون : نظرنا اليهم من حيث زمن اشتهارهم في الشعر، لا من حيث حياتهم في الجاهلية والاسلام .

ميزة الشعر المخضرم

لا نجد فرقاً بين الشعر الجاهلي والشعر المخضرم من حيث اليجاز وقوة التعبير، وطريقة النظم، وتعدد الموضوعات، وبراعة الوصف. الى غير ذلك مما مر بنا وعرفناه. فالشعر المخضرم جاهلي في اصله، ولكن فيه خصائص جديدة : منها ما رأيناه في الشعراء الذين عاشوا في السنوات الملاصقة للاسلام او ادر كوة، فبدا لنا تطور في لغتهم، ورقة في الفاظهم، ووضوح في معانيهم . ومنها ما انفرد به الشعر المخضرم عن الشعر الجاهلي فكان له ميزة خاصة .

ويمتاز الشعر المخضرم بتلك النفحة الدينية التي نفحة بها الاسلام بعد ظهوره . فلا ترى فيه يأساً من الحياة وتبرماً بصيرها شأن الشعر الجاهلي، بل تلمس به ارتياحاً شديداً الى نعيم الآخرة، الى الجنة التي وعد بها القرآن المتقين . واكتسب الشعر المخضرم خصوصاً، واللغة عموماً، تعابير جديدة من القرآن، والفاظاً لم تكن

مألوفة من قبل ، كالجنة والنار ، والكفر والايان ، والصلاة والزكاة ، والرکوع ،
 والوضوء الخ . . . وهذه الالفاظ كانت معروفة في الجاهلية ولكنها لم تكن تدل
 على معانيها المستحدثة في الاسلام . واكتسب الشعر ايضاً نوعاً جديداً وهو الهجاء
 السياسي ، هجاء مرّ مقذع أليم ، كان بين شعراء النبي ، وشعراء قريش والاحزاب .
 ولكن الشعر اصابه فتور بعد وفاة النبي ، فلم يجد من الخلفاء الراشدين مشجعاً ،
 وربما نهوا عنه ، وزجروا الشعراء . بيد ان هذا الفتور لا يعني ان الشعر خمد ناره .
 فقد بقي في الشعراء طائفة لم تنصرف عنه كالحطيئة مثلاً ، وكعب بن زهير ،
 وحسان بن ثابت ، والشاخ بن ضرار ، والثابغة الجعدي وغيرهم . على انه لم
 يكن له ذلك الازدهار الذي عرفه في حياة الرسول .

شعراء النبي وشعراء قريش

عرفنا ان قريشاً انكروا على محمد دعوته وحاربوه نحو ثماني سنوات بعد
 هجرته . ولم تقتصر الحرب على السيف وحده ، بل كان للشعر فيها شأن كبير .
 فان شعراء قريش واحزابها اخذوا يهجون النبي هجاء مرّاً ، ويسفون رسالته ،
 ويسخرون منها ، ويمعرون تابعيه الانصار والمهاجرين . فاضطر النبي ان يقابلهم
 بسلاحهم ، لما للشعر من التأثير في نفوس القبائل العربية ، فأرسل عليهم ثلاثة من
 شعراء الانصار وهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .
 فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل اقوالهم ، ويقاخرانهم بالوقائع والايام والمآثر ،
 ويذكران لهم مثالبهم . اما عبدالله فكان مقتصراً على تيعيرهم الكفر .

وقد استفاد الشعر من هذه الملاحظات فنهض نهضة عظيمة ، وغزرت مادته ،
 وكثر القول بكثرة الشعراء ، ولا سيما شعراء قريش ، وكانت قبلاً لا تذكر مع
 القبائل في الشعر . واشتهر من شعرائها اربعة هاجوا النبي وقاوموا شعراءه وهم
 عبدالله بن الزبَيْري ، وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص ،
 وضرار بن الخطاب . ولكن لم يصل اليانا من شعرهم الا شي يسير ليس فيه غناء .
 ولا عجب ان تطمس اشعارهم واشعار غيرهم من الذين ناصبوا الرسول العداوة ،

خصوصاً بعد ان اسلمت قريش ، واصبحت جزيرة العرب لايسودها دين غير الاسلام ؛ لا عجب ان تطمس هذه الاشعار ، فان فيها ما يثير الخراصات وينبسه كوامن الاحقاد ؛ وان فيها من التعريض بالنبي واصحابه ، ما يمنع المسلمين عن روايتها ، بل ما يهيب بهم الى التعفية عليها ومحو آثارها .

ونحن في بحثنا الشعر المخضرم ، سنقتصر على درس حسان بن ثابت اُنْبَه الشعراء الذين دافعوا عن الرسول وأخصبهم آثاراً ، وعلى كعب بن زهير اللاميته الشهيرة التي اعتذر بها الى النبي يوم اسلامه .

الشعراء المخضرمون

وقد نظرنا الى الشعراء المخضرمين من حيث شعرهم لا من حيث حياتهم ، فعددنا لبيداً والخنساء من الجاهليين لان اكثَر شعرهما في الجاهلية . وعددنا حسان وكعباً من المخضرمين لان ريجها هبت في الاسلام ^(١) . اما الخطيئة فقد اشتهر في العصرين واكنه لم يتأثر بالاسلام كثيراً ، فتركنا له جاهليته .

كعب بن زهير

٦٦٢ م و ٤٢٠ هـ (?)

حياته	:	نشأ في بيت عريق في الساعرية . كان ابوه يزجره عن الشعر حتى خبر مواعبه . كعب في الاسلام . تأنيبه اخاه بغيراً لاسلامه . اهدار دمه . قدومه على الرسول ، واعتذاره بقصيدته . حديث البردة ، وتاريخ وفاة كعب .
آثاره	:	ايات متفرقة اشهرها مشوبته .

(١) يقال هبت ريحه : اي نبه ذكره واشتهر .

يزنه - بانث سعاد : هو كأييه في تنخل القوافي وتثقيفها . المذهب الزهيري . غرابسة
 ألفاظه ، رأي الدكتور طه حسين . صور حسيه متراكمة .
 الغزل : وصف الثغر والماء الذي مزجت به خمرة الثغر . له لوعة اييه
 وحكسه وامثاله . وصف الناقة . تشبيه حركة ذراعها بحركة ذراعي
 الثكلي . صورة قصصيه رائعه . مدح النبي والمهاجرين . رفته في
 الاستمطاف . خشوته في وصف الاسد والغفار . جزالته في المدح .
 مقابلة مدحه بما نسب الى الاعشى من مدح الرسول . نفسه جاهلي اكثر مما
 هو اسلامي . اعتذاره عن خوفه وحديث الفيل . مترلته . بارع
 الفن في معانيه ، بديع التصوير ، واسع المخيلة ، وأحد اساتذة المذهب
 الزهيري .

هبانه

هو كعب بن زهير بن ابي سلمى المزني ، نشأ في بيت يكتنفه الشعر من كل
 جانب ، كما عرفنا في كلامنا على والده زهير ، وكفاه بأبيه استاذاً . فنشأت معه
 ملكة الشعر ، فما ترعرع حتى نظمه ، ولكن والده زجره عنه وضربه مخافة ان
 تكون شاعريته لم تستوسق^(١) بعد ، فيروى له ما لا خير فيه . على ان الزجر والضرب لم
 يصرفا الولد عن الشعر ، وهو جد كلف به ، فلبث يقوله غير مرتدع حتى ضاق
 والده ذرعاً ، فأردفه على ناقته وانطلق به الى الصحراء ، واخذ يقول البيت ويستجيز
 ابنه فيجيز ، فوثق عندئذ باستحكام ملكته ، واذن له بقول الشعر .

كعب في الاسلام

لم يحدثنا الرواة كثيراً عن حياة كعب ، فنحن لانكاد نعلم عنها ما يستحق
 الذكر الا خبر اسلامه ، واعتذاره الى النبي بقصيدته الشهيرة . وذلك ان بُجيزاً
 اخا كعب وفد الى محمد في اواخر السنة السابعة للهجرة فأسلم ، فاستاء كعب من
 اخيه ، وقال فيه هذه الايات يؤنبه ويحسه على الارتداد :

(١) لم تستوسق : لم يتجمع بعضها الى بعض ، من استوسقت الابل : اجتمعت .

أَلَا أبلغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً : فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ ، وَيَحْكُ ، هَلْ لَكَ ؟^(١)
سَقَاكَ بِهَا المَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً ، فَأَنهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا ، وَعَلَاكَ ؟^(٢)
فَفَارَقْتَ أَسْبَابَ الأَهْدَى ، وَأَتَبَعْتَهُ ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ ، وَيَبْ غَيْرِكَ ، ذَلِكَ ؟^(٣)
عَلَيْهِ ، وَلَمْ تُعْرِفْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ ؟^(٤)
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ ، فَلَسْتُ بِأَسْفَرٍ ، وَلَا قَائِلٍ ، إِمَّا عَشْرَتَ : « لَمَّا لَكَ ؟ »^(٥)

وبلغت آياته النبي فأهدر دمه . ثم شهد بجير فتح مكة وانتصار محمد ، فأرسل الى اخيه كعب يحذره ويخبره بالخذال قريش ، وفرار عبدالله بن الزبير وقال له : « قد اوعد الرسول رجالا بمكة فقتلهم ، وهو والله قاتلك أو تأتية فقتلهم . » فاستطاع كعب ولفظته الارض^(١) ثم قدم المدينة متنكراً ؛ واستجار بابي بكر ، فأتى به المسجد وهو متلثم بعمامة ، وقال : « يارسول الله ، رجل يبايعك على الاسلام . » فبسط النبي يده ، فحسر كعب عن وجهه وقال : « هذا مقام العائذ بك يارسول الله ، انا كعب بن زهير . » فتجهته الانصار وغلظت عليه ، ولانت له قريش واحبوا اسلامه وایمانه . فأمنه محمد ، فأنشده كعب قصيدته « بانت سعاد » فسر بها الرسول . ولما وصل الى قوله :

إِنَّ الرُّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ، مُهْتَدٍ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ ، مَسْئُولٌ

خلع عليه محمد بُردته^(٢) . وقد بذل معاوية لكعب فيها عشرة آلاف درهم فلم يبعها . فلما مات اشتراها معاوية من ورثته - بعشرين الف درهم وقيل بثلاثين .

(١) فهل لك فيما قلت : اي هل اردتلك في الشهادة التي قلتها حقيقة . (٢) جا : اي منها والضمير عائد على الشهادة . المأمون : من اسماء النبي . روية : تامة مفعلة . انهلك : سقاك اول الشرب . علك : سقاك نباعاً . أي سقاها فأرواه . (٣) اسباب : طرق . على أي شيء . متعلق بذلك . ويب غريك : أي هلكت هلاك غيرك من تابعيه ، دعاه عليه . (٤) على مذهب : اي ذلك على مذهب . لم تُفعل : لم تفعل . (٥) لم تفعل : اي لم ترتد . لَمَّا لَكَ : دعاه للعائر بالسلامة . يقول : ان عثرت فلست بداع لك بالسلامة . (٦) لفظته الارض : اي انه صار لا يجد له مأوى فيها . (٧) البردة : الثوب المخطط .

وتوارثها الخلفاء الامويون والعباسيون ، ويقال انها وصلت الى سلاطين آل عثمان ، وهي الهردة التي يلبسها الخلفاء في العيدين .

ومدح كعب في قصيدته المهاجرين من قريش ؛ وعرض بالانصار لغلظتهم عليه . فانكر المهاجرون قوله في الانصار ، وقالوا : « لم تمدحنا اذ هجرتهم . » ولم يقبلوا ذلك حتى قال :

مَنْ سَرَهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ ، فَلَا يَزَلْ ، فِي مِقْتَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ ^(١) ،
 الْأَبَاذِينَ نُفُوسَهُمْ لِئَنِّيهِمْ ، يَوْمَ الْهَيَاجِ ، وَسَطْوَةِ الْجَبَّارِ ^(٢) ،
 يَتَطَهَّرُونَ ، كَأَنَّهُ نُسْكٌ لَهُمْ ، بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ ^(٣) ،
 صَدُّوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ صَدْمَةً ، ذَلَّتْ لَوَقَعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ ^(٤) ،

قبيل : وأقبل النبيُّ على ابي بكر فاستنشده شعر كعب الذي قاله لاختيه يؤنبه فيه على اسلامه ، فأنشده ابو بكر حتى وصل الى قوله : « سقاك بها المأمون كأساً رويةً : » فقال كعب : « لم اقل هكذا وانما قلت :

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ ، فَأَنْتَ لِكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَاكَ
 فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : « مَأْمُونٌ وَاللَّهِ . »

وكانت وفاة كعب في خلافة معاوية ، وجعل بعضهم ^(٥) موته في السنة

(١) المِقْتَبُ : جماعة الخيول الجياد ما بين (ثلاثين الى الثلاثين) . و اراد بالمقنب جماعة الانصار . يقول : من اراد كرم الحياة فليكن في جماعة من صالحى الانصار . (٢) سطوة الجبار : اي في الحرب التي لا يسطو بها غير الجبار . (٣) كأنه : الضمير عائد على التطهُّر ، دل عليه قوله : يتطهرون . النسك : الذبيحة . علقوا : اصابوا . يقول : يتطهرون بدماء من اصابوا من الكفار كأن هذا التطهر ذبيحة لهم يقدمونها لله . (٤) علي : يعني بني علي بن مسعود وهم بنو كنانة . يوم بدر : يريد واقعة بدر الكبرى بين المسلمين والمشركين في السنة الثانية للهجرة . وبدر : بئر ماء قريبة من المدينة على طريق الشام . وكانت قافلة للقرشيين راجعة من الشام الى مكة وعلى رأسها ابو سفيان بن حرب ، فخرج اليها المسلمون من المدينة وقتلوا فاتصروا عليها وغنموا اموالها . وقتل في هذه الواقعة نحو خمسين رجلاً من صنديد قريش و اشرفهم خصوصاً من بني أمية وبخزوم واسد . لوقعها : اي لشدها وتكرارها . نزار : ابو ربيعة ومُضَر . (٥) جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية .

الرابعة والعشرين للهجرة ، مع انهم ذكروا رواية البردة . فكان عليهم ان ينتبهوا الى ان الشاعر ادرك الخليفة الاموي الاول ، لان معاوية لم يفكر في اشتراء البردة من كعب الابدان تبوا سدة الخلافة .

أثاره

ايات متفرقة في كتب الادب . اشهرها لاميته « بانث سعاد » وهي معدودة من المشوبات . وقد شرحها كثيرون ، وشطرها غير واحد .

سيرته — بانث سعاد

علمنا في كلامنا على الخطيئة ان كعباً كأبيه زهير يهذب شعره ، وينتقي الفاظه ، ويتخير معانيه . واوردنا له ابياتاً يصف فيها نفسه والخطيئة بتنخل القوافي^(١) وتثقيفها ، ولا عجب ان يشبه الولد اباه وهو سره . وسأرى في درسنا « مشوبته » ان له خاصة زهير في براءة التشبيه والتصوير الحسي ، وله خاصته ايضاً في ارسال الامثال الحكمية الرائعة . وقد نكون منصفين اذا قلنا : ان زهيراً وكعباً والخطيئة ينتحلون مذهباً ادبياً ذا صبغة واحدة . على اننا سنجد في شعر كعب كثيراً من اللفظ الغريب . وقد عزاه الدكتور طه حسين الى ان كعباً قلده فيه استاذ ابيه أوس ابن حجر . ولعله مصيب برأيه ، فان زهيراً كان راوية أوس كما علمنا ، وعنه اخذ اسلوبه الوصفي وما فيه من التشابيه والصور المادية . وكان أوس جاهلياً قديماً يؤثر اللفظ الغريب في شعره . فجاء شعر كعب وعليه طابع المذهب الزهيري ، او المذهب الاوسي على رأي الدكتور ، مع اشارة الغريب من الالفاظ تشبهاً باستاذ ابيه . فنحن الان امام مذهب ندعوه زهيرياً او اوسياً اذا ذهبنا الى ابعاد من زهير^(٢) .

ولنشرع الآن في درس مشوبة كعب التي اعتذر بها الى الرسول . وقد استهلها

(١) القوافي : اي (قصائد) . (٢) يرى الدكتور طه حسين أن النابغة احد اساندة المذهب الاوسي لان على شعره طابعه الخاص .

متغزلاً واصفاً ثغر حبيلته ، شاكياً هجرها ، واخلافها ، ومواعيدها العرقيوية . قال :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَشْبُولٌ ، مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا ، لَمْ يُفِدْ ، مَكْبُولٌ ^(١)
 وَمَا سَعَادُ عِدَاةَ الْبَيْنِ ، إِذْ رَحَلُوا ، إِلَّا أَعْنُ غَضِيضِ الطَّرْفِ ، مَكْحُولٌ ^(٢)
 تَجَلَّوْا وَارِضْ ذِي ظَلَمٍ ، إِذَا ابْتَسَمْتَ ، كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ ، مَعْلُولٌ ^(٣)
 سُجِّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ، صَافٍ بِأَبْطَحٍ ، أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولٌ ^(٤)
 تَنْفِي الرِّيَّاحِ الْفَقْدَى عَنْهُ ، وَأَقْرَطَهُ ، مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ ، بِيضِ يَعَالِيلٍ ^(٥)

(١) بانَتْ : فارقت . المتبول : الذي اسقمه الحب واضعفه . متمم : من استعمله الحب وأذله . لم يُفِدْ : أي لم يجِد من يفديه أو لم يرد أن يفدي نفسه . المكبول : الأسير المقيد . يقول : قايي متبول متمم مكبول لم يُفِدْ . (٢) البين : الفراق . الأغن : صفة للظبي الذي في صوته غنة وهي صوت لذيذ يخرج من أقصى الأنف . غضيض الطرف : فاتره مسترخي الاجفان . والطرف : البصر . مكحول : أي مكحول الطرف . وخصها بهذا الوصف غداة البين لأنها تكون عند الفراق حزينتة منكسرة الاجفان . (٣) تجلو : تكشف . العوارض : الضواحيك من الاسنان . ذي ظلم : أي ثغر ذي ظلم . والظلم : ماء الاسنان وبريقها وبياضها . منههل : مسقي أول السقي . الراح : الحمر . معلول : مسقي تباعاً . وقولاه : عوارض ذي ظلم : اخلال بالفصاحة لتناثر الكلمات فقد اجتمع فيها ثلاثة احرف ذات مخرج واحد فتعسر النطق بها . (٤) سُجِّتْ : مزجت . بذى شَم : أي بماء ذي شَبَم . والشَبَم : البرودة . المحنية : منعطف الوادي . وانما خص ماء محنية بالذكر لانه يكون اصفى وابرد ، لان الريح تتراكم فيه لانعطافه فتصفيه وتبرده . الابطح : المسيل الواسع فيه دفاق الحصى . المشمول : من ضربته ريح الشمال ، وريح الشمال اشد تبريداً للماء من غيرها من الرياح . يقول : تبسم سعاد عن ثغر ريقه حلوا بارد كأنه سقي خرة ممزوجة بماء بارد صافٍ ضربته ريح الشمال فاشتدت برودته . (٥) تنفي : تطرد . الفذى : ما يقع في الشراب والماء فيكدره . عنه : أي عن هذا الماء . اقرطه : زاده وجملته يفيض عن ابطحه . الصوب : المطر . السارية : السحابة تأتي ليلاً . البيض : فاعل اقرطه . واختلف في معناها فقيل انها الجبال . ونحن نرى انه اراد بها قطع السحاب . يعاليل : جمع يعلول وهو القطعة الواحدة من السحاب وما تراكم منه بعضه فوق بعض . قال الكسيت :

كَأَنَّ جُأْنًا وَهِيَ السَّلَكُ فَوْقَهُ ، كَمَا اخْتَلَّ مِنْ بِيضِ يَعَالِيلٍ يَسْكَبُ

ويوز ايضاً ان يكون قد كنى بالبيض عن البرد . وتكون يعاليل بمعنى النفاخات او الجباب . يقول متابعاً وصف برودة الماء وصفائه : ان هذا الماء الذي مزجت به حمرة ثغرها تناوحه الرياح دائماً فتبرده وتنفي عنه كل ما يكدر صفائه . ويزيده قوة ومدداً ،

أَكْرَمُ بِهَا خَلَّةٌ أَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ
لِكِنَّهَا خَلَّةٌ، قَدْ سَيْطَ مِنْ دِمَهِمَا
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا،
وَلَا تُنْسِكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ،
فَلَا يَفْرَنُكَ مَا مَنَّتْ، وَمَا وَعَدْتَ،
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا،
أَرْجُو، وَأَمَلُ أَنْ تَدُومَ مَوْدَتُهَا،
مَوْعُودَهَا، أَوْ لَوْ أَنَّ التُّضْعَ مَشْبُولٌ^(١)
فَجَعُ مَوْوَلَعٌ، وَإِخْلَافٌ، وَتَبْدِيلٌ^(٢)
كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثْوَابِهَا أَلْعُولُ^(٣)
إِلَّا كَمَا تُنْسِكُ أَلْمَاءُ الْقَرَايِيلُ^(٤)
إِنَّ أَلَاءَ إِيَّيَّيْ وَأَلْأَحْلَامَ تَضْلِيلٌ^(٥)
وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا أَلْأَبَاطِيلُ^(٦)
وَمَا إِخَالٌ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلٌ^(٧)

أفما ترى كيف تتراكم الصور الحسية في هذه الايات ويتبع بعضها بعضاً ، ولا سيما تشبيهه حلاوة الثغر وبرودته بجمرة شجبت بماء بارد ، ثم الخالفه بوصف هذا الماء ليبالغ في تصوير برودته وصفائه . وانظر الى قوله : « لكنها خلة قدسيط من

و يُقِيضُهُ عَنْ مَسِيلِهِ سَحْبٌ بِيضٌ مِثْرَا كِمْسَةٍ تَسْكَبُ عَلَيْهِ الْمَطْرُ ، وَهَذَا الْمَطْرُ مِنْ سَحَابٍ لَيْلِي . وَإِذَا الْمَاءُ تَدَفَّقَ عَنْ مَسِيلِهِ زَادَ صَفَاءً ، وَإِذَا امْطَرَهُ السَّحَابُ لَيْلًا بَقِيَ الْمَاءُ عَلَى أَصْلِهِ مِنَ الْبُرُودَةِ . أَوْ يَقُولُ : إِنَّ هَذَا الْمَاءَ زَادَهُ فَيضَانًا بَرْدٌ تَحَدَّرُ كَأَنَّهُ الْجَبَابُ أَوْ نَفَاحَاتُ الْمَاءِ مِنْ مَطَرٍ نَهْمَةٌ لَيْلِيَّةٌ ، وَالْمَاءُ يَشْتَدُّ بَرُودَةً إِذَا سَقَطَ عَلَيْهِ الْمَطْرُ وَالْبَرْدُ مَعًا .

(١) أكرم بها : اي ما أكرمها . خلة : خليلة . الموعود : الوعد . يقول : ما أكرمها صاحبة لو انما تصدق وعدها ، او لو انما تقبل النصح فيمن يجوها . (٢) سيط : خلط . من : بمعنى الباء او في . الفجع : الاصابة بالمكروه . الوكع : الكذب . الاخلاف : عدم الوفاء . تبديل : أي تغيير خليل بخليل . يقول : لكن هذه الخليلة خلط بدمها صفات الاساءة ، والكذب ، وعدم الوفاء ، وتغيير الاصحاب . (٣) تلون : أي تتلون ، تلبس لوناً بعد لون . العول : حيوان وهمي كان يتصوره العرب بألوان متغيرة . يقول : هذه الخيلية لا تدوم على حالة من عهودها بل تتغير دائماً كما تتغير الفصول في ألوان اثوابها . (٤) تُنْسِكُ وتُنْسِكُ : واحد . العهد : الذمة . زعمت : أي زعمت الوفاء به . (٥) لا يفرنك : لا يخذعك . منت : ما حملتك على تقيمه . (٦) عُرُقُوب : رجل اشتهر عند العرب باخلاف الوعد فضرب به المثل . يقال للمواعيد الكاذبة : المواعيد العُرُقُوبِيَّةُ . (٧) التَّنْوِيلُ : العطاء . يقول : اني مع انصافها بالخفاء واخلاف الوعد وعدم الوفاء بالعهد لا اقطع الرجاء من مودتها . ثم التفت من الغيبة الى الخطاب فقال لها : ولا احسب ان لي منك عطاء ارجوه .

دمها . . . » اراد ان يصفها بالكذب والاخلاف والفجع والتبديل فصور الك هذه الصفات ممزوجة بدمها . ثم انظر الى قوله : « إِلَّا كَمَا تُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ . . . » فهو لم يجد لديه غير التصوير الحسي لتمثيل نكثها العمود .

وان في تفجع كعب فراق حبيته ، وفي شكواه جورها وهجرها ، للوعة تذكرينا لوعة ابيه عند فراق احبابه . واي لوعة ابلغ من قوله :

أَرْجُو وَأَمْلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتْهَا ، وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ

فاليأس والرجاء يعتلجان ^(١) في فؤاده ، وانه لاعتلاج أليم .

ولست اللوعة وحدها تذكرينا بابيه ، بل الحكمة ايضاً وضرب المثل في قوله : « وَلَا تَمْسِكُ بِالْعَهْدِ . . . ، إِنَّ الْإِمَانِيَّ وَالْإِحْلَامَ تَضْلِيلُ . . . ، كانت مواعيد عُروقه . . . »

ثم ينتقل الى وصف الناقة فيدع ابداعاً قد يجاري فيه طرفه ، ويتلاعب بالمعاني تلائماً لم يسبقه اليه احد . وفي هذا القسم تكثر الصور المادية ، وتكثر الالفاظ الغريبة ايضاً . قال :

أَمَسْتُ سَعَادُ بِأَرْضٍ ، لَا يُبْلَغُهَا ، إِلَّا أَلْعَاقُ النَّجِيَّاتِ ، أَلْمَرَّاسِيلِ ^(٢)

وَكَنْ يُبْلَغُهَا إِلَّا عُذَافِرَةٌ ، فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلٌ ^(٣)

مِنْ كُلِّ نَضَاحَةٍ الذِّفْرَى ، إِذَا عَرَّقَتْ ؛ عُرْضَتَهَا طِمَسُ الْأَعْلَامِ ، مَجْهُولٌ ^(٤)

(١) يعتلجان : يتضاربان . (٢) لا يبلغها : أي لا يبلغ سعاد اليها . العتاق : النوق الكرام الاصول . النجيات : جمع نجبية وهي الغوية المغيفة الكريمة . المراسيل : جمع مرسال وهي الناقة السريعة رفع اليدين في السير . (٣) العذافرة : الناقة الصلبة العظيمة ، وهي تأكيد للبيت الاول . فيها : أي في تلك الناقة . الأين : الاعياء والتعب . الارقال : ضرب من السير سريع . التبغيل : ضرب من السير سريع ايضاً وهو فوق الحب ودون الارقال . ولو ترقى لقال : تبغيل وارقال : ولكن ضرورة النظم احوجته الى ذلك . (٤) من كل نضاعة : اي من كل ناقة نضاعة . والنضاعة الكثيرة السيلان . الذفري : النقرة التي خلف اذن الناقة وهي اول ما يعرق منها . عرضتها : همها وشغلها . الطامس : المندرس ، من طمس الطريق . الاعلام : جمع علم وهو العلامة . يقول : من كل ناقة يعرق ما وراء اذنها لشدة السير ، وهمة هذه الناقة ان تسلك طريقاً مندرس العلامات مجهول المسالك .

تَرْمِي الْغُيُوبَ بَعَيْنِي مُفْرَدٌ لَهْقٍ؟ إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحِزَانُ وَالْمِيلُ^(١)

ثم يمين في وصف تلك الناقة وهو انما اراد بها ناقته، وان جعل الكلام شاملاً لكل نجبية، مرسال، عذافرة. فيصف ضخامة عنقها وطولها، وعظم وجنتيها، ونعومة جلدها. الى ان يقول واصفاً اغلاسها:

يَمِشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يُزْفِقُهُ مِنْهَا لَبَانٌ، وَأَقْرَابٌ زَهَائِلُ^(٢)

ثم يشبه وجهها في صلابته بمول من حديد او حجر مستطيل، وذنبها بجريد النحل، وقوائمها بالرماح الصلبة. وهي في سرعتها لا تمس الارض الا تحملاً^(٣) ولا تحتاج الى تنميل يقيها الحجارة لصلابة اخفافها^(٤).

ويصف حركة ذراعيها وسرعة تقلبها، فيرينا صورة مادية رائعة لم يسبق اليها. فانظر كيف يشبه هذه السرعة، وكيف يستطرد معها الى وصف شدة الحر:

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرَقَتْ، وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^(٥)

(١) الغيوب: جمع غيب. مفرد: اي ثور وحشي مفرد. لهق: أبيض. الحزان: الامكنة الغليظة الصلبة، مفردها الحزير. الميل جمع ميلاء وهي العقدة الضخمة من الرمل، اي ما تماقد وتراكم منه. يقول: هذه الناقة ترمي الغيوب بعينين كأنها عينا ثور وحشي مفرد. والثور الوحشي لا ينفرد عن حليلاته الا اذا طارده الغناص، فيكون في ذلك الحين شديد الخذر فيرمي الفيوم بعينيه اي انه تراءى له في الغيب اشباح فيجبن جنونه ويشدد عدوه. وهذه الناقة كأن لها عينييه وتنتظر مثله الى الغيوب. وقوله: اذا توقدت الحزان والميل: اي اذا اشتدت الحرارة وتوقد الحجر في تلك الامكنة الغليظة الصلبة وفي تلك العقد الرملية. فيكون فضل الناقة أكبر اذا امرعت في الحر الشديد وفي الطريق الوعر المسالك. وقوله: ثور ابيض: دلالة على ان عيني ناقته سوداوان لان بياض الثور الوحشي دليل على سواد عينيه. (٢) القراد: جمع قرادة وهي حيصوان صغير يلزق بالدابة. اللبان: الصدر. الاقرب: جمع قُرب وهو الحاصرة. زهاليل: جمع زُهلول وهو الاملس. اي يزاق القراد عنها اغلاس صدرها وخواصرها. (٣) مست الارض تحملاً: اي مساً يسيراً. كما يملف الانسان ليفعلن هذا الشيء. فيفعل منه اليسير ليتحلل به من التمس. (٤) الاخفاف: جمع خف وهو للناقة بمنزلة الحافر لغيرها. (٥) الأوب: سرعة التقلب. تلفع: التحف. القور: جمع قارة وهي الجبل الصغير. العساقيل: السراب مفردها عسقول. وقوله: بالقور العساقيل: من القلب: أي تلفع القور بالعساقيل. وقوله: اذا عرقت: تأكيد لغوتها وصلابتها لانها اذا كانت في غاية الاسراع في الحر الشديد، فما بالك بها في غيره. يقول: كأن

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُضْطَجِدًا ، كَأَنَّ ضَاحِيَةَ بِالسُّمْسِ مَنَاقِلُ (١)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ هَادِيَهُمْ ، وَقَدْ جَعَلْتُ وَرَقَ الْجُنَادِيبِ يَرُكُضْنَ الْخَصِي : قِيلُوا (٢)
 شَدَّ النَّهَارَ ، ذِرَاعًا عَيْطَلُ نَصْفِ ، قَامَتْ ، فَجَاوَبَهَا نُكْدًا مَثَا كَيْل (٣)
 نَوَاحِيَةً ، رِخْوَةَ الضَّبْعَيْنِ ، لَيْسَ لَهَا ، لَمَّا نَعَى بِكُرْهَا النَّاعُونَ ، مَعْقُول (٤)
 تُفْرِي اللَّبَانَ بِكَيْفِيهَا ، وَمَدْرَعَهَا مُشْتَقٌّ عَنْ تَرَاقِيهَا ، رَعَايِل (٥)

سرعة تغلب ذراعها اذا عرقت ، وقد تافعت الجبال بالمراب لاشتداد الحر . وسيأتي خبر
 كأن بعد استطراده الى وصف الحر .

(١) الحرباء : حيوان معروف يتلون بجزء الشمس ويضرب به المثل بالبرد . فيقال :
 ابرد من عين الحرباء اي ابرد ، لانه يدور مع الشمس ويستقبلها بعينه ليستدفى . مؤنثه :
 حرباءة . مضطجداً : محترقاً بجزء الشمس . الضاحي : البارز للشمس . الماويل : الحسب
 الممول في الملة وهي الرماذ الحار والجمر . يستطرد الى وصف الحر ليبالغ بقوة ناقته
 وسرعته على اشتداد الحرارة ، فيقول : في ذلك اليوم يحترق الحرباء من حرارة الشمس .
 واذا احترق الحرباء على شدة برده وحبه للشمس ، فالحرارة اذا لا تطلق . ثم يقول : كأن
 الشخص او الحرباء البارز للشمس في ذلك اليوم لا يحترق ، خبز معمول في الملة . والضمير
 في ضاحيه عائد على اليوم . (٢) الهادي : حادي الابل . الورق : جمع أوراق وورقاه
 وهو الاخضر الذي يضرب الى السواد . الجنادب : ضرب من الجراد مفردا جندب .
 يركضن : يضربن بارجلهن . قيلوا : أمر من قال يقيل قيلولته : وهي الاستراحة وقت
 شدة الحر . يقول : هذا اليوم من شدة حره كان الهادي الذي ينشط الابل على السير يقول
 للركب : قيلوا . وقد جعلت الجنادب الحضر تضرب الحصى بأرجلها لا تستطيع الطيران
 لاعتنائها من شدة الحر . (٣) شدَّ النهار : منصوبة على الظرفية أي كان ذلك وقت ارتفاع
 النهار . ذراعاً عيطل نصف : خبر كأن في قوله : كأن أوب ذراعها . العيطل : المرأة
 الطويلة . النصف : التي بين الشابة والكهولة . قامت : طفتت تنوح وتلطم وجهها . نكد :
 جمع نكداء وهي المرأة لا يعيش لها ولد . مثاكيل : جمع مثكال وهي الكثيرة الشكل .
 يقول : كأن أوب ذراعي هذه الناقة ، في مثل هذه الحالات ، أوب ذراعي امرأة طويلة
 متوسطة في السن طفتت تنوح وتلطم وجهها فتجاووسا نساء مثاكيل لا يعيش لهن اولاد . شبه
 تغلب ذراعي ناقته في السير وسرعته بتغلب ذراعي الثكلى وسرعتهما في اللطم . وقد جعلها
 امرأة تصفاً لانها تكون في حين استكمال قوتها وبلوغ اشدها ، فتأتي حركتها اسرع وامكن
 في القوة . (٤) الضبعين : العضدين وهو غليظ الذراع بين المرفق والكتف . ومتى كانت
 مسترخية العضدين فتكون اسرع حركة من غيرها . (٥) تفري : تقطع . اللبان : الصدر .
 وأل فيه نائبة عن الضمير والاصل لبانها . المدرع : النميمص . التراقي : جمع تردوة :

وبعد ان ينتهي من هذه الصورة القصصية البارزة الجمال ، ينتقل الى مدح النبي والاعتذار اليه ، ومدح المهاجرين من قريش . وفي هذا القسم ترق الفأظمه ؛ ويقل غريبه الافني وصف الاسد ، ولا بدع فانه مقام استعطف ولين . والشاعر الجاهلي يجعل لكل مقام مقالا ، فاذا تغزل او استعطف او رثى رقت عاطفته ورتت ألفاظه ، واذا افتخر او مدح اشددت عاطفته ؛ فتجدل الفأظمه ، ويشتداسرها . واذا وصف ناقته والقفار الموحشة والسباع الضارية ، خشت عاطفته ، وخشت ألفاظه معها . وفي هذا القسم تنتهي « مشوبة » كعب . قال :

تَسْعَى الْوَشَاةُ جَنَائِبَهَا ، وَقَوْلُهُمْ : «إِنَّكَ يَا بَنَ أَيْ سُلْمَى لَمَقْتُولٌ»^(١)
 وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ ، كُنْتُ أَمْلُهُ : «لَا أَلْهَيْتُكَ إِيَّيَ عَنكَ مَشغُولٌ»^(٢)
 فَقُلْتُ خَلُّوا سَيْلِي ، لَا أَبَا لَكُمْ ! فَكُلُّ مَا قَدَرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ^(٣)
 كُلُّ ابْنِ أَنْشَى ، وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ ، يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءٌ مَحْغُولٌ^(٤)
 نُبْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي ، وَالْأَعْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، مَا مَأْمُولٌ^(٥)
 مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً آآ قُرْآنٍ ، فِيهِ مَوَاعِظٌ ، وَتَفْصِيلٌ^(٦)

وهي مقدمة الحلق في اعلى الصدر حيث يترقى النفس . رعابيل : جمع رعبول وهو القطعة من الشيء . يقول : هذه المرأة تقطع صدرها بأناملها لذهاب عقلها من الحزن ، وقبصها مشقوق عن عظام صدرها ، وقد تمزق فهو قطع كثيرة . وحاصل المعنى : لما كانت هذه المرأة مسلوبة العقل صارت لا تحس ما تلاقى من الام في بدنها وما تقطعه من ثيابها . والمراد من تشبيه الناقه بها في الحالة المذكورة ان نناقه صارت مسلوبه الادراك ففلا تحس ما تلاقى من مشاق السير ، فهي في جنونها وسرعة حر كبتها اشبه شيء بهذه المرأة الشكلي .

(١) الوشاة : أي الذبن وشوا به الى الرسول . جنائيبها : ناحيتها والضمير يعود على الناقه . وقد اعاده ابن هشام على سعاد ، وهذا خطأ منه لان كلام الشاعر على ناقته والوشاة يسمون جنائيبها ، لا جنائيب سعاد ، ويقولون له : انك مقتول . وقولهم : اي في حال قولهم لي . مقتول : اي صائر الى القتل مجاز مرسل . فهم يزيدونه نكايه بعد وشايتهم به . (٢) كنت أمْلُهُ : أي ارجو اعاقته . لا ألهيتك : لا أشغلك عما انت فيه من الفزع والخوف ، فانا مشغول عنك بامور نفسي : (٣) لا ابا لكم : اي لا ابا حراً لكم . (٤) آله حدباء : كناية عن النعش . (٥) أوعدني : هددني . (٦) هداك : ارشذك ، دعاء له . وهداك وما بعدها الى آخر البيت جملة اعتراضية بين قوله : مهلاً ، والبيت التالي . النافله : العظيمة الزائدة على

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ ، وَلَمْ
لَقَدْ أَقَوْمٌ مَقَامًا ، لَوْ يَقُومُ بِهِ ،
لَطَلَّ يُرْعَدُ ، إِلَّا أَنْ يَسْكُونَ لَهُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي ، لَا ، أَنْزَعُهُ ،
لَذَلِكَ أَهَيْبُ عِنْدِي ، إِذْ أَكَلِمُهُ ،
مِنْ خَادِرٍ ، مِنْ أَيُّوثِ الْأَسَدِ ، مَسْكِنُهُ ،
يَعْدُو ، فَيَلْحَمُ ضِرْغَامِينَ ، عَيْشَهُمَا
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنَا ، لَا يَحِلُّ لَهُ

أَذِنِبُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ^(١)
أَرَى ، وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفَيْلُ^(٢) ،
مِنْ الرَّسُولِ ، بِإِذْنِ اللَّهِ ، تَنْوِيلِ^(٣)
فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ ، قَيْلُهُ الْفَيْلُ^(٤)
وَقِيلَ : «إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ»^(٥)
مِنْ بَطْنِ عَشْرٍ ، غَيْلٌ ، دُونَهُ غَيْلٌ^(٦)
لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ ، مَعْفُورٌ ، خِرَادِيلِ^(٧)
أَنْ يَتْرَكَ الْقِرْنَ ، إِلَّا وَهُوَ مَجْدُولٌ^(٨)

ما يجب من العطاء . تفصيل : من فصل الكلام اذا بينه خلاف اجمله : يقول منتقلاً من
النبيّة الى الخطاب : هداك من خصك بالعطية الزائدة وهي القرآن الذي فيه المواعظ والآيات
المفصلة .

(١) لا تأخذني : لا تهمني وتستذني بسبب اقوال الوشاة . (٢) يقوم به : فاعله
الفيل المحذوف دل عليه ما بعده . يقول : لقد حضرت مجلساً هائلاً لو حضره الفيل ، ورأيت
امراً عظيماً ، وسمعت كلاماً عجبياً ، لو رآه وسمعه الفيل لظل . . . في البيت التالي . (٣) برعد :
تأخذه الرعدة من الفزع . وانما خص الفيل بذلك لانه اراد التعظيم والتهويل ، والفيل اعظم
الحيوانات جثةً وأضخمها . التنويل : العطاء واراد به التامين . اي الا ان يكون له تامين
من الرسول . (٤) حتى وضعت يميني : يشير الى وضع كفه بكف النبي لبياعه على الاسلام .
وقوله : لا انازعه : اي لا اخالفه . ذي نقمات : ذي سطوة ويريد به النبي . قيله الفيل :
اي قوله هو القول النافذ . يقول : بقيت خائفاً في هذا المجلس حتى وضعت يدي ماموناً في كف
ذي سطوة قوله هو القول النافذ فاسلمت طائعاً له لا اخالفه في شيء . (٥) لَذَلِكَ : أي محمد .
أهيب : أرهب . منسوب : اي منسوب لك امور انت مسؤول عنها . (٦) الخادر : الاسد
في خدره أي أجمته . ومن : متعلق باهيب أي اهيب من خادر . ايوث الاسد : أي اجلد
الاسود . عثر : مكان تكثر فيه السباع . الفيل : أجمه الاسد . يقول : ان النبي أهيب
عنده من اسد خادر جلد مسكنه اجمه وراء اجمه من بطن عثر : يريد ان الاسد متى كان كذلك
يكون اشد توحشاً وضراوة . (٧) يلحّم : يُطعم لحماً . ضرغامين : اسدين ويريد بها
ولديه . معفور : ملقى على التراب . خراديل : جمع خردلة وهي القطعة الصغيرة . يتابع
وصف ضراوة الاسد فيقول : يذهب في اول النهار يتطلب صيداً لولديه فيطعمها لحماً ، وقوت
هذين الشبلين لحوم الناس تلقى امامها على التراب ، وهذا اللحم قطع صغيرة ليسهل عليها تناوله .
(٨) يساور : يواكب . القرن : الحصم المقارن في الشجاعة وغيرها . اشارة الى ان هذا

مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوْرِ ضَامِرَةٌ ، وَلَا تَمَسُّ بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ ^(١) ،
 وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ ، مُطْرَحُ الْبَزْرِ وَالْدَّرْسَانُ ، مَا كَوَّلُ ^(٢) ،
 إِنْ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ، مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، مَسْأُولُ ^(٣) ،
 فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، قَالَ قَاتِلُهُمْ ، بِيَطْنِ مَكَّةَ ، لَمَّا أَسْلَمُوا : «زُولُوا» ^(٤) ،
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ ، عِنْدَ الْفَقَاءِ ، وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ ^(٥) ،
 شَمُّ الْعَرَايِينِ ، أَبْطَالٌ ، لِبُوسِهِمْ ، مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا ، سَرَائِيلُ ^(٦) ،
 بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقٌ ، كَأَنَّهُ حَلَقُ الْقَفْعَاءِ ، مَجْدُولُ ^(٧) ،

الاسد لا يوايب الضعيف والجبان . مجدول : ملقى على الجذالة وهي الارض . يقول : هذا الاسد لشدة لا يتاني له الا ان يبدل قرنه عندما يوايبه .

(١) الجَوْرُ : ما اتسع من الاودية . ضامرة : ساكنة هادئة . غشى : أي تمشى .
 الاراجيل : جمع اراجل ، جمع أرجلة ، جمع رجيل وهو الرجل ضد الفارس . والاراجيل
 الصيادون . يقول : تخاف من هبة هذا الاسد سباع الوادي فهدا وتسكن ، ويخاف منه
 الرجال او الصيادون فامايشون بواديه . (٢) اخو ثقة : أي شجاع موثوق بشجاعته . المطرح :
 المطروح . البزْرُ : هنا السلاح . الدرسان : الثياب الخلقفة التي درست مفردها درس .
 ماكول : صفة اخرى لقوله : اخو ثقة . يقول : لا يزال مجندلاً في واديه شجاع
 مطروح السلاح والثياب البالية ، ماكول لحمه . (٣) يستضاء به : أي يمتدى به أي سيف
 هداية لا سيف ضلال . مهند : منسوب الى الهند وهو احسن السيوف . مسؤل : أي مسؤل
 على الكفار (٤) في فتية : جمع فتى وهو السخي الكريم وان كان شيخاً . والجار متعلق
 بمسؤل . بطن مكة : وادجها وبطحاؤها . أسلموا : دانوا بالاسلام . زولوا : هاجروا .
 وانما خص قريش بالذكر لان غالب المهاجرين كانوا منها . (٥) انكاس : جمع نكس وهو
 الرجل الضعيف . كُشْفٌ : جمع اكشف وهو الذي لا ترس معه في الحرب . ميل جمع
 أمييل : وهو الذي لا يثبت في الحرب او على ظهر جواده . معاذيل : جمع معزال وهو الذي
 لا سلاح معه . يقول : هاجروا ولكن لم يهاجر منهم ضماض بل شجعان لا كُشْفٌ ولا ميل ولا
 معاذيل . (٦) شَمُّ : جمع أشم وهو العالي المرتفع . العرايين : جمع عرينين وهو الانف . وشم
 العرايين : كناية عن الانفة والاباء . الهيجا : الحرب . سرايل : جمع سربال وهو الدرع . أي
 لبوسهم في الحرب دروع من نسج داود وهي سابغات الدروع ، وينسبونها الى النبي داود .
 (٧) بيض : صفة اولى لسرايل والمراد منها المجلوة المصقولة لاستمرار حرورهم فلا يركبها
 الصداء . السوابغ : جمع سابعة وهي صفة ثانية لسرايل والمراد منها الطوال . واذا كانت

لَا يَفْرُحُونَ ، إِذَا نَأَتْ رِمَاحُهُمْ ، قَوْمًا ، وَآيَسُوا مَجَازِيئًا ، إِذَا نِيلُوا ^(١)
يَنْشُرُونَ مَشِيَّ الْجَمَالِ الزُّهْرَ ، يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ ، إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ ^(٢)
لَا يَقَعُ الطَّغْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ ، وَمَا لَهُمْ عَنِ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ ^(٣)

فقد رأيت كيف ان كعباً مدح الرسول بأسلوب جاهلي صرف ، دون ان يشير الى فرض من فروض الدين الاسلامي ، او الى آية من القرآن ؛ ذلك بانه كان يجهل حقيقة الاسلام يوم نظم قصيدته ، وهو لم يُسلم الا رهبةً و فرقاءً . فاذا قابلنا مدحه بالقصيدة التي نسبت الى الاعشى في مدح الرسول ، تبين لنا الفرق بينها ، وعرفنا الصحيح من المنحول . ولولم تكن هذه القصيدة قيلت في النبي واشتهر كعب بها ، لما جاز لنا ان نعدده من الشعراء المخضرمين لان النفس الجاهلي فيه اقوى من النفس الاسلامي .

وبعد ، فان في هذه الايات ما في غيرها من تأثير المذهب الزهيري ، فالصور

الدرع سوابغ ثقل حملها الا على الاقوياء فسدل بذلك على قوتهم . شكت لما حلق : أي دخل بعضها في بعض . (القعاء) : شجر ينسط على وجه الارض له حلق يشبه به حلق الدرع . وحاصل معنى البيت ان دروعهم صافية مجلوة مصقولة طويلة تامة تداخل بعضها في بعض بحكمة الصنعة . (١) نالت : اي اصابت . مجازيع : جمع مجزاع وهو كثير الجزع والخوف . نيلوا : أصبوا . يقول : انهم اذا غلبوا عدوهم لا يفرحون بذلك لكونه من عادتهم ان يغلبوه ، واذا غلبهم العدو لا يجزعون من لغائه ثانياً لثقتهم بالتقلب عليه روى ابن سلام وابن قتيبة انه : « لما بلغ كعب قوله : ذالوا فيما زال انكاس التفت الرسول الى من عنده من قریش كأنه يومئذ اليهم ان يسموا ما يقول فيهم ابن زمير » . (٢) الزُّهْرُ : جمع ازهر وهو الابيض . يعصمهم : يمتنعهم ويحميهم . ضرب : اي ضربهم الاعداء بالسيوف . عَرَدَ : هرب . السود : اي الجمال السود . التنايل : جمع تنبال وهو القصير . يقول : ينشرون الى الحرب مشي الجمال البيض : وهي احسن الجمال جسماً وقوة - يحميهم ضربهم الاعداء ، اذا ما هرب غيرهم من الحرب كما تحرب من الاحمال الجمال السود القصار - وهي اُردأ الجمال - وفي هذا البيت يعرض بالانصار قديماً غير ظاهر ولكن دل عليه سكونه عن مدحهم . وما كان من غلظتهم عليه عند قدومه . (٣) حياض : جمع حوض وهو مجمع الماء . وحياض الموت : ووارده واشد مواقف الحرب خطراً . وهو تشبيه اضافي مؤكداً أي موت كحياض الماء ترده الناس . تهليل : تأخر . يقول : لا يقع طعن الاعداء في ظهورهم بسل في نحورهم لانهم لا يتهزمون ولبس لهم تأخر عن موارد الحمام .

المادية قوية ، ولا سيما تشبيه النبي بالاسد ، ثم وصف هذا الاسد وصفاً قصصياً عرفناه
 بزهير . وتظهر لنا حكمة زهير في قوله : « كل ابن أُنثى وان طالت سلامته ... »
 ويظهر لنا ايمان زهير على جاهليته في قوله : « فكلُّ ما قسَدَ الرحمنُ مفعولٌ ... » .

وما اجمل التصوير على بداوة المعنى في وصفه هيبية الرسول ، وما يستولي من
 الفرع على المائل في حضرته . وكان الشاعر اراد الاعتذار عن خوفه فلم يجد غير
 الفيل الضخم مثالاً للجرأة فقال ، لو وقف الفيل موقفي ، ورأى ما رأيت ، وسمع
 ما سمعت ، لظلَّ يُرعد ، فلا لوم عليّ اذا هبت الرسول فهو أهيب عندي من اسد
 في بطن عثر ، كثير الصيد ، شديد الضراوة .

أو ليس في هذا الاعتذار ، وفي ذلك التمثيل سذاجة جاهلية خشنة ، ولكنها
 لطيفة مستحبة ؟ ...

مترنه

عدّه ابن سلاّم في الطبقة الثانية قبل الحطيثة . ولو جاز لنا ان نبني حكماً
 صحيحاً على شعره ؛ وليس لدينا منه ما يعتد به غير مشوبته ، لقلنا : ان له من
 البراعة والتصرف في المعاني ما يضعه في مصاف افحل الشعراء الجاهليين . وحسبنا ان
 ننظر الى تفننه في وصف الماء بعد ان مزج به الحمرة التي علّ بها ثغر سعاد ، ثم الى
 تفننه في وصف حركات المرأة الثكلى بعد ان شبه ذراعي ناقته بذراعيها في السرعة
 والتقلب ثم الى الخاحه في وصف ضراوة الاسد بعد ان فضّل الرسول عليه في الهيبة .
 حسبنا ان ننظر الى كل ذلك لنبتين منزلة الشاعر السامية ، وبراعته في سوق المعاني
 والتلاعب بها والعوض على دررها البعيدة القوار .

وقصارى القول ان كعباً شاعر بارع الفن ، ورسام بديع التصوير ، ومخترع
 واسع الخيلة واحد اساتذة المذهب الزهيري .

حسان بن ثابت الانصاري

٦٧٠ م و ٥٥٠ هـ (?)

- حياته : بني الاصل، يثري النشأة . لقي حظوة عند الفساسة فمدحهم . اسلم في جملة من اسلم من الانصار . حسان الجبان . حديث صفية بنت عبد المطلب . فخره بسيفه أمام الرسول . حسان الشاعر . هجوه المشركين . استرشاده بابي بكر . موته في خلافة معاوية .
- آثاره : ديوان فيه شعر كثير في اغراض مختلفة . من اصحاب المذاهب . نسبت اليه اشعار ليست له .
- ميزته : شاعر الرسول . في فضاله عن النبي يصور حسالة عصره . سبب وصول شعر حسان الينا . فن الشعر السياسي الصحيح . جهاد بين انصار الدين القديم وانصار الدين الجديد . الاقذاع والفتح . موقفه الحرج في الهجوم وطريقته المؤلمة . صدق هجائه وأمله بالشواب . الفاظ جديدة احدثها الاسلام . مدحه : يعني بوصف شمائل الرسول ، وتصديق الرسالة ، ويعرض بن يكذجا . مدح جديد فطري صقله الدين . شعره التاريخي : نيزة من تاريخ الصدر الاول للاسلام . يذكر غزوات النبي ومن قتل . شعره في الجاهلية . بين الجاهلية والاسلام . لا يتسع له الخيال . اشهر قصائده قصيرة . شعره الجاهلي أوسع خيالاً . يخلو شعره من التشابيه التمثيلية . لا يتم الوصف . كثير القطع في مطالعته سريعه . سبب ذلك . رأي الاصمعي . اللين والاسفاف . سببها . منزلته : شاعر مؤرخ ، مجدد ، طليعة الشعراء السياسيين .

حياته

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام من بني النججار من قبيلة الخزرج ، ينتهي نسبه الى قحطان . فهو يعني الاصل يثري النشأة . وكان يكنى ابا الوليد ، وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام . وقد لقي حظوة في الجاهلية عند ملوك حسان فمدحهم

واستفدهم ، فأفاضوا عليه النعم ، فحفظ لهم الجميل ، وبقي يذكرهم بالخير الى آخر عمره .

ولما ظهر الاسلام ، وهاجر النبي الى يثرب ، اسلمت الأوس والخزرج ، واسلم حسّان معهم فكان في جملة الانصار .

حسان الجاه

ولكنه كان جباناً شديد الجبن ، فلم يجرد سيفاً لنصرة الرسول ، ولا شهد واقعة من وقائع المسلمين واهل الشرك . بل كان يتخلف في المنازل مع النساء والاولاد . حدثت صفيّة بنت عبد المطلب قالت : « كنت يوم الخندق ^(١) في فارع ^(٢) حصن حسّان بن ثابت ؛ وكان حسّان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فربنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن . وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ، وليس بيننا وبينهم احد يدفع عنا ، ورسول الله والمسلمون في نخور عدوهم ، لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا آت . فقلت : « يا حسّان ، ان هذا اليهودي ، كما ترى ، يطوف بالحصن ، واني والله ما آمنه ان يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله واصحابه ، فانزل اليه فاقتله . » فقال حسّان : « يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، لقد عرفت ما انا بصاحب هذا . » فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً ، اعتجرت ^(٣) ثم اخذت عموداً وتزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتله . فلما فرغت منه رجعت الى الحصن

(١) يوم الخندق ويقال له غزوة الاحزاب : هو يوم بين النبي والاحزاب في السنة الخامسة للهجرة . وسببه ان يهود المدينة بني قريظة والنضير حزبوا الاحزاب على الرسول وقدموا مكة ودعوا قريشاً الى مجاربتهم ، وقالوا : نحن معكم حتى نستأصله . فاجابوهم الى ذلك . ثم اتوا غطفان ودعوهم فاجابوا ايضاً . وسمع الرسول بالخبير فاسمر بجعر الخندق في المدينة ، ثم التى الحيشان فاشتد الامر على المسلمين ، فبعث الرسول الى قائدي غطفان ان يرجعا على ان يعطيها ثلث ثمار المدينة . ثم اختلفت قريش واليهود ، وهبت عليهم ريح شديدة في ليل ثانية ، فرجموا ورجعت غطفان لرجوع قريش وانتهى القتال . (٢) فارع : مرتفع . (٣) اعتجرت المرأة : لبست المعجر وهو ثوب تشده على رأسها .

فقلت : « يا حسان انزل اليه فاسلبه ، فانه لم يعني من سلبه الا انه رجل . » قال :
« ما لي الى سلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب . »

وانشد حسان النبي يوماً قوله :

لَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ أَقْوَمٍ مُنْتَطِقًا بِبَصَارِمٍ مِثْلِ لَوْنِ الْمِلْحِ قَطَاعٍ (١)

تَحْفِزُ عَنِّي نَجَادَ السَّيْفِ سَابِغَةً ، فَضْفَاضَةً مِثْلِ لَوْنِ النَّهْيِ بِالْقَاعِ (٢)

فضحك النبي لوصف حسان نفسه بما تصف به الفرسان نفسها وهو يعلم جبينه .

مساهم الشاعر

ولئن فات حسان ان يدافع عن نيته بجسامه ، لقد اتيح له ان يناصره بلسانه ،
وهو سلاحه الوحيد الذي كان يستطيع ان يشهره على الاعداء . فاصبح شاعر
الرسول يدحه ويرد على من يهجوهم من شعراء قريش . وكان النبي يقول له : « اهجهم
وروح القدس معك ، واستعن بابي بكر فانه علامة قريش لانساب العرب . » فكان
ابو بكر يدله على معايب القوم ومثالبهم . ويقول له : « كف عن فلانة واذكر
فلانة ، وكف عن فلان واذكر فلاناً . » فكان يفعل ومحمد يعطيه ويحسن له
الجائزة ، وقد وهبه سيرين القبطية اخت مارية ام ولده ابراهيم ، فولدت له عبد
الرحمن الشاعر . وما زال حسان يعيش من مال المسلمين حتى مات بعد ان كف بصره
في اواخر ايامه . وكانت وفاته بالمدينة في خلافة معاوية ، وهو من المعتزين .

(١) منتطقاً : شاداً وسطه . بصارم : سيف قاطع . مثل لون الملح : اي ابيض . قطاع :
مبالغة في القطع . (٢) تحفيز : تدفع . نجاد السيف : حمائله . سابغة : درع طويلة تامة .
فضفاضة : واسعة . النهي : الغدير . القاع : سهل مطمئن انفرجت عنه الجبال . وقوله :
تحفيز عني نجاد السيف : اي انه يعقد نجاد سيفه على درع سابغة في فاصل بينها فكأنها تدفع
السيف عنه . وقوله : مثل لون النهي بالقاع : اي انها مجلوة بيضاء كلون الغدير . وقوله :
بالقاع : اي ان المياه صافية لجرها في مطمئن من الارض ، شبه جما صفاء الدرع وبياضها .

ديوان فيه قصائد كثيرة في المدح والهجاء والثناء والغزل والفخر . وهو من اصحاب المذاهب ^(١) ومطلع مذهبته :

لَعَدُّ أَيْبِكَ الْخَيْرِ ، يَا شَعْتُ مَا نَبَأَ عَلِيَّ لِسَانِي ، فِي الْخُطُوبِ وَلَا يَدِي ^(٢)

ونسبت اليه اشعار ليست له . قال ابن سلام : « وقد حُمِلَ على حسان ما لم يُحْمَلِ على احد ، لما تعاضت ^(٣) قریش وضعوا عليه اشعاراً كثيرة لا تليق به . »

صبرته — ساعر الرسول

لحسان شعر جميل في الجاهلية لا يُبْخَسُ حقه ، وقد يكون اجود من شعره في الاسلام كما يزعم الاصمعي . ولكن شهرة حسان قامت على انه ساعر الرسول ، فينبغي لنا ان ننصرف الى درس هذه الميزة التي اُخْص بها دون غيره لنتبين سرها وزور حصاتها . فان لشعر حسان منزلة ليست لسواه من شعراء الصدر الاول . فهو في نضاله عن النبي يصور حالة ذلك العصر اصدق تصوير ، ويمثل حقيقة تهاجي الانصار والقرشيين وما في هذا الهجو من فحش واقذاع . فنحن مدينون لشعر حسان في درس هذا النوع الجديد الذي دخل على ادابنا العربية ، ولو لم يصل اليها شعره لما تسنى لنا ان نقف على حقيقة هذا النوع ، ونتبين خصائصه بشكل واضح مبين .

ولسنا نعجب لوصل شعر حسان على ما فيه من هجاء مقذع ، فان الرواة لم يتحرجوا من حفظه وروايته ، وكله ذود عن بيضة الدين ، ولكنهم تحرجوا وانفوا

(١) المذاهب : اي المكتوبة بماء الذهب او التي نستحق ان نكتب بماء الذهب .
 (٢) الخير : نعمت لايبك . شعث : يريد بها شعثا ، صاحبه . ويجوز ان تقول : يا شعث بالفتح على تقدير الترخيم . نبا : امتنع ، والتوى . الخطوب : الامور . يقول : مقسماً : لعمر ابيك الكريم يا شعثا ، ان لساني لم ينب في الخطوب ولا نبت يدي . و اراد بيده سيفه الذي تحمله يده . (٣) تعاضت : جاءت بازور والبهتان . يريد يوم كانت تجاهد النبي وضعت على حسان شعراً سخيفاً ساقطاً لا يليق به .

من ذكر شعر هُجبي به الرسول . ولعلنا نستطيع ان ندرك مبلغ اهمال اشعار القرشيين والتأثم من روايتها ، في حديث لعبد الله بن الزُبَيْرى بعد اسلامه . وذلك لما قدم المدينة في صحبة ضرار بن الخطاب لملاحاة حسان ، فقال ابن الزُبَيْرى : « يا ابا الوليد ان شعرك يُحتمل في الاسلام ولا يُحتمل شعرنا ، وقد احببنا ان نُسمعك وتُسمعنا . » فاذا كان ابن الزُبَيْرى يستنكر رواية شعره بعد ان اسلم ، فالرواة اولى بان يطمسوه ولا يحفظوه .

فنحن اذاً في درسنا شعر حسان نطالع صفحة تاريخية جلييلة ، ونطلع على فن جديد الا وهو فن الشعر السياسي الصحيح ، ونقول : الصحيح ، لان العرب في جاهليتهم عرفوا شيئاً منه في منافراتهم ومفاخراتهم ، ولكنه كان ضئيلاً ضعيف الاثر ، لا يستند في كثرتة الى عقيدة صحيحة ، وربما قصد منه التكبس كما كان يفعل الاعشى والحطيئة .

ومن المعلوم ان المنافرات في الجاهلية كانت تجري بين شخصين او بين قبيلتين ، كما وقع لتغلب وبكر في حضرة عمرو بن هند ، ولكن تأثيرها الموضوعي لم يكن له من القوة ما يحصل لها هيكلًا قائمًا بنفسه ، او يخلق منها فناً مستقلاً عن غيره . واما الشعر الذي نحن بصدده فهو حرب عوان بل جهاد عنيف بين انصار الدين القديم وانصار الدين الجديد سُحذت له القرائح ، وانطلقت الاسنة حداداً ، لا للتكسب والاستجداء ، بل للدفاع عن سلطتين دينيتين زمنييتين تتنازعان البقاء . فلا غرو ان يترك هذا الجهاد اثرًا قويًا في الادب . ويكون فاتحة الشعر السياسي الصحيح الذي سنراه مزدهرًا في الصدر الثاني للاسلام . ثم لا غرو ان نجد في هذا الشعر اقتداءً شديدًا لم نعهده من قبل ، فهو وليد عصبية قوية ، احدثت في النفوس ميلاً غريباً الى النكاية والتشفي ، فلم يقصر الشعراء هجوهم على التعبير بالانكسارات او على نيل المهجو من منزلته الاجتماعية ، بل صاروا الى ابعاد من ذلك مدى ، وابلغ ايلاماً : الى نهش الانساب ، وتمزيق الاعراض . ففي شعر حسان كثير من الابيات التي ينعنا الادب من روايتها ، ولا بد ان يكون مثلها في شعر ابن الزُبَيْرى وغيره من شعراء قريش .

على ان موقف حسان كان حرجاً في هجو القرشيين وهم انساب محمد . فالرواية
يحدثوننا انه لما اراد هجاءهم قال له الرسول : « وكيف تصنع بي ؟ » فقال :
« اسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين . » فبعثه الى ابي بكر ليسدله على
الاشخاص الذين يستطيع هجوهم ، والاشخاص الذين لا ينبغي ان يعرض لهم ،
فدله ابو بكر كما ذكرنا ، فهجاءهم حسان ونال منهم نيلاً شديداً ، وقد اتخذ لذلك
اسلوباً سياسياً حكماً ، كان يجعل فيه المهجو من خشارة قريش ، ولا يرتفع له رأس
الى الذوابات من هاشم . واليك مثالا هجاءه لابي سفيان بن الحرث ^(١) :

أَقْدَ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ هَاشِمٍ ، هُوَ الْغَضُّ ذُو الْأَفْئَانِ ، لَا أَلْوَاحِدُ الْوَعْدُ ^(٢) ،
وَمَا لَكَ فِيهِمْ مَجْتِدٌ يَغْرِفُونَهُ ، فَذُو نَكَ ، فَالْصَّقْ مِثْلَ مَا صَقَّ الْقُرْدُ ^(٣) ،
وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ، بَنُو بِنْتِ مَخْرُومٍ ، وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ ^(٤) ،
وَمَا وَلَدَتْ أَفْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْكُمْ ، كَرِيماً ، وَلَمْ يَقْرَبْ عَجَائِزُكَ الْمَجْدُ ^(٥) ،
وَلَسْتَ كَعَبَّاسٍ ، وَلَا كَأَبْنِ أُمِّهِ ، وَالسِّكِنُ هَجِينٌ لَيْسَ يُورِي أَهَ زَنْدُ ^(٦) ،

(١) هو ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم النبي واخوه من الرضاع
كان في جاهليته يهجو محمداً ثم اسماه . (٢) الغضن ذو الافئان : المراد محمد . الافئان : الاغصان
وفروعها مفردتها فنن . الواحد الوعد : ابو سفيان . والوعد : الرذل الدنيء . يقول :
يعلم الناس ان ابن هاشم هو محمد غضن تلك الدوحة الممتدة الفروع ، لا ابو سفيان الوعد
المنفرد بنفسه . (٣) المجتد : الاصل . القرد : القرد وهو دويبة تلصق بالبعير كالقمل
بالانسان . (٤) سنم كل شيء : اعلاه مأخوذ من سنم البعير وهو خيار ما فيه . بنت
مخزوم : هي فاطمة جدة محمد لا يسه . (٥) بنو زهرة : حي من قريش اخوال محمد .
وزهرة : امرأة كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر نسب ولده اليها . وقوله :
افئان زهرة . أي ابناؤها لما لا يعرف من هم ، تقول رجل من افئان الناس : أي لا يعرف من
هو . وقوله : ولم يقرب عجائزك المجد : اي ولم يقرب المجد أمهاتك . (٦) العباس :
عم الرسول . ابن امه : اخوه ضرار . وأمها ثقيلة بنت خباب احدى نساء النحر بن
قاسط . الحجين : العربي ابن الأمة . لا يورى له زند : كناية عن لومه وشحه . يورى :
يقدم لتخرج ناره . الرند : العود تقدم به النار .

وَأَنْتَ زَنْبِيمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ . كَمَا نَيْطٌ خَلْفَ الرَّأكِبِ الْقَدْحُ الْقَرْدُ^(١)
وَأَنَّ أَمْرًا ، كَانَتْ سُمَيَّةُ أُمُّهُ ، وَسَمْرَاءُ مَغْلُوبٌ ، إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ^(٢)

فهذه الاييات تظهر لنا حرج موقف حسان . فانه في هجوه ابا سفيان يهجو ابن عم الرسول ، فما استقام له ان يعن في ذم والده الحرث ، فاقصر على ان يجعله عبداً بين اخوته والد النبي واعمامه ، ثم عطف على ابي سفيان من جهة أمه وأم ابيه فشمها ، وجعل ابا سفيان من بني هاشم كقدح الراكب من الرحل ، فاخرجه من الدوحة الهاشمية التي ينتمي اليها الرسول : « هو العنن ذو الافنان ، لا الواحد الوغد . »

ومثل هذا الهجاء مؤلمٌ ممضٌ يوغر الصدور ، ويثير الضغائن ؛ وبهتك الحرمات والانساب . قيل : لما بلغ ابا سفيان اصاب منه مقتلاً ، فقال : « هذا شعر لم ينبغي عنه ابن ابي قحافة^(٣) . » فهو يعلم ان تلك الامور لا يعرفها الا علامة بالانساب كأي بكر .

وكان هجو حسان على مرارته صادقاً لا تكلف فيه ، لم يندفع الشاعر اليه حباً للتكسب والاستجداء ، بل ذود عن دين يؤمن به وبرسوله ، وأمل بالشواب في الدنيا الباقية . والاييات الاتية تريك ما في نفسه من ايمان قوي وأمل كبير ؛ وقد قالها يهجو ابا سفيان ايضاً :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا ، إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ، تُثِيرُ النَّتْعَ ، مَوْعِدُهَا كَدَاءُ^(٤)

(١) الزنيم : هو الدعوي المستلحق في قسوم ليس منهم . نيط : علق . القدح الفردة : يقال : لا تجعلوني كقدح الراكب : أي لا تجعلوني آخرأ . لان الراكب يعلق قدحه في آخر رحله بعد فراغه من استصحاب اهبطه . يقول : انت دعوي مستلحق في بني هاشم كالقدح الذي يفرد الراكب عن سائر اهبطه ويعلقه في آخر الرحل . (٢) سُمَيَّةُ : أم ابي سفيان . سمراء : أم ابيه الحرث . الجهد : المشقة . وقوله : اذا بلغ الجهد : أي بلغ الجهد اقصاه . يقول : مها بلغ الجهد في اعلاء رجل امه سُمَيَّةُ او سمراء فهذا الرجل مغلوب على امره . قال صاحب جمهرة العرب : لما اسلم ابو سفيان قال له النبي : « انت مني وانا منك ولا سيدل الى حسان » . (٣) ابو قحافة : والد ابي بكر الصديق . (٤) النتع : الغبار . كدء : التنيمة العليا بمكة بمابلي المقابر وهو الملقى . يقول : لا عاشت لنا خيل نركبها ان لم يرتفع غبارها في ملى مكة .

- تَطَّلُ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ، تَلَطَّمُنَّ بِالْحُمْرِ الْبَيْضِ (١)
 فَأَمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمِرْنَا ، وَكَانَ الْفَتْحُ ، وَأَنْكَشَفَ الْغَطَاءَ (٢)
 وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ ، يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ (٣)
 وَجَبْرِيلُ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا ، وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ (٤)
 وَقَالَ اللَّهُ : « قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ، يَقُولُ الْحَقَّ ، إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ ، (٥)
 شَهِدْتُ بِهِ ، فَتَقَوْمُوا صِدْقَهُ » ، فَمَاتُمْ : « لَا تَقَوْمُ ، وَلَا نَشَاءُ » (٦)
 وَقَالَ اللَّهُ : « قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا ، هُمْ الْأَنْصَارُ ، عَرَضْتُهَا الْلِقَاءَ » (٧)
 لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍ ، سَبَابٌ ، أَوْ قِتَالٌ ، أَوْ هِجَابٌ (٨)
 فَنَحْكُمُ بِالْقَوَائِي مِنْ هِجَابِنَا ، وَنَضْرِبُ ، حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ (٩)
 أَلَّا أَيْلِغَ أَبَا سَفْيَانَ عَنِّي ، مُعْتَلَّةٌ ، فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ (١٠)

(١) متمطرات : ممرعات يسبق بعضها بعضاً . لطمه : ضرب خده ، كالتطمه . الحمر : جمع خمار وهو ما تنظي به المرأة رأسها . قيل : وكان حسان اوحى اليه بهذا فقد روى ان نساء مكة يوم فتحها ظلن يضربن وجوه الخيل ليرددنهما . (٢) اعتمرنا : زرنا البيت الحرام . والفرق بين الاعتار والحج ان العمرة تكون للسنة كلها والحج في وقت واحد في السنة . يقول : ان اعرضتم عنا وتركتمونا تزور البيت ، فيتم الفتح وينكشف الغطاء عما وعد الله به النبي من فتح مكة ، تنتهي الحرب بيننا وبينكم والآن . . . (٣) الجلاد : التضارب بالسيوف . (٤) ليس له كفاء : اي ليس له نظير . روح القدس : اي روح الله والمراد جبريل . وفي هذا البيت يعمل كفة اصحاب النبي راجحة بعد ان ساوى بينهم وبين العدو في البيت السابق في قوله : يعز الله فيه من يشاء . (٥) عبداً : يعني رسولاً . البلاء : الامتحان والاختبار يكون في الخير وفي الشر . يقول : ارسلنا اليكم رسولاً ينطق بالحق ، لنمتحنكم به لعلكم تتدون وينفع الاختبار . (٦) شهدت به : اي صدقت به . لا نشاء : أي لا نشاء ان نصدق به . (٧) الانصار : قبيلتا الأوس والخزرج . عرضتها : همتها وديدها . اللقاء : اي لقاء (الفرسان في الحروب) . لنا : اي الانصار . من معد : يريد قريشاً لانهم من معد بن عدنان . (٩) نحكم : تمنع ونزد . القوائى : النقصان . ونضرب : اي نضرب بالسيوف . حين تختلط الدماء : حين تختم الحرب وتسيل الدماء . والضرب بالسيوف يدل على التحام الجيشين واشتداد القتال . يقول : ان قومه يجالدون في اشد مواضع الحرب . (١٠) المعتلة : الرسالة المحمولة من بلد الى بلد . برح الخفاء : اي وضع الامر .

بَانَ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا ، وَعَبَدَ الدَّارَ ، سَادَتَهَا الْإِمَاءُ ^(١) ،
 هَجَوْتُ مُحَمَّدًا ، فَأَجَبْتُ عَنْهُ ، وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ ^(٢) ،
 أَتَهَجُّوهُ ، وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ ، فَشَرُّكُمْأ إِخَيْرُكُمْأ أَلْفِدَاءُ ^(٣) ،
 هَجَوْتُ مُبَارَكًا ، بَرًّا ، حَنِيفًا ، أَمِينَ اللَّهِ ، شِيَمَتُهُ الْوَفَاءُ ^(٤) ،
 فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ، وَيَسُدُّهُ وَيَنْصُرُهُ ، سَوَاءٌ ^(٥) ،
 فَإِنَّ أَبِي ، وَوَالِدَهُ ، وَعِرْضِي ، لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ ، مِنْكُمْ فَوْقَهُ ^(٦) ،

فهذا الارتياح الى حُسن المصير ، لم يكن في عُبَاد الاوثان من شعراء الجاهلية ، بل حملة اليهم الاسلام ، فاصبحوا وفي نفوسهم امل كبير ، يجاهدون في سبيل نبيهم ودينه ، لا بُعِيَةَ لهم غير الجنة التي وُعدوا ، ونعيمها «وعند الله في ذلك الجزاء .»

وفي هذا الشعر الفاظ جديدة لم نألفها قبل لقوله : «جبريل امين الله ، وروح

(١) بَانَ : الباء متعلق بمغاغلة فكأنه يقول : ابلاغه رسالة تحمده بأن سيوفنا . عبدًا : أي ذليلاً . وعبد الدار : اي وتركت عبد الدار وهم بطن من قریش لهم السقاية والحجابة في البيت الحرام . الاماء : الجوارى . وقوله : تركنا عبد الدار سادتها الاماء : يشير الى غزوة أحد حيث قُتِلَ حَمَلَةُ اللّوَاءِ من بني عبد الدار ، فحمله عبدُ لهم فقتل ، ثم اخذته امرأة منهم فاجتمعوا حواليه . وغزوة أحد : كانت في السنة الثالثة للهجرة . وأحد : اسم جبل قرب المدينة . وفي هذه الغزوة انكسر المسلمون وجرح النبي . (٢) الجزاء : المكافاة . يروى ان محمدا حين سمع منه ذلك قال : « جزاؤك على الله الجنة يا حسان » . (٣) أتمجوه : استفهام تعجبي او تحكمي . الكفف : النظير . وقوله : فشرُّكمأ كما لخيركمأ الفداء : جملة الزمخشري من باب اسلوب المنصف الذي يقيم المساواة بينه وبين خصمه لاجئاً في الجدال الى التعريض والتورية كقول الرجل لصاحبه : علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب . ونحن نرى ان قوله في صدر البيت : « لست له بكفف » كافٍ للدلالة على ان الشر في جانب ابي سفيان والخير في جانب محمد . والبيت التالي يزيل كل التباس . (٤) البر : الصالح والكثير البر . المنيف : الذي يميل الى الحق . (٥) يقول : لا يضره هجاؤكم ولا ينفعه مدحكم ونصركم لانكم اذلاء لاتستطيعون ان تنفوه او تضروه . (٦) العرض : كل ما تجب المحافظة عليه ومنه النفس . وقاء : صيانة وحماية . يروى انه لما بلغ حسان هذا البيت قال له محمد : « وذاك الله يا حسان حرّ النار » .

القدس ، وأرسلتُ عبداً بمعنى الرسول ، وشهدتُ به ، ورسول الله . « فبهذه الالفاظ وغيرها احدث القرآن معانيها في الاسلام .

عده

ولحسان في مدح النبي اسلوب غير الاسلوب الذي عهدناه في الجاهلية ، فهو لا يشبه محمداً بالاسد^(١) فعل كعب بن زهير ، ولا يُعمن في وصف جوده وسخائه كمن يريد الاستجداء والتكسب من ممدوحه ، بل يعني بوصف شئائه العسر ، ويلج في ذكر الرسالة والتصديق بها ، وذكر ما حمل الاسلام للعرب من نور وهداية ، وأمل بعد يأس ، ويُعرض أحياناً بين انكر النبوة وكذب بها . كقوله :

شَهِدْتُ بِهِ فَقَوْمُوا صَدِّقُوهُ ، فَقُلْتُمْ : « لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ »

ومن قوله في كلمة يمدح بها الرسول :

أَغْرَ ، عَلَيْهِ لِلنَّبِوَةِ خَاتِمٌ ، مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ ، يَلُوحُ وَيَشْهَدُ^(١) ،
وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ، إِذَا قَالَ فِي الْخُمْسِ الْمُوْذِنُ : « أَشْهَدُ »^(٢) ،
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَهُ ، فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ^(٣) ،
نَبِيُّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ ، وَفَقْرَةٍ ، مِنْ الرُّسُلِ ، وَالْأَوْتَانُ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ^(٤) ،
فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَبِيرًا ، وَهَادِيًا ، يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّيْقِلُ الْمُهَنْدُ^(٥) ،

(١) أغرّ : كرم (فعال) واضحا . خاتم النبوة : قيل انه شامة خضراء او سوداء محتفرة في اللحم . مشهود : اي مشهود به . يلوح : يلمع . يشهد : يُنظر . (٢) الخمس : اللطوات الخمس . وقوله : اذا قال المؤذن أشهد : اي اذا قال : « أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد ان محمداً رسول الله » وهي بيان لقوله : وضّم الاله اسم النبي الى اسمه ، (٣) قوله : ذو العرش محمود وهذا محمد : بيان لقوله : وشق له من اسمه . (٤) الفترة : الفاصل من الزمن بين كل رسولين . (٥) مستبيراً : منيراً . يلوح : يلمع . الصيقل : السيف المصقول . المهند : المطبوع بالهند : يقول : أمسى سراجاً للهدى يلمع لمعان السيف الصيقل . وكان من عادة العرب انهم اذا ارادوا استدعاء من حولهم من القوم شهروا السيف الصيقل فيبرق فيُنظر لمعانه من بعد فيأتون اليه مهتدين بنوره .

وَأَنْذَرْنَا نَاراً ، وَبَشَّرَ جَنَّةً ، وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ ، فَأَلَّهَ نَحْمَدُ^(١)
فهذا المدح جديد في نوعه وطريقته ، جديد في تعابيره والفاظه ، جديد في
النفحة الدينية العابقة منه . بيد انه ساذج لا تعدوه الفطرة الجاهلية ، ولكنها فطرة
صقلها الدين وجلاها الايمان .

شعره التاريخي

ولست ميزة حسن في شعره مقصورة على خصائصه في المدح والهجاء ، بل له
خاصة ذات منزلة عالية ، وهي خاصة المؤرخ الامين لحوادث عصره ، فانه يحدثنا
عن غزوات النبي وايامها ، ويذكر لنا اسماء من قتل من الصحابة ومن قتل من
المشركين ، ويرثي من قتل بعد النبي من الخلفاء الراشدين . فكأنك ، وانت تقرأ
شعره تطالع نبذة من تاريخ الصدر الاول للاسلام . فمن ذلك قوله :

وَ كُنَّا مَتَى يَغْزُ النَّبِيُّ قَبِيلَهُ ؛ نَصِلُ حَافَتَيْهِ بِالْقَنَا وَالْقَنَا بِلِ^(٢)
وَيَوْمَ قُرَيْشٍ إِذْ أَتَوْنَا بِجَمْعِهِمْ ، وَطُنَّا الْعُدُوَّ وَطَاةَ الْمُتَشَاقِلِ^(٣)
وَفِي أَحَدِ يَوْمٍ لَهُمْ كَانَ مُخْزِيًا ، نَطَاعِنُهُمْ بِالسَّهْرِيِّ الذَّوَابِلِ^(٤)
وَيَوْمَ تَقِيفٍ ، إِذْ أَتَيْنَا دِيَارَهُمْ ، كِتَابٌ ، نَمْشِي حَوْلَهَا بِالْمَتَاصِلِ^(٥)

(١) أنذرنا : اعلما وحذرنا . ناراً : اي جهنم . (٢) نصل حافتيه : اي نحدق بجنازيه
القنا : جمع : قناة وهي الرمح . القنابل : جمع قنبلة وقنبل وهي الطائفة من الخيل .
يقول : متى يغز النبي نحدق به برماحننا وخيولنا لندافع عنه . (٣) يوم قریش : اي يوم اتقنا
قریش . ولعله يريد به غزوة بدر . المتشاقل : من تكلف الثقل ويريد بها وطأة ثقيلة . (٤)
قوله : كان مخزياً : يشير الى افضالهم حول اللواء يحمله عبد ثم تحملها امرأة . وقد ذكرنا
ذلك قبلاً . السهري : الرمح الصليب العود منسوب الى سهر رجل كان يقوم الرماح .
الذوابل : جمع ذابل وهو الرمح اليابس القناة . وقوله : السهري الذوابل ، جعل الهمز
لجماعة اجزائه اي ان كل جزء من اجزائه ذابل . ومن ذلك قولك : ثوب خلقت اي بال ،
وثوب اخلاق اي كل جزء من اجزائه خلق . او جعل الصفه تقوم مقام الموصوف المحذوف
وهو القنا . (٥) يوم تقيف : هو يوم الطائف في السنة الثامنة للهجرة ، حاصر فيها المشركون
الطائف وكان قد تحصن فيها بنو ثقيف وهوازن فبعي الحصار ثمانية عشر يوماً ثم ارتد المسلمون
عنها . المتاصل : جمع منصل وهو السيف .

فَقَرُّوا ، وَشَدَّ اللَّهُ رُكْنَ نَيْبِهِ ،
 فَفَرُّوا إِلَى حِصْنِ الْقُصُورِ ، وَعَلَّقُوا ،
 وَأَعطُوا بِأَيْدِيهِمْ صَغَارًا ، وَتَابَعُوا ،
 وَمِنْ قَوْلِهِ فِي يَوْمِ أُحُدٍ :

فَدَعُ ذِكْرَ دَارٍ بَدَدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا
 وَقُلْ : إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأَحَدٍ يَعُدُّهُ
 وَقَدْ ضَارَبَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلُّهُمْ ،
 وَحَامِي بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَضَارِبُوا ،
 أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ ،
 يَا أَيُّهَا نَهْمُ بَيْضُ ، إِذَا حَمِي الْوَعْيُ ،
 كَمَا غَادَرَتْ فِي النَّتْعِ عُثْمَانُ ثَاوِيًا ،

نَوَى ، فَرَقَّتْ بَيْنَ الْجَمِيعِ ، قَطُوعٌ ،^(١)
 سَفِيهٌ ، فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ يَشِيعُ^(٢)
 وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعٌ
 وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي الْإِلْقَاءِ جَزُوعٌ^(٣)
 لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعٌ^(٤)
 فَلَا بُدَّ أَنْ يَرْدَى بِهِمْ صَرِيعٌ^(٥)
 وَسَعْدًا صَرِيعًا ، وَالْوَشِيعُ شُرُوعٌ^(٦)

(١) الحقيقة : ما يلزم الرجل حفظه والدفاع عنه . الباسل : الشجاع . (٢) حصن القصور : أي الحصن ذو القصور في الطائف . وكانن : وكم . المشفق : الخائف . الوائل : الناجي . يقول : وكم من خائف لا ينجو ولا ينقذه التحصن والحذر . (٣) الصغار : الذل . يقول : اذلوا أنفسهم بأيديهم وتابعوا هذا الصغار . ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب فقال : فأولى لكم أولى : وهو تهديد معناه : قاربكم الشر فاحذروا ، أو الويل لكم . الخداة : جمع حاد وهو السائق . الزوامل : جمع زاملة وهي البعير يحمل عليه الرجل متاعه وطعامه . (٤) بددت : شقت . نوى : بعد ، فاعل بددت . قطوع : فاصلة . (٥) أحد : بالتسكين لضرورة الشمر . يعده : يحسبه . سفيهه : جاهل . يشيع : يظهر وينتشر . يقول : إن يكن يوم باحد يحسبه سفيهه من قريش نصرًا لهم فإن الحق سوف يظهر ويشيع . (٦) في اللقاء : أي في لقاء الأعداء . جزوع : جبان شديد الخوف . (٧) أمام رسول الله : أي ضاربوا أمامه . يخذلونه : يتركونه ضد ينصرونه . (٨) الايمان : جمع يمين أي اليد اليمنى . بيض : سيوف . يردى : يموت . الصريع : المطروح على الأرض . أي إذا حمى وطيس الحرب ، لا بد لكل من هذه السيوف أن يقتل فارسًا . (٩) غادرت : تركت ، فاعلها بيض . النتع : التبار . عثمان : هو ابن طلحة بن أبي طلحة من مشركي قريش . ثاويًا : ميتًا . وسعدا : هو اخو عثمان . الوشيع : شجر الرماح ويريد به الرماح نفسها . شروع : مسددة للطن مفردها شارع ، من شرع الرمح فشرع : سدده للطن ففسد ، لازم متعد .

- وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ ، مُسْتَدًّا (١)
 يَكْفُ رَسُولِ اللَّهِ ، حَتَّى تَلْفَقَتْ ،
 فَإِنْ تَذَكَّرُوا قَتْلِي ، وَحَمْزَةٌ فِيهِمْ ،
 فَإِنْ جَنَّانَ الْخُلْدِ مَنْزِلُهُ رِبْهًا ،
 وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ ، أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ
 وقوله في رثاء عثمان بن عفان :

- ضَحُوا بِأَسْطَ ، عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ،
 لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكَا فِي دِيَارِهِمْ :
 يُقْطِعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا (٦)
 اللَّهُ أَكْبَرُ ! يَا ثَارَاتِ عُشْمَانَا ! (٧)

فهذه الامثلة كافية لظهار الفوائد التاريخية في شعر حسان ، وهي كثيرة تجدها في كل قصيدة من قصائده الاسلامية .

- (١) مستدًّا : متكئًا أي مطعونًا صريعاً . أبي : هو ابن خلف الجسحي قتله محمد بيده . النجيع : الدم . (٢) بكف : الباء متعلق بقوله : مستدًّا . تلفقت : اي التقت . يثرن : يعلين ويحيجن ، والنون تعود على الحيول المقدرة . النقوع : جمع نقع وهو الفبار . يقول : ترك أبي بن خلف صريعاً بكف رسول الله واشتد الطراد حتى اتف على القوم النقع مما يثره وقع حوافر الحيات . (٣) قتلى : اي قتلى منا . حمزة : هو ابن عبد المطلب عم محمد . يقول : فان تذكروا منا قتلى فيهم حمزة فهو قتيل مات مطيعاً في سبيل الله . (٤) يقول : فان حمزة مقله في جنان الخلد يقضي الله جماله سريعاً (٥) الحميم : الماء الحار . في جوفها : اي جوف النار . الضريع : طعام اهل النار . وهذه من الالفاظ المحدثه في الاسلام . وفي القرآن : « لَيْسَ لِمَنْ ظَلَمَ ظُلْمًا إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَفْقَهُ مِنْ جُوعٍ » والضريع في الاصل : شوك كبير . وقوله : حميم معاً : اي حميم وضريع معاً . (٦) ضحوا : اي فتكوا وقدموا ذبيحة . الاشط : الاشيب من خالط بياض رأسه سواد . العنوان : دليل الشيء . وصورته . السجود : اغثناء الرأس بخضوع ، اي عنوان السجود على وجهه . قرآنا : اي قراءة للقرآن . (٧) لتسمعَنَّ : اللام للقسم . والمضارع اتصل بنون التوكيد الثقيلة للدلالة على المستقبل . وشيكاً : قريباً . يقول مخاطباً نفسه على سبيل التجريد او مخاطباً صاحباً له : والله لتسمعَنَّ قريباً في ديار الذين قتلوه اصواتاً تنادي : الله اكبر ! يا ثارات عثمان : يجسدهم بقرب مجي جيش معاوية والتكبير عادة المسلمين في الحروب . وعادة العرب ان ينادوا في الحرب عند طلب الثار : يا ثارات فلان .

سُعره في الجاهلية

ذكرنا في بدء كلامنا على ميزة حسَّان ما زعم الاصمعي من ان شعره في الجاهلية اجود منه في الاسلام . فنحن نقدم امثلةً من جيد شعره الجاهلي على ان نعود الى رأي الاصمعي في ما بعد فمن قوله يدح بني غسان :

لِلَّهِ دَرٌّ عِصَابَةٌ نَادَمْتُهُمْ ، يَوْمًا يَبْجَلِقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ (١)
 أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ ، قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ (٢)
 يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ ، لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُثْقِلِ (٣)
 يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ ، بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ (٤)
 يَبِيضُ الْوُجُوهُ ، كَرِيْمَةٌ أَحْسَابُهُمْ ، شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ (٥)

ومن قوله ايضاً :

فُسُودٌ ذَا الْمَالِ الْقَلِيلِ ، إِذَا بَدَتْ مُرْوَةٌ تُهْفِنَا ، وَإِنْ كَانَ مُعَدِمًا (٦)
 وَإِنَّا لَتَفْرِي الضَّيْفَ ، إِنْ جَاءَ طَارِقًا ، مِنْ الشَّحْمِ مَا أَضْحَى صَحِيحًا مُسَلِّمًا (٧)

(١) لله در : دعاء ، اي من الله كثرة خيرهم ، او على الله مكافأهم بالخير . العصابة : الجماعة . جلتى : دمشق او موضع بقرجها . في الزمان الاول : اي في العام قبل العام الماضي .
 (٢) جفنة : أبو ملوك غسان . ابن مارية : الحارث الاعرج ، وهي مسارية بنت الارقم ذات القرطابن قيل كان في قرطبيها مثنا دينار . المفضل : ذو الافضال . (٣) ينشون : تأتيهم الاضياف . ما تهر : ما تبيع . السواد : الشخص . يقول : تأتيهم الاضياف فما تنبجهم كلاجهم لاستئناسها بهم وتعودها ايام ، ويضيفون الشخص دون ان يسألوا عنه . (٤) البريص : غوطة دمشق وفيها قصور الفساسة . بردى : اعظم اهر دمشق . يصفق : يمزج وبروق .
 الرحيق : الحمر البيضاء . السلسل : السهل الدخول في الخلق . (٥) الاحساب : جمع حسب وهو الشرف والمفخرة . الشئم : جمع اسم وهو المرتفع . وشم الانوف : كناية عن الانفة وعزة النفس . الطراز : الشكل . (٦) نسود . نجعله سيداً . المعدم : الفقير لا يملك شيئاً . يقول : نجعل الفقير المعدم فينا سيداً اذا بدت لنا مروءته ، اي اهتم لا ينظرون الى الغنى بل الى استحقاق الشخص ونحوته . (٧) من الشحم : اي من شحم الابل . وقوله : ما اضحى صحيحاً مسلماً : اي اهتم لا يطعمون ضيفهم غير الشحم الصحيح السالم الذي لا مرض فيه .

أَلَسْنَا نَرُدُّكَ الْكَبْشَ عَنْ طِيَّةِ الْهَوَى ، وَنَقْلِبُ مُرَانَ الْوَشِيحِ مُحْطَمًا !^(١)
لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى ، وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا^(٢)

مسانه بين الجاهلية والاسلام

وحسان في شعره الجاهلي مثله في شعره الاسلامي ، لا يتسع له الخيال فيطول نفسه . فأكثر قصائده قصيرة ، واطولها لا يزيد على الاربعين بيتاً . على انه في قصائده الجاهلية اوسع خيالاً منه في قصائده الاسلامية ، ولعل عنايته بذكر الحوادث التاريخية أثرت في مخيلته ، او لعل هذا الضعف ناتج عن كبر السن . ولست تجد في شعره تلك التشابيه التمثيلية الحُصبة التي عرفتھا في اشعار غيره من الجاهليين ؛ فهو اذا وصف شيئاً لا يعن في وصفه فيتمه ، بل ينتقل بسرعة الى غيره كمن ضاق صدره فطلب التنفس . ولذلك كثر في مطالعه الاقتضاب والقطع بما يشبه التخلص ، فما يكاد يستهل قصيدته بالغزل وذكر الديار حتى ينتقل بعد بيتين او ثلاثة الى غرضه مدحاً كان او هجاءً ، واكثر ما يكون انتقاله بقوله : « دع هذا ، ودع ذكر ذا ، » واغلب هذا الانتقال المقتضب في شعره الاسلامي . مثال ذلك :

هَلْ رَسَمُ دَارِسَةَ الْمَقَامِ يَبَابُ ، مُتَكَلِّمٌ لِلْمُجَاوِرِ بِجَوَابِ ؟^(٣)
وَأَقْدُ رَأَيْتُ بِهَا الْجُلُولَ يَزِينُهُمْ بِيضَ الْوُجُوهِ ، ثَوَاقِبَ الْأَحْسَابِ^(٤)

(١) أَلَسْنَا نَرُدُّ : استفهام انكاري يفيد الاثبات لوروده على التنفي اي نرد الكبش . الكبش : الغنم وسيد القوم . الطيئة : الحاجة ، وطيئة الهوى : اي الحاجة التي جواها . المران : جمع مارن وهو الرمح اللين المهزء . الوشيح : شجر الرماح . محطماً : مكسراً . يقول : نحن نرد سيد القوم وقائدهم عن غرضه فينا ونطاعن بالرماح حتى تكسر . (٢) الجفنات : القصاص مفرد ما جفنة . الفر : البيض . النجدة : الشجاعة والشدة والقنال . زعموا ان الحنساء انتقدت هذا البيت في سوق عكاظ ، وقد اظهرنا بطلان هذا الزعم في كلامنا عليها . (٣) دارسة المقام : صفة للديار . يباب : ليس فيها احد . المجاور : المخاطب . وقوله : بجواب : الجار متعلق بمتكلم . (٤) بها : أي بدارسة المقام . الجلول : جمع حال وهو المقيم في المكان . ثواقب : جمع ناقب وهو النير . الاحساب : جمع حسب وهو الشرف والفعال الصالح . أي يزين الجلول وجوهم البيض واحسابهم الثواقب .

فَدَعِ الدِّيَارَ ، وَذِكْرَ كُلِّ خَرِيدَةٍ .
وَأَشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ ، وَمَا تَرَى ،
بِيضَاءَ ، آنَسَةِ الْحَدِيثِ ، كَعَابٍ ^(١)
مِنْ مَعْشَرِ مُتَأَلِّينَ ، غَضَابٍ ^(٢)

وقوله :

عَوَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَيْبِ ،
تَعَاوَرُهَا الرِّيَّاحُ ، وَكُلُّ جَوْنٍ ،
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلْقًا ، وَأَمْسَتْ
فَدَعُ عَنْكَ التَّدَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ ،
كَحَطِّ الْوُحِيِّ فِي أَوْرَقِ الْقَشِيبِ ^(٣)
مِنَ الْوَسْمِيِّ مِنْهُمْ سَكُوبٍ ^(٤)
يَبَابًا ، بَعْدَ سَاكِنَيْهَا الْخَيْبِ ^(٥)
وَرَدُّ حَزَاةَ الصَّدْرِ الْكَيْبِ ^(٦)

وقد يكون هذا الضعف الخيالي هو الذي حمل الاصمعي على الزعم ان شعر حسان في الجاهلية اجود منه في الاسلام . وعلل ذلك بقوله : « الشعر نكد يقوى في الشَّرِّ ويسهل ، فاذا دخل في الحيز ضعف ولان . هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره . » وقيل لحسان : « لَانَ شعركُ أو هَرَمَ في الاسلام يا ابا الحسام . » فقال : « يا ابن اخي ، ان الاسلام يمنع من الكذب وان الشعر يزينه الكذب . » يريد بذلك ان التجويد في الشعر الافراط في الوصف والتزين بغير الحق ؛ وذلك كله كذب .

وربما اراد الاصمعي ان يقول ايضاً : ان شعر حسان الاسلامي لَيِّنٌ يكثر فيه الاسفاف . فاللين من خصائص الشاعر الانصاري ، ولا يخلو منه شعره الجاعلي . واما الاسفاف فيمكننا ان نعود ببعضه على النحل مستندين الى قول ابن سلام من ان حسان حمل عليه ما لم يُحْمَلْ على احد ، وبعضه الآخر على الشاعر نفسه لان كثرة اللين تؤدي الى الاسفاف .

(١) الخريدة : البكر الحبيبة . الكعاب : الناعمد . (٢) متأبين : متجمعين ويريد بهم المشركين . (٣) الكئيب : نل الرمل يتقاد محدودباً . الوحي : (كتابة . القشيب : الجديده . شبه آثار الديار بالسطور في الورق . وهذا المعنى اكثر الشعراء من طرقة . (٤) تعاورها : تتداولها أي تحب مرة شمالاً ومرة جنوباً ومرة دبوراً ومرة قبولا . الجون : (السحاب الاسود . الوسمي : مطر اول الربيع سمي بذلك لانه يسم الارض بالنبات . منهم : السائل . السكوب : دائم الحملان . (٥) الرسم : الاثر ليس له شخص قائم خلاف الظلال . الملقى : البالي . يباباً : خلا . (٦) الحزاة ما حز في القلب وادجمه . الكئيب : الحزين الشجي .

والذين في حسان ناتج عن نشأته ، فهو من شعراء القرى^(١) والشعراء القرويون معروفون بركة شعرهم لتنعيمهم واخذهم بأسباب الحضارة ، خلافاً لشعراء البادية .
 وإذا كان شعره زاد ليناً في الاسلام وأسف أحياناً ، فلخلوه من براعة الوصف ،
 ومن الصور الخيالية الرائعة ؛ ثم لاعتاد الشاعر على الارتجال^(٢) أكثر من التحريك
 والتنخل ، فكثرت في شعره الكلام الساقط ، والاقواء ، والتوجيه^(٣) ثم لتأثير
 أسلوب القرآن في نفسه ، وما في هذا الأسلوب من رقة في اللفظ والتعبير ، فقد عدل
 بالشاعر عن الالفاظ الغريبة الصلبة الى الرقيقة السهلة ، ولكن أنى لحسان ان
 يجاريه في نضاعة بيانه ، وبلاغة تعبيره ، فزاد لينا على لين ، وأسف مرة بعد مرة
 فسقط أكثر شعره في الاسلام . على ان له بعض قصائد في المهجو والفخر وذكر
 الوقائع تعد من اطيب الشعر واجوده .

عزله

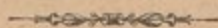
قال ابو عبيدة : « فَضَّلَ حَسَّانُ الشُّعْرَاءَ بِثَلَاثٍ : كَانَ شَاعِرَ الْاِنصَارِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
 وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام . » وقال ايضاً : « اجمعت ،
 العرب على ان حسان اشعر اهل المدر^(٤) . » وقال الاصمعي : « حسان فحل من
 فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام سقط شعره . » وقال الخطيب : « ابلغوا الانصار
 ان شاعرهم اشعر العرب حيث يقول :

يُغَشُّونَ حَتَّىٰ مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ ، لَا يَسْأَلُونَ عَنِ التَّوَادِ الْمَقْبَلِ .

(١) شعراء القرى عند العرب : الشعراء الذين ينشؤون في المدن . والقرى العربية
 خمس : المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة ، والبحرين . (٢) حسان مشهور بارتجاله ،
 ومن اطيب قصائده الارتجالية « عينيته » :
 اِنْ الذَّوَابِ مِنْ فِهْرِ ، وَاخْوَتُهُمْ ، قَدْ يَبْنُوْنَ سُنَّةً لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
 (الذوائب : الاعالي مفردا ذؤابة . فهر : اصل قريش ويريد جم المهاجرين . اخوتهم : أي
 الانصار . السنة : الحطة والنظام .)

(٣) الاقواء : الاختلاف في حركة الروي . التوجيه : الاختلاف في حركة ما قبل الروي
 (ساكن .) (٤) اهل المدر : أي اهل الحضرة ، والمدر : الطين ، اي الذين ينشون منازلهم بالطين .
 وعكسهم اهل الوبر : اي الذين يميلون بيوتهم من الوبر وهو الشعر .

وقال عمرو بن انعلاء : «حسان اشعر اهل الحضر . » وقال ابو الفرج الاصفهاني :
« حسان فحل من فحول الشعراء . » وقال الحرث بن عوف المرّي لمحمد : « أجري
من شعر حسان ، فوالله لو مزج به ماء البحر لمزجه . » وكان حسان قد هجاه بقوله :
وَأَمَانَةُ الْمُرِّيِّ ، حَيْثُ لَقِيْتَهُ ،
مِثْلَ الزُّجَاجَةِ ، صَدَعَهَا لَمْ يُجْبِرْ .
وكان محمد يقول لحسان : « اهْجُهم ، فوالله أشدُّ عليهم من نضح
النبيل في غلَس الظلام ^(١) . » وقال ايضاً : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء في النار ،
وحسان بن ثابت يقود جموعهم الى الجنة . » وكان حسان كثير الادعاء ، يدلح
لسانه ويقول : « والله لو وضعت على شعر خلقه ، او على صخر لقلقه . »
اما نحن فنرى ان حسان في شعره الجاهلي مجيد ، ولكنه لم يبلغ شأو فحول
الشعراء . وفي شعره الاسلامي مجيد في بعضه ولا سيما المهجور والفخر ، ضعيف في
اكثره ولا سيما مدحه ورتاؤه للرسول ، ولكن فيه من الفوائد التاريخية ، ومن
جديد الاسلوب ما ليس في شعره الجاهلي . فحسان في الاسلام شاعر مؤرخ ، وشاعر
مجدد في وقت واحد ، وهو في دفاعه عن النبي طليعة الشعراء السياسيين .



(١) النضح : رمي النبيل . الغلَس : ظلمة آخر الليل : وهي هنا الظلمة على الاطلاق .

الشعراء الاسلاميون ^(١)

مبزة الشعر الاسلامي

تكاثر عدد الشعراء في هذا العصر لاسباب سياسية واجتماعية سنأتي على ذكرها ، فتطور الشعر تطوراً محسوساً بتأثير هذه الاسباب ، وظهرت فيه فنون جديدة كانت ضعيفة في الجاهلية فقيوت في الاسلام : كالغزل والشعر السياسي . وقد ورث الشعراء الاسلاميون من شعراء الجاهلية اليجاز ، وقوة التعبير ، وعمو التصور ، وبدهاء الفكر ، ومتانة السبك . ثم تثقفوا بالقرآن فانطبوعوا على رفته وبيانه الناصع .

على ان تقدمهم في الحضارة اضعف فطرتهم ، فخرجوا عن سذاجة البدوي في جاهليته ، وظهر على شعرهم ترف العصر ورخاؤه ، وأثر انتقالهم من الخيام الى القصور ، واختلاطهم بعد الفتوحات بابناء المدنيات القديمة كالفرس في العراق وفارس ، والروم في الشام ومصر .

ولكن العصر الاسلامي لم يطل عمره ، فيبلغ اهلوه غايتهم من التأنق وال عمران ، بل اذيل منه وهو في اَبان شوطه ، فتلقاه العباسيون طريفاً يانعا ، فاستغلوه واحسنوا انماؤه فأورق وازدهر على ايديهم . ولذلك لم يدرك الشعراء الاسلاميون شأوَ المولدين ^(٢) في الرقة والتصرف في المعاني .

وقد كثرت المدح والتفاخر ، والهجاء المقذع في شعر الاسلاميين ، لعلاقة هذه الاغراض بالاحزاب السياسية ، وكثر الشعراء الغزلون الذين قصروا همهم على الغزل والتشبيب لتأثير المدنية الجديدة في نفوسهم .

(١) نعتي بالشعراء الاسلاميين الذين ولدوا ونشأوا في صدر الاسلام وتآدبوا بادهه الخالص .
(٢) الشعراء المولدون او المحدثون : هم الشعراء الذين جاؤوا بعد الاسلاميين في العصر العباسي .

نهضة الغزل

الغزل الجاهلي : الشاعر الجاهلي مادي أكثر مما هو روحي . طريقة في الغزل . تعدد اغراضه . انصرافه الى الغزو والغارات .
 الغزل في الاسلام : تطور الحياة . رقة الامزجة والاذواق . امتناع الغزو والغارات . الشاعر الاسلامي اضاف الى الوصف المادي وصفا روحيا . اصبح الغزل فنا مستقلاً بنفسه . انحصاره في جزيرة العرب . نوعه البدوي ، ونوعه الحضري . الفرق بين النوعين . هل للشاعر البدوي في غزله خصائص متميزة ؟ كيف اصبحت مكة والمدينة في هذا العصر ؟ طريقة شعرائها في الغزل ؟ تشبيهم بالنساء الاشراف . اشهر شعراء الغزل على نوعه .

قلنا ان الغزل من الفنون التي كانت ضعيفة في الجاهلية فقويت في الاسلام ، ذلك بان الشاعر الجاهلي قلما قصر كلمته ^(١) على فن واحد ، فهو في شعره كثير التنقل ، متعدد الاغراض . وكان له من الغزوات والمفاخرات ما يمنعه من الانصراف الى التشبيب بالنساء . بيد انه تغزل وبكى على الطلول ، وشب بالمرأة ، وكان صادقاً في غزله وبكائه ، مجيداً في تشبيهه ووصفه ، ولكنه لم يحسن تصوير عواطفه وما يشعر به من صباية وألم ، او من امل وارتياح . فاكتفى بذكر الديار والدارسة تلعب بها الريح والامطار ، وتسرح بها الآرام والوحوش ، واكتفى بوصف الفراق من تحمل الاحبة ، الى الوداع ، الى سير الاطعمان في الاودية والجال . واكتفى بوصف اعضاء المرأة والتشبيب بمحاسنها . فالشاعر الجاهلي مادي في تصويره اكثر مما هو روحي ، ولذلك لم يحسن التعبير عن تأثراته النفسية ، ولا احسن وصف سواها من الاشياء غير المنظورة .

اما في الاسلام فتطورت الحياة بتأثير القرآن واختلاط العرب بالشعوب الاعجمية من روم وفرنس ، فرقت الامزجة والاذواق ، وقوي الاحساس في النفوس . وكان للامويين من السلطان في اَبان دولتهم ما كبح جماح البدو ومنعهم من الغزو والغارات

ففرغ الشاعر الى نفسه يتفحصها ويتبين خفاياها، واصبح يلذ له ان يعبر عما يحس فيها من عاطفة او هوى، وحزن او سرور . فلم يبق الغزل غرضاً تابعاً لغيره من الاغراض الشعرية ، او واسطة يستهل بها الشاعر قصيدته للوصول الى غايته ، بل صار فناً مستقلاً بنفسه ، له اتباع مخصوصا به ووقفوا عليه شعرهم ، ولم يبق مقصوراً على الوصف المادي بل اضيف اليه شيء جديد ينبعث من الروح وهو وصف العواطف والاهواء وما يتصل بها من التأثيرات النفسية .

على ان هذا الفن بقي محصوراً في الجزيرة العربية لبعدها من سياسة الاحزاب في الشام والعراق . اما الشعراء الذين اتصلوا بالبلاط الاموي ، وغيرهم من شعراء الاحزاب ؛ فلم ينصرفوا الى اتقان هذا الفن بل لبثوا يقلدون فيه من تقدمهم ، ويوظفون به اغراضهم من مدح او هجاء ، وقل من نظم منهم شعراً غزلياً صرفاً . وينقسم الغزل في جزيرة العرب الى نوعين : بدوي وحضري . فالبدوي غلبت عليه العفة والرصانة لسذاجته وقربه من الفطرة ، وبعده من ملاهي الحضارة ومفاسدها . واصحابه عرفوا بالشعراء العذريين ^(١) وكانت مواطنهم في بوادي نجد والحجاز ؛ وهم في غزلهم لا يشيرون الا بامرأة واحدة ، يحبونها حباً صادقاً عفيفاً . واكثر ما يطيب لهم وصف ما يلاقون من ألم البعد ، ومرارة الهجران والصدود . واشهر اولئك الشعراء : جميل بن مَعَر ، وقيس بن ذَرِيح ، وقيس بن الْمَلَّوح أو مجنون ليلى ان صح وجوده .

ولكن هؤلاء المتيمين ليس لهم خصائص متميزة في اشعارهم فقد تغزلوا كلهم بأسلوب واحد ، وتواطؤوا على المعاني والالفاظ في بث لواعجهم ، ووصف خيلاتهم ، فاختلفت اقوالهم بعضها ببعض ، فأصبح يضاف الى جميل ما يضاف الى قيس بن ذريح ، ويضاف الى المجنون ما يضاف اليهما ، ويضاف اليهما ما يضاف الى المجنون . واطرعت اخبار عنهم تناسب هذه الاشعار ، فيها كثير من الغلو والتناقض ، ولكنها

(١) العذريون : نسبة الى قبيلة بني عذرة وهم قوم عرفوا بالحب الصادق العفيف حتى قيل اخم كانوا اذا احبوا ماتوا ، فنسب اليهم الحب العفيف فقليل له : الهوى المذري . وبين الشعراء العذريين من ليسوا من بني عذرة ولكنهم نسبوا اليهم لغتهم .

تلمتي جميعاً في موقف واحد . وهو ان الشاعر احب فتاة فشبب بها ، ثم خطبها الى اهلها فردوه مخافة التعيير لاشتهار حبه لها وقوله فيها ، ولم يستطع الوصول اليها لعفة نفسه وعفة نفسها ، ولكنه كان يجتمع بها سرّاً ، فعرف اهلها بجبها ، فاستعدوا عليه السلطان ، فأهدر دمه ، ففر هائماً على وجهه يقطع القفار وينشد الاشعار ، حتى يأتيه الموت فينقذه من عذابه .

واما الغزل الحضري فقد غلب عليه الرخاء والترف ، والعبث والتهتك ، فصور شعراؤه حياتهم الناعمة ادق تصوير ، وتفننوا في اساليبهم فأبدعوا ، ولا سيما اسلوب الغزل القصصي . وكانت مواطنهم مكة والمدينة ، وفيها القرشيون والانصار .

وخشي الخلفاء الامويون ان يشتغل هؤلاء الاشراف بالسياسة فتطرح انظارهم الى الخلافة وكأهم له الحق بهما ، فاجبروهم ان لا يهروا الحجاز الا بأذن منهم ، ولكنهم أسبغوا عليهم النعم الكثيرة ، وفرضوا لهم الارزاق الواسعة من بيت المال ، فالتهاوا عن طلب الملك ، وانصرفوا الى العبث والمجون . فاصبحت مكة والمدينة موطنين للذة واللهو والقصف ، وشاع فيهما فن الغناء ، فكان الشعراء الغزلون ينظمون ، ويتغنى بشعارهم القيان والمغنون . وكان هؤلاء الشعراء منزلة ليست اعيرهم ، يرفعهم اليها كرم محتدهم . فلم يتورعوا عن التشبيب بنساء الخلفاء والامراء ، وسر اولئك النسوة بأقوالهم ، فكان يتعرضن لهم ليشبوا بهن ، واطالما شفعن لهم اذا غضب الخليفة على احدهم واراد عقابه .

فيتضح من ذلك ان الشاعر الحضري لم يقتصر في تشبيهه على امرأة واحدة كالشاعر البدوي ، بل كان موكلاً بالجمال يتبعه اين رآه . واشهر هؤلاء الشعراء الغزلين : عمر بن ابي ربيعة ، والعرجي القرشيان ، والأحوص بن محمد الانصاري .

فأما وقد عرفنا كيف نهض الغزل في الصدر الثاني من الاسلام فينبغي لنا ان نتخذ مثلاً لدرسه شاعرين مشهورين وهما : جميل بن مَعَرٍ حامل لوائه البدوي ، وعمر بن ابي ربيعة رافع عرش حضارته . ولنبدأ بجميل .

جميل بن معمر

٧٠١ م و ٥٨٢ هـ

- حياته : جميل بُثينة من بني عُذرة . وبُثينة صاحبتة . اول حبه لها . خبره مع توبة . هدر دمه وهربه الى اليمن . رجوعه وذهابه الى مصر . موته . بلوغ الخبر لبُثينة . عفة جميل وكلامه لابن سهل . اخبار جميل . السخف والعلو والتناقض في قصته . سبب ذلك . الاعتماد في الدرس على شعره دون اخباره
- آثاره : اشعار واخبار في كتب الادب . مجموعة خطية من شعره في براسين .
- ميزته : جلالة البداوة . رقة العاطفة . رصانة الاسلوب . الحب الصادق العفيف . القناعة منه بالشيء . الزهيدة . اختلاف غزله عن غزل الجاهليين . وصف اشاعر نفسه وآلامه مع الوصف المادي لمحبوبته . التفاته من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة . جمال هذا التنقل . الغلو البريء الساذج .
- مترنته : زعيم الشعراء الغزليين في صدق مودته ، وزعيم المذريين في عفافه .

ميانه

هو جميل بن عبدالله بن معمر العذري ، اشتهر بحبه لابنة عمه بُثينة ، فعرف بجميل بثينة . وكانا يقيان في وادي القرى ^(١) ، واحبها وهو غلام صغير . قيل انه اقبل يوماً بابله حتى اوردها وادياً يقال له بغيض ، فأضجع وارسل ابله مصعباً واهل بثينة بذيل الوادي . فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين ، فترتا على فصال ^(٢) لجميل بروك ^(٣) ، فعزقتهن ^(٤) بثينة ، وكانت حينئذ جوربية لم تدرك ، فسبها جميل فسبته ، فأنح اليه سبابها واحبها . وفي ذلك يقول :

وَأَوَّلُ مَا قَادَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ،
بِوَادِي بَغِيضٍ ، يَا بُثَيْنَ ، سِبَابُ

(١) وادي القرى : موضع في الحجاز قريب من المدينة . (٢) الفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه . (٣) البروك : جمع بارك وهو اللابل بمعنى الجالس للانسان . (٤) عزقتهن : ضربتهن فأثخنتهن .

فَقُلْنَا لَهَا قَوْلًا ، فَجَاءَتْ بِبَيْتِهِ ، لِكُلِّ كَلَامٍ ، يَأْبُسِينَ ، جَوَابُ
ثم صارت بشينة شابة ، وصار جميل شاباً ، فازداد بها هيأماً وطفق ينسب بها
حتى اشتهر امره . فخطبها الى اهلها فردوه مخافة ان يعيروهم الناس لقوله فيها
وشيوع حبه لها .

واتفق مرةً ان توبةَ بنِ أَحْمَرَ صاحبِ ليلي الأخيالية مر بيني عُذرةً ، فرأته
بشينة فجعلت تنظر اليه وجميل حاضر ، فثارت الغيرة في قلب جميل فقال لتوبة :
« هل لك في الصراع ؟ » قال : « ذلك اليك . » فأعطت بشينة جميلاً ملاءة حمراء فاتزر
بها وصارع توبة فصرعه . ثم قال : « هل لك في النضال ^(١) ؟ » قال : « نعم . »
فناضله فنضله ^(٢) جميل . ثم قال : « هل لك في السباق ؟ » قال : « نعم . » فسابقه
فسابقه جميل . فقال توبة : « يا هذا انما تفعل ذلك بريح هذه الجالسة ، ولكن
اهبط بنا الوادي . » فهبط ، فصرعه توبة ، ونضله ، وسبقه .

وكان عند بشينة مثل ما عند جميل ؛ فلما رأته غيرته عليها زادت شغفاً به .
واخذوا يجتمعان على موعد عند غفلات الرجال ، فعرف قومهها فجمعوا له جمعاً ،
وترصدوه ذات ليلة ليقتلوه فحذرت به بشينة ، فاستخفى وقال :

وَلَوْ أَنَّ أَلْفًا دُونَ بَشِينَةَ ، كُلُّهُمْ غِيَارِي ، وَكُلُّ مَزْمُوعُونَ عَلَى قَتْلِي ^(٣)
لَحَاوَلْتُهُمْ ، إِمَّا نَهَارًا مُجَاهِرًا ، وَإِمَّا سُرَى لَيْلٍ ، وَكَلَّ قَطَعُوا رِجْلِي ^(٤)
ثم هجا قومها فاستعدوا عليه مروان بن الحكم ، وهو على المدينة من قبل
معاوية ، فأهدر دمه او نذر ليقطن لسانه ، فهرب جميل الى اليمن وفي ذلك يقول :
أَتَانِي عَنْ مَرَوَانَ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ مُقَيَّدٌ دَمِي ^(٥) ، أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِي ^(٦)
فَفِي الْعَيْسِ مَنْجَاةٌ ، وَفِي الْأَرْضِ مَذْهَبٌ ، إِذَا نَحْنُ رَفَعْنَا لَهُنَّ أَلْمَانِيَا ^(٦)
فأقام هناك الى ان عزل مروان ، فرجع الى بلده .

(١) النضال : رمي النبال . (٢) ناضله : غالبه في الرمي . فضله : فغلبه . (٣) بشينة :
تكبير بشينة وهي المرأة الحسناء البضة . (٤) لحاولتها : أي لطلبتها . (٥) مقيد دمي : أي
مهدر دمي . (٦) العيس : الابل . المثاني : جمع مثناة وهي الجبل من صوف او شعر . أي اذا نحن
رفعنا الجبال للعيس فتنتلق في سيرها .

وانتجع اهل بئينة الشام فرحل جميل اليهم ، فشكوه الى عشيرته فغفقه اهله
وهددوه ، فانقطع عنها . ثم لجأ الى مصر وعليها عبد العزيز بن مروان فأحسن
وفادته . ولكنه لم يلبث ان مرض مَرَضَةً فمات بها .

قيل لما حضرت جميلًا الوفاة دعا برجل وقال له : « هل لك ان اعطيك كل ما
أخلفه علي ان تفعل شيئاً اعهد به اليك ؟ » قال : « نعم . » قال : « اذا مت فخذ
حلتى هذه واعزلها جانباً ، وكل شيء سواها لك ؛ وارحل الى رهط بئينة على ناقتي
هذه ، والبس حلتى هذه اذا وصلت ، واشققها ثم اعلُ على شرف ، وصح بهذه
الايات :

صَدَعَ النَّعْيُ ، وَمَا كُنِّي ، بِجَمِيلٍ ، وَتَوَى بِيضَرَ ثَوَاءً غَيْرَ قَوْلٍ ^(١)
وَلَقَدْ أُجِرُ الذَّلِيلَ فِي وَادِي الْقُرَى ، نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ ^(٢)
قَوْمِي بَيْئِنَةٌ ، فَأَنْدُبِي بِعَوِيلٍ ، وَأَبِي خَلِيلِكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ

فلما اتى الرجل وانشد الايات ، برزت بئينة وقالت : « يا هذا ، ان كنت
صادقاً فقد قتلتني ، وان كنت كاذباً فقد فضحتني » ، فقال : « ما انا الا صادق . »
واراها الحلة . فصاحت وصكت ، وجبها ، فاجتمع نساء الحي يبيكين معها حتى
صعقت ^(٣) ، فمكثت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وقالت :

وَإِنَّ سُلُومِي عَنْ جَمِيلٍ لَسَاعَةٌ ، مِنْ الدَّهْرِ مَا حَانَتْ ، وَلَا حَانَ حِينُهَا ^(٤)
سَوَاءَ عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ بَنُ مَعْمَرٍ ، إِذَا مِتَّ ، بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلَيْنُهَا ^(٥)

(١) صدع : تكلم بالحق جهاراً ، اي صرح النعي . بجميل : متعلق بصدع . وقوله :
ما كنى : اي ما ستر ولا تكلم بصورة الكناية وهي ضد التصريح . ثوى : اقام والضمير
يعود على جميل . غير قفول : غير راجع اي ثواء شخص غير راجع (٣) ولقد اجر
الذيل : التفت الى المتكلم وهو جميل . وجر الذيل : كناية عن التيه والتهيؤ في المشي .
النشوان : السكران ، وهنا نشوان من الطرب والعز والسعادة لا من الخمر . النخيل والنخل :
واحد . (٣) صعقت : غشي عليها . (٤) تقول : ان زمن سلوفا عن جميل لم يقرب ولا قرب وقته .
(٥) بأساء الحياة : بوسها . لينها : رخاؤها . تقول : اذا مت يا جميل فالبوؤس والرخاء
سيان عندنا . اي لا تبقى للحياة قيمة عندها .

وقال عباس بن سهل الساعدي : « آتيتني رجل من اصحابي فقال : « هل لك في جميل ، فانه يعتل ، نعوده ؟ » فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه ، فنظر اليّ وقال : « يا ابن سهل ، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزن ، ولم يقتل النفس ، ولم يسرق ، يشهد ان لا اله الا الله ؟ » قلتُ : « اظنه قد نجا ، وارجو له الجنة ؛ فمن هذا الرجل ؟ » قال : « انا ؛ » قلتُ : « ما احسبك سلمت وانت تشب ببيئته منذ عشرين سنة . » قال : « لانا التي شفاعة محمد ان كنت وضعت يدي عليها لريبة . » وكان جميل طويل القامة ، عريض ما بين المنكبين ، جميل الحلقة ، حسن النزة (١) .

اخبار جميل

اصحاب بيئته اخبار كثيرة يتألف منها قصة فكهة لمن اراد التسليمة دون ان يشغل فكره بالدرس والانتقاد، ولكن اذا رماها بنظر الناقد بدلا له ما فيها من سخف وغلو وتناقض ، مما يدل على ان واضعها قليل الحظ من فن التأليف . فهو يروي لنامرة خبرا يصور فيه جميلا مثالا للعفة ، كما نعهده في شعره ، ثم يشغفه بنجر آخر يشوه هذه العفة ويفسدها . ويحدثنا مرة اخرى عن وفاء جميل حديثا لذيذا ، ولكنه لا يلبث ان ينقضه بغيره فيرينا هذا العاشق غادرا لثيما . وهكذا يصح القول في شجاعة جميل وجبنه .

وبين ان هذه المناقشات تعود باجمعها على تعدد رواة القصة ووضاعها . فانهم لم يقصدوا منها خدمة الحقيقة والتاريخ وانما مفاكهة الناس في ذلك العصر الاموي الذي كثر فيه الترف والاهو ، فكان احب شيء الى قومه استماع اخبار العشاق المتيمين . ونحن في درسنا جميلا نعتمد على شعره ، لا على تلك الاقاصيص المتفرقة التي ليس لها قيمة تاريخية ولا فنية ، وليس لها نفع لولا حسن انشائها . واما شعره فيمكننا ان نتمثل فيه حالة جميل وغير جميل من اولئك الشعراء الغزلين الذين عطروا البادية بانفاسهم في الصدر الثاني للاسلام .

لجميل اشعار واخبار متفرقة في كتب الادب ، واكثر شعره في الغزل وله اقوال في الفخر والهجاء . وكان له ديوان كبير معروف في ايام ابن خلكان ^(١) فضع ، ولكن بقي له اشعار مجموعة في كتاب ، منه نسخة خطية في برلين .

مبرزته - الغزل البدوي

جلال البداوة وسذاجتها ، ورقة العاطفة ولوعتها ، ورسالة العبارة وقوتها : شي يتألف منه شعر جميل .

عفاف النفس وقناعتها ، وصدق المودة ووقاؤها : هذا هو حب جميل .

وما جميل الا زعيم الشعراء المتيمين ، واستاذ الغزل البدوي في نهضته الاسلامية ؛ فاذا انت قرأته تعلم مبلغ تطور الشعر الغزلي على عهد بني امية وغير الفرق بينه وبين الغزل في الجاهلية ، ثم ترى تلك اللوعة الصادقة ، وذلك الحب العفيف . فانظر اليه كيف يشكو الى بثينة وجده ويتقاضاها دينه ، وكانت وعدته باللقاء فاخلفت مكرهه لا مختارة :

وَكَأَنَّ طَارِقَهَا ، عَلَى عُلَلِ الْكَرَى ، وَالنَّجْمُ وَهَنَا قَدْ دَنَا لِتَغَوَّرِ ، ^(٢)
يَسْتَأْفُ رِيحَ مُدَامَةٍ مَعْجُونَةٍ ، بِذِكْرِ كَيْ مَسْكَ ، أَوْ سَجِيحِ الْعَنْبَرِ ^(٣)
إِنِّي لِأَحْفَظُ غَيْبِكُمْ وَيَسْرُنِي ، إِذْ تُذْكَرِينَ بِصَالِحِ ، أَنْ تُذْكَرِي

(١) ابن خلكان : عالم مؤرخ شهير توفي سنة ١٢٨٢ م ٦٨١ هـ . (٢) طارقتها : زائرها ليلاً . العلل : الشرب تباعاً . الكرى : الرقاد . الوهن : الليل عند ادماره . (تغور : الغياب . يقول : كأن زائرها ليلاً ، وقد سقاها الرقاد تباعاً من خمرته فاسكرها فنامت طويلاً . ثم قال : والنجم في آخر الليل قد دنا للغياب . يشير الى قرب طلوع الصباح . وخبر كأن في البيت التالي . (٣) يستاف : يشم . والجسلة خبر كأن . يقول : كان زائرها وقد علها الكرى بشرا به يشم عند الصباح ريح خمرة معجونة بالمسك الذكي ، او بمسحوق العنبر . يشير الى طيب رائحة فيها في الضحى اذ ينبت الفم من الابخرة التي تتصاعد اليه من المعدة في اثناء الرقاد . والمعنى : ان بثينة لا يحمل رقادها الى فمها هذه الابخرة الكريجة بل يسقيه خمرة معجونة بالمسك والعنبر .

وَيَكُونُ يَوْمٌ ، لَا أَرَى لَكَ مُرْسَلًا ،
 يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً ،
 أَوْ اسْتَطِيعُ تَجَلُّدًا عَنْ ذِكْرِكُمْ ،
 لَا تَحْسَبِي أَنِّي هَجَرْتُكَ طَانِعًا ،
 فَلْتَبْكِينَ أَلْبَاكِيَاتُ ، وَإِنْ أُبِخَ ،
 يَهْوَاكِ ، مِمَّا عَشْتُ ، الْفَوَادُ ، فَإِنْ أُمْتُ ،
 وَإِنِّي إِلَيْكَ بِمَا وَعَدْتِ لَنَاظِرٌ
 يَعِدُّ الدُّيُونَ ، وَلَيْسَ يُنْجِزُ مَوْعِدًا
 مَا أَنْتِ وَالْوَعْدُ الَّذِي تَعِدِينِنِي ،

فهذا الغزل يختلف عن غزل امرئ القيس وطرفة وزهير وغيرهم من الجاهليين ،

(١) مُرْسَلًا : رسولا . يقول : ان يومه يصير كالاشهر في طوله ان لم يجتمع بها او لم ياتمه منها رسول . (٢) لم يقدر : أي لم يكن مكتوباً في لوح القضاء والقدر . (٣) او استطيع : اي او ليتني استطيع . يفيق . يصحو . الصباية : حرارة الشوق . تفكري : اي تفكري بكم . (٤) حدث : اي امر عظيم . رائع : مخيف . (٥) فلتبكين الباكيات : أي فلامت ولتندبني النوادب اذا هجرتك ، وان بحت بسرك فلا عذر لي منك . (٦) الاقبر : جمع قبر . يقول : جواك فوادي مدة عيشي . وتعريف الفواد ينوب عن ياء المتكلم . ثم قال : واذا مت يتبع رجع صوتي رجع صوتك بين القبور ، أي اخا اذا وقفت على قبره ونادته اجابها من بين القبور . ومن ذلك قول توبة بن الحسيم :

ولو أن ليلى الاخيلية سأعت علي ، ودوني جندل وصفايح ،
 لسلست تسليم الباشدة ، أو زقا وإيها صدى من جانب القبر صائح

(الجندل : الحجارة . الصفايح : الحجارة العراض . زقا : صاح)

(٧) بما وعدت : اي بما وعدت من لقاء : المكث : ذو المال . وقوله : نظر الفقير الى الغني : اي نظرة خشوع واستعطاء . (٨) يد الديون : أي وفاءها . واديون جميل على بثينة هي مواعيد اللقاء . ينجز : يفي . الغريم : الدائن والمدين ، والمراد هنا المعنى الثاني . وقوله : هذا الغريم : أي بثينة لانها مدينة له بوعدها . المعسر : من ضاقت ذات يده فعجز عن دفع المال : اي ان بثينة تستطيع ان تفي دينها لانها غير عاجزة عن ادائه . (٩) اي وعدها كاذب كالبرق الخلب الذي لا يطر بعده .

اذ لا يقتصر على التشبيب بمحاسن المرأة بل يضيف اليه شيئاً روحياً يعني بنفس الشاعر وعواطفه . وربما كانت عناية الشاعر الاسلامي بنفسه اكثر من عنايته بوصف محبوبته . ففي هذه القصيدة لا يكاد جميل يذكر بثينة وطيب نكبتها حتى ينصرف الى نفسه ، فيبث شكائته وما يلاقه من ألم البعد ، ثم يشرح هواه الذي يرافقه الى ما بعد الموت « يتبع صداي صدالك بين الأقبور . » ثم يتقاضى ديونه ويلج في طلبها ، ولكنه يقنط أخيراً من وفائها فيقول :

مَا أَنْتِ وَالْوَعْدُ الَّذِي تَعِدِينَنِي ، إِلَّا كَبَرْقِ سَحَابَةٍ لَمْ تُنْطِرْ

وهو في شكائته وشرح هواه وتقاضيه ديونه ، ملتاع صادق اللوعة لا يتكلف الحب تكلفاً ؛ وعف اللسان والضمير لا تخرج من فمه كلمة تحدش جبين الادب .

وما اجمل هذا الالتفات في شعره من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة ، وما اشد وقع في النفس ، فانه في كل التفاتة ينبه السامع ، ويبعث فيه نشاطاً جديداً للاصغاء اليه .

ومن قوله وقد ازمع السفر الى مصر :

أَلَا لَيْتَ رَيْعَانَ الشَّيَابِ جَدِيدُ ، وَدَهْرًا تَوَلَّى ، يَا بُتَيْنَ ، يَعُودُ^(١)

فَنَعْنَى كَمَا كُنَّا نَكُونُ ، وَأَنْتُمْ قَرِيبٌ ، وَإِذَا مَا تَبْدَلِينَ زَهِيدُ^(٢)

وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا ، وَقَدْ قَرَّبْتَ نَضُوي : « أَمِضْ رُيْدُ؟ »^(٣)

وَلَا قَوْلَهَا : « لَوْلَا الْعُيُونُ الَّتِي تَرَى ، أَتَيْتُكَ ، فَأَعْذُرْنِي ، فَمَا تَكُ جُدُودُ ! »^(٤)

ويقول في ختامها وهي طويلة :

يَمُوتُ الْهَوَى مِثِّي إِذَا مَا أَمَيْتُهَا ، وَيَحْيَا إِذَا فَارَقْتَهَا ، فَيَعُودُ^(٥)

(١) تولى : ذهب ومضى . (٢) نعنى : نعيش . كما كنا نكون : اي كما كنا نعيش . وقوله قريب ، يقال : انتم قريب وانتم قريب على المفرد والجمع . يقول : نعيش كما كنا نعيش اذ كنت لا احظى منك بغير النظر ، وهو شيء زهيد تبديلينه وانسا به راض . (٣) م الاشياء : اي من الاشياء . استعملت في الشعر . النضو : المهزول من الابل لكثرة الاسفار . وقوله قَرَّبْتَ نَضُوي : أي قَرَّبْتَ ناقتي للرحيل . (٤) العيون : الرقباء مجاز مرسل . فدتك جدود : أي فدتك جدود لي . (٥) قوله : يموت الهوى مني : اي ان شوقه يخمد عندما يراها لشدة عفافه وحيائه . واذا ابتعد عنها عاوده الشوق .

يَقُولُونَ : « جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِعَزْوَةٍ ! » وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ أُرِيدُ ؟ (١)
 إِكْلَ حَدِيثِ بَيْنَهُنَّ بِشَاشَةٌ ، وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدٌ (٢)

ويحسن بك ألا تفعل عن قوله : « يوت الهوى مني اذا ما لقيتها . . . » فانه
 يصور حب جميل وعفة جميل . فأكرم بحب هؤلاء العذريين ، يزينه الطهر والوفاء .
 ومن قوله :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَأَشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي
 يَقُولُونَ : « مَهْلًا يَا جَمِيلُ » وَإِنِّي
 أَحِلْمًا ! فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ ،
 وَكَمْ قَدَرْنَا نَا سَاعِيَا بِبَنِيمَةٍ ،
 إِذَا مَا تَرَأَجَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا ،
 كِلَانَا بَكِي ، أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةٌ ،
 وَفِيهَا يَقُولُ :

أَجْدُكَ ! لَا أَتَقَى بُشَيْتَةَ مَرَّةً ، مِنْ الدَّهْرِ ، إِلَّا خَائِفًا أَوْ عَلَى رَحْلِ ! (٨)

(١) جاهد : اي جاهد في سبيل الله . غيرهنَّ : الضمير عائد على النساء أي غير جهادي
 في جهن . وهو يريد واحدة ولكنه اطلق الكلام على مجموع جنس النساء . (٢) بشاشة :
 اي طلاوة . شهيد : اي له ثواب وأجر لانه مات مجاهدًا في جهن . (٣) صرم : قطع . وصرمت
 حبله : اي فجرت وقطعت حبل مودته . (٤) الحلم : العقل . وقوله : أحلمًا : الاستفهام هنا
 للاستبعاد ، اي اضم يظلمون منه ان يصبر عن بشينة فيقول : أتريدون ان احلم واصبر عنها بعد
 ان مضى أوان الحلم ، أم تريدون ان أخشى ولطالما أوعدت بالقتل . وقوله أحلمًا : مصدر الفعل
 محذوف . (٥) لم يعمد : لم يقصد . يقول : كم من واش سعى بأحدنا الى الآخر ولم يقصد احدنا الى
 ذلك الواشي فيكافه هذه السعاية . وقوله : بكف ولا رجل : أي سار اليه حبواً على اليمين
 او مشياً على الرجلين . (٦) يقول : اذا ما تعانينا بعد سعي الوشاة تراضينا فتبكي بشينة ويختلط
 دمها بكحلها . (٧) كلانا بكى : أي كلانا بكى في وقت واحد . ثم قال : أو كاد يبكي .
 ثم قال : ولكن بشينة استعجلت عبرة قبلي . (٨) الجد : ضد الجزل . وقوله . أجدك : أي
 أجد منك ، منصوبة على ترع الخافض ، أو على اخا مفعول مطلق والتقدير : أجد جداً . وقوله :
 خائف : اي خائف من الوشاة والرقباء . وقوله : او على رحل : اي مودع مزعم السفر .

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا ، هَلْ رَأَيْتُمَا
 قَتِيلًا ، بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي؟
 أَيْبَتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَآ ،
 وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ، ذُرُوفُضْرُ^(١)

وقد تجد في غزل جميل شيئاً من الغلو ولكنه بري. ساذج ، تدافع به اللوعة
 من جميع جهاته ، فلا تنكره عليه ، ولا تحس فيه تكلفاً او اغراباً ، بل يلذ لك ان
 تسمعه يقول :

فَلَوْ أَرْسَلْتُ يَوْمًا بُيْتِنَةَ تَبْتَعِي
 لَأَعْطَيْتَهَا مَا جَاءَ يَنْغِي رَسُولَهَا ،
 سَلِينِي مَالِي يَا بُثَيْنَ ، فَإِنَّمَا
 فَمَا لَكَ ، لَمَّا خَبَرَ النَّسَاسُ أَنَّنِي
 فَأَبْلِي عُدْرًا ، أَوْ أَجْبِيءَ بِشَاهِدٍ ،
 وَكُنْتُ ، وَإِنَّ عَزَّتْ عَلَيَّ ، بِقَارِلِ
 وَنَبْتُ قَوْمًا فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دَمِي ،
 إِذَا مَا رَأَوْنِي مُشْبِلًا عَنْ جَنَابَةٍ ،
 يَمِينِي ، وَلَوْ عَزَّتْ عَلَيَّ يَمِينِي ،
 وَقُلْتُ لَهَا بَعْدَ الْيَمِينِ : سَلِينِي ،
 يُبِينُ عِنْدَ الْعَالِ كَسْلُ ضَنِينِ
 أَسَأْتُ بِظَهْرِ الْعَيْبِ ، لَمْ تَسَلِينِي^(٢)
 مِنْ النَّاسِ عَدْلٍ : أَنَّهُمْ ظَلَمُونِي^(٣)
 لَهَا بَعْدَ صَوْمٍ : يَا بُثَيْنَ صَلِينِي^(٤)
 فَلَيْتَ الرَّجَالَ الْمُوعِدِينَ لِقَوْنِي^(٥)
 يَقُولُونَ : « مِنْ هَذَا؟ » وَقَدْ عَرَفُونِي^(٦)

أفليس من الغلو الساذج ان ترى الشاعر يجود بيمينه غير آسف عليها ، ثم لا يجد
 ذلك كافياً لاطهار حبه اذا لم يشفعه ببذل ماله فيقول : « سليني مالي يابثين . . . »
 وهو على تبالكة في حبها شجاع باسل يهدد قوما : « فليت الرجال الموعدين
 لقوني . » وفخور معجب بنفسه : « يقولون : من هذا ؟ وقد عرفوني . » وأنوف
 يابى الضيم ولو كان الحبيب الفاعل :

وَكُنْتُ ، وَإِنَّ عَزَّتْ عَلَيَّ ، بِقَارِلِ لَهَا بَعْدَ صَوْمٍ : يَا بُثَيْنَ صَلِينِي

(١) الهلاك : الصماليك . موسعون : اغنياء . قادرون . (٢) الظاهر : الغيب ، وقولهم
 ظهر الغيب من باب اضافة الشيء الى نفسه كنسب الصباء والمعنى : أسأت اليك في غيابك . (٣) ابلي
 عذراً : اي اقدم لك عذراً مقبولاً . (٤) الصرم : القطيعة والحجر . وقوله : وان عزت علي :
 اي عزت عليه بئينة ان يصلها . (٥) نذروا دمي : اوجبوا هدره على انفسهم . الموعدين : المهديين .
 وقوله فيك : اي لاجلك والمعنى : نذروا دمي لاجلك . (٦) عن جنابة : عن بعد .

ولكنه ، وان صرمت حباله ، لا يرضى بها بديلا ، ولا يسمع قوله

العواذل فيها :

فَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَّهَا ، بِالْجِدِّ تَخْلُطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ (١)
 - : لَوْ أَنَّ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قَلَامَةٍ ، فَضْلاً ، وَصَلَّتْكَ ، أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِي (٢)
 صَادَتْ فُوَادِي ، يَا بُشَيْنَ ، حِبَابِكُمْ ، يَوْمَ الْعَجُوجِ ، وَأَخْطَأْتُكَ حِبَابِي (٣)
 مَنِيَّتِي ، فَلَوَيْتَ مَا مَنِيَّتِي ، وَجَعَلْتَ عَاجِلَ مَا وَعَدْتَ كَآجِلِ (٤)
 وَتَثَاقَلْتُ لَمَّا رَأَتْ كَلْفِي رِبْهَا ، أَحِبُّ بِإِلَيَّ بِذَلِكَ مِنْ مُتَثَاقِلِ (٥)
 وَأَطَعْتَ رِي فِي عَوَازِلٍ فَهَجَرْتَنِي ، وَعَصَيْتُ فَيْكَ ، وَإِنْ جَهَدَنَ ، عَوَازِلِي (٦)
 حَاوَلْتَنِي لِأَبْتٍ حَبَلٍ وَصَالِكُمْ ، مِيَّتِي ، وَوَلَسْتُ ، وَإِنْ جَهَدَنَ ، بِفَاعِلٍ ؟ (٧)
 وَيَقْلُنَ : « إِنَّكَ قَدَرَضَيْتَ بِبَاطِلِ ، مِنْهَا ، فَهَلْ لَكَ فِي أَجْتِنَابِ الْبَاطِلِ ؟ » (٨)
 لِيُزِلَنَّ عَنْكَ هَوَايَ ، ثُمَّ يَصْلَتَنِي ، وَإِذَا هَوَيْتَ ، فَمَا هَوَايَ بَزَائِلِ (٩)
 فَرَدَدْتُهُنَّ ، وَقَدْ سَعَيْنَ بِهَجُورِكُمْ ، لَمَّا سَعَيْنَ لَهُ ، بِأَفُوقِ نَاصِلِ (١٠)

(١) يقول : رب امرأة تعرض علي نفسها لاتزوجها ، وهي في كلامها تخلط الجد بالهزل ، وذلك لكي تجعل لنفسها مجالا للتخلص اذا رأت مني جفاً وصدودا . (٢) القلامه : ما ينقطع من الظفر . يقول مجيباً تلك التي عرضت نفسها عليه : لو بقي في صدري فراغ يزيد على الحب بقدر القلامه لاجبت طلبك فوصلتك ، او ارسلت اليك عارضاً نفسي قبل ان تعرضي نفسك . (٣) العججون : جبل بمكة عنده مدافن اهلها . يقول : صادتني اشراكك يوم التفاننا في العججون ، اما انا فلم استطع اصطيداك بل اخطأتك اشراكي . (٤) منيتي : حملتي على تمنيتك . لويت : طويت . يقول : وعدتني وصلاً عاجلاً ثم اجلت هذا الوعد . (٥) ثاقلت : تباطأت . كلفي : حبي وولمي . يقول : تباطأت عن وصالي لما رأت شدة حبي لها ، ولكن ما احبها في تباطؤها الي قلبي . (٦) العواذل : جمع عاذلة وهي التي تسلوم في الحب . جهدن : عين . أي عصيت في حبك عواذلي وقد عين وهن يلمني ليرددتني عن هواي . (٧) حاولتني : أردتني وطلبن مني . لابت : لاقطع . جهدن : عين . (٨) ويقان : الضمير يعود على العواذل ، اي ويقان لي . (٩) ليزلن : ليمحجن ويلاشين . يقول : وهن يقان ذلك ليبعدن حبي عنك ويلاشينه ثم يصلتنني ، ولكنني اذا احببت فليس حبي بزائل . (١٠) الافوق : السهم الذي كثر فوقه وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . الناصل : ما لا نصل فيه . يقول : فرددتن لما سعين هجركم فاخفق مساعن فكأخن رمين بسهم مكسور الفوق لا نصل له فلم يصبن المرعى

يَعْضَضْنَ مِنْ غَيْظِ عَلِيٍّ أَنَامِلًا ، وَوَدِدْتُ لَوْ يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنَادِلٍ ^(١)
 وَيَقْتُلْنَ : « إِنَّكَ يَا بُنَيَّ ، بِخَيْلَةٍ » ، نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنْبِينَ بَاخِلٍ ^(٢)

ففي هذه الايات كثير من الجمال ، سواء في سهولة اللفظ وجودة المعنى ، او في صدق الوفاء . وشرف العاطفة . فقد ردَّ الشاعر تلك التي عرضت عليه نفسها ردًّا لطيفاً لان حب بشينة لم يترك في صدره فراغاً لغيرها . ثم شكى الى بشينة ما يعانى من حبها ، وما تصنع العواذل للتفريق بينها . والله ابوه ما ابلغ الالم وحب التشبُّي من عواذله في قوله : « ووددت لو يعضضن صمم جنادل . » بل ما اشدَّ وفاءه في قوله : « واذا هويت فما هواي بزائل . » وما اعظم قناعته وصدق ولائه حيث يقول :

وَيَقْتُلْنَ : « إِنَّكَ يَا بُنَيَّ بِخَيْلَةٍ » ، نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنْبِينَ بَاخِلٍ !

الا وان قناعة جميل ، ورضاه من بشينة بالشيء الزهيد ، يتمثلان في ثلاثة ابيات له اذ يقول :

وَإِنِّي لَأَرْضِي مِنْ بُشَيْنَةَ بِالَّذِي ، لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَالِشِي لَأَقْرَّتْ بِلَابِلِهِ ^(٣)
 رِبْلًا ، وَبِأَلَا أَسْتَطِيعَ ، وَبِالْمُنَى ، وَبِأَلَا مَلَّ الْعَرُجُورَ قَدْ خَابَ آمَلُهُ ^(٤)
 وَبِالنَّظْرَةِ الْعَجَلَى ، وَبِالْحَوْلِ يَنْقِضِي ، وَأَوَاخِرُهُ ، لَا نَلْتَقِي ، وَأَوَاثِلُهُ ^(٥)

ولعل هذه الايات لا تمثل القناعة مجردة ، بل تمثل معها ذلك الحب العفيف الذي اشتهر به عشاق بني عذرة وفي طليعتهم جميل .

(١) الانامل : الاصابع . الصمم : جمع اصم وهو الصناب . الجنادل : جمع جنادل وهو الحجاره والصخور . (٢) قوله : من ضنين باخل : اي من شخص ضنين باخل . (٣) قررت : بردت وسكنت . اللابل : جمع بابل وهو شدة الهم والوسواس . (٤) بلا وما بعدها : بيان لقوله : وانى لارضى بالذي ، اي ارضى من بشينة ان تقول : لا اذا سألتها شيئاً ، وان تقول : لا استطيع ، اذا طلبت منها موعداً . وارضى منها بالمنى : اي بالتمنيات ، مفردة منية . وارضى بالامل ، ارجوه واخيب فيه . (٥) ثم يقول : وارضى منها بالنظرة المستعجلة ، وبأن تمضي اواخر السنة واواثلها دون ان نلتقي بعد هذه النظرة .

قال عبد الرحمن بن أزهر : « جميل اشعر اهل الاسلام . » وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري : « جميل اشعر اهل الجاهلية والاسلام ، والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسيه . » وقال محمد بن سلام : « كان لكثير حظ وافر ، وجميل مقدّم عليه وعلى اصحاب النسيب في النسب . وكان جميل صادق الصباة والعشق ، ولم يكن كثير بعاشق ولكنه كان يتقول . » ورأي ابن سلام هو المعول عليه ، فان جميلاً في صدق مودته وخلوص وفائه ، يتقدّم الشعراء الغزاليين على الاطلاق ، وهو في عفة نفسه وشرف عاطفته يقود شرازم الشعراء العذريين الى جهاد الحب العفيف .

عمر بن أبي ربيعة

٦٤٤ - ٧١١ م و ٢٣ - ٩٣ هـ

حياته : ولد يوم قتل عمر بن الخطاب في اسرة شريفة غنية من قريش . انصرف الى اللهو . استقبله الحواج في مكة . اخبره مع الحسان . تعرضين له . خبره مع فاطمة بنت عبد الملك . خبره مع عائشة بنت طلحة . اخلاق المرأة الحجازية المترفة . سكينه بنت الحسين . خبره مع هند بنت الحرث المرية . مشاركة المرأة للرجل في ملاحيه . حبه . مسوكل بالجمال . وصيته للفتيين . حب النساء له . زواجه كلثم المخزومية . زواجه الجارية الجسدية . نوبته . تلهفه على شبابه . مساعدته الفتى المحب على الزواج . وقوله الشعر بعد خلفه . موته في ايام عمر بن عبد العزيز ونفيه . تكذيب هذه الرواية . دعاء المرأة عليه وموته . تكلف هذه الرواية .

آثاره : ديوان شعر كله في الغزل اشهره الرائية .

ميزته : استاذ الغزل الحضري . قصر همه على الغزل . وسع نطاقه القصصي بما فيه من حوار تمثيلي . وكل نفسه بحال المرأة . يمثل عصره في شعره ، ويمثل نفسه اللطيفة . تأثير مذهبه في الشباب الحجازي والنساء . اعجاب به بنفسه . رائيته ، يستهلهما بذكر نعم ، ويكرر اسمها . حوار الاختين لما رأته لوحث الاسفار وجهه . زيارته لها . الصلة بينه وبين امرئ القيس . لم يكن عمر مقلدا بل محسن ومجدد . القصص اسلوب ابن ابي ربيعة لانه احتكره ولم يجاره احد فيه . تعلقه في الوصول الى حاجته ، انتظاره سنوح فرصة الزيارة . تعابير قرشية في لغة النساء . توييخهن له . وصيتهن له . مترلته : قسول جرير في تطور شعره . تأثير شعره في النساء . هو شاعر قريش وفتاها وزعيم الغزليين على الاطلاق .

حياته

هو نعيم بن عبد الله بن ابي ربيعة ، حذيفة بن المغيرة المخزومي القُرَشِيّ . ويكنى ابا الخطاب ، وأمه يقال لها مجد ، سببت من حضر موت او من حمير ، فتزوجها عبد الله بن ابي ربيعة ، وكان تاجراً موسراً وعاملاً للنبي والخلفاء الثلاثة من بعده ، فولدت له شاعوناً يوم قتل عمر بن الخطاب ، فنشأ في اسرة عظيمة الجاه ، ضخمة الثروة ، متوفر فيها اسباب الترف والنعيم . وقضت مصلحة بني أمية باقضاء القرشيين عن الحياة السياسية ، فانصرف عمر الى اللهو والعبث ، وكان له من شبابه وجماله وشاعريته ومحتده وثروته ما سهل له سبل المسلذات ، فاهما كثيراً وعبث كثيراً . فلم تعرض له حسناء قرشية او غير قرشية الا شببها وشهرها . وكان يقضي ايامه لاهياً مستمتعاً حتى اذا آن موسم الحج اعتمر ^(١) ولبس الحلال الفاخرة ، وركب النجائب ^(٢) المخصوبة بالحناء ، عليها القطوع ^(٣) والديباج ، واسبل ليمته ^(٤) وخرج من مكة يتلقى الحجاج المدنيين والعراقيات والشاميات فيتعرض لهن ويتبعن الى مناسك الحج ، ولا يزال يتقرب خروجهن للطواف في الكعبة ، حتى ينظر اليهن مخرمات فيرى منهن ما لا يراه خارج الحرم فيصفهن ويشهرهن بشعره .

(١) اعتمر الرجل : لبس العمرة أي العمامة . (٢) النجائب : كرائم النوق . (٣) القطوع : جمع قطع وهو الظنفة يجعلها الراكب تحته ونظي كنفه البمبر . (٤) ليمته : شعره .

وكان الحسان لا يسوؤهنَّ ان يشبَّ بهنَّ ابن ابي ربيعة ، ولطالما التمسن الاجتماع به وطلبن اليه ان يقول فيهنَّ متغزلاً ، على ان لا يقول هُجراً^(١) مخافة ان يفضحن . فكان يتعفف في غزله مرة ، ثم يتعبر مراراً ، فيذكر حوادثه معهنَّ بقلب قصصي رائع الفن . ولولا تعبره لما خشي شره بعض كرائم النساء . فصرن يخفن الخروج الى الحج حذراً من ان يراهنَّ فلا يسلمن من شيطان شعره .

على ان تعبره كان يقف به غالباً عند طائفة من صواحيبه فلا يجاوزهنَّ الى اللواتي يعرضن له في الطواف ، او الى الْمُحَصَّنات الموسومات بالعفاف . وقد يتورع من تشبه بمليحة حرمة او خوفاً ، شأنه مع فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي . فقد روى صاحب الاغاني : انها حجَّت ، فكتب الحجاج^(٢) الى عمر بن ابي ربيعة يتوعده ، ان ذكرها في شعره ، بكل مكروه . وكانت تحب ان يقول فيها شيئاً وتعرض لذلك ، فلم يفعل خوفاً من الحجاج . فلما قضت حجبها خرجت ، فمرَّ بها رجل فقالت له : « من انت ؟ » قال : « من اهل مكة . » قالت : « عليك وعلى اهل بلدك لعنة الله ! » قال : « ولم ذلك ؟ » قالت : « حججت فدخلت مكة ومعني من الجواري ما لم ترَ الا عين مثلهن ؛ فلم يستطع الفاسق^(٣) ابن ابي ربيعة ان يزودنا من شعره ابيسائاً نلهو بها في الطريق في سفرنا . » قال : « فاني لا اراه الا قد فعل . » قالت : « فأتنا بشيء ان كان قاله ولك بكل بيت عشرة دنانير . » فضى اليه فأخبره . فقال : لقد فعلت ، ولكن أحب ان تكتم علي . » قال « افعل . » فأنشده قوله :

رَاعَ الْفَوَادَ تَفَرَّقُ الْأَجَابِ ، يَوْمَ الرَّحِيلِ ، فَهَاجَ لِي أَطْرَابِي^(٤)

ولكنه لم يذكرها باسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحجاج

(١) هجرا : فحشاً . (٢) الحجاج بن يوسف اقامه عبد الملك بن مروان اميراً على الحجاز بعد انتصاره على الزبيريين . (٣) كان عمر يلقب بالفاسق تحبباً مرة وتحقيراً مرة اخرى وأكثر ما كانت تلقبه به النساء مداعبة . (٤) راع : أخاف . الاطراب : جمع الطرب : وهي خفة تلحقك من سرور او حزن وهنا بمعنى الحزن .

وجرى له مثل ذلك مع عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وهي قرشية من بني تميم بن مرة . فقد رآها وهو يطوف بالبيت ، وكانت من اجمل اهل دهرها ؛ فبهت لما رآها . ورأته وعلمت انها قد وقعت في نفسه ، فبعثت اليه جارية لها وقالت : « قولي له : اتق الله ولا تقل هجراً ؛ فان هذا مقام لا بد فيه مما رأيت . » فقال للجارية : « أقرئها السلام وقولي لها : ابن عمك لا يقول الا خيراً . » وقال فيها :
 إِعَائِشَةُ ابْنَةُ التَّمِيمِيِّ عِنْدِي ، حَمِيٌّ فِي الْقَلْبِ لَا يُرَعَى حِمَاهَا (١)

ثم شبب بها كثيراً ، فبلغ ذلك فتيان بني تميم ، ابلاغهم اياه فتي منهم وقال لهم : « يا بسني تميم بن مرة ! ليقذفن بنو مخزوم بناتنا بالعظام . » فحشى ولد أبي بكر ، وولد طلحة بن عبيد الله الى عمر بن أبي ربيعة فاعلموه بذلك ، واخبروه بما بلغهم ؛ فقال لهم : « والله لا اذكرها في شعر ابداً . » ثم اخذ يكتفي عن اسمها في قصائده ويتلطف في تبليغها ما يريد على احوال المغنين .

فيممكننا ان نستدل من هذين الخبرين على اخلاق المرأة المترفة في العصر الأموي ، وميلها الى الشعر ؛ واستلطافها ان يقال فيها الغزل النجس . من الفحش . ذلك بانها كانت على جانب عظيم من الادب ، ولها في الشعر نظر صائب وذوق سليم ، يرقئها (٢) جيدها وينفرها رديته ، ويسرها ان تجالس الشعراء وتحادثهم وتستشدهم . ومنهن من جعلت دارها ندوة ادبية ، تجمع فيها الشعراء والمغنين وتجادلهم وتنتقد اقوالهم وغنائهم انتقاداً مرأياً ، كسكينة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب ، وكانت تنافس عائشة في الجمال وربما فضلتها ، ولسكينة اخبار كثيرة مع عمر بن أبي ربيعة ، وله فيها غزل رقيق تغني به المغنون .

ونستطيع ان نقبين مبلغ ترف المرأة الحجازية في هذا العصر ، وحبها للشعر واللاهو في خبر لابن ابي ربيعة مع احدي سيدات قريش ، وهي هند بنت الحرث المريية ، وهذا الخبر حدثه عمر عن نفسه ورواه صاحب الاغانى قال : « بينا انا منذ

(١) قوله : لا يرعى حماها : اي لا ينتهك ولا يسكنه سواها . (٢) يرقئها : يسحرها واصله من رقاء : عودته ونفث في عودته اي نفخ مع ريق يسير . والعود : عقدة تعدها النساء السواحر وينفثن فيها . ومنه في سورة الفلق : « وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . »

اعوام جالس اذ اتاني خالد الخريث فقال لي : « يا ابا الخطاب ، مرت بي اربع نسوة قبيل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم أر مثلهن في بدور ولا حضر ، فيهن هند بنت الحرث الميرية ، فهل لك ان تأتيهن متنكراً فتمع من حديثهن وتتمع بالنظر اليهن ولا يعلمن من انت ؟ » فقالت : « ويحك ! او كيف لي ان أخفي نفسي ؟ » قال : « تلبس لبسة اعرابي ثم تجلس على قعود ^(١) ، فلا يشعرون إلا بك وقد هجمت عليهن . » ففعلت ما قال وجلست على قعود ثم اتيتهن فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن ، فسألني ان انشدن واحدتهن ، فأنشدتهن لكثير وجميل والأحوص ونصيب وغيرهم ، فقلن لي : « ويحك يا اعرابي ! ما أملحك وأظرفك ! لو نزلت فتحدثت معنا يوماً هذا ، فإذا امسيت انصرفت في حفظ الله ، » فأخحت بعيري ثم تحدثت معهن وانشدتهن فسررن بي وجدان ^(٢) بقوبي واعجبهن حديثي ، ثم انهن تقامزن وجعل بعضن يقول لبعض : « كأننا نعرف هذا الاعرابي ! ما اشبهه بعمر ابن ابي ربيعة ، » فقالت احدهن : « هو والله عمر ! » فمدت يديها فانزعجت عمامتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي : « هيه ^(٣) يا عمر ! أتراك خدعتنا منذ اليوم ! بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد فارسلناه اليك لتأيننا في أسوأ هيئة ونحن كما ترى . »

فحسبك من هذا الخبر دليل على حريسة المرأة الحجازية وتحضرها في العصر الأموي ، وبوسعك ان تقابلها بشقيقتها في العصر الجاهلي فترى الفرق بينها وتعلم مبلغ التطور السريع الذي احدهه الاسلام في نفوس العرب ، فاستبدلوا من الحشونة رقة ومن الواد ^(٤) حياً ومن الناقة امرأة . وافادوا مسالا كثيراً من فتوحاتهم ، فأتسعت احوالهم بعد ضيق ، فاستمتعوا بحياتهم واغرقوا في الاستمتاع . وكان للشباب الحجازي المترف دافع من السياسة الى اللهو والعبث ، فتهاقت عليها ، والمرأة حظها من كل ذلك ، فشاركته في تهافته ، وكان عصرهما عصر دعاية ومجون .

(١) القعود : الناقة الطويلة القوائم . او من الابل ما يعمده الراعي في كل حاجة .
(٢) جدلان : فرحن . (٣) هيه : كلمة استرادة . (٤) الواد : دفن البنت حية تخلصاً من عارها او مووتها وكان بعض العرب في جاهليتهم يبدون بناغم فجرمه الاسلام .

لم يقف ابن ابي ربيعة حبه على امرأة واحدة كما وقف جميل حبه على بُثينة ، بل كان تبع نساء . ينتقل كالطائر من فنن الى فنن ، او كالنحلة من زهرة الى زهرة . ولكنه على تنقله كان صادقاً في حبه لانه انما كان يهوى الجمال ، فما رأى مليحة الا احبها واستطير اليها فؤاده ، فهو صادق في حبه للجمال ، كاذب في اخلاصه للمرأة التي يحبها . ولعل ابلغ تعريف لحب ابن ابي ربيعة حديثه لمصعب بن عروة بن الزبير واخيه عثمان ، وكان قد أسنَّ وجفَّ عوده ، فبصر بها يطوفان بالبيت وهما فتيان ، فأقبل عليهما وقال : « يا ابني اخي لقد كنتُ موكلًا بالجمال أتبعه ، واني رأيتكما فراقني حُسْنِكُما وجمالِكُما ، فاستمتعا بشبابكما قبل ان تندما عليه . »

وكان عمر ناعماً في حبه تهواه النساء . لجماله وشاعريته وجاهه ، فلم يزره الصدود الا غراراً . وستجد اثر هذه النعمة مطبوعاً على شعره ، واذا رايت فيه شيئاً من التلم والشكوى فانما هو ناتج عن فراق حسناء لمحها في الطواف فاتبعها فأفلتت من يده ، او عن هجران موقوت سببته غيرة المرأة عليه لتنقله في الحب وعدم اخلاصه .

زواج

كان عمر يهوى كلاً من بنت سعد المخزومية وهي تصد وتمنع عنه لعلمها بغيره ، وما زال يبعث اليها الرسل حتى اذنت له بزيارتها ، فكث عندها شهراً لا يدري اهله اين هو . ثم استأذنها في الخروج فقالت : « والله لا تخرج الا بعد ان تتزوجني . » ففعل وتزوجها فولدت منه ابنين احدهما جوان ، وماتت عنده . وكان جوان هذا امراً صالحاً فلم يسلك مسلك ابيه وقد استعمله بعض ولاة مكة على تباله^(١) فحمل على خشم^(٢) في صدقات اموالهم حملاً شديداً فجمعت خشم سنة جوان تاريخاً . قال ضبارة بن الطفيل :

وَأَوْشَهَدْتَنِي فِي لَيْالٍ مَضِينَ لِي ، لِعَامَيْنِ مَرًّا قَبْلَ عَامِ جُؤَانَ ،

(١) تباله : بلدة من ارض تهامة في طريق اليمن . (٢) خشم : اسم قبيلة .

رَأْتَنَا كَرِيمِي مَعْشَرٍ ، حُمَّ بَيْنَنَا هَوَى ، فَحَفِظْنَاهُ رِبْحُنْ صِيَانٍ ^(١)
وفي جِوَانٍ يَقُولُ الْعَرَجِيُّ :

شَهِيدِي جُؤَانٌ عَلَى حَيْثَهَا ، أَلَيْسَ رِبْعُدَلٌ عَلَيْهَا جُؤَانٌ ؟
فجاء جُؤَانٌ إِلَى الْعَرَجِيِّ فَقَالَ لَهُ : « يَا هَذَا ، مَا لِي وَمَا لَكَ ، تُشَهِّرُنِي فِي شَعْرِكَ ؟
مَتَى أَشْهَدْتَنِي عَلَى صَاحِبَتِكَ هَذِهِ ؟ وَمَتَى كُنْتُ أَنَا أَشْهَدُ فِي مِثْلِ هَذَا ! »

ويروي لنا صاحب الاغانى خبر زواج آخر لابن ابي ربيعة هو اطروفة ^(٢) في بابه ،
ومنه نعلم مبلغ تأثير شعر عمر في الحرائر ، وتُخَوِّفُ النَّاسَ عَلَى بَنَاتِهِنَّ هَذَا الشَّعْرُ
السَّاحِرُ الْفَاضِحُ . قِيلَ : وَوُلِدَتْ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ جَارِيَةٌ لَمْ يُولَدْ مِثْلُهَا بِالْحِجَازِ
حَسَنًا ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَقَالَ : « كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ كَبُرَتْ فَشَبَّ بِهَا عَمْرُ بْنُ أَبِي
رَبِيعَةَ وَفَضَحَهَا وَنَوَّهَ بِاسْمِهَا كَمَا فَعَلَ بِنِسَاءِ قُرَيْشٍ ، وَاللَّهِ لَا أَقْتُ بِمَكَّةَ . » فَبَاعَ
ضَيْعَةً لَهُ بِالطَّائِفِ وَمَكَّةَ وَرَحَلَ بِابْنَتِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا وَابْتَاعَ هُنَاكَ ضَيْعَةً
وَوَشَّاتْ ابْنَتَهُ مِنْ أَجْلِ أَهْلِ زَمَانِهَا . وَمَاتَ أَبُوهَا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا مِنْ بَنِي جُمَحٍ حَضَرَ
جِنَازَتَهُ ، وَلَا وَجَدَتْ لَهَا مَسْعَدًا ^(٣) وَلَا عَلَيْهَا دَاخِلًا ^(٤) فَقَالَتْ لِذَايَةِ ^(٥) لَهَا سُودَاءُ :
« مَنْ نَحْنُ ؟ وَمَنْ أَيْ الْبِلَادِ نَحْنُ ؟ » فَخَبَّرْتَهَا ، فَقَالَتْ : « لَا جَرَمَ وَاللَّهِ ، لَا أَقْتُ فِي
هَذَا الْبَلَدِ الَّذِي أَنَا فِيهِ غَرِيبَةٌ . » فَبَاعَتْ الضَّيْعَةَ وَالدَّارَ ، وَخَرَجَتْ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ قَدْ خَرَجَ لِلْقَاءِ الْحَوَاجِ الْعِرَاقِيَّاتِ ، فَذَا قَبِيَّةٌ مَكْشُوفَةٌ فِيهَا
جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا الْقَمَرُ ، تَعَادَلَهَا ^(٦) جَارِيَةٌ سُودَاءُ كَالسُّبْحَةِ ^(٧) . فَقَالَ لِلسُّودَاءِ : « مَنْ
أَنْتِ ؟ وَمَنْ أَيْنَ أَنْتِ يَا خَالَةَ ؟ » فَقَالَتْ : « لَقَدْ أَطَالَ اللَّهُ تَعْبُكَ ، ، أَنْ كُنْتُ تَسْأَلُ
هَذَا الْعَالَمَ مَنْ هُمْ وَمَنْ أَيْنَ هُمْ . » قَالَ : « فَأَخْبِرِينِي عَسَى أَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ شَأْنٌ . »
قَالَتْ : « نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَمَا الْإِصْلُ وَالْمِنْشَأُ فَكَيْتُ ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى الْإِصْلِ
وَرَحَلْنَا إِلَى بَلَدِنَا ، » فَضَحِكَ . فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى سُودَاءِ تَبَيَّنَتْ ^(٨) قَالَتْ : « قَدْ عَرَفْنَاكَ . »

(١) حُمَّ : قُدِّرَ . (٢) الْإِطْرُوفَةُ : الْحَدِيثُ النَّادِرُ . (٣) الْمَسْعَدُ : مَنْ تَسَاعَدَ الْمَرْأَةَ فِي
النَّوْحِ عَلَى فِقْدَانِهَا مِنْ جَارِحَاتِهَا أَوْ ذَوَاتِ قَرَابَتِهَا (٤) دَاخِلًا : أَيِ زَائِرًا . (٥) الْذَايَةُ :
الْمَرْضِعُ وَقَدْ تَنَظَّلَ مَعَ الطِّفْلِ تَرْبِيئًا حَتَّى تَشَبَّ . (٦) تَعَادَلَهَا : تَرَكَبَ مَعَهَا فِي أَحَدِ شَقِي
لِجُودِجٍ . (٧) السُّبْحَةُ : كَسَاءُ سُودَاءُ . (٨) التَّبَيَّنَتْ : مَنَى التَّبَيُّنُ وَهِيَ ضَرْسٌ فِي مَقْدَمَةِ

قال : « ومن انا ؟ » قالت : « عمر بن ابي ربيعة ! » قال : « وبم عرفتي ؟ » قالت :
 « بسواد ثيابك وبهيئتك التي ليست الا لقريش . » فانشأ يقول :
 قُلْتُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ : « أُمَيْدٌ سُؤَالُكَ أَلْعَالَمِينَ ! » (١)
 فَرَأَتْ حِرْصِي الْفَتَاةُ ، فَقَالَتْ : « خَيْرِيهِ ، مِنْ أَجْلِ مَنْ تَكْتُمِينَا ؟ » (٢)
 - : « نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ ، وَكُنَّا قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَمَا ،
 « قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ ، فَمَنْ أَنْتَ - ؟ عَسَى أَنْ يَجْرَّ شَأْنُ شَوْوْنَا ، » (٣)
 « وَزَيْ أَدْنَا عَرَفْنَاكَ بِأَلْتَعْت - بِظَنِّ ، وَمَا قَتَلْنَا يَقِينًا ، » (٤)
 « بِسَوَادِ الثَّيْتَيْنِ ، وَنَعْتِ ، قَدْ نَرَاهُ لِنَاطِرِ مُسْتَبِينَا . » (٥)

ولم يزل بها حتى تزوجها .

نوبته

على ان صاحبنا لم يشأ ان تنقضي حياته بالفتك والمجون ، فالرواة يحدثوننا بانه
 ما بلغ الاربعين حتى نسك وتاب الى ربه وحلف ألا يقول بيت شعر الا أعتق

الفم . والثنايا : اربعة اضراس ثنتان من فوق وثنتان من أسفل . لسواد ثيبي عمر خبير
 وهو انه اتى صاحبه « الثريا » يوماً ومعه صديق له يصاحبه ، فلما كشفت الثريا الستر
 وادادت الخروج اليه رأته صاحبه فرجعت ، فقال لها : « انه ليس عن احتشمة ولا اخفي
 عنه شيئاً » ، واستلقى فضحك - وكان النساء اذا ذاك يتختمن في أصابعهن العشر - فخرجت
 اليه فضربته بظاهر كفها ، فاصابت الحوام ثيبيه العلييين فنفضتا (اي قلقتا ونحركتا)
 وكادتَا تسقطان ، فقدم (البصرة فموجلتا له فثبتنا واسودنا .

(١) أميدٌ : اي امسك انت سؤالك على الناس واحداً واحداً حتى نعلمهم . من ايدم
 المال والعهاء : فرقه عليهم . (٢) فرات حرصي : اي حرصي على معرفتهم . (٣) قد صدقناك :
 اي صدقناك الخبر . عسى ان يجر شأن شوونا : جواب لقوله لها : « عسى ان يكون لذلك
 شأن » . (٤) قوله : وما قتلنا يقينا : اي لم نعلم من انت علماً تاماً بل بالظن وبما بك من
 نعوت اي صفات . (٥) قوله : ونعت قد نراه لناظر مستبيننا : اي جيبته القرشية . وكان
 القرشي كثير الخيلاء وفيه النبوة والخلافة . قال الاخطل في وصف السكران :

مشى قرشية لاشك فيها ، وأرعى من مآزره الفضولا

اي مشية قرشية

رقبة . ولكنه ظل على الرغم منه يحن الى شبابه وجماله ، فتمر به ساعات يتلهف فيها على ما مضى من صباوته وصباه . فقد رأيت وصيته للغلامين الجميلين الذين شاهدهما يطوفان بالحرم . وابصر مرة فتى جميلاً عليه جُمّة^(١) فجعل يد الحصلة من شعره ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه ، ويقول : « واشباباه ! » ونظر مرة الى رجل يكلم امرأة في الطواف فعاب ذلك عليه وانكره ، فقال له : « انها ابنة عمي . » قال : « ذلك اشنع لامرك . » فقال : « اني خطبتها الى عمي ، فأبى عليّ الا بصداق اربع مئة دينار وانا غير مطيق ذلك ، » وشكا اليه من حبها وكلفه بها امرأة عظيماً ، وتحمل^(٢) به على عمه فسار معه اليه فكأمه ، فقال له : « هو مملق^(٣) وليس عندي ما اصلح به امره . » فقال له عمر : « وكم الذي تريده منه ؟ » قال : « اربع مئة دينار . » فقال له : « هي عليّ فزوجه . » ففعل ذلك .

وانصرف عمر الى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جواباً ، فقالت له : « ان لك لامراً واراك تريد ان تقول شعراً ؟ » فقال :

تَقُولُ وَيَلِدَتِي ، لَمَّا رَأَيْتَنِي	طَرَبْتُ ، وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينًا : ^(٤)
« أَرَأَيْكَ أَيُّومَ قَدْ أَحْدَثْتَ أَمْرًا ،	وَهَاجَ لَكَ الْهَوَى دَاءَ دَفِينًا »
« وَكُنْتَ زَعَمْتَ أَتُكَّ ذُو عَزَاهُ ،	إِذَا مَا بَشَتْ فَارَقْتَ الْفَرِينَا » ^(٥)
« بَرِّبِكَ هَلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ ،	فَشَاقَكَ ، أَمْ لَقَيْتَ لَهَا خَدِينَا ؟ » ^(٦)
فَقُلْتُ : شَكَا إِلَيَّ أَخٌ مُجِبٌ ،	كَبَعُضَ زَمَانِنَا إِذْ تَعَلَّمِينَا ^(٧)
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِنْدُ ،	فَدَكَرَ بَعْضَ مَا كُنَّا نَسِينَا
وَذُو السُّوقِ الْقَدِيمِ ، وَإِنْ تَعَزَى ،	مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاسِثِينَا

(١) الجُمّة : مجتمع شعر الراس . (٢) يقال تحمل فلان على فلان اذا استشفع به لديه . (٣) مملق : فقير . (٤) الوليدة : الامة . (٥) الغرين : العشير والمصاحب . (٦) لها : اي لصاحبتها ، وقد دل عليها لفظة الغرين في البيت السابق على تذكير المونث كما تقول : الحبيب للحبيبة . الحدين : الحليل والحليلة . (٧) قوله : كبعض زماننا : اي كبعض اهل زماننا . وفيه بيان لحالة العصر الذي عاش فيه .

وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضَتْ عَنْهَا ، لِغَيْرِ قَلِيٍّ ، وَكُنْتُ رِبَهَا ضَيِّئاً^(١)
 أَرَدْتُ بِعَادَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا ، وَلَوْ جَنَّ الْفُؤَادُ رِبَهَا جُنُوناً^(٢)

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد برأ بجلفه .

واخبار ابن ابي ربيعة بعد توبته قليلة لم يُغنِ بها الرواة عنيتهم باخبار فتكه .

صونه

يختلف الرواة في موته فمنهم من يزعم ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة نفاه الى دهلك^(٣) . ثم رأى ابن ابي ربيعة ان يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد فغزا في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها واحترق هو ايضاً . ويزعم غيرهم انه نظروا في الطواف الى امرأة شريفة فرأى احسن خلق الله صورة ، فذهب عقله عليها وكلمها فلم تجبه ؛ فشب بها ، فبلغها شعره فجزعت منه فقبل لها : « اذكريه لزوجك فانه سينكر عليه قوله . » فقالت : « كلا والله لا اشكوه الا الى الله . » ثم قالت : « اللهم ان كان نوءٌ باممي ظالمًا فاجعله طعاماً للريح . » فضرب الدهر من ضربه^(٤) ، ثم انه غدا يوماً على فرس فهبت ريح فتزل فاستتر بسلمة^(٥) ، فعصفت الريح فخدشه غصن منها فدمي وورم به ومات من ذلك .

ولا يخفى ما في الرواية الثانية من التكلف والاصطناع ، واما الرواية الاولى فينفى تاريخ وفاة ابن ابي ربيعة ، فان اكثر الرواة متفقون على انه مات في السنة الثالثة والتسعين للهجرة . ونحن نعلم ان عمر بن عبد العزيز لم يسايح بالخلافة الا في السنة التاسعة والتسعين^(٦) اي بعد وفاة الشاعر بست سنوات ، حتى ان ابن ابي

(١) الخلة : الخلية . القلي : البغض . ضئنا : بخيلا . (٢) قوله : اردت بعادها : اي توبة وندامة . (٣) دهلك : جزيرة من بلاد الحبش في البحر الاحمر بين بر اليمن وبر الحبش على ٢٥ ميلاً من مصوع الى الشرق وفي جوارها عدة جزر صغيرة تدعى جزائر دهلك . (٤) يقال : ضرب الدهر من ضربه : أي مرّ من مروره وذهب بعضه ، والمراد انه مرت مدة من الدهر . (٥) السلمة : واحدة السلم وهو شجر من العضاء ورقها القَرْظ الذي يدبغ به الادم . (٦) خلافة عمر بن عبد العزيز من سنة ٧١٧ - ٧١٩ م و ٩٩ - ١٠١ هـ .

ربيعة لم يدرك خلافة سليمان بن عبد الملك ^(١) بل هلك في خلافة اخيه الوليد ^(٢) والدليل على ذلك ما رواه ابو الفرج في الاغانى، قال: «خرجت الثريا ^(٣) الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق في دين عليها، فبينما هي عند ام البنين بنت عبد العزيز ابن مروان ^(٤)، اذ دخل عليها الوليد فقال: «من هذه؟» فقالت: «الثريا جاتني تطلب اليك في قضاء دين عليها وحوائج لها.» فاقبل عليها الوليد فقال: «أتروني من شعر عمر بن ابي ربيعة شيئاً؟» قالت: «نعم، أما إنه يرحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر!» ثم انشدته قوله:

إِذْ فُوَادِي يَهْوَى الرَّبَابَ، وَأَتَى أَلَدَّ - هَرَحَتِي أَلَمَّاتٍ أَنْسَى الرَّبَابَا ^(٥)
وَحَسَانًا جَوَارِيًا خَفِرَاتٍ، حَافِظَاتٍ عِنْدَ أَلْهَوَى أَلْأَحْسَابَا ^(٦)
لَا يُكْثِرْنَ فِي أَلْحَدِيثِ وَلَا يَتَّبِعْنَ - يَنْعَمْنَ بِالْبَهَامِ، أَلْظُرَابَا ^(٧)

فقضى حوائجها وانصرفت بما ارادت منه، فلما خلا الوليد بام البنين قال لها: «لله در الثريا! أتدرين ما ارادت بانشادها ما انشدتني من شعر عمر؟» قالت: «لا»، قال: «لما عرضت لها به عرضت لي بان امي اعرابية.» وام الوليد وسليمان ولادة بنت العباس من بني عباس.

فن هذه الرواية نعلم ان ابن ابي ربيعة توفي في خلافة الوليد ولم يدرك سليمان، ولا ادرك عمر بن عبد العزيز. فنخر نفيه الى دهلك وغزوه واحتراق السفينة به

(١) خلافة سليمان بن عبد الملك من ٧١٤ - ٧١٧ م و ٩٦ - ٩٩ هـ (٢) خلافة الوليد ابن عبد الملك من ٧٠٥ - ٧١٤ م و ٨٦ - ٩٦ هـ. (٣) الثريا بنت عسلي بن عبد الله بن الحرث ابن أمية الاصغر، القرشيبة احدى صواحب عمر. (٤) أم البنين: زوجة الوليد بن عبد الملك. (٥) الرباب: اسم امرأة. انى: بمعنى كيف. وقوله: الدهر: اي مدى الدهر، والمراد مدى العمر. يقول: كيف انسى الرباب مدى العمر وحتى الممات. (٦) وحساناً: معطوفة على قوله: انسى الربابا. خفريات: حبيبات. الاحساب: الشرف، اي يحفظن شرفهن في الحب. (٧) لا يكثرن في الحديث: اي لسن بشرائات. ينعمن: من نعمن الراعي بالغنم صاح بها وزجرها. البهام: جمع بومة وهي الصغير من اولاد الغنم: الضأن والمز والبقر من الوحش وغيرها، الذكر والانثى في ذلك سواء. الظراب: الروابي الصغار مفردا ظرب. يقول: لا يتبعن الروابي ناعقات بالبهام. يريد انهن لسن اعرايات راعيات للغنم.

مصنوع لا شك في اصطناعه ، وضعه انصار بني أمية ليبالغوا في غيرة خلفائهم على الخرمات ، فجعلوا الشاعر طريداً خليفة اشهر بتحرجه وهو عمر بن عبد العزيز ولكنهم لم ينتبهوا الى تاريخ خلافته ولا الى تاريخ موت ابن ابي ربيعة . وقد وقع بعض كتابنا المعاصرين في خطئهم^(١) ، فتبعوهم على غير روية ، وذكروا حادثة النبي دون ان ينظروا الى السنوات الست التي تفصل بينها وبين تاريخ الوفاة .

فيبتين لنا من كل ذلك ان موت ابن ابي ربيعة مجهول السبب لعدم اهتمام الرواة باخبار الشاعر بعد توبته ، ولكنهم كادوا يجمعون على انه توفي وقد قارب السبعين او جاوزها .

أما

ديوان شعر كله في الغزل والنسيب ، واخبار كثيرة متفرقة في كتب الادب ، جمع منها صاحب الاغاني طائفة حسنة في اكثر من ١٨٠ صفحة . واشهر شعره « رائيته » التي مطلعها :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرٌ ، غَدَاةَ غَدٍ ، أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجَّرٌ ؟

مبكرة - الغزل الحضري

عرفت مبكرة الغزل الحضري في كلامنا على نهضة هذا الفن ، وعرفت ان زعيمه عمر بن ابي ربيعة الخزومي ؛ وقد استحق صاحبنا هذا اللقب لعدة اسباب ؛ منها : انه هو اول شاعر قصر همه على الغزل دون غيره ونظم فيه القصائد الطوال ، واول شاعر وسع نطاقه القصصي وادخل فيه الحوار التمثيلي اللذيذ ، واول شاعر اجاد تصوير عواطف المرأة ، واختلاجات نفسها ، واختلاف حرركاتها . وهو في دعابته ومجونته يصور الحياة الاجتماعية في حواضر الحجاز ، وفي تشبيبهه وقصصه يمثل لنا ترف المرأة المتحضرة في القرن الاول للهجرة وسرفها في اللهو ولغتها الحبيسة

(١) الدكتور احمد فريد رفاعي في كتابه عصر المأمون . الدكتور زي مبارك في كتابه

في التخاطب مع الرجل ، وفي رفته ولبنه يرينا صفة الشعر في القرى خصوصاً ،
وميزته بعد تطوره عموماً . ف شعر ابن ابي ربيعة مرآة لنفسه اللطيفة المتهاككة على
الجمال ، ومرآة لما في عصره من هو ومجون . فاذا اردت ان تعلم حالة الحجاز
المتحضر في الصدر الثاني فعليك بشعر عمر (فان فيه البلاغ المبين) .

واذا كان ابن ابي ربيعة استاذ الغزل الحضري كما كان جميل استاذ الغزل
البدوي ، فان مذهب عمر كان اشد تأثيراً في ابناؤه عصره من مذهب الشاعر
العذري ، فاستهوى الشباب الحجازي المترف ، وتعلمذوا له ، فأخرج منهم اساتذة كباراً
ولكنهم دون زعيمهم ، كالعرجي والاحوص والجرث بن خالد المخزومي وغيرهم ،
واستهوى النساء ايضاً ، فكان من اشد الاخطار على العفاف .

وقد قام هذا المذهب على ركنين من الغزل : احدهما التشبيب والآخر الحوار
والقصص ، وفي كليهما اجاد ابن ابي ربيعة ؛ ولا سيما فن القصص فقد ابدع فيه
ما شاء له الابداع .

وابن ابي ربيعة في غزله ناعم فرح ، مبتسم لعوب ، اذا بكى فنادراً ، وربما
كان بكاءؤه رقية وعبثاً . ولماذا يبكي ؟ . . . وكل ما يحيط به ضاحك له : شباب
وجمال ، وثروة وجاه ، وخليل يبادلوه المودة والولاء
فلا تعجب له اذا رأيت يشب احياناً بنفسه اكثر من تشبيهه بصاحبته ، فهو
جميل معجب بالجمال ، يحب في وجهه كما يحبه في وجه غيره . وقد انتقد عليه ذلك
بعض معاصريه فلم يظفروا منه بطائل ، ولا استطاعوا ان يردوه عن غروره لانه في
وصفه نفسه لا يتكلف تصنعاً بل يتكلم بحسه . فمن ذلك قوله :

يَبِينَا يَنْعَتَنِي أَبْصَرْتَنِي ، دُونَ قَيْدِ الْعَيْلِ يَغْدُو بِي الْأَغْرُ^(١)
قَالَتِ الْكُبْرَى : « أَتَعْرِفُنَ الْفَتَى ؟ » قَالَتِ الْوَسْطَى : « نَعَمْ ، هَذَا عَمْرَأُ »
قَالَتِ الصُّغْرَى ، وَقَدْ تَبَيَّنَتْهَا : « قَدْ عَرَفْتَاهُ ، وَهَلْ يَخْتَنِي الْقَمْرَأُ »^(٢)

(١) قيد ميل : مقداره ومسافته . الاغر : الجواد عليه الغرة وهي بياض في الجبين .
يقول : بينما كن يصفني رأيتني على اقل من مسافة ميل يدنو بي جوادي الاغر . (٢) تبينتها :
شغلت قلبها ، واستوليت عليها .

وسمعه ابن ابي عتيق^(١) ينشد هذه الايات فقال له : « انت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك ، كان ينبغي ان تقول : قلت لها فقالت لي ، فوضعت خدي فوطئت عليه . »

وقد تعابته النساء في الحرم فيصد عنهن ، فيطارذنه ليفسدن عليه طوافه ، فاذا هو قنص لهن ، واذا هن يتبعنه بدلا من ان يتبعن فيريك نفسه قبلة انظار الحسان يتجنى عليهن وعن يسعين في اثره :

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَرَبَّوْتَهَا ، يَمْسِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ^(٢)
 قَالَتْ إِرْبٍ لَهَا تُلَاطِفُهَا : « أَنْفِسِدَنَّ الطَّوْفَ فِي عُمْرٍ »^(٣)
 « قَوْمِي تَصَدِّي لَهُ لِيَعْرِفَنَّا ، ثُمَّ أَعِزِّيهِ يَا أُخْتِ فِي حَقَرٍ »^(٤)
 قَالَتْ لَهَا : « قَدْ عَمَّرْتُهُ فَأَبِي ، ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَشْتَدُّ فِي أُثْرِي »^(٥)

على انك اذا اردت ان تستوعب خصائص عمر من تشبيب ، وقصص وتسبين خفة روحه وظرفه ، وما كان يجري بينه وبين صواحبه من حوار يطلعك على حديث النساء الحجازيات ، وعلى طرف من اخلاقهن ومعاشرتهن ، فلا غنية لك عن درس رائيته الشهيرة فهي خير شعره ، وبها اعترف له جرير بالشاعرية .

رأيه عمر

يستهل الشاعر قصيدته بذكر صاحبه نعمه ويكثر من تكرار اسمها تَلَذُّذًا فيقول :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرٌ ، غَدَاةَ غَدٍ ، أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرٌ؟^(٦)

(١) ابن ابي عتيق : من ادباء قریش له اخبار كثيرة مع عمر بن ابي ربيعة وغيره من الشعراء الغزلين . (٢) نسوتها : منصوبة على المعية . المقام : مقام ابراهيم في الكعبة . الحجر : اي الحجر الاسود في الكعبة . (٣) الترب : اكثر ما يستعمل في المؤنث . يقال : ترب فلانة اذا كانت واياها في سن واحدة . الطواف : الدوران حول البيت الحرام . (٤) يا اخت : على حذف ياء المتكلم في المنسادي المضاف اليها . الحقر : الحياء الشديد . (٥) اسبطرت : اسرعت . تشتد : قعدو . (٦) غادٍ : سائر غدوة . مبكر : سائر بكرة

لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا ،
 تَهِيمٌ إِلَى نَعْمٍ ، فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ ،
 وَلَا اقْرَبُ نَعْمٍ إِنْ دَنْتُ لَكَ نَافِعٌ ،
 وَأُخْرَى أَتَتْ مِنْ دُونَ نَعْمٍ ، وَمِثْلُهَا ،
 إِذَا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ
 غَرِيضٌ عَلَيْهِ أَنْ أَلِمَّ بِبَيْتِهَا ،
 الْكَنِي إِيَّهَا بِالسَّلَامِ ، فَإِنَّهُ

فَتُبْلَغُ عُدْرًا ، وَالْمَقَالَةُ تُعَذِّرُ (١)
 وَلَا الْحَبْلُ مَوْضُولٌ ، وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرٌ (٢)
 وَلَا نَائِيهَا يُسْلِي ، وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ (٣)
 نَهَى ذَا النُّهَى ، أَوْ تَرَعَوِي أَوْ تُفَكِّرُ (٤)
 هَا ، كُلَّمَا لَاقَيْتُهُ ، يَنْتَمِرُ (٥)
 يُسِرُّ لِي الشَّحْنَاءُ ، وَالْبَغْضُ مُظْهَرٌ (٦)
 يُشْهَرُ إِلَامِي بِهَا وَيُنْكَرُ (٧)

وهما الوقت بين ظهور الفجر وطلوع الشمس . الرائح : السائر في الرواح وهو العشي . المهجر : السائر في الهجرة وهي شدة الحر . وكان حقه ان يقول : ام مهجر فرائح . ولكن الغافية حكمت عليه . سأل نفسه اهو منصرف عن نعم في يوم من الايام . ولماذا يريد الانصراف ؟ لحاجة نفس . . . البيت التالي .

(١) تعذر : تنفي العذر . يقول مخاطباً نفسه : أنت منصرف يوماً عن نعم لحاجة بنفسك هي في غاية من السر اذا سئلت عنها لا تجيب عليها فتقدم عذرا ، وذلك لان الجواب عليها ينفي العذر عنك . والمراد انه لا يقبل له عذر في الكلام على هذه الحاجة لانه لا يجوز ان يباح جا . (٢) الشمل : ما تفرق من الامر وما اجتمع منه ، وهنا يقصد به المعنى الاول . وقوله : الشمل جامع : اي مجموع ، مجاز عقلي اسند فيه الى المفعول ما بني للفاعل كقولك : مكان عامر اي معمور ، وسر كاتم اي مكتوم . وقوله : الحبل موصول ، كناية عن الصلة بعد القطيعة . مقصر : من ا قصر عن الشيء . كف عنه وامتنع . يقول : ولا يكف قلبي عن حبها . وتعريف القلب بال ينوب عن ضمير المتكلم . (٣) يقول : لا ينفك قرب نعم منك لانك لا تستطيع الوصول اليها ، ونأجسا عنك أي بعدها لا ينسبك حبها ، ولا انت تصبر على فراقها : (٤) وأخرى : اي وعقبه اخرى تحول دون الوصول الى نعم . ومثلها : اي ومثل هذه العقبة . النهى : العقل . ترعوي : ترجع عن غيرك . يقول : ومثل هذه العقبة لو عرضت لرجل عاقل لنهته عن التعرض لنعم ولكنك انت لا ترجع عن غيرك ولا تفكر في امرك . (٥) يتمر : يفضب ويشور مثبهاً بالنمر الذي لا يلقى الا متكرراً غضبان . وهذا البيت بيان للعقبة الاخرى التي تعترضه . (٦) الم ببنتها : امر به او ازوره . يسر : يضم في سره . الشحناء : العداوة والبغضاء . يقول : يعز عليه ان ازورها فهو يضم في العداوة ولكن بغضه في ظاهره على وجهه . (٧) يخاطب صاحباً له فيقول : الكني : اي احمل الوكفي وهي الرسالة . يشهر : يذاع . المامي : زيارتي . ينكر : يستنكر ويستغرب .

فهو يجاذر زيارتها، كما ترى، خشية التشهير، ولكنسه لا يلبث ان يشهر نفسه شيئاً فشيئاً، فيذكر اولاً حواراً جرى بين نعم وأخت لها، وقد رآته متغيراً لوجت وجهه الاسفار، فأنكرته نعم، وعرفته اختها . فاصبح هذا الحوار الذي يمثل لنا شيئاً من محاورات النساء عندما يبصرن رجلاً يعرفنه، ولكن تغيرت هيئته فاشتبهت عليهن معرفته :

بِأَيِّهِ مَا قَالَتْ غَدَاةَ لَمَيْتِهَا ،
 أَشَارَتْ بِمِذْرَاهَا ، وَقَالَتْ لِأَخْتِهَا :
 « أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْمًا ، فَلَمْ أَكُنْ ،
 فَقَالَتْ : « نَعَمْ ، لِأَشْكَ غَيْرَ لَوْنُهُ
 » لِنِ كَانِ إِيَّاهُ ، لَمَّا حَالَ بَعْدَنَا
 رَأَتْ رُجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ،
 أَخَاسَفَرُ ، جَوَابَ أَرْضِ ، تَقَادَفَتْ

بِمَدْفَعِ أَكْنَانَ : « أَهَذَا الْمَشْهُرُ » (١)
 « أَهَذَا الْمَغْبِيِّ الَّذِي كَانَ يُذْكَرُ » (٢)
 وَعَيْشِكَ ، أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمِ أَقْبَرُ » (٣)
 سُرَى اللَّيْلِ ، يُجِيي نَصَهُ ، وَالتَّهَجُّرُ (٤)
 عَنِ الْعَهْدِ ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ » (٥)
 فَيُضْحِي ، وَأَمَا بِالْأَعْيَشِي فَيُخَصَّرُ (٦)
 بِهِ فَلَوَاتُ ، فَهُوَ أَسْعَثُ أَغْبَرُ (٧)

(١) بآية : بسلامة . والبهاء متعلق بقوله الكني اي حمل اليها رسالتي بعلامة ما قالت . . . مدفع اكنان : اسم موضع . والمدفع : مجرى الماء حيث يندفع السيل ويجمع على مدافع . (٢) المدري : حديدة يحك بها الرأس . المغبيري : يعني عمر نسبة الى المغيرة جد ابيه . (٣) أهذا : الاستفهام للتعجب واسم الاشارة مفعول به مقدم لاطريت . اطريت : احسنت الثناء . نعمًا : وصفا منصوب لانه مفعول لاجله . تقول : اهذا الذي احسنت الثناء من اجل وصفه فجملنتي ، وحق عيشك ، لا انساه الى يوم أقبر . وجملة اقبر في محل جر بالاضافة الى يوم . (٤) السرى : السير ليسلا . يجيي : يصرف . النص : منتهى الشيء . اي يصرف منتهى الليل بالسرى ، والنص الاسراع . التهجر : السير في الهاجرة وهي شدة الحر . (٥) حال : تغير . العهد : المعرفة اي تغير عما كنا نعرفه . وقد في قوله : قد يتغير يفيد التكثير وان دخل على المضارع لان الانسان كثير التغير فلا وجه للتقليل . وقد ذكر سيبويه من معاني قد افادته (تكثير مع المضارع . (٦) عارضت : قابلت ، والضمير فيه محذوف اي عارضته . فيضحى : فيظهر للشمس . يخصر : يبرد . يقول : رأيت رجلاً لا يستقر به مكان فهو يعرض نفسه للشمس اذا قابلته ، ويعرضها لبرد الليل . (٧) اخاسفر : صفة اولى لرجل . جواب : قطاع ، من جاب الارض قطعها وهو صفة ثانية لرجل . الفلوات : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة . وقوله تقادفت به فلوات : اي قذفته فلاة الى فلاة . اشعث :

قَلِيلًا عَلَى إِظْهَرِ الْمَطِيَّةِ ظَلُّهُ ، سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرَّدَاءُ الْمُحَبَّرُ (١)
وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ ، وَرِيَّانٌ ، مُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ ، أَخْضَرُ (٢)
وَوَالٍ كَفَّاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْتُهَا ، فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسَهَّرُ (٣)

ثم ينتقل الى ذكر زيارته لها، فيزيد نفسه تشهيراً على تشهير، ويروي لنا خيط
هذه الزيارة الليلية بأسلوب قصصي شائق اختص به ابن ابي ربيعة ففاق اقرانه :

وَلَيْلَةَ ذِي دُورَانَ جَسَمْتِنِي السَّرَى ، وَقَدْ يَجْشُمُ الْهَوْلَ الْمُحِبُّ الْمُعَرَّرُ (٤)
فَبِتُّ رَقِيماً لِلرَّفَاقِ عَلَى شَفَا ، أَحَاذِرُ مِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ ، وَأَنْظُرُ (٥)
لِيهِمْ مَتَى يَسْتَمِكُنُ النَّوْمُ مِنْهُمْ ، وَيَلِي مَجْلِسٌ ، لَوْلَا اللَّبَانَةُ ، أَوْعُرُ (٦)
وَبَاتَتْ قَلُوصِي بِالْعَرَاءِ ، وَرَحَلَهَا ، إِطَارِقُ لَيْلٍ ، أَوْ لَيْنُ جَاءَ ، مُعُورُ (٧)

مغبر الراس متلبد الشعر لبعده عهده بالدهن والفصل . اغبر : اي اغبر الوجه وهو ما كان في
لونه غبرة . وقوله : اشمت اغبر : اي من كثرة الاسفار .

(١) قليلاً : صفة تالفة لرجل . المطية : السداية . ظلّه : فاعل قليلاً . نفى الشيء عنه :
نحاه وابعده . الرداء : الثوب . المحبر : المزين . يقول : هو يخيل ضئيل الشخص على
ظهر مطيته لولا بقية نمسة تظهر عليه في ردائه المحبر فتغني عنه شيئاً من ضآلته وحقارته .
(٢) ظل غرفة : اي ظل قصر تسكنه ، مجاز مرسل ، جزء من كل . الريان : الاخضر الناعم
وهو صفة لمحدوف اي بستان ريان . الحدائق : جمع حديقة وهي الروضة ذات الشجر .
يقول : انكرتني اذ رأيتني على هذه الحال من التغير ، وهي تعودت الترف واعجبها العيش في
ظل قصر تحيط به الحدائق المحضر الملتفة الاشجار . (٣) ووال : اي وزوج يتولى امرها ،
وهو معطوف على ظل . يقول : كففاها بعلمها كل شيء يحمها فهي تسام قريرة العين لا تسهر آخر
الليل لشيء يشغل بالها فيدفع عنها الرقاد . (٤) ذو دوران : اسم موضع . جسمتني : كلفتني .
السرى : السير ليلاً . يجشم : يتكلف . المنور : السذي يغرر بنفسه اي يعرضها للهلكة .
(٥) الشفا : حرف كل شيء وحده . وقوله بت على شفا : اي على حذر ، لان الواقف على
شفا الشيء يكون شديد الحذر لثلا يقع . وفي هذا البيت معاطلة او تضمين لان قافيته متعلقة
بالبيت التالي . (٦) اللبانة : الحاجة . اوعر : للمبالغة لا للتفضيل اي شديد الحسونة . يقول :
انظر اليهم حتى يتمكن منهم النوم ، وكان مجلسي وقتئذ شديد الحسونة ما كنت لاستطيعه لولا
الحاجة التي في نفسي . (٧) القلوص : الناقية . العراء : الفضاء لا يستتر فيه بشي .
معور : ظاهر . يقال : اعور الفارس اذا بدا منه موضع خلخل للضرب . يقول : باتت
ناقته في الفضاء العاري ورحلها ظاهر لاعين المارين .

وَبِتُّ أَنَا حِي النَّفْسَ : « أَيْنَ خَبَاؤُهَا ؟ »
 فَدَلَّ عَلَيْهَا الْقَلْبَ رِيًّا عَرَفْتُهَا
 فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتِ مِنْهُمْ ، وَأَطْفَيْتُ
 وَغَابَ قُمْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ ،
 وَنَفَضْتُ عَيْنِي النَّوْمَ ، أَقْبَلْتُ مِشِيَةً أَوْ
 فَحَيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا ، فَتَوَلَّيْتُ ،
 وَقَالَتْ وَعَضَّتْ بِأَبْنَانِ : « فَضَحْتَنِي !
 « أَرَيْتَكَ ، إِذْ هُنَا عَلَيْكَ ، أَلَمْ تَحْفَ ؟ »
 وَكَيْفَ لِمَا آتَى مِنَ الْأَمْرِ مَضْرُوبٌ^(١)
 لَهَا ، وَهَوَى النَّفْسِ الَّذِي كَادَ يَظْهَرُ^(٢)
 مَصَابِيحُ ، سُبَّتْ فِي الْعِشَاءِ ، وَأَنُورُ^(٣)
 وَرَوْحَ رُعْيَانُ ، وَنَوْمَ سَمَرُ^(٤)
 حُبَابٍ ، وَرُ كُنِّي خَشِيَةَ الْقَوْمِ ، أَزُورُ^(٥)
 وَكَادَتْ بِمَخْفُوضِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ^(٦)
 وَأَنْتِ أَمْرُؤُ ، مَيَسُورُ أَمْرِكَ أَسْرُ^(٧)
 وَقِيَّتْ ، وَحَوْلِي مِنْ عُدُوكِ حَضْرُ^(٨)

(١) المصدر : الرجوع عن الماء . يسأل نفسه عن خبائها وهو حائر لا يدري كيف
 يستطيع الرجوع من عندها إذا قدر له أن يصل إليها . (٢) الريأ : الرائحة الطيبة . (٣) منهم :
 أي من الرفاق . وم الرهط والجماعة في السفر . سبت : أوقدت . الانور : جمع نار . (٤) روح
 رعيان : عادوا بجواشيمهم إلى مراحها أي مبيتها . نوم : نام ، التضييف للمبالغة لا للتعمدية .
 السمر : جمع السامر وهو المحدث ليلاً . يقول : ظلت منظر آحتي سكنت الاصوات وأطفئت
 الانوار وغاب القمر ورجعت الرعيان ونام المتسامرون . (٥) ونفضت عيني النوم : أي نبتت
 نفسي . وفركت عيني بعد أن غشيها النعاس ، ونفض معطوف على ما قبله . مشية : منصوب على
 المصدرية ، أي امشي مشية الحباب . الحباب : الحية . أي أنه ينساب انسياب الحية فلا يسمع
 له حس . الركن : الجانب العظيم . أزور : مسائل ، من زور يزور . يقول : كنت
 انساب كالحية ، والجانب العظيم من جسمي مائل من شدة الحذر . (٦) تولت : تحمرت
 وتحرقت . يقول : صرخت متحسرة فكادت تقضح امرنا ، أي انه حياًها بصوت مخفوض
 فكادت تقضح هذه التحية بصرختها . (٧) البنان : الاصابع . وقوله : ميسور امرك اعسر :
 أي ما يبدو له من اليسر في الوصول إلى حاجته هو شديد العسر عليه لانه هدف للرقباء .
 (٨) اريتك : أي اخبرني ، واصهاها اريتك ، حذف الهزرة للتحفة . والعرب تقول :
 اريتك ارابتكسا ارابتكم بمعنى اخبرني واخبراني واخبروني ، والهزرة فيهن للاستفهام
 الانكاري والتنا . مفتوحة ، والكاف حرف خطاب أكد به الضمير . هنا : سهلنا ، من هان
 عليه الامر لان وسهل . وقيت : دعاء له أي وقاك الله . حضر : جمع حاضر أي قسوم
 حاضر . يقول : قالت لي : اخبرني وقاك الله ألم تحف حين استهلكت المجي . البنا واعدائك
 حولي حاضران ؟

« فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي ، أَتَعْجِيلُ حَاجَةَ ،
 سَرَّتْ بِكَ ، أَمْ قَدْنَامٌ مِّنْ كُنْتُ تَحْذَرُ ؟ » (١)
 قُلْتُ لَهَا : « بَلْ قَادَنِي الشَّوْقُ وَالْهَوَى ،
 إِلَيْكَ ، وَمَا عَيْنٌ مِّنَ النَّاسِ تَنْظُرُ »
 « كَلَّاكَ بِيحْفَظِ رَبُّكَ الْمَشْكُورُ ! » (٢)
 « فَأَنْتَ ، أَبَا الْحَطَّابِ ، غَيْرَ مُدَافِعٍ ،
 عَلَيَّ أَمِيرٌ ، مَا مَكَّثْتَ ، مُؤَمَّرٌ » (٣)
 فَيَا لَكَ مِّنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ ،
 وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْضُرُ (٤)
 وَيَا لَكَ مِّنْ مَّنْهَى هُنَاكَ وَمَجْلِسٍ ،
 لَنَا ، لَمْ يُكِدِّرْهُ عَلَيْنَا مُكَدِّرٌ ،
 يَمْحُ ذِكْرِي الْمَسْكِ مِنْهَا مُفْلِحٌ ،
 رَقِيقُ الْحَوَاشِي ، ذُو غُرُوبٍ ، مُؤَمَّرٌ (٥)
 تَرَاهُ ، إِذَا تَقَرَّرْتُ عَنْهُ ، كَأَنَّهُ
 حَصَى بَرْدٍ ، أَوْ أَقْحَوَانٌ مُنَوَّرٌ (٦)
 وَتَرْتَوِي بَعَيْنَيْهَا إِلَيَّ ، كَمَا رَنَا ،
 إِلَى رَبِّبٍ ، وَسَطَ الْحَمِيمَةِ ، جُوذُرٌ (٧)
 فَلَمَّا تَقَضَى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ ،
 وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَنْغُورُ ، (٨)

(١) سررت بك : اي مشت الحاجة بك ليلاً . (٢) افرخ : هدا . روعها : قلبها . وفي اساس البلاغة : افرخ روعك : اي خلا قلبك من الهم خلوا البيضة من الفرخ . كلاك : اي كلاك تخفف في لغة قريش . ومعنى كلاك : رعى وحرس . المنكبر : من صفات الله ، والكبير يام له وحده . (٣) ابا الحطاب : منادى . غير مدافع : غير مزاحم . ما مكثت : اي مدة مكوثك عندي . مؤمر : اي لك الامر علي وهي صفة لامير . (٤) يقول : كان ليله قصيراً لانه انقضى ولم يشعر به لشدة سروره وكان قبلاً يطول لانه كان مهموماً وليل المهموم طويل . (٥) يمخ : يقذف من فمه . مفلح : اي تفر مفلح وهو ما تباعدت اسنانه . الحواشي : الجوانب مفردتها حاشية . ورقيق الحواشي كناية عن اللطف والنعومة . الغروب : جمع غرب . وهو مساء الثغر وبريقه . مؤمر : يحزر الانسان ، وهو مستحسن عندهم ويكون خلقه او صنعة . (٦) تراه : اي تفرها . تقتر عنه : يتقسم . حصى برد : اي حبوب البرد لشدة بياضه . الاقحوان : نبت اصفر الزهر في وسطه ، ابيضه في جوانبه . منور : يخرج نوره وهو الزهر الابيض . شبه اسنانهما بحبوب البرد ، ثم بتور الاقحوان . (٧) ترنو : تنظر في رقصة ونكسر . الرربب : القطيع من بقر الوحش . الحميمة : الموضوع الكثير الشجر . الجوذر : ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسان لجمال عينيه . يقول : كانت تنظر الي برقة وانكسار كجوذر وسط خميلة طالته اشجارها فلم يستطع تناول ثمارها فأخذ يلتفت الى القطيع بانكسار كأنه يطلب المساعدة . (٨) التوالي : البواقي ، من نلي ينلني بقي يبقى . تنغور : تغيب

- أَشَارَتْ : « بَانَ الْحَيَّيْ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ »
 فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ : « تَرَحَّلُوا ، »
 فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَّبَهُ مِنْهُمْ ،
 فَقَلَّتْ : « أَبَادِيهِمْ فَأَمَّا أَفْوَتْهُمْ ،
 فَقَالَتْ : « أَتَحْقِيقًا لِمَا قَالَ كَاشِحٌ
 « فَإِنْ كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَعَبْرَةٌ ،
 « أَقْصُ عَلَى أُخْتِي بَدْءَ حَدِيثِنَا ،
 « لَعَلَّهُمَا أَنْ تَطْلُبَا لَكَ مَخْرَجًا ،
 فَقَامَتْ كَثِيبًا لَيْسَ فِي وَجْهَهَا دَمٌ ،
 فَقَالَتْ لِأُخْتَيْهَا : « أَعِينَا عَلَى فِتْي ،
 فَأَقْبَلْنَا ، فَأَرْتَاعَنَا ، ثُمَّ قَالَتَا :
 « يَقُومُ فَيَمِشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا ،
 فَكَانَ مِجْنَبِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَيْي ،
- هُبُوبٌ ، وَلَسِكِنْ مُوعِدٌ لَكَ عَزُورٌ » (١)
 وَقَدْ لَاحَ مَفْتُوقٌ ، مِنْ الصُّبْحِ ، أَشْقَرُ (٢)
 وَأَيْقَاطُهُمْ ، قَالَتْ : « أَشِرُ كَيْفَ تَأْمُرُ » (٣)
 وَإِذَا يَنْسَالُ السَّيْفُ نَارًا فَيَنْتَارُ (٤)
 عَلَيْنَا ، وَتَصْدِيقًا لِمَا كَانَ يُؤْتِرُ ؟ (٥)
 مِنَ الْأَمْرِ ، أَدْنَى لِلْحَفَاءِ ، وَأَسْتَرُ (٦)
 وَمَا لِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخِّرُ (٧)
 وَأَنْ تَرَحَّبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتُ أَحْصَرُ (٨)
 مِنَ الْخُزْنِ ، تُذْرِي عِبْرَةً تَتَحَدَّرُ (٩)
 أَتَى زَائِرًا ، وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقْدَرُ (١٠)
 « أَقْلِي عَلَيْكَ الْوَمَّ ، فَالْحَطْبُ أَيْسَرُ » (١١)
 فَلَا سِرْنَا يَنْفُشُو ، وَلَا هُوَ يَظْهَرُ (١٢)
 ثَلَاثُ شُخُوصٍ : كَالْعَابِانِ وَمُغْضِرُ (١٣)

- (١) هبوب : استيقاظ من النوم . عزور : جبل بين مكة والمدينة . تضرب لهه ،
 موعداً للقاء في عزور . (٢) اشقر : اشقرت نور الشمس . (٣) الايقاظ : جمع يقظان . وهو مطوف
 على من . (٤) اباديهم : اظهر لهم واجاهرهم بالعدوان . افوتهم : اسبقهم وانجو منهم .
 فينثار : اي فينثار لهم مني . (٥) الكاشح : المبيض . ينقل ، ومنه الحديث المسائور
 (٦) ادنى للخفاء : اقرب له . (٧) بدء حديثنا : اي الخبر من اوله . متأخر : متأخر ،
 مصدر جاء على وزن اسم المفعول . (٨) ترحبسا : نتسعا . احصر : اضيق ، اي اضيق به
 صدرأ يقول : لعلها تجدان حيلة للخلاص من امر ضاق به صدري . (٩) كثيباً : مضمومة .
 ليس في وجهها دم : اي صفراء . تذري : تسكب . عبرة : ديمسة . تتحدرد : تتساقط
 من عينها . (١٠) والامر للامر يقدر : يدبر ويهيأ . (١١) فالحطب ايسر : شديد اليسر ،
 او ايسر مما ظننن . (١٢) ينفشو : يشبع ويفتضح . (١٣) مجنبي : ترسي ؛ خبر مقدم لكان .
 دون من كنت اتقي : اي دون اعدائي . شخوص : جمع شخص ، ويطلق على الذكر
 والانثى لذلك قال : ثلاث شخوص . ولم يقل ثلاثة . الكاعبان : مثنى الكاعب وهي الجارية
 في اول ادراكها . المعصر : المرأة البالغة الشباب .

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْخَبِيِّ قُلْنَ لِي : « أَلَمْ تَتَّقِ الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ مُشِيرٌ ٩ » (١)
 وَقُلْنَ : « أَهَذَا دَابُّكَ الدَّهْرُ سَادِرًا ، أَمَا تَسْتَجِي ، أَمْ تَرَعُوي ، أَمْ تُفَكِّرُ ٩ » (٢)
 إِذَا جِئْتَ فَأَمْنَحْ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرًا ، لِكَيْ يَحْسُبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تُنْظَرُ ٩ » (٣)

ويختتم هذه القصيدة البديعة واصفاً ناقته الصلبة القوية، وانطلاقه بها طلباً
 للعلم في القفار الخالية . وليس في هذا القسم ما يعنينا درسه لان خاصة ابن ابي ربيعة
 محصورة في غزله ، بل في قصصه الغرامي الذي يريك في الادب العربي شيئاً جديداً،
 وفي ذلك الحوار اللذيذ الذي يدور بين النساء من ناحية، وبينه وبينهن من ناحية
 اخرى، حتى ليخيل اليك انك تقرأ في شعره قطعة تمثيلية تكاد تكون تامة . ومثل
 هذا الاسلوب القصصي كثير في شعر عمر، وعليه قامت شهرته . لان التشبيب وحده
 لا يجعل منه شاعراً متفرداً ممتازاً . فالشعراء الغزلون في الاسلام اجادوا جميعاً وصف
 الحبيبة ووصف العواطف والاهواء، ولكن لم يقم فيهم واحد يستطيع ان يجاري عمر
 في قصصه الغرامي ومخاطبته النساء، وتصوير حركاتهن واشارتهن، وتزعات نفوسهن
 ولا بد انك تذكرت امرأ القيس، وانت تقرأ رائية فتى قريش، لان الصلة
 قوية بين الشعارين، فكلاهما يتعمر في غزله، وكلاهما يتجشم الاخطار
 للوصول الى من يحب، وكلاهما يباغت حبيبته بالزيارة فتخاف وتلومه، وكلاهما
 يدركه الصباح عندها فيتهيأ للملاقاة الحلي مستميتاً . ولكن امرأ القيس يمتنع بسيفه
 وسهامه ويسخر زوج صاحبه ويستهن به، واما ابن ابي ربيعة فيعمد الى الاستخفاء
 وكان بجنه . . . ثلاث شخصوس : كاعبان ومعصر .

على ان هذه الصلة بين الشعارين لا تجيز لنا القول ان عمر جاء مقلداً امير الشعراء
 في قصصه الغرامي، فانما هو جاء مجدداً ومحسناً له، والقصص في غزل الشاعر القرشي

(١) اجزنا : قطعنا (٢) دابك : ديدنك وعادتلك . الدهر : منصوب على الظرفية . سادرا :
 غير مبال ولا مهم بما يصنع ، وهو حال من الكفاف في قوله دابك . ترعوي : ترجع عن غيك .
 تفكر : اي تفكر بامرك قبل الاقدام عليه . (٣) يقول : وقلن لي : اذا زرتنا فأدر لحاظك
 الى غيرنا من النساء فيحسب الناس ان هواك مع من تنظر اليهن فتزعم التهمة عنا .

أتم منه في غزل امرى القيس فهو صفة لازمة لشعر ابن ابي ربيعة وليس بصفة لازمة
 لشعر امرى القيس . ومن العدل ان نسمي هذا الفن : « اسلوب ابن ابي ربيعة »
 لانه احتكره احتكاراً وان يكن شاعر كندة قد سبقه اليه .

وقد رأيت ما في هذا الاسلوب من روعة وجمال ، زفتها اليك رائيته الحسنة ،
 فاطلعتك على تطفه في الوصول الى حاجته ، وانتظاره رقدة الحمي وسكون
 الصوت ، وغيوب القمر ، ثم تفيضه النوم عن عينيه ، وانسيابه كالحباب ازور الركن
 من الخوف والحذر . ورأيت ما جرى بينه وبين نعم من حوار لذيذ ترينه تعابيه
 قرشية لطيفة كأنها في نعومتها وجدت لتكون لغة السيدات : « أريتك إذ هتأ
 عليك ، ألم تحف ، وقيت . . . ، كلاك بحفظ ربك المتكبر . . . »

ولم يغفل ابن ابي ربيعة في هذه الزيارة عن التشبيب بنفسه ، وكيف يغفل عنها ؟
 وهو معجب بجماله اعجابه بجمال صاحبه . فاذا هو يسمعننا نعباً تقول له :
 فَأَنْتَ أَبَا أَحْطَابٍ ، غَيْرَ مُدَافِعٍ ، عَلَيَّ أَمِيرٌ ، مَا مَسَكْتِ ، مُؤَمَّرٌ ؟
 وما اجمل الانتقال من الغيبة الى الحطاب في قوله :

أَشَارَتْ : « بَأَنَّ أَلْحِيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ هُبُوبٌ ، وَلَكِنْ مَوْعِدُ لَكَ عَزُورٌ
 وهي لم تنتقل هذا الانتقال الجميل الا لتضرب له موعداً جديداً .
 وانظر الى ظرف القرشيات في توبيخهن الشاعر بعد أن كن له مجناً : « أهذا
 دأبك الدهر سادراً ؟ . . . اما تستحي أم ترعوي أم تفكر ؟ . . . » ثم الى قولهن
 له بعد هذا التوبيخ :

إِذَا جِئْتِ فَأَمْنَحْ طَرْفَ عَيْنِيكَ غَيْرَنَا ، لِكَيْ يَحْسَبُوا أَنَّ أَلْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ
 الا وان في هذه الوصية دهاء نساءياً ، ولكنه دهاء محبوب .

مصرته

كانت العرب تقرر لقريش بالتقدم في كل شيء . عليها الا في الشعر ، فانها كانت
 لا تقرر لها به حتى كان عمر بن ابي ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر ايضاً ولم تنازعها شيئاً .

قيل : بينما كان عبد الله بن عباس ابن عم النبي في المسجد الحرام وعنده نافع ابن الازرق^(١) وناس من الخوارج ، اذ اقبل عمر بن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين حتى دخل وجلس ، فاقبل عليه ابن عباس فقال : « أنشدنا ، » فأنشده : « أمن آل نعم . . . » حتى اتى على آخرها ، فأقبل عليه نافع بن الازرق فقال : « الله^(٢) يا ابن عباس ! إننا نضرب اليك اكباد الابل من اقاصي البلاد نسألك عن الخلال والحرام فتتناقل عنا ويأتيك غلام مترف من قريش فينشدك :
رَأَتْ رَجُلًا ، إِذَا الشَّسُ عَارَضَتْ ، فَيَخْزِي ، وَأَمَّا بِالْأَعْيَشِيِّ فَيَخْسَرُ »
فقال : « ليس هكذا قال ؛ » وانشده البيت على صحته ، ثم انشده القصيدة برمتها ، وكان قوي الملاحظة ، فلامه بعض اصحابه في حفظه اياها ، فقال : « إننا نستجيدها » وكان يسأل كثيراً عن عمر فيقول : « هل احدث هذا المغربي شيئاً بعدنا ؟ »
وروي عن نصيب الشاعر قوله « لعمر بن ابي ربيعة اوصفنا لربات الحجال^(٣) »
وقال هشام بن عروة : « لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن ابي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً . » وسئل حماد الراوية عن شعر عمر فقال : « ذلك الفستق المقشر »
وسمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال : « هذا الذي كانت الشعراء تطلمه فأخطأته وبكت الديار ، ووقع هذا عليه . » وقال ابو المقوم الانصاري : « ما عصي الله بشيء . كما عصي بشعر عمر بن ابي ربيعة . » وقال جرير : « ان انسب الناس الخزومي . »
يعني عمر .

ورأى عبد الله بن مصعب بن الزبير مولاته^(٤) داخلة منزله ومعها دفترًا ، فسأها عنه ، فقالت : « شعر عمر بن ابي ربيعة . » فقال : « ويحك اتدخلين على النساء بشعر عمر بن ابي ربيعة ! ان لشعره لموقعاً من القلوب ومدخلاً لطيفاً ، لو كان شعر يسحر لكان هو ، فارجمي به . » ففعلت . وقال الاصمعي : « عمر حجة في العربية ولم يؤخذ عليه الا قوله :

(١) هو زعيم الازارقة الذين خرجوا بالبصرة ايام عبدالله بن الزبير فحاربوه لانه ابي مساعدتهم وخالقهم . (٢) الله : منصوب بفعل محذوف اي خف الله او راقبه . (٣) الحجال : الحدور مفردا حجلة . (٤) مولاته : جاريته .

ثُمَّ قَالُوا: «تُحِبُّهَا؟» قُلْتُ: «بِهَرًّا! عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالْثُرَابِ»^(١)

وله في ذلك مخرج اذ قد اتى به على سبيل الاخبار^(٢). وانشد عمر «رائيته» طلحة ابن عبد الله بن عوف الزهري، وهو راكب، فوقف وما زال شانقاً ناقته^(٣) حتى كتبت له. وكان جرير اذا انشد شعر عمر قال: «هذا شعر تهامي اذا انجد وجد الهدى^(٤)» حتى انشد رائيته فقال: «ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر». وقال ابن ابي عتيق: «لشعر عمر نوطة^(٥) في القلب وعلوق في النفس ليست لشعر». وسمع جميل بن ميمون يمشي يمشي لا يمشي لا يمشي:

جَرِي نَاصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي^(٦)

فقال «هيات يا ابا الخطاب الا اقول والله مثل هذا سجيس الليالي^(٧)، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك احد». ولمصعب بن عبد الله الزبيري رأي في ابن ابي ربيعة تجده في الاغاني يقدمه به على اقرانه باشياء كثيرة منها: سهولة الشعر، وحسن الوصف ودقة المعنى.

فيمتدح من هذه الاقوال ما للشاعر القرشي من منزلة رفيعة في الغزل؛ فقد اجمعوا على انه اغزل الشعراء، وادخلهم شعراً في النفس، واسحروهم للنساء. واذا نظرنا الى قول جرير فيه نعلم ان شعره لم يقف على حالة واحدة بل تطور كثيراً حتى بلغ مرتبته من الحسن والجودة، ويظهر لنا ذلك جلياً في درسه، فاننا نجد فيه

(١) جرراً: منصوب على المصدرية اي احبها حباً جرراً اي غلبني غلبته. او تكون جرراً بمعنى عجباً اي عجباً لكم. او بمعنى تعساً اي تعساً لكم. عدد: منصوب على المصدرية اي حباً معدوداً عدد الرمل. (٢) وذلك لان حذف همزة الاستفهام غير جائزة على مذهب سيبويه الا في الضرورة وان كان غيره يبيزه في الاختيار عند أمن اللبس. (٣) يقال: شنق البعير من باب ضرب ونصر، اذا جذبه بالشناق حتى يرفع رأسه، والشناق: الزمام. (٤) انجد: اتى نجداً. يريد بذلك انه شعر ضعيف لين يصلح له العيش في سواحل تهامة ولا يصلح له في جبال نجد الباردة التي لا يبيها فيها الا الشعر الصلب المتين. (٥) النوطة: التعلق. (٦) الحصاب: كالحصب: موضع رمي الجارح في مناسك الحج. والجارح: جمع الجمره: الحصاة يرميها الججاج في المناسك وهي ثلاث: الجمره الاولى والوسطى والمعقبه. (٧) سجيس: كلمة تستعمل للتأييد. وقوله: «لا اقول مثل هذا سجيس الليالي» اي لا اقوله ابداً.

قسماً ضعيفاً بين الاسفاف واللين ، ثم نجد قسماً رشيحاً حلو الالفاظ سهلاً على غير
ضعف كأنه وضع للغناء ، ثم نجد قسماً آخر شديد الامر حسن الديباجة ، وهو
الشعر الذي استهوى كبار الشعراء كالفرزدق وجريز .

وإذا نظرنا الى قول الفرزدق وجميل بدا لنا ان ابن ابي ربيعة لم يصل الى
منزلة الادبية العالية الا بشعره القصصي ، فقد رأى فيه الناس شيئاً جديداً ليس في
غيره ، ولا سيما مخاطبته النساء فافتنوا به وراقهم اسلوبه . ونستطيع ان نعلم من
اقوال المقوم الانصاري وعبد الله بن مصعب الزبيري وهشام بن عروة ما كان لهذا
الشعر من التأثير في نفوس النساء حتى اصبحت يخافون عليهن منه ، ويمتنعن من
حفظه وروايته . فقد كان شعر ابن ابي ربيعة ، وهو الفستق المقشر ، كما وصفه
حماد ، خطراً على النساء لما فيه من تشبيب بليغ وقصص غرامي شائق ، ولكنه
بأوصاحبه ارفع رتبة في هذا الفن ، فجعله شاعر قرين وفتاها ، واستاذ الغزل
الحضري ، وزعيم الغزلين على الاطلاق .

ازدهار الشعر السياسي

الاحزاب وشعراؤهم : قول الانصار : منا امير ومنكم امير . مقتل عثمان ايقظ الفتنة .
المضرية والبيانية . حزب الشيعة في العراق . الخوارج في الجزيرة .
الحزب الزبيري . مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير . موقف
الحزب الاموي امام احزاب المعارضة . شعراء الحزب الاموي .
شعراء حزب المعارضة . الهجوم المقذع يتناول سياسة الاحزاب
وغيرها . النعمان بن بشير والاخلط .

قصيدة النعمان : يتوعد معاوية . لا يعني بجهاء الاخلط . هي ثلاثة اقسام تظهر فيها
سياسة الانصار وسياسة النعمان . التهديد بالحرب . الافتخار بفزوة
بدر . سياسته ورأيه في الخلافة . جرأته . حلم معاوية .

تكلمنا على الشعر السياسي في الصدر الاول، وذكرنا الاسباب التي ساعدت على نشوئه وجعله فناً مستقلاً بنفسه، غير ان هذا الفن لم يتم ازدهاره الا في الصدر الثاني، لان الشعر الذي قيل في حياة النبي كان فاتحة لهذا الفن في صورته التامة . ولما قبض الرسول اصاب الشعر السياسي شيئا من الفتور كما اصاب غيره من الفنون الشعرية ، فانصرف العرب الى القرآن والجهاد؛ وكادوا يتناسون عصبيتهم الجاهلية، وما كان بين قبائلهم من منافرات ومخاصمات . على ان مقتل عثمان بن عفان ايقظ الفتنة من مضجعهما، فاعصوب الشر، وتفرقت الجماعة شيعاً واحزاباً، وجرت الدماء انهاراً بين علي وخصوم علي . ثم استقر الامر في بني أمية على كره من اعدائهم ، فقبضوا على ناصية الملك بيد من حديد، وشددوا النكير على مناوئهم، فأصلوهم حرباً عواناً، فقاتلوا الشيعيين ، وقاتلوا الخوارج، وقاتلوا الزبيريين حتى وطدوا دعائم دولتهم بشعار السيوف .

ولا نستطيع ان نتفهم حقيقة الشعر السياسي في هذا العصر ما لم نلم بتاريخ الاحزاب السياسية في الاسلام، ونعلم الاسباب التي ادت الى نشوئها وتنظيمها . وانه ليحسن بنا ان نعود قليلاً الى الصدر الاول ، ونستعيد صور الحياة العربية بعد وفاة محمد، وقول الانصار للقرشيين : « منا امير ومنكم امير » . فالانصار يرون ان لهم الحق في الخلافة كما لقريش، فهم الذين جردوا سيوفهم على رؤوس المشركين، وآوا النبي واصحابه المهاجرين، وجعلوا ديارهم موطناً للاهوال في سبيل الاسلام ونصرة المسلمين . ولكن القرشيين ابوا عليهم هذا الحق، واستأثروا بالخلافة دونهم لان النبي منهم . ثم اراد الانصار ان تحصر الخلافة في بني هاشم لانهم اهل النبي الادنون، ودعوا الى مبايعة علي بن ابي طالب، فأبى قريش ذلك، واخفق الانصار في دعوتهم . فنبه هذا الاستثثار روحاً عصياً جديداً بين القرشيين والانصار^(١)، او بين المضرية واليانية، او بين العدنانية والقحطانية .

(١) قريش مضرية عدنانية والانصار يمانية قحطانية .

على ان هذه العصبية بقيت ضعيفة حتى قتل عثمان وطواب علي بدمه، فشدد الانصار ساعد بني هاشم، وحازبهم على قريش كما حازبوا النبي من قبل . ولم تكن الحروب التي قامت بينهم الا نزاعاً عنيفاً بين المضربة واليانية . ثم نشأ حزب الشيعة في العراق ^(١) واكثره يثاني، ومنه الانصار، ورأيه ان تكون الخلافة في بني هاشم بل في ابناء علي اسباط الرسول وابناء عمه . ونشأ حزب الخوارج في الجزيرة وقد اتينا على سبب نشوئه في لمحتنا التاريخية، ورأيه ان تكون الخلافة شورى بين المسلمين، غير محصورة في قبيلة دون اخرى، وكان يرمي سائر الاحزاب بالكفر والمروق من الدين .

وانشقت قريش ثانية على نفسها، فقام آل الزبير في مكة ينكرون على بني أمية جعلهم الخلافة وراثية فيما بينهم دون سواهم من القرشيين . فنشأ الحزب الزبيري وعلى رأسه عبد الله بن الزبير يجاهد الامويين ويطالب بالخلافة، فبايعه بها اهل الحجاز في خلافة يزيد بن معاوية ^(٢) ثم بايعه اهل العراق واليمن ومصر . اما دمشق فثبتت على ولاء الامويين، فبايعت معاوية بعد موت ابيه يزيد، ثم بايعت مروان ابن الحكم ^(٣) فقاتل الزبيريين وفتح مصر، ثم بايعت عبد الملك بن مروان ^(٤) فافتتح العراق بعد مقتل مصعب بن الزبير اخي عبد الله، وارسل الحجاج بن يوسف في جيش عظيم الى الحجاز، فكانت بينه وبين اصحاب ابن الزبير وقائع كثيرة، وحاصر الحجاج مكة سبعة اشهر ورمها بالمنجنيق ^(٥)؛ فظل عبد الله بن الزبير يقاتل حتى قتل في سنة ٦٩٢ م و ٥٧٣ . بعد خلافة تسع سنوات، وبموته صار الامر لعبد الملك بن مروان فبايعه اهل الحجاز واليمن وامحى حزب الزبيريين .

(١) كانت الكوفة وما يليها من العراق موئل علي بن ابي طالب وابنه الحسن في خلافتها فنشأ الحزب الشيعي في تلك الامصار . (٢) تولى الخلافة يزيد بن معاوية من سنة ٦٨٠ - ٦٨٤ م و ٦٠ - ٥٦٤ . ثم تولاهما ابنه معاوية ولم يلبث ان تخلى عنها بعد اربعين يوماً . فانطلقت من آل معاوية بن ابي سفيان الى آل مروان بن الحكم وكلاهما من أمية . (٣) خلافة مروان بن الحكم سبعة اشهر او اكثر من ٦٨٤ - ٦٨٤ م و ٦٤ - ٦٥ . (٤) خلافتها من سنة ٦٨٤ - ٧٠٥ م و ٦٥ - ٨٦ . (٥) المنجنيق : آلة تُرمى بها الحجارة، مؤنثة وقد تذكّر، فارسية الاصل .

فهذه الاحزاب الثلاثة كانت تنسأوى الحزب الاموي ، والامويون يناوئونها جميعاً ، مدعين انهم احق بالخلافة من غيرهم ، لان الخليفة عثمان بن عفان الاموي قتل ظالماً ولم يؤخذ بثأره ، فحق لهم المطالبة بدمه ، والاستيلاء على الملك من بعده . ولم يقتصر خصام هذه الاحزاب على الغزو والقتل ، بل اخذ منه الشعر قسطاً كبيراً ، فكان لكل حزب شعراء يدافعون عنه ويؤيدون آراءه ويشتمون خصومه ، فعمل الشعراء المخضرمين في الصدر الاول للاسلام .

وكان شعراء بني امية اكثر عدداً وابعد صوتاً لان الخلفاء الامويين بسطوا لهم الاكف واسبقوا عليهم النعم ، وساعدتهم على البذل ما في بيت المال من فيه ^(١) وفرر ، فاقبلت عليهم طوائف الشعراء تقدمهم وتؤيد حقهم بالخلافة غير هيأبة جانب خصومهم . واما شعراء المعارضة فكانت اصواتهم تقوى بقوة احزابهم ، وتضعف بضعفها . فعبيد الله بن قيس الرقيأت القرشي كان زبيرياً يكره الامويين ويهجوهم ، فلما قتل مصعب بن الزبير واخوه عبد الله ، انحاز الى عبد الملك بن مروان فدحه خائفاً ، فأمنه على حياته . والفرزدق كان يتشيع لعلي وابناء علي ، ولكنه لم يستنكف عن مدح خلفاء بني امية وعماهم رهبة منهم ، او رغبة في نوالهم . وكذلك فعل الكميث لما امر هشام بن عبد الملك بقطع لسانه من اجل قصيدة رثى بها زيد بن علي ^(٢) . والنعمان بن بشير كان انصارياً من الخوارج ، ولكنه ساير معاوية ، فشهد معه واقعة صفين ، وقد اجتذبه معاوية بسخائه ودهائه . ولما افضت الخلافة الى مروان بن الحكم كان النعمان على حمص فدعا اهله الى مبايعة عبد الله بن الزبير فلم يجيبوه ، فهرب منهم ، فتبعوه وادركوه وقتلوه . والنعمان على مسابرة معاوية وآله كان شديد التعصب للانصار . ولما دفع يزيد ابن معاوية الاخطل لهجاء الانصار فهجاهم بقوله :

(١) الفي : الخراج والغنيمة . او ماردته الله على المسلمين من اموال من خالفهم في الدين بلا قتال اما بالجملة او المصالحة على جزية او غيرها . (٢) هشام بن عبد الملك الخليفة الاموي العاشر ملك من سنة ٧٢٣ - ٧٤٣ م و ١٠٥ - ١٢٥ هـ . وفي ايامه خرج زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب طالباً للخلافة لنفسه فبايعه اهل الكوفة وكان عاملاً من قبل هشام يوسف ابن عمر الثقفي فجمع العسكر وقاتل زيدا فأتصر عليه ، وقتل زيد بسهم اصابه في جبهته .

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا، وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الْأَنْصَارِ

دخل النعمان على معاوية غضبان ؛ وانشأ قصيدته التي يقول فيها :

مُعَاوِيَّ ، إِلَّا تُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفْ ، لِعَيِّ الْأَزْدِ مَشْدُوداً عَلَيْهَا أَلْعَمَائِمُ

ثم حسر عمامته وقال : « يا امير المؤمنين، اترى لؤمًا ؟ » قال : « لا، بل ارى كرمًا وخيرًا ^(١) ، فماذا ؟ » قال : « زعم الاخطل ان اللؤم تحت عمامم الانصار ، » قال : « أو فعل ذلك ؟ » قال : « نعم . » قال : « لك لسانه . » فاستجار الاخطل بيبيد ، فمنعه منه ، وارضى النعمان حتى كف عنه .

ولعل من الخير ان ندرس قصيدة النعمان بن بشير في الدفاع عن الانصار فانها مظهر قوي لاستيقاظ العصبية في الاسلام ، واشتداد الحصومة بين المضوية واليانية . ثم نتقل الى درس الاخطل شاعر بني امية الاكبر ، فدرس الفرزدق وجرير ، وما كان بين الثلاثة من هجاء مقذع ؛ فان الهجو في هذا العصر لم يكن مقصوراً على سياسة الاحزاب ، بل تعداها الى اغراض خاصة بالشعراء منها ما يتصل بالعصبية القومية والمفاخرة بالآباء والجدود ، ومنها ما يقصد منه اظهار قوة الشاعرية وبراعة الشاعر في هجو خصمه واذلاله .

قصيدة النعمان

يستهل النعمان قصيدته متوعداً معاوية ، ذاكراً هجاء الاخطل للانصار ، ولكنه لا يعنى بالرد على شاعر تغلب ، بسل يجعل همته في تهديد الخليفة الاموي ، ثم يفتخر عليه ويذكره يوم بدر وما فعلت الانصار بقريش ، ثم يحتم ضارباً على الوتر الحساس الذي يرجف وقعه قلب السياسة الاموية ، وهو مصير الخلافة الى بني هاشم لانهم احق بها واولى .

فقصيدة النعمان بن بشير في اقسامها الثلاثة تظهر لنا سياسة الانصار ورأيهم في الخلافة وسخطهم على الامويين بعد ان استأثروا بها ، وتظهر لنا خصوصاً سياسة النعمان في مصانعته معاوية وابتناء معاوية :

(١) الخير : الكرم والشرف والاصل .

معاويَ إلا تُعطينا الحقَّ تعترف ،
 أَيْشُمْنَا عَبْدُ الْأَرَاقِمِ ضَلَّةً !
 فَمَا لِي تَأْرُ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ ،
 فَتَطْلُبُ شَعْبَ الصَّدْعِ بَعْدَ التَّامَةِ ،
 وَرَاعٍ ، رُوَيْدًا ! لَا تَسْمُنَا دَنِيَّةً ،
 وَإِلَّا فَشَوِي لَأَمَّةٌ تُبْعِيَّةٌ ،
 وَأَسْمَرُ خَطِيٍّ كَأَنَّ كَعُوبَةَ ،
 لِي الْأَزْدِ مَشْدُودًا عَلَيْهَا أَعْمَانِمِ (١)
 وَمَاذَا الَّذِي تُجْدِي عَلَيْكَ الْأَرَاقِمِ؟ (٢)
 فَدُونِكَ مِنْ يُرْضِيهِ عَنكَ الدَّرَاهِمِ (٣)
 فَتَغْرِيهِ فَا لَانَ ، وَالْأَمْرُ سَالِمٌ (٤)
 لَعَلَّكَ فِي غَيْبِ الْخَوَادِثِ نَادِمٌ ، (٥)
 تَوَارِيثُ آبَائِي ، وَأَبْيَضُ صَارِمٌ ، (٦)
 نَوَى الْقَسْبِ ، فِيهَا لَهْدَمِي خَثَارِمِ (٧)

(١) معاوي : منادى مرخم . إلا : مركبة من إن الشرطية الجازمة ولا النافية .
 تعترف : اي تعرف . الازد : ابو قبيلة يمانية ينتسب اليها الانصار وينتهي نسبها الى يعرب بن
 قحطان . يقول : ان لم تعطنا حقنا تعلم ما هي لحي الازد وقد شدت عليها العمام . اي اخضا
 شدت على كرم واباء . لا على لوئم كما زعم الاخطل : « واللوئم تحت عمام الانصار » .
 (٢) الاراقم : حي من قلع قبيلة الاخطل . ضلة : على غير هدى . تجدي عليك : اي
 تفيدك . (٣) دون قطع لسانه : اي غير قطعه . فدونك : اي خذ . من يرضيه عنك الدراهم :
 يريد به الاخطل . يقول : ان الدراهم هي التي تجعله يرضى عنك ويمدحك فدونك اياه فاقطع
 لسانه . (٤) فتطلب : منصوب بان مضرة بعد الفاء لوقوعها في جواب الطلب في قوله :
 فدونك . شعب : متفرق . الصدع : الشق . التامة : اجتماعه . فتصلحه وتجمعه .
 يقول : انتقم لنا من الاخطل فتصلح الفاسد وتجمع شقنا المتفرق بعد ان كان ملتئماً . ويكنى
 بالصدع عن تفرق الجماعة وبالأمه عن جمع شاتها . والفاء في قوله : فلان ، زائدة . اي
 فتغريه الآن والامر سالم : اي ونحن في حال السلام حيث لا يصعب اصلاح الصدع وجمعه .
 او غير زائدة فيكون المعنى : فلان افعل ذلك والامر سالم بيننا . (٥) راع : من المراعاة
 اي المداراة . رويدا : مهلاً . لا تسمننا : لا تكلفنا . دنية : اي خسة دنية . القب :
 العاقبة . يقول : لا تكلفنا خسة دنية لثلاث ندم . (٦) لامة : درع . تبعية : منسوبة
 الى تبع واحد التسابعة وهم ملوك اليمن ولا يسمى به الا من كانت له حمير وحضر موت .
 تواريث : جمع توريث وهو الارث . ابيض : صفة للسيف . صارم : قاطع . يقول : راع الانصار
 والا فتوبي درع يمانية من تواريث ابائي التسابعة ، وسيف قاطع . جدهه بالحرب ، لان لبس
 الدرع والسيف دليل على الاستعداد لها . (٧) الاسمر : صفة للرمح . خطي : منسوب الى الخط وهو
 مرفأ في البحر ين تباع فيه الرماح . كعوبه : انايبه . التوى : جمع نواة . القسب : تمر

مَتَى تَلَقَى مِنَّا عُصْبَةَ خَزْرَجِيَّةٍ ، أَوْ الْأَوْسَ يَوْمًا ، تَحْتَرِمُكَ الْمَخَارِمُ ،^(١)
 وَتَلْفُكُ خَيْلٌ كَالْقَطَا مُسْتَطِيرَةٌ ، شَهَاطِيظٌ ، أَرْسَالٌ ، عَلَيْهِمُ الشُّكَاكُمُ ،^(٢)
 يُسَوِّمُهَا الْعَمْرَانُ : عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ، وَعَمْرَانٌ ، حَتَّى تُسْتَبَاحَ الْمَخَارِمُ ،^(٣)
 وَيَبْدُو مِنَ الْخُودِ الْعَزِيزَةَ حِجْلَهَا ، وَتَبْيِضُ مِنْ هَوْلِ السُّيُوفِ الْمَقَادِمُ ،^(٤)

الافتخار بفزوة بدر

فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْهَدْ بَيْدَرَ وَقِيعةً ، أَذَلَّتْ قُرَيْشًا ، وَالْأَنْوْفُ رُوعًا^(٥)

يابس صلب النواة . لحذي : اي سنان حاد قاطع . خثارم : غليظ . يتابع التهديد بالحرب فيقول : وثوبي ايضا رمح خطي كأن كعوبه في صلابتها نوى التمر اليابس وفيها سنان قاطع غليظ .

(١) خزرجية : نسبة الى الخزرج ، قبيلة النعمان بن بشير . الاوس : اسم قبيلة ومن الاوس والخزرج تألف الانصار . تحترمك : تأخذك المنية وتودي بك . المخارم : المنايا ورأس السيف مفردا مخرم . (٢) القطا : جمع قطة وهي طائر يحجم الخامة صوته قطا قطا . وتشبه الخيل بالقطا في السرعة . مستطيرة : منتشرة مسرعة في الجري . شهاطيظ : متفرقة . ارسال : جماعات ، مفردا رسل . الشكاك : جمع الشكيمة وهي من اللجسام الحديدية المعارضة في فم الفرس . يلقك خيل سريعة الجري تسير فرقا وجماعات وهي قوية لا يطلق لها عنان الا والشكاك في اشداقها . (٣) يسومها : يقودها ويرسلها اي يقود فرسانها . (العمران : مثنى عمرو ، واطلاقه على عمران من التقليل من باب اخراج الكلام على غير ما يقتضيه الظاهر وهو ان يطلق لفظ احد الصاحبين ترجيحاً له عليه ، كما في العسرين لابي بكر وعمر بن الخطاب فاللفظ عمر اخف من لفظ ابي بكر . وهكذا لفظ عمرو اخف من عمران وكلاهما من الانصار . تستباح : تنتهك . المخارم : ما يحصى من كل شيء مفردا مخرم . (٤) يبدو : معطوف على تستباح منصوب مثله وسكنت الواو للشعر الخود : المرأة الحسناء الشابة . حجلها : خلخالها . المقادم : جمع مقدم وهو من الوجه ما استقبلت منه . او اراد به مقدم شعر الراس اي النواصي . يقول : تنتهك المخارم في هذه الحرب ، ويشدد الفزع ، ويبدو خلخال الفتاة الحسناء اي انها تسرع عن ساقها للهرب . وتبيض الوجوه : اي يذهب لونها من الخوف . او تشيب النواصي من شدة الهول . وقد وردت آيات هذا القسم مرتبة على غير هذا النحو فخالفتنا في ترتيبها مراعاة للمعنى والفن . (٥) وقية : حربا . ووقية بدر اتصر فيها المسلمون على مشركي قريش وقد مر ذكرها . الانوف : التعريف بأل نائب عن الضمير أي وانوفهم . رواعم : جمع راعم وهو اسم فاعل من راعم أنه : اي ذل فكأنه معفر بالرغام وهو التراب

فَسَأَلْنَا بِنَا حَيِّي لُوَيَّ بْنَ غَالِبٍ ، وَأَنْتَ يَا يَحْفَى مِنَ الْأَمْرِ ، عَالِمٌ ^(١) ،
 أَلَمْ تَتَبَدَّرْ يَوْمَ بَدْرٍ سَيُوفُنَا ، وَلَيْلِكَ ، يَمَّا نَابَ قَوْمَكَ ، قَاتِمٌ ^(٢) ،
 ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى تَفَرَّقَ جَمْعُكُمْ ، وَطَارَتْ أَكْفُ مِنْكُمْ وَجَمَاعِمٌ ،
 وَعَادَتْ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَرَائِسٌ ، وَأَنْتَ عَلَى خَوْفٍ ، عَلَيْكَ التَّمَانِمُ ^(٣) ،
 وَعَضَّتْ قُرَيْشٌ يَا لَأَنَامِلٍ بِيغْضَةٍ ، وَمِنْ قَبْلِ مَاعَضَّتْ عَلَيْكَ الْأَدَاهِمُ ^(٤) ،
 فَكُنَّا لَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَكِيدُهُ ، مَكَانَ الشَّجَا ، وَالْأَمْرِ فِيهِ تَفَاقُمٌ ^(٥) ،
 فَمَا إِنْ رَمَى رَامٌ فَأَوْهَى صَفَاتِنَا ، وَلَا ضَامِنًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ضَامِنٌ ^(٦) ،

سياسته ورأيه في الخلافه

وَأَيُّ لَأَغْضِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، سَتَرْتَنِي بِهَا يَوْمًا إِلَيْكَ السَّلَامُ ^(٧) ،

(١) فسائل بنا : اي سائل عنا . لوئي بن غالب بن فهر : بطن من قريش . يقول :
 فسألنا عنا بني لوئي بن غالب يخبروك بما فعلنا بهم فتعلم ما ينغى عليك من امرنا . (٢) تبدر :
 لم نجد هذه اللفظة في المعاجم التي بين ايدينا كلسان العرب والقاموس وناج العروس ومحيط
 المحيط . فلعل المراد منها : قشهد يوم بدر او لعلمها تبدر فسقطت الالف في النسخ فيكون
 المعنى : ألم تتسابق يوم بدر سيوفنا . وقوله : ألم تبدر : استفهام انكاري اي تبدرت .
 ناب : اصاب . قاتم : مظلم . يقول : اشتد عليك ظلام الليل لما اصاب قومك من الويلات .
 (٣) عادت : لجأت واحتمت . البيت الحرام : الكعبة . التمانم : جمع تيممة وهي خرزة تعلق في
 عنق الصبي اتقاء للملح والاختطار . يقول : ولجأت عرائس قريش من الفزع الى البيت الحرام
 وانت ألست التمانم من خوف عليك . (٤) الانامل : الاصابع واحداً أنملة . البيضة : شدة
 البغض . يقول : عضت اناملها حقداً علينا . ما : زائدة . الاداهم : جمع الادهم وهو القيد .
 يقول : ومن قبل عضت عليك الاداهم اي امرت وكبلت بالقيود . (٥) فكنا لها : اي
 لقريش . نكيدته : تعالجه . الشجا : ما اعترض في الخلق من عظم ونخسه فتمنع من البلع .
 تفاقم : اشتداد . يقول : كنا نضابق قريشاً في كل امر نأتيه ونعالجه كانتنا مكان الشجا من
 حلقهم . وهذا الامر في حالة اشتداده . وقوله : تفاقم : فيه سناد الاشباع وهو من عيوب
 القافية ، وسناد الاشباع اختلاف حركة الدخيل . فهذه القصيدة مكسور ما قبل روجا الا في
 قوله تفاقم فانه مضموم . (٦) أوهى : اضعف . صفاتنا : صخرتنا ، استمارها للزعيمه .
 ضامننا : ظلمنا وقهرنا ونقص حقنا . (٧) أغضي : اي اغض طرفي واسكت . السلام :

أَصَانِعُ فِيهَا عَبْدُ شَمْسٍ ، وَإِنِّي لَيْلِكَ أَتِي فِي النَّفْسِ مِنِّي أُكَاتِمُ^(١)
 فَمَا أَنْتَ وَالْأَمْرَ الَّذِي لَسْتَ أَهْلَهُ
 وَإِيَّهِمْ يَصِيرُ الْأَمْرُ بَعْدَ شَتَاتِهِ ،
 بِهِمْ شَرَعَ اللَّهُ الْهُدَى ، فَأَهْتَدَى بِهِمْ ،
 وَلَكِنْ وَيْلِي الْحَقِّ وَالْأَمْرَ هَاشِمُ^(٢)
 فَمَنْ لَكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ لَازِمُ^(٣)
 وَمِنْهُمْ لَهُ هَادِي : إِمَامٌ وَخَاتِمٌ^(٤)

فهذه القصيدة بما فيها من وعيد وتعيير وفخر وانذار تمثل ألم الانصار لاختلافهم في الحياة السياسية بعد ان استبدت قریش بالخلافة والسلطان، فهم ساخطون عليها لا يستنون الابني هاشم آل البيت . بيد انهم يؤثرون من الهاشميين ابناء علي ويرونهم احق من غيرهم بالخلافة لانهم اسباط الرسول وابناء عمه . والنعمان بن بشير على مسيرته الامويين، لم يشذ عن الانصار في سياسته، بسل كان يرى رأيهم، ولكنه يصانع معاوية رغبة في نواله :

أَصَانِعُ فِيهَا عَبْدُ شَمْسٍ ، وَإِنِّي لَيْلِكَ أَتِي فِي النَّفْسِ مِنِّي أُكَاتِمُ

ولا بد ان تدهشك جرأة الشاعر على الخليفة، ومخاطبته اياه بتلك الالهجة

جمع 'سَم' وهو البرقعة يذكر ويؤنث ، وهو هنا بمعنى سبب الوصول الى الشيء . يقول : انت تسومني امورا كثيرة اغض الطرف عنها ساكتا ولكن سيأتي يوم لا يحسن فيه الاعضاء فتقابلك بهذه الامور ونصعد الى عرشك العالي فنتركك عنه .

(١) اصانع : اداري واداعن . فيها : اي في هذه الامور . عبد شمس : والد أمية . اي اصانع في هذه الامور بني عبد شمس . لئلك : اي الحاجة نفسي وغايتها . اُكَاتِمُ : اي اُكَاتِمُ عبد شمس الحاجة التي في نفسي . (٢) الامر : اي الخلافة والسلطان . وقوله : والامر : منصوب على المعية اي فما انت تكون والامر . وهذا مثل قولهم : كيف انت وقصعة من ثريد، وما انت وزيداً . الحق : من اساء الله او من صفاته ، وضد الباطل ، والاسلام ، وكلها تناسب معنى البيت . هاشم : اي بنو هاشم . (٣) شتاته : تفرقه وتبدده . اي ان الخلافة ستعود الى بني هاشم بعد ان تبددت في بني امية . فن لك بالامر : اي من يضمن لك السلطان ؟ الذي هو لازم : اي ثابت لا يتحول عنك . يقول : ليس الامر مضمونا لك . (٤) بهم : اي ببني هاشم . شرع : سن . الهدى : ضد الضلال . الامام : هنا النبي . خاتم : اي خاتم الانبياء . يقول : سن الله الهدى ببني هاشم فاهتدى بهم الهدى وله منهم هادي نبي ختمت به الانبياء .

الشديدة التي لا تليق بالملوك ، ولا يسلم من يخاطبهم بها مهما عظم خطره . اجلس ، ان جرأة النعمان عجيبة غير مألوفة ، ولكن اعجب منها حلم معاوية واثاقه ، بل سياسته ودهاؤه ، فهو يعلم ان ملكه قائم على كره من الانصار وغير الانصار ، ولا يستطيع تأييده الا بالحكمة والحلم وحسن تصريف الامور . فهذه الصفات السامية تمكن معاوية من تأسيس عرش بني امية وتوطيده .

فأما وقد عرفنا الآن شيئاً من الشعر السياسي الذي كان يناوى به بني امية خصوصهم ، فلنتقل الى درس الشعر الذي كان يؤيد سياسة الامويين ويرد على اعدائهم ، الى درس شعر الاخطل شاعر بني امية .

(١) الاخطل

٧١٠ م و ٥٩٢ هـ (?)

- حياته : نشأ في قبيلة عريزة الجانب لم تترك نصرانيتها في الاسلام . هجوه امرأة ابيه . تعرضه لكعب بن جميل . هجوه الانصار واتصاله ببني امية . حرب قيس وتغلب . القيسية تراحم تغلب في عقر دارها ، وتناصر الزبيريين على الامويين . اتفاق امية وتغلب وافناء اليمن على قيس . تمسك الاخطل بدينه . حبسه في الكنيسة . عبد الملك يعرض عليه الاسلام . حبه الخمر . دانه على عبد الملك . تدخله في سياسة الخلافة لمصلحة قومه . حادثه مع زفر ابن الحرث . حاجي الاخطل وجرير . الفرزدق ينعت من صخر وجرير . يعرف من بحر . موت الاخطل في خلافة الوليد . لم يدرك عمر بن عبد العزيز . ديوان كبير ، ونفائض جرير والاخطل . من اصحاب الملحقات .
- ميزته : شعره السياسي . المدح والهجاء . دفاعه عن الخلافة . مدحه الخليفة والامويين . سياسته لمصلحة قومه . هجوه قيس عيلان وجريراً وقومه . طريقة هجوه . مدح قوم الفرزدق . صلته بالثبقة . صحة شعره وتدخل قوافيه . شاعر ملوك كالثبقة . تقليده اياه بوصف الفترات . تأثير الفترات في تخيلة

(١) الاخطل : الطويل الاذنين المسترخيها ، والحفيف الصريع ، والاحمق ، وذو المنطق الفاسد المضطرب ، والكلام الفاسد الكثير ، والانسان الطويل المضطرب .

الاخطل . نقله اياه بوصف الناقة . وصف الخمر . ابتكاراته في وصف
 السكران والزقاق وديب الخمر ولذعها وتأثيرها وما يأخذ شارحها من
 زهو وخيلاء . مترلته : تفضيل أئمة اللغة له بصحة شعره وجزالته وطول
 نفسه . لا يقل في الهجو عن جرير . نصرانية الاخطل ضيقت عليه النقول .
 اقتصاره على هجو كليب دون تميم ومضر . شاعر متصرف في المعاني .
 متقدم في الشعر السياسي على سواه .

هبان

هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي من اهل الجزيرة، ويلقب بالاخطل لحبث
 لسانه، وبسدي الصليب لانه كان نصرانياً يعلق صليباً على صدره، وبدوبل^(١) لان
 امه كانت ترقصه به في صغره، ويكنى ابا مالك، ومالك اكبر بنيه .

نشأ الاخطل في قبيلة عزيزة الجانب شديدة البأس، حافل تاريخها بالمفاخر
 الكثيرة حتى قيل : « لو تأخر الاسلام لاكلت بنو تغلب الناس . » وكانت تدين
 بالنصرانية ؛ فلما ظهر الاسلام وانتحلته العرب، أبت تغلب ان تنزل عن دينها،
 ورضيت بالجزية تدفعها، فاقراها عمر بن الخطاب على نصرانيتها، وكانت منازلها في
 الجزيرة والعراق فتعرض الاخطل مزهواً بمناقب قومه، حافظاً اخبارهم واياهم، يُعد
 منها ذخائر وأهباً لشاعريته التي بدأت تظهر منذ نعومة اظفاره .

ويحدثنا الرواة انه هجا امرأة ابيه طفلاً، وكانت تضيق عليه وتؤثر بنيتها باللبن
 والتمر والزبيب، وتبعه يرعي اعتراً . فلحظ ذات يوم شكوة^(٢) فيها لبن، وجراباً
 فيه تمر وزبيب، وكان جائعاً، فقال : « يا أماه آل فلان يزورونك ويقضون
 حقتك وانت لا تأتينهم وعندهم عليل، فلو اتيتهم لكان اجمل واولى بك ؛ »
 قالت : « جزيت خيراً يا بني لقد نبتت على مكرمة . » وقامت فلبست ثيابها
 ومضت اليهم . فمضى الاخطل الى الشكوة فشرب ما فيها والى الجراب فأكل
 التمر والزبيب . فلما رجعت ورأت الشكوة والاناة فارغين، علمت انه قد دهاها

(١) الدوبل : الخنزير او ولده، وولد الحمار او الحمار الصغير لا يكبر، والذئب،
 والثعلب . (٢) الشكوة : وعاء من جلد للماء واللبن .

فعمدت الى خشبة لتضربه بها فهرب وقال :

أَلَمْ عَلَى عِنَبَاتِ الْعُجُوزِ ، وَشَكْوَيْهَا مِنْ غِيَاثِ لَمَمٍ ^(١)
فَطَلَّتْ تُنَادِي : أَلَا وَيْلَهَا ! وَتَلَعْنُ ، وَاللَعْنُ مِنْهَا أَمَمٌ ^(٢)

وكان تغلب شاعر معروف يقال له كعب بن جعيل ، فتعرض الاخطل لهجائه وهو حدث ما برح مفرزماً ^(٣) فضربه ابوه وقال له : « أبقرزمتك تريد ان تقاوم ابن جعيل ! » ثم ليج الهجاء بينهما فأخمل الاخطل كعباً وصار شاعر تغلب غير مدافع .

ولكن ريحه لم يبدأ هبوبها الا في عهد معاوية ، وكان العداء قد اشتد بين الانصار والقرشيين وكثر الهجاء والتفاحش بين شعرائهم ولا سيما بين عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن ابي العاصي حتى امر معاوية بان يجلد كل واحد منهما مائة سوط . ثم كان من امر عبد الرحمن بن حسان ان شب برملة بنت معاوية ، فبلغ ذلك اخاها يزيد فغضب فدخل على ابيه فقال : « يا امير المؤمنين الاترى ان هذا العليج ^(٤) من اهل يثرب يتكلم باعراضنا ويشب بنسائنا ! » قال : « ومن هو ؟ » قال : « عبد الرحمن بن حسان ، » وأنشده ما قال ، فقال : « يا يزيد ليست العقوبة من احد اقبح منها من ذوي القدرة ، ولكن امهل حتى يقدم وفد الانصار ثم ذكرني . » فلما قدموا ذكره به ، فلما دخلوا عليه قال : « يا عبد الرحمن ألم يبلفني انك تشب برملة بنت امير المؤمنين ؟ » قال : « بلى ؛ ولو علمت ان احداً أشرف به شعري أشرف منها لذكرته ، » قال : « واين انت عن اختها هند ! » قال : « وان لها لاختاً ؟ » قال : « نعم . » وانما اراد معاوية ان يشب بها جميعاً فيكذب نفسه . فلم يرض يزيد ما كان من ابيه ، فارسل الى كعب بن جعيل

(١) اللمم : الذنب الصغير والجنون . فان كان المعنى الاول كان المراد اصيبت العنبات والشكوة بذنب صغير . وان كان الثاني كان المراد ألم بالعجوز جنون على عنباتها وشكواتها . وقوله : على عنبات المعجوز من نوع القلب . (٢) الامم : القرب ، والشبي . اليسير . يقول : اللعن على قرب منها ، اي يأتي اليها لانه ابن زوجها . ان اللعن شيء . يسير منها لانه تمود منها اكثر من ذلك . (٣) مفرزماً : مبتدئاً بقول الشعر . (٤) العليج : الرجل الضخم من كفتار المعجم وهو هنا الكافر على الاطلاق .

بان يهجو الانصار ، فاعتذر خوفاً ودله على الاخطل ، ولعل كعباً اراد ان يلقي
 خصمه في تهاكة لما ناله من شر لسانه ، فنفعه من حيث لا يريد . فدعا يزيد
 الاخطل وقال له : « اهج الانصار ؟ » فقال : « أفوقُ من امير المؤمنين ، » فقال :
 « لا تخف شيئاً انا لك بذلك . » فهجاهم وكان ما كان من امره مع النعمان بن بشير
 وانتصار يزيد له ، فانقطع اليه يدعه ولياً للعهد وخليفة ، ثم مدح الخلفاء بعده ،
 وجاهد حزب الزبيريين خصوصهم ، ودافع عن مصالح قبيلته في حروب قيس وتغلب ،
 فارفع قدره ونبه ذكره .

هرب قيس وتغلب

ولا نستطيع ان نتفهم شعر الاخطل السياسي ما لم نلهم باخبار الحروب التي
 وقعت بين قيس وتغلب في ايام الامويين لان لها صلة متينة بصير الخليفة وانخزال
 الحزب الزبيري . وقيس هذه ، قبائل مضرية جاءت في الاسلام الى الجزيرة وما يليها
 فزاحمت التغلبيين وهم من ربيعة في عقودارهم ، وزاحمت معهم بعض قبائل يمانية
 كانت تناصر الامويين ^(١)

فلما هلك معاوية وباع الناس يزيد ابنه ابت القيسية مبايعته وقالوا : « والله
 لا نبايع ابن الكلبية » فوَقعت الحرب بين امية وقيس فكانت تغلب و كلب في
 محور القيسية مع ابناء ابي سفيان . ولما صارت الخلافة الى مروان بن الحكم بايعت
 قيس عبد الله بن الزبير فخرجت اليهم امية وافناء اليمن ^(٢) فالتقوا بمرج راهط
 على مقربة من دمشق فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت القيسية وقتل رئيسها الصَّخَّك
 ابن القيس النهري وقتل منها تسعة آلاف ومن اليمن الف وثلاثمائة . وفي ايام عبد الملك
 ابن مروان استؤنفت الغارات بين اليمنية والقيسية فاقتتلوا مدة . ثم وقعت الحرب

(١) لما رأى معاوية ان اكثر اليمنية تشابع عليه عمد الى استئلتهم فحرب منهم قبيلة كلب
 وتزوج منها ميسون بنت بحدل الكلبي وهي أم يزيد . ثم استنصرهم على قتلة عثمان لان أم
 عثمان كانت كلبية واستغوام بالمسال فحاربوا معه وناصروا ابنه يزيد من بعده لانهم اخواله .
 وكانوا في جانب مروان بن الحكم على ابن الزبير وفي جانب ابنه عبد الملك من بعده .
 (٢) افناء اليمن : اخلاط من قبائل اليمن .

بين قيس وتغاب لما كان بينهما من التنافس والشحناء ، فانفقت امية وتغلب وافناء
اليمن على استئصال هذا الحلي من مضمو ؛ حتى تم النصر لعبد الملك بن مروان في
العراق وقتل مصعب بن الزبير .

تمسك الاخطل بربته

وكان الاخطل ، على حظوته عند الخلفاء المسلمين واشتماله بنعمهم ؛ شديد
التمسك بنصرانيته ، كثير الاحترام للقسيسين وان يكن ، كما ذكر الاب لامنس ،
رقيق الدين ، متهافت العقيدة شأن اهل البادية . حدث اسحاق بن عبد الله من بني
عبد المطلب ، قال : « قدمت الشام وانا شاب مع ابي فكنت اطوف في كنائسها
ومساجدها فدخلت كنيسة دمشق واذا الاخطل فيها محبوس فجعلت انظر اليه ،
فسأل عني فاخبر بنسبي ، فقال : « يا فتى انك لرجل شريف واني اسألك حاجة ؛ »
فقلت : « حاجتك مقضية ؛ » قال : « ان القس حبسني ههنا فتكلمه ليخلي عني ، »
فأتيت القس فانتهبت له فرح وعظم ، فقالت : « ان لي اليك حاجة ، » قال :
« ما حاجتك ؟ » قلت : « الاخطل تخلي عنه ، » قال : « اعينك بالله من هذا !
ملك لا يتكلم فيه ، فاسق يشتم اعراض الناس ويهجوهم . » فلم ازل اطلب اليه
حتى مضى معي متكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه وقال : « يا عدو الله ،
أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف اعراض المحصنات ؟ » وهو يقول : « لست
بعائد ولا افعال ، » ويستخذي^(١) له ، فقلت : « يا ابا مالك ، الناس يهابونك والحليفة
يكومك وقدرك في الناس قدرك ، وانت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي
له ! . . » فجعل يقول لي : « انه الدين انه الدين ! . »

واخبر ابو عبد الملك قال : « رأيت الاخطل بالجزيرة وقد شكى الى القس وقد
اخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصني^(٢) كما يصني الفرخ ، فقلت له : « اين هذا
مما كنت فيه بالكوفة ؟ » فقال : « يا ابن اخي اذا جاء الدين ذلنا . »

(١) يستخذي : يخضع بذلة . (٢) صأى الفرخ يصني صنياً ، مثله : صاح .

وقيل : كانت امرأته حاملاً فربها الاسقف يوماً فقال لها : « الحقيه فتمسحي به . »
 ومر بالكوفة في بني رؤاس ووذئهم يتنادي بالصلاة ، فقال له بعض فتيانهم :
 « ألا تدخل ابا مالك فتصلي ؟ » فقال :
 « أصلي حيث تدرِكني صلاتي ، وليس أيرُّ عند بني رؤاس
 وسمع هشام بن عبد الملك الاخطل يقول :

وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ ، لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 فقال : « هنيئاً لك ابا مالك هذا الاسلام » فقال له : « ما زلت مسلماً في ديني ^(١) . »
 وعرض عليه عبد الملك الاسلام مراراً فكان يتخلص في جوابه الى الهزل
 فعمل من لا يريد ان يسيء الى رجل احسن اليه وآثره على جميع الشعراء المسلمين .
 ومن ذلك ما روي ان عبد الملك قال له يوماً : « لم لا تسلم يا اخطل ؟ » قال :
 « ان انت احللت لي الحجر ووضعت عني صوم رمضان أسلمت ، » فقال له عبد
 الملك : « ان انت اسلمت ثم قصرت في شيء من الاسلام ضربت الذي فيه عنقك . »
 وقال له مرة : « ألا تسلم فنفرض لك الفين في عطائك ، وتوصل بعشرة آلاف
 درهم ؟ » قال : « فكيف بالحجر ؟ » قال . « وما تصنع بها وان اولها لمرء وان
 آخرها لسكر ؟ » قال : « اما ان قلت ذلك فان بينها لمزلة ما ملكك فيها الا
 كلعقة من ماء الفرات بالاصبع ، » فضحك عبد الملك .

عبد الحمير

على ان الاخطل لم يكن كاذباً في حبه الحجر ، وان قصد الهزل وحسن
 التخلص في جملة اياها حائلاً دون اسلامه ، فقد احبها كثيراً وبالغ في شربها
 ووصفها بشعره يوم كان الشعراء المسلمون في كثرتهم يعرضون عن ذكرها فرقاً من
 السلطان او تورماً من وصف شيء نهى عنه القرآن . وكان يرى انها تنعش الفؤاد

(١) اضاف بعضهم الى ذلك قوله : « يا امير المؤمنين » وهذا خطأ لان الاخطل لم
 يدرك هشاماً وهو خليفة ليدعوه بأمر المؤمنين . وخلافة هشام من ٧٢٣ - ٧٤٣ م

وتنطق الشعراء ؛ وربما دعا غيره الى شربها لتجويد قريحته كما فعل بالمتوكل الليثي
اذ سمع شعره فقال له : « ويحك يا متوكل لو نبحت الحمر في جوفك كنت اشعر
الناس . »

وقد يستنشده الخليفة فما يطبق انشاداً لم يبرد حلقه بالراح . فقد روي انه
دخل يوماً على عبد الملك فاستنشده ، فقال : قد يبس حلقي فر من يسقيني ،
فقال : « اسقوه ماء ، » فقال : « هو شراب الحمار وهو عندنا كثير ، » قال :
فاسقوه لبناً ، » قال : « عن اللبن قد فطمت ، » قال : فاسقوه عسلاً ،
قال : « شراب المريض ، » قال : « فتريد ماذا ؟ » قال : « خمرأ يا امير المؤمنين ، »
قال : « او عهدتني اسقي الحمر لا أم لك ؛ لولا حرمتك بنا لفعلت وفعلت . . . »
فخرج فلقي فرأشأ لعبد الملك فقال : « ويلك ان امير المؤمنين استنشدني وقد
صجل^(١) صوتي فاسقني شربة خمر ، » فسقاه رطلاً ؛ فقال : « اعدله بأخر ، »
فسقاه رطلاً آخر ، فقال : « تركتها يعتركان في بطني افسقني ثالثاً ، » فسقاه ،
فقال : تركتني امشي على واحدة ، اعدل ميلي برابع ، » فسقاه رابعاً ، فدخل
على عبد الملك فأنشده رائيته الشهيرة : « خف القطين . . . »

وهذه الرواية على علاقتها لا تقتصر على اظهار حب الاخطل للخمر بل تظهر لنا
ايضاً دالته على عبد الملك بن مروان .

حرمة الاخطل

ولا نعجب لدالة الشاعر النصراني على الخليفة المسلم حتى ليبلغ به الامر ان
يستقيه الراح ، فلقد كان الاخطل موفور الحرمة عند عبد الملك ، مقرباً اليه دون
سائر الشعراء ، وكان يدخل عليه بغير اذن وحيته تنفض خمرأ . والشعر هو الذي
جعل للاخطل هذه الكرامة ، فقد كان الخلفاء الامويون مضطرين الى اصطناع شعراء
فحول يقاومون خصومهم ، وكان الاخطل شاعراً فحلاً يجيد مدح الملوك ويجيد الهجاء ،
فاصطنعه بنو امية ورموا به اعداءهم فسقط عليهم سقوط الداهية الدهياء ، واولع

عبد الملك بشعره ولما عظيماً فرفع قدره ، ووالى نعمه عليه واقبه اشاعر بني امية
وشاعر امير المؤمنين واشعر العرب .

وقد بلغت الدالة بالاخطل ان يخاطب عبد الملك بقوله :

وَأَنْتُ بِصَانِمِ رَمَضَانَ يَوْمًا ، وَأَنْتُ يَا كُلَّ أَحْمَمِ الْأَضَاحِي ، ^(١)

وَأَنْتُ بِزَاجِرِ عَنَسَا بُكُورًا ، إِلَى بَطْعَاءِ مَكَّةَ لِلنَّجَاحِ ، ^(٢)

وَأَنْتُ بِقَائِمِ كَالْعَبْرِ أَدْعُو قُبَيْلَ الصُّبْحِ : حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، ^(٣)

وَأَكْتَبِي سَأَشْرُبُهَا شَمُولًا ، وَأَسْجُدُ عِنْدَ مَنْبَلِجِ الصَّبَاحِ ^(٤)

ثم بقوله :

إِذَا مَا نَدِمِي عَلَيَّ ، ثُمَّ عَلَيَّ ثَلَاثَ زَجَاجَاتٍ ، لَهْرًا هَدِيرًا ، ^(٥)

خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ زَهْوًا كَأَنِّي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا ^(٦)

ولم تكن دالته تقف عند هذا الحد بل كانت تدفعه الى التدخل في سياسة
الحلابة من عقد صلح او مجاهرة بعداء ، فهو لا يقنع في شعره السياسي بالدفاع عن
بني امية وهجو اعدائهم ولكنه يطمح الى ابعاد من ذلك ، الى التأثير في مجرى
السياسة الاموية اي الى الفائدة الادبية مقرونة بالفائدة المادية . وربما سخر سياسة
الحليفة لمصلحة قومه بني تغلب .

(١) الاضاحي : جمع اضحية وهي شاة يضحي بها . و اراد بلحم الاضاحي ما يذبح
الحجاج من الشاة في عيد الاضحى . (٢) زجره : دفعه وصاح به . (المنس : الساقاة الصلبة
الفتية . بكوراً : غدوة . وقوله : للنجاح : اي طلباً للنجاح من زيارتها . (٣) العبر :
الحمار . حي على الفلاح : صلاة المسلم . وحي : اسم فعل بمعنى الامر مبني على الفتح . (فلاح :
الفوز والنجاة . والمعنى : هلموا الى طريق النجاة والفوز . (٤) الشمول : الحمر
الباردة . منبلج الصباح : زمان انبلاجه اي اشراقه . يقول : انه يشرب الحمر ويصلي وهو
نشوان غير متقيد بالاية القرآنية التي تقول : « لا تقربوا الصلاة وانتم سُكَارَى » .
(٥) علي : سقاني تباعاً . المدير : غليان الحمر عند تصفيقها . (٦) زهواً : تبهأً وتكبراً .

وحسبك ان تعلم خبره مع زُفر بن الحرث لتبتين مبلغ دهائه السياسي، وتدخله في شؤون الخليفة لمصلحة قبيلته. وزفر هذا رئيس القيسية، وكان قد اوقع بالتغليبين في بعض الايام، وتحزب لعبد الله بن الزبير على بني امية ثم انقاد لهم بعد عصيانه فقربه عبد الملك بغية استتاله قومه. فدخل ابن ذي الكلاع يوماً على الخليفة فرأى زفر معه على السرير فبكى، فقال له عبد الملك: «ما يبكيك؟» فقال: «يا امير المؤمنين وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك، ثم هو معك على السرير وانا على الارض»، قال: «اني لم اجلسه معي ان يكون اكرم علي منك ولكن لسانه لساني وحديثه يعجبني»، فبالت في الاخطل وهو يشرب فقال: «أما والله لا قومن في ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذي الكلاع!» ثم خرج حتى دخل على عبد الملك فلما ملا عينه منه قال:

و كَأْسٍ مِثْلَ عَيْنِ الدِّيكِ صِرْفٍ، تُنْسِي السَّارِبِينَ لَهَا الْعُقُولَا (١)
 إِذَا شَرِبَ الْفَتَى مِنْهَا ثَلَاثًا، بَغَيْرِ الْمَاءِ حَاوِلَ أَنْ يَطُولَا، (٢)
 مَشَى قُرَشِيَّةً لَا سَكَّ فِيهَا، وَأَرَخَى مِنْ مَآزِرِهِ الْفُضُولَا (٣)

فقال عبد الملك: «ما اخرج هذا منك يا أبا مالك الا خطة في رأسك!» قال: «أجل والله يا امير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالامس:

فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرَعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ الصُّدُورِ كَمَا هِيََا (٤)

(١) وكأس: أي وخمرة حالته في كأس، مجاز مرسل. مثل عين الديك: حمراء صافية. صرف: غير ممزوجة بالماء. الساربين: مفعول اول لتنسي. العقولا: مفعول ثان. (٢) ثلاثاً: أي ثلاث زجاجات. ان يطول: أي ان يعلو ويظم. (٣) قرشية: أي مشية قرشية. المآزر: جمع مئزر وهو كل ما سترك. الفضول: جمع فضل وهو ذيل الثوب وما يزيد منه. يقول: اذ شرب الفتى من هذه الحمرة زُهي وطلب العظمة فيمشي مشية قرشية فيها تبيضت وخيلاء. والقرشي شديد التيه لان النبوة والخلافة فيه. وارخى من مآزره الفضولا: أي جر أذياله تيهاً وتكبراً. (٤) الدمن: جمع دمنة وهي آثار الدار وما

فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال : « اذهب
الله حزازات تلك الصدور . » وكان زفر يقول : « ما ايقنت بالموت قط الا تلك
الساعة حين قال الاخطل ما قال . »

تراجمي الاخطل وجرير

قال ابن سلام وغيره : لما بلغ الاخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالك :
« انحدر الى العراق حتى تسمع منها وتأتيني بخبرها . » فأنحدر مالك حتى لقيها
وسمع منها ثم اتى اياه ، فقال له : « كيف وجدتتها ؟ » قال : « وجدت جريراً
يعرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر ، » فقال الاخطل : « فجرير اشعرهما »
ثم قال :

إِنِّي قَضَيْتُ قَضَاءَ غَيْرِ ذِي جَنْفٍ لَمَّا سَمِعْتُ وَمَا جَاءَنِي الْعَجَبُ ^(١)
أَنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ شَالَتْ نِعَامَتُهُ ، وَعَضُّهُ حِيَةً مِنْ قَوْمِهِ ذَكَرُ ^(٢)

ثم قدم الاخطل الكوفة على بشر بن مروان فبعث اليه قوم الفرزدق بدرهم
وحملان وكسوة وخمر ، وقالوا له : « لا تعن على شاعرنا واهج هذا الكلب الذي
يهجو بني دارم ^(٣) . » فلما دخل الاخطل على بشر سأله عن الفرزدق وجرير ، فقال
الاخطل : « اصالح الله الامير الفرزدق اشعر العرب . »

تلبد فيها من البعر والرماد وغير ذلك . يقول : قد ينبت المرعى على دمنة فيظهر مظهره
حسناً ولكن باطنه يبقى خبيثاً ، وهكذا نحن وانتم نظهر الصالح وصدورنا تبين الخقد الذي لا
تروى حزازاته اي آلامه التي تحز في القلوب .

(١) الجنف : الجور والتجامل . يقول : حكمت حكماً ليس بذئ جور وتعامل .
(٢) شالت : ارتفعت . النعامة : القدم او باطن القدم . وشالت نعامتته : مات . مأخوذ
من ارتفاع باطن القدم عند الموت . او من نفور النعامة وهي اشد الحيوان نفاراً .
ولهذا قالوا للرجل اذا فرغ من شيء وارتحل او مات : نفرت نعامتته . ويقال للقوم اذا
خلت منازلهم منهم او ارتحلوا عن منهلهم او تفرقوا او تفرقت كلمتهم او ذهب عزم : شالت
نعامتهم . يقول : ان الفرزدق قد مات وذهب عزه بعد ان عضته حية ذكر من قومه .
والحية يطلق على الذكر والانثى . وقوله : من قومه لان جريراً والفرزدق من بني تميم .
(٣) دارم : قبيلة الفرزدق من تميم .

فرداً عليه جرير بقوله :

يَا ذَا الْعَبَاوَةِ إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى ، أَنْ لَا تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوَانِ

ثم استطار بينهما الهجاء واضطربت نار العداوة ، و اخبارهما كثيرة .

موت الاخطل

وَعَمِرَ الْاِخْطَلُ حَتَّى شَاخَ وَتَحَطَّمَ ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
 وَهُوَ فِيهِ عِدَّةٌ قِصَائِدٌ امْتَدَّحَةٌ بِهَا . وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْاِخْطَلُ ظَلَّ مَقْرَبًا عِنْدَ خَلْفَاءِ
 بَنِي أُمَيَّةٍ حَتَّى مَلَكَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَاقْصَاهُ ؛ وَنَقَلَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ عَلَى عِلَاتِهَا بَعْضُ
 كِتَابِنَا الْمَعَاصِرِينَ ^(١) دُونَ أَنْ يَنْتَبِهُوا إِلَى تَارِيخِ وَفَاةِ الشَّاعِرِ وَتَارِيخِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ
 عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٢)

و ليس في ديوان الاخطل ما يثبتنا انه ادرك عمر او ادرك قبله سليمان بن
 عبد الملك ^(٣) ، ولو ادر كهما لذكرهما في شعره كما ذكر غيرهما من الخلفاء الامويين .

و ربَّ مَعْتَرِضٍ يَقُولُ : أَنَّ الْاِخْطَلُ مَدَحَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِأَبْيَاتٍ مُشْتَبِهَةٍ فِي
 دِيْوَانِهِ ، وَنَحْنُ لَا نَنْكَرُ ذَلِكَ وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَمْدَحْهُ بِهَا وَهُوَ خَلِيفَةٌ ، بَلْ مَدَحَهُ
 وَهُوَ امِيرٌ مِنْ أَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَمَدَحَ مَعَهُ إِخَاهُ أَبَا بَكْرٍ فَخَصَّهُ بِالْقِسْمِ الْاَوْفَرِ مِنْ
 أَبْيَاتِهِ وَلَمْ يَذْكُرْ عُمَرَ الْاَلَا فِي الْبَيْتِ الْاٰخِرِ حَيْثُ يَقُولُ :

فَرَعَانَ مَا مِنْهُمَا إِلَّا أَخُو ثِقَّةٍ ، مَا دَامَ فِي النَّاسِ حَيًّا ، وَأَلْفَتِي عُمَرُ

ومما يدلنا على ان الاخطل مات في خلافة الوليد ، ما رواه صاحب الاغانى من
 ان الوليد بن عبد الملك قال لجرير يوماً : « فما تقول في الاخطل ؟ » قال : « ما اخرج
 لسان ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . »

(١) الاخ ساروفم فيكتور في كتابه تاريخ الآداب العربية . الاب نعمسة افه العنداري
 في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية . (٢) خلافة عمر بن عبد العزيز من ٧١٧ - ٧٢٠ م
 ٩٩٩ - ١٠١٠ م (٣) خلافة سليمان من ٧١٦ - ٧١٧ م و ٩٦ - ٩٩ م

ديوان كبير اكثره في المدح والهجاء . ووصف الخمره وشاربها . وهو من اصحاب
المُلَحَّات^(١) ومطلع مَاحَمَتِهِ :

تَغَيَّرَ الرَّسْمُ مِنْ سَلَمَى بِأَحْفَارٍ ، وَأَقْفَرَتْ مِنْ سُلَيْمَى دِمْنَةُ الدَّارِ^(٢)

وجمع ابو تمام الشاعر العبَّاسي « نقائض جرير والاختطل^(٣) » وشرحها وصدَّره
بكلمة في حرب قيس وتغلب . والديوان والنقائض نشرهما في بيروت الاب
صالحاني اليسوعي .

مبْرُوه

كان الائمة الاقدمون يشبهون الاختطل بالنابغة لصحة شعره ، ولكننا نرى ان
الصلة بين الشاعرين اقوى من ذلك ، فكلاهما شاعر بلاط خص مدائحه بالملوك
وحظي عندهم ، وكلاهما اجاد المدح وتفنن في معانيه ، بيد أن الاختطل كان يتوكأ
احياناً على الشاعر الجاهلي وستجد آثار هذا التوكؤ ظاهرة في مدحه وفي وصفه
الثور الوحشي . فالاختطل يشبه النابغة بصحة شعره وباشياء أخر كما سترى ، ولكنه
ينفرد عنه بموقفه السياسي في المدح والهجاء . فالصفة السياسية هي الخاصة البارزة
في الاختطل سواء كان مادحاً او هاجياً . فينبغي لنا ان ندرسه الآن شاعراً سياسياً
ثم نلمَّ بما بينه وبين النابغة من صلة ، ونعرض لخاصته في وصف الخمر ، فهو اشهر
وصافياً في صدر الاسلام .

شعره السياسي - المدح والهجاء

كان الاختطل يعلم ان الامويين يبهتهم ان يعرف لهم الناس حقهم بالخلافة ،

(١) المُلَحَّات : المُحَدِّثَات النظم ، من قولهم : ألحم الشعر : اي احسن نظمه واحكم
لحمته . (٢) احفار : موضع في بلاد تغلب . الدمنة : آثار الدار وما تلبذ من الرماد والسواد .
(٣) النقائض : جمع النقيضة وهي القصيدة يقولها الشاعر فينقضها عليه خصمه اي يرد عليه
ماتزماً مثله البحر والغافية ، ويعرض لمعانيه فينفيها او يقلبها او يفسدها .

وكان يعلمهم أيضاً انهم يستندون في تأييد هذا الحق الى مقتل عثمان بن عفان زاعمين انهم ورثته وان لهم الحق بان يطالبوا بدمه . فتراه اذا عرض للخلافة رمى الى هذا الهدف ، كقوله :

وَيَوْمَ صَفِينَ وَالْأَبْصَارُ حَاشِعَةٌ ، أَمَدَّهُمْ ، إِذْ دَعَا ، مِنْ رَبِّهِمْ مَدْدٌ ^(١)
 عَلَى الْأُولَى قَتَلُوا عُثْمَانَ مَظْلَمَةً ، لَمْ يَنْهَهُمْ نَشْدَعُنَّهُ وَقَدْ نَشِدُوا ^(٢)
 فَتَمَّ قَرَّتْ عِيُونُ الثَّائِرِينَ بِهِ ، وَأَذْرَكُوا كُلَّ تَبَلٍ عِنْدَهُ قَوْدٌ ^(٣)
 وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يُوَارِثُهُمْ بَيْتٌ ، إِذَا عُدَّتِ الْأَحْسَابُ وَالْأَعْدَدُ ^(٤)
 ويختمها مخاطباً يزيد بن معاوية :

وَالسُّلْبُونَ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهُمْ ، وَأَلَيْسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حِينَ تُفْتَقَدُ

وإذا عرض لمسدحهم وصفهم باحسن ما توصف به المسلوك ، ثم انبرى الى هجو القيسية انصار الزبيريين واعداً قبيلته فقدحهم بهجاء مقذع السيم ، وهجا معهم احلافهم بني كليب قوم جرير . ولعل العداة السياسي هو الذي اثار الهجاء بين الشعارين وجعله حامى الوطيس .

ويحسن بنا ان نعلم ان نعتمد في اظهار ميزة الاخطل على رائيته الشهيرة اولاً ، ثم على غيرها من شعره . فان الرائية تكاد تشتمل على اكثر خصائصه تفكيراً وتعبيراً ، ومطلعها :

خَفَ الْقَطِينُ فَرَا حَوَامِنِكَ أَوْ بَكَرُوا ، وَأَزَعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرٌ ^(٥)

(١) راجع يوم صفين في الصفحة التاريخية . يقول : أمد بني أمية مدد من رجم اذا دعوه . ولعله يشير الى فوزهم وخسران علي بعد ان دفعوا المصاحف . (٢) على الاولى : الجار متعلق بأمدهم . مظلمة : ظالماً . نشد : من نشده اذ : أي اقسم عليه باثقه . وقد نشدوا : أي نشدوا اذ ان لا يقتلوه فلم ينهم عنه هذا النشد بل قتلوه ظالماً . (٣) قرَّت العين : بردت سروراً وانقطع بكاءها . ثار بالقتول : اخذ بثأره . التَّبَل : القود : القصاص . يقول : ادركوا ثأرهم وكان ذلك عقاباً لما اقترفه من الاثم قتلة عثمان . (٤) يقول : انتم اعظم الناس احساباً واكثرهم عدداً . (٥) خف : عجل واسرع . القطين : القوم للمجاورين . راحوا : ساروا مساءً . بكروا : ساروا بكراً . ازعجتهم : اقلقنهم وحملتهم على الرحيل . نوى : بعد . الصرْف : نواب الدهر وحدثاته . البغير : احداث الدهر ، تغير الناس من حال الى حال . يخاطب نفسه فيقول : ذهبت جبرتنا

وهذه القصيدة من النقائض قالها في عبد الملك بن مروان بعد فتحه العراق وانتصاره على مصعب بن الزبير : فمن قوله يهينه :

إلى أمرى لا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ ، أَظْفَرَهُ اللَّهُ ، فَلَيْهِنَا لَهُ الظَّفَرُ (١)
 الخائضُ العَمْرَةَ ، المَيْمُونُ طَائِرُهُ ، خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ المَطَرُ (٢)

ومنها يصف فعله في الحرب واستيلائه على العراق :

مُقَدِّمٌ مَائِيَّ ألفٍ لِمَتَزَلِيهِ ، مَا إِنْ رَأَى مِثْلَهُمْ جِنٌّ وَلَا بَشَرُ (٣)
 يَفْشَى القَنَاظِرَ يَبْنِيهَا وَيَهْدُمُهَا ، مُسَوِّمٌ ، فَوْقَهُ الرِّايَاتُ وَالقَتَرُ (٤)
 حَتَّى يَكُونَ لَهُ بِالطَّفِّ مَلْحَمَةٌ ، وَبِالثَّوِيَّةِ ، لَمْ يُبْنِضْ بِهَا وَرٌّ (٥)
 وَتَسْتَبِينَ لِأَقْوَامٍ ضَلَّاتُهُمْ ، وَيَسْتَقِيمَ الَّذِي فِي خَدِّهِ صَعْرٌ (٦)
 ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِأَثْقَالِ العِرَاقِ ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ نَقْمَةٌ فِيهِمْ وَمُدْخَرٌ (٧)

وابعدتم نوى في احداثها ما يغير الناس من حال الى حال . (١) لا تعرينا : لا تحسب منا . نوافله : عطاياه الزائدة . فليهنأ له انظفر . يقال : هنأه ذلك وهنأ له ، كما تقول : هنئاً له . (٢) العمرة : الماء الكثير ومعظم البحر ، استعاره لشدة الحرب ولعظم الامور ، وشرح الاستعارة بقوله : الخائض ، وقد رفع الخائض والميمون على اصحاب خيران لمبتدأ محذوف اي هو . الميمون : المبارك . وميمون الطائر : كناية عن انه مبارك الطلعة . يستقى به المطر : اي انه مبارك اذا دعا الناس باسمه ينزل المطر . واستسقاها : طلب منه ان يسقيه . (٣) يقول : هو مرسل امامه مائتي الف فارس الى مكان تزوله في العراق ، لم يشاهد مثلهم جن ولا انس . ومقدم : خبر لمبتدأ محذوف . (٤) يفسى : يأتي ، وفاقه مستتر اي عبد الملك . والجبللة خبر ثان . مسوم : مليم خيله بعلامات الغزو ، وهو خبر ثالث . القتر : الغبار . يقول : يبني القناظر لتعبر جيوشه على انحر الجزيرة ويهدمها ليمنع العدو العبور . (٥) الطف : ما حول الكوفة وحول القادسية . الملحمة : واقعة يلتحم فيها الجيشان . الثوية : موضع قريب من الكوفة . لم يبنض : لم يبرك ، يقال : انبض القوس : اذا جذب وترها ثم ارسلها فيسمع له طنين . يقول : هذه الملحمة ضعبة ليس فيها رعي نبسال لشدة الالتحام وانما فيها الطعن والضرب . (٦) تستبين : تظهر وهي معطوفة على يكون . الصعر : ميل الرأس من الكبرياء والنخوة ومنه قول الشاعر :

وكنناً إذا الجبار صعر خدّه ، أقمنسا له من ميله فتقومنا

(٧) يقول : كانت له نقمة ونكيل في الاعداء ومدخر ، اي ادخر لهم نكلاً للمستقبل .

ولا يقصر مدحه على الخليفة بل يعنيه ان ترضى عنه امية كلها ، فاذا مدح
 مديراً منها لا يغفل عن تخصيص جانب من مديحه بأسرته الاموية . وحق له ان
 يفعل ذلك وهو مقرب اليها جميعاً ، واقف شعره للدفاع عنها ، والاشادة بمكارمها :

- فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصُونَ بِهَا ، مَا إِنْ يُوَاذَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ^(١)
 - تَعْلَوُ الْهَضَابَ ، وَحَلَّوْا فِي أَرْوَمَتِهَا ، أَهْلُ الرِّبَاءِ ، وَأَهْلُ الْفَخْرِ إِنْ فَجَرُوا^(٢)
 - حُشِدٌ عَلَى الْحَقِّ ، عَيَافُو الْخَنَا أَنْفٌ ، إِذَا أَلَّتْ بِهِمْ مَسْكْرُوهَةٌ صَبَرُوا^(٣)
 - شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ، وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا^(٤)
 - أَعْطَاهُمْ اللَّهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ ، لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرٌ^(٥)
 - لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ ، وَأَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَسْرُوا^(٦)

(١) النبعة : شجرة في الجبل تتخذ منها القسي وهي اجود الشجر . يعصبون بها : يجتمعون
 حولها . يوازي : يساوي . يقول : هو في امنع قريش واعزهم فسائر قريش يجتمعون حولهم
 ويؤمنون بهم وليس يوازي بهم قوم في الشرف والمنعة . استعمار الشجر العالي للانساب الرفيعة
 والاصول العريقة . (٢) تعلقوا : اي نبعه قريش . الهضاب : جمع الهضبة وهي الجبل المنبسط
 على الارض والطويل الممتنع . وحلوا : الضمير يعود على بني امية . أهل : مرفوع على أنه
 خبر مبتدأ محذوف . الرباء : الطول والمنة والفضل ، وضبطت هذه اللفظة في الديوان وفي
 النقايش بالياء المثناة والراء المفتوحة اي الرباء ، وفُصرت في الديوان بمعنى الرباء بكسر الراء
 اي « فعل الخير لاراء الغير او التظاهر بما ليس في الباطن » وفي ذلك تشويه لمعنى البيت ،
 فرأينا تصحيحه كما ترى ، ونعتقد ان الشاعر اراد الرباء لا الرباء . (٣) حُشد : مخفف
 حُشد : جمع حاشد وهو الذي لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد ، ومن يدعى للتعاون فيلبي
 سرعاً . وقوله : حُشد على الحق : اي يتعاونون على نصره الحق . عيافو الخنا : من عاف
 الشيء : كرهه ، والخنا : الفحش . أنف : جمع أنوف : الاي . أَلَّتْ بهم : أصابتهم .
 مسكروهة : داهية . يقول : هم يتعاونون على نصره الحق ، وحلوا يكرهون (الفحش) ، وأباة
 أَعزاء ، اذا اصابتهم الشدائد صبروا لها ولم يجزعوا . (٤) شمس : جمع شمس وهو الرجل
 الصعب العداوة على من عانده . يستقاد لهم : يُطاعوا ، من استقاد له : اعطاه مقادته اي انقاد
 له . الأحلام : جمع الحلم وهو الاناة وسعة الصدر مع المنذرة والقوة ، والمقل ضد العليش .
 يقول : هم اوسع الناس صدوراً واعظمهم عقلاً وأناة ، اذا تغلبوا على اعدائهم لا يستخفهم الظفر
 ولا ينتقمون ممن يستفيد لهم . (٥) أجد : الحظ . يقول : اعطاهم الله حظاً من الخير
 يُنصرون به فكل حظ بعده صغير محتقر . (٦) لم يَأشروا : لم يبطروا . مواليه : اي
 اوليائه . أَشروا : بطروا .

فعلى هذا النحو الجميل يعنى الاخطل في مدح بني أمية وتعداد مناقبهم
وتصوير اخلاقهم وشمائلهم ، حتى اذا ارضى الخليفة وارضاهم جميعاً يفرغ الى نفسه
والى قومه فيذكر ما لهم من الايادي البيض على الامويين ، ويدس خلال ذلك
رأيه السياسي لمصلحة قبيلته فيحرض عبد الملك على اقصاء زفر بن الحرث وترك
الوثوق به :

بني أمية قد ناضت دونكم أبناء قوم ، هم آووا وهم نصرُوا^(١)
أفحمت عنكم بني النجار ، قد علمت علياً معدة ، وكانوا طالماً هدرُوا^(٢)
حتى استكانوا وهم مني على ماض ، وأقول يننذ ما لا تنفذ الأبر^(٣)
بني أمية إني ناصح لكم ، فلا يبين فيكم آيناً زفر
وأخذره عدواً ، إن شاهدته ، وما تعيب من أخلاقه دعر^(٤)
إن الضغينة تلقاها ، وإن قدمت ، كالعرب يكمن حيناً ، ثم ينتشر^(٥)
وقد نصرت أمير المؤمنين بنا ، لما رأتك ببطن الغوطة العجبر^(٦)
يعرفونك رأس ابن الحباب ، وقد أضحى وللسيف في خيشومه أثر^(٧)

(١) أبناء قوم : ارادهم الانصار . هم آووا : اي هم آووا النبي وهم نصروه . يشير
الى هجائه الانصار دفاعاً عن بني أمية . (٢) أفحمت : أسكت عن قول الشعر . بني النجار :
قبيلة من الخزرج وهم قوم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري الذي كان يشب برملة
بنت معاوية بن ابي سفيان . معدة : جد ربيعة ومضر . وعلياً معدة : أعلامهم شرقاً واربوسة
ويريد بهم قريباً . هدر البعير : صوت من غير شفقة ، وتستعار لقول الشعر . يقول :
أسكتهم وطالما قالوا في نسايتكم الشعر . (٣) استكانوا : ذلوا واطاعوا . ماض : ألم وحرقة ،
(٤) شاهده : حاضره . دعر : شر وفساد . (٥) الضغينة : الحقد . وإن قدمت : اي
وإن طال عهدنا . العرب : الجرب . يكمن : يخفي . (٦) الغوطة : الكورة التي منها
دمشق ، استدارتها ثمانية عشرة ميلاً يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما شماليها فان
جبالها عالية جدا ومياهها خارجة من تلك الجبال وتجري في الغوطة عدة اخر فسقي بساينها
وزروعها عالية جدا ويصب باقيها في اجمة هناك وبحيرة ، والغوطة كلها اشجار وانصار متصلة .
(٧) يعرفونك رأس ابن الحباب : اي يخبرونك اننا قتلناه وهو عمير بن الحباب من قيس
عيلان قتلته تغلب . الخيشوم : أعلى الانف . اي انهم ضربوا رأسه من اعلى انفه .

فاذا تم له ما اراد من مدح وغرض سياسي يرمي اليه انصرف الى هجاء قيس
ميلان واحلافهم الكلبيين قوم جرير ، فيقذفهم بحميم من لواذع اقواله ، واذا
افحش لا يتورط في الخئي تورط جرير والفرزدق ، بل يجعل همته في تعييرهم ووصف
هزيمتهم وما لقوا من مذلة وهوان ، فيبدو لنا حينئذ مؤرخاً وسياسياً دقيق
النظر ياتي الذنب على اعدائه الذين كفروا نعمة الخليفة فجازاهم بكفرهم ، ونزى
فيه مصوراً بارعاً للحرب وللجيش عند الهزيمة والانكسار :

فَلَا هَدَى اللَّهُ قَيْسًا مِنْ ضَلَاتِهِمْ ، وَلَا لَعَا لِبَنِي ذَكْوَانَ إِذْ عَثَرُوا (١)
ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ عُورِبُهُمْ ، وَقَيْسٌ عَيْلَانَ مِنْ أَخْلَاقِهَا الضَّجْرُ (٢)
كَانُوا ذَوِي إِمَّةٍ حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ ، بِهِمْ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ وَأَبْتَهُرُوا ، (٣)
صُكُّوا عَلَى شَارِفٍ صَعْبٍ مَرَاكِبُهَا ، حَصَاءٌ لَيْسَ لَهَا هُلْبٌ وَلَا وَبْرٌ (٤)
وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَلِمُ أَمْرُ جَاهِلِيهَا ، حَتَّى تَعَايَا بِهَا الْإِيرَادُ وَالصَّدْرُ ، (٥)
إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ يَجْنُونَ حَنْظَلَهُمْ ، إِلَى الزَّوَايِ ، قَفَلْنَا : «بَعْدَ مَا نَظَرُوا» (٦)

(١) يقال : لَعَا للعائر . اي لا اقامه الله . بنو ذكوان : رهط محمد بن الحباب .
(٢) العوارب : أعالي الاكتاف . يقول : ضجوا وضجروا لما عضتهم الحرب وارهقتهم ،
ومن عاداتهم ان يضجروا في الشدائد . (٣) الامة : النعمة والحال الحسنة . الحبايل :
الاشراك واحدها حباله . ابتهروا : كذبوا ورموا الناس بما ليس فيهم . كانوا
عاشقين بنبطة حتى علقت بهم اشراك الشيطان فانتفضوا على الخليفة ورموا الامويين بما ليس
فيهم . وجواب اذا علقت وما بعدها في البيت التالي . (٤) صكُّوا : حملوا . الشارف :
الناقة الكبيرة المسنة . حصاء : لا شعر عليها . الهلب : شعر الذنب . شبه الخطة الصعبة
بالناقة الهرسة التي يصعب الركوب عليها وقد ذهب وبرها لكبر سنها . يقول : حملوا على
خطة صعبة مركبها خشن . (٥) جاهلها : أي عمير بن الحباب وهو ينسب الى ذكوان
ثم الى سليم . تعاييا : اشتد . الإيراد : ورود الماء . الصدر : الرجوع عنه . يقول :
لم يزل هم عمير حتى وقعوا في بلية لا يقدرون على التخلص منها . (٦) يجنون : يقطعون .
الحنظل : نبت يند كالبطيخ ثمرة شديدة المرارة . شبه الانكسار لمرارته بالحنظل . الزواي :
جمع الزاب على غير قياس ، والزواي اضر اربعة وهي : الزاب الاعلى بين الموصل وإربل
ومخرجه من بلاد مشكهر وهو حد ما بين أذربيجان وباكيش وبيض في دجلة ويسمى بالزاب
لجنتون لشدة جريه . والزاب الاسفل ومخرجه من جبال السلق ما بين شهرزور واذربيجان

كُرُوا إِلَى حَرَّتَيْهِمْ يَمُورُوهُمَا ، كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطَانِهَا الْبَقْرُ ^(١) ،
 إِلَى أَنْ يَقُولَ يَهْجُو كَلْبِيًّا :
 أَمَا كَلْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ ، عِنْدَ التَّفَارُطِ إِيْرَادٌ وَلَا صَدْرُ ^(٢) ،
 مُلْطَمُونَ بِأَعْقَارِ الْحِيَاضِ ، فَمَا يَنْفَكُ مِنْ دَارِمِيٍّ فِيهِمْ أَتْرُ ، ^(٣)
 قَوْمٌ أَنْابَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُخْزِيَّةٍ ، وَكُلُّ فَاِحْشَةٍ سَبَتْ بِهَا مُضْرُ ، ^(٤)
 أَلَّا كِلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ وَحَدَّهُمْ ، وَالسَّائِلُونَ بَطْهَرَ الْعَيْبِ : « مَا الْخَبْرُ ؟ » ^(٥) ،
 صَفْرُ اللَّحْيِ مِنْ وَقُودِ الْأَدْخِنَاتِ إِذَا رَدَّ الرَّفَادَ ، وَكَفَّ أَلْحَابِ ، أَقِرَّرُ ^(٦) ،
 وَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُخَالِفُهُمْ ، حَتَّى يُخَالِفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ ^(٧) ،

وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ثم يمتد حتى يفيض في دجلة . وبين بغداد
 ووسط زابان آخران أيضاً ويسميان الزاب الأعلى والزاب الأسفل . وقوله : اذ ينظرون
 إلى الزواي : أي ينظرون إلى بلادنا متمنين الوصول إليها والتشفي بنا . لأن بني تغلب كانوا
 يسكنون بين الزواي . ثم قال : فقلنا : بعد ما نظروا : أي يا بعد ما أملاوا وطعموا .
 (١) كُرُوا : فرأوا ورجعوا . الحرة : موضع فيه حجارة حارة . وحررة بني سليم
 في عالية نجد ويقال لها : أم صبتار ، ومن عادة العرب تثنية المفرد . يعمرونها : يسكنونها .
 يقول : هربوا إلى بلادهم كما تحرب البقر الوحشية إذا طاردها الصيادون . (٢) كلب
 ابن يربوع : قوم جرير وهم من بني تميم . التفارط : التسابق إلى الماء . يقول : هم اذلاء
 ليس لهم في التسابق إلى الماء ورود ولا صدر أي يكونون في موخرة الناس عند الورد
 والصدور . أو هو مثل أي ليس لهم في أمور الناس خير أو شر . (٣) ملطمون : أي يلطمون
 على وجوههم . الأعقار : جمع عقر وهو مقام الشاربة من الحوض . الحياض : جمع الحوض
 وهو مجتمع الماء . دارمي : نسبة إلى بني دارم وهم قوم الفرزدق . يقول : هم اذلاء ، إذا
 وردوا الماء بابلهم لطموا على وجوههم وأرجعوا عن الماء ولا يزال فيهم آثار من رجل دارمي
 يلطمهم ويحرحهم . (٤) انابت : رجعت . المخزية : الفضيحة . يقول : كل فضيحة
 وفاحشة سبتت بها مضر تعود على بني كليب لانهم أهلها . وكليب ينتهي نسبها إلى مضر .
 (٥) خبيث الزاد : يعني لحم الضيأب وغيرها من الطعام المكروه . ثم قال : انهم رعاء
 وفعلة فهم يسألون الاشراف عن الاخبار ابداً لأن الامور تقضى على غير علم منهم .
 (٦) الوقود : ما توقد به النار من الحطب ونحوه . الادخنات : المبرقين وهو الزبل .
 الرفاد : قدح ضخم . القرر : جمع القرة وهي البرد . يقول : يجي . الحالب بالفساد
 ليجتلب فيه فيرده البرد خالياً لشدة البرد . والمراد انهم يستخذمون

فبمثل هذا الهجاء المؤلم الممض كان الاخطل يرمي جريراً وقوم جرير فيجدهم
خشارة تميم بل خشارة مضر اجمعين ، وينفر عليهم ابناء عمهم من دارم قبيلة الفرزدق :
مَلْطُمُونَ بِأَعْقَارِ الْجِيَاضِ ، فَمَا يَنْفَكُ مِنْ دَارِمِيٍّ فِيهِمْ أَثْرُ
وأشدُّ الهجاء اقداعاً عند العرب ان تفضل قوماً على قوم ولا سيما اذا كانوا
اخواناً او ابناء اعمام . فبنو عُمَيْرٍ لم يضعهم الا قول جرير فيهم :

فَعُضَّ الْأَطْرَفَ إِذْكَ مِنْ نُمَيْرٍ ، فَلَا كَعْبًا بَلَقْتَ وَلَا كِلَابًا !

ونُمَيْرٍ وكعب و كلاب ثلاثة ابطن من عامر بن صعصعة . وقلما تخلو قصيدة
للاخطل في جرير من مدح بني دارم وتفضيلهم على بني كليب بن يربوع :

أَجْرِيرُ ، إِنَّكَ وَالَّذِي تَسْمُو لَهُ ، كَأَسِيفَةٍ فَحَرَّتْ بِحَدَجِ حَصَانِ (١)

فِي دَارِمٍ تَاجُ الْمُلُوكِ وَصَهْرُهَا ، أَيَّامَ يَرْبُوعٍ مَعَ الرَّعِيَانِ (٢)

وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ ، رَجَّحُوا ، وَسَالَ أُبُوكَ فِي الْمِيزَانِ (٣)

وهو وان مدح دارماً واطنب في ذكرهم ، لا يغفل عن الافتخار بقومه بني تغلب
وتعداد ماآثرهم . فقد رأيت فخره بهم وهو يمدح عبد الملك بن مروان ، فأحبر به ان
يفأخر جريراً عندما يريد هجو جرير :

إِنَّا نُعَجِّلُ بِالْأَسِيطِ لِصَيْفِنَا ، قَبْلَ الْعِيَالِ ، وَتَثَلُّ الْأَبْطَالَ (٤)

أَبْنِي كَلِيبِ إِنْ عَمِيَ اللَّذَاءُ ، قَتَلَا الْمُلُوكَ ، وَفَتَكَمَا الْأَغْلَالَ (٥)

لوقود النار في البرد الشديد فتصفر لحاهم من دخان الزبل . (٧) الراحة : الكف .

(١) الاسيفة : الأمة . الحدج : مركب للنساء . الحصان : المغيفة الحرة . يقول :
انت تسمو الى تميم مفتخرا كالأمة التي تقتخر بحدج مولاتها الحرة . (٢) أصهر اليهم وفيهم
صهرا : اي تزوج فيهم . يقول : ان الملوك يتزوجون في قبيلة دارم لشرفها . (٣) شال :
ارتفع . يقول : اذا وزنت مفاخرهم ومفاخر ابيك رجحت كفتهم لثقلها ، وارتفعت كفة
ايك لخفتها . (٤) العبيط : الطري يوصف به اللحم والدم . (٥) اللذا : أي اللذان ، حذف
النون . وقوله : ان عمي : اراد بها عمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند واخاه مرة بن
كلثوم قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر . قال الفرزدق يهجو جريراً ويمدح تغلب :

صلته بالنابغة

فأما وقد عرفنا ما للشاعر السياسي من ميزة في المدح والهجاء وخصائص في التفكير والتعبير ، فينبغي لنا ان نلتفت الى تلك الصلة الوثيقة التي تربطه بالنابغة حتى جعلت الادبا. الاقدمين يشبهونه به . فليست هذه الصلة مقصورة على صحة شعره كما ذكرنا ، بل تمتداهما الى المعاني والتعابير ، وقد تقع على بعض الاساليب فما تدري أشعر النابغة تقرأ أم شعر الاخطل .

ونحن قبل ان نشرح في اظهار هذه الصلة نسلّم بان شاعر أمية يمتاز في صحة شعره ورونق الفاظه وتخيّر معانيه كما امتاز في ذلك صاحبه النابغة ؛ ولا بدع ان تظهر هذه الميزة على شعر الاخطل فهو من الذين يتنخلون قوافيهم ويشقفون متونها ؛ فقد حدثنا الرواة انه كان يختار اجود ما ينظم فاذا اجتمع له تسعون بيتاً انتخب منها ثلاثين ، وانه اقام سنة في مدحته : « خفّ القطين . . . » ولكن هذه الصلة لا تكفي لتشبيهه بالنابغة ، فزهير عرف بصحة شعره وتنخل قوافيه ، والخطيئة عرف بذلك ، غير اننا لا نستطيع ان نشبه الاخطل باحدهما كما نستطيع ان نشبهه بالنابغة ، لان صحة الشعر لا تجعل وجهاً حقيقياً للشبه . فعلياً ان نلتصق هذه الصلة في اسلوب الشاعر وفي الفاظه ومعانيه . وقد ذكرنا ان الاخطل يت الى النابغة بصلة ادبية اجتماعية فكلاهما مدح الملوك وحظي عندهم ، ولعل هذه الصلة هي التي حملت الشاعر الاسلامي ^(١) على تحدي صاحبه الجاهلي فاغار على بعض اساليبه في المدح ووصف الوحوش . مثال ذلك قوله :

وَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاسَتْ حَوَالِيَهُ ، فِي حَافَتِيهِ ، وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعَسْرُ ، ^(٢)

قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنُودَ ، عَمْرًا ، وَهَم قَسَطُوا عَلَى النَّمِئَانِ
الأغلال : جمع الفل وهو القيد يجعل في عنق الاسير . وقوله : وَفِكَكَ الْأَغْلَالُ : أي اطلقا الاسرى واتخذاهم من اعدائهم قرأ عليهم .

(١) الشاعر الاسلامي : الذي عاش في صدر الاسلام . (٢) جاشت : غلت واضطربت .
حواله : امواجه . حافتيه : جانبيه . العسر : شجر . يقول : من شدة اضطراب امواجه يقلع الشجر فيرمي بها .

وَزَعَزَعَتْهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ ، وَأَضْطَرَبَتْ ، فَوْقَ الْجَاجِيِّ مِنْ آذِيهِ ، غُدْرُ ، ^(١)
 مُسْتَحْفَرٌ مِنْ جِبَالِ الرُّومِ يَسْتُرُهُ ، مِنْهَا أَكْأَفِيفٌ ، فِيهَا دُونُهُ زَوْرٌ ، ^(٢)
 يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ ، حِينَ تَسْأَلُهُ ، وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ ، حِينَ يُجْتَهَرُ ^(٣)

ولا بد أنك تذكر هذه الصورة الشعرية في دالية النابغة التي اعتذر بها الى
 النعمان ؛ فالاسلوب واحد والالفاظ والمعاني متواطئة في اكثرها . وقد اولع الاخطل
 بهذه الصورة فرددتها غير مرة ، فانت تجدها في قصيدة ثانية اذ يقول :

كَأَنَّهُ مُزِيدٌ رِيَّانٌ ، مُنْتَجِعٌ ، يَعْلُو الْجَزَائِرَ ، فِي حَافَاتِهِ الزَّبْدُ ^(٤)
 تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ الْمَاءِ أَنْجِيَّةٌ ، وَفِي جَوَارِيهِ أَلْيَنْبُوتُ وَالْحَضُّ ^(٥)

وتجدها ايضاً في قصائد أخرى لا نرى حاجة الى ذكرها ، ولا بدع ان يكثُر
 الاخطل من هذه الصورة الاستطراذية في شعره ، فانها منطبعة على مخيلته . وهو
 وان يكن واطاً فيها النابغة فتكراره لها يدل على تأثيرها في نفسه ، وهذا التأثير
 لم يحدثه شعر النابغة وحده بل شاركه فيه نشره . الشاعر في الجزيرة على شط الفرات
 يشاهد امواجه المتلاطمة ويسمع زمزمتها وهديرها . ونحن نعتقد ان نشأة الشاعر

(١) زعزعتة : حركته شديداً . الجاجي : جمع الجوجو وهو الصدر و اراد به صدر
 السفينة . آذيه : امواجه . غدر : جمع غدبر وهو النهر والقطعة من الماء يفادها السيل .
 يقول : اذا ضربت الريح الشديدة المياه انقضت كالقدر على جاجي السفن الجارية .
 (٢) مستحفر : سريع الجري . أكأفيف : جمع كفاف وكففة وهي التلة . الزور :
 الميبل . يقول : هذا النهر يجري بسرعة من جبال الروم تستره من هذه الجبال تلال يمر في
 وسطها وهي مائلة عليه . (٣) اجهر : أحسن . يجتهر : ينظر اليه . وهذا البيت متصل
 بقوله : فما الفرات ، أي فما الفرات وهو في مثل هذا الحال بأكثر جوداً بياحه من
 المدوح اذا سأله فجاد عليك بعباياه ، والفرات بأحسن منه منظرأ اذا نظرت اليه . (٤) المزبد
 الريان : اي الفرات في حال ازباده وارتفاع امواجه . المنتجع : الذي يقصد لسا فيه
 من الخير . والانتجاع : طلب الكل في موضعه . وقسوله : الريان : شديد الارتواء ،
 والمراد انه ممتلى ماء . (٥) بنات الماء : طيوره . أنجية : جماعة . الينبوت : ضرب من
 الشجر ذو شوك . الحضد : المتكسر من الشجر . يقول : تظل فيه طيور الماء مجتمعاً بعضها
 الى بعض من الخوف لشدة هيجانه وفي جواربه ركام الشجر المتكسر .

لها اليد الطولى في اثبات هذه الصورة بمخيلته ؛ ولذلك اكثر من ايرادها وتفنن فيها فابرزها لنا باشكال جميلة مختلفة . ولكنه لا يُعد مبتكراً لها بل كان مقلداً . والبيك وصفه الثور الوحشي فتذكر النابغة مرة ثانية وتمثل لك رائيته التي يعدّها بعضهم من المعلقات ؛ وقد مر بك ذكرها ورأيت ما فيها من وصف قصصي للثور بعد ان شبه به ناقته ، وسرى ان الاخطل جاره في البحر والقافية وترسم اسلوبه ناسجاً على منواله ، وواطأ بمعانيه والفاظه . قال في ملحمة يصف ناقته ويشبها بالثور :

كَأَنَّهَا بُرْجُ رُومِيٍّ يُسَيِّدُهُ ، لُرْزٌ بِجِصٍّ ، وَأَجْرٌ ، وَأَحْجَارٌ ^(١)
 أَوْ مُقْفَرٌ خَاضِبُ الْأُظْلَافِ ، جَادَ لَهُ غَيْثٌ ، تَظَاهَرَ فِي مَيْثَاءٍ مَبْكَارٍ ^(٢)
 فَبَاتَ فِي جَنْبِ أَرْطَاةٍ ، تُكْفِنُهُ رِيحٌ شَامِيَةٌ ، هَبَّتْ بِأَمْطَارٍ ^(٣)
 يَجُولُ لَيْلَتَهُ وَالْأَعْيُنُ تَضْرِبُهُ ، وَنَهَا بَغَيْثِ أَحْشَى الرَّعْدِ ، نَيَّْارٍ ^(٤)
 حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ عَنْهُ اللَّيْلُ ، وَأَنْكَشَفَتْ سَمَاوُهُ عَنْ أَدِيمِ مُصْحِرٍ ، عَارٍ ^(٥)
 آنَسَ صَوْتِ قَنِيصٍ ، إِذْ أَحْسَ بِهِمْ ، كَأَلْحِنِ يَهْفُونَ مِنْ جَرْمٍ ، وَأَنْمَارٍ ^(٦)

(١) كأنها : أي ناقته . لُرْزٌ : ألصق . الجص : الحجارة المطبوخة من الجبس للبناء . الأجر : تراب يُحكّم عجنه وتقريصه ثم يبرق لونه . يقول : ان ناقته قوية وثيقة الخلق كأنها برج رومي بناه بالجص والأجر . (٢) المقفر : الثور يلزم القفر . الخاضب : الذي خضبت اظلافه من اكل الربيع . والاظلاف : جمع الظلف وهو لشاة والبقرة والظبي وشبهها بترلة القدم للانسان وقيل كالظفر للانسان . كالحافر للفرس وكالحف للبعير . غيث : مطر . تظاهر : ظهر . الميثاء : الارض السهلة : مبكار : باكرها المطر . يشبه هنا قوحها بقوة الثور الوحشي ثم يأخذ بوصف قوة هذا الثور وسرعته . (٣) ارطاة : شجرة . نكفسه : تقبله وتحوله . شامية : من ناحية الشام . (٤) العين : السحاب . اجش الرعد : غليظه . نيار : شديد الانصباب . (٥) اديم السماء : ما ظهر منها . مصحير : احمر الى بياض . عار : لا غيم فيه . (٦) آنس : سمع . القنيص : الصياد . جسم اي بالصيادين . يهفون : يسرعون . جرم وانسار : قبيلتان معروفتان بالصيد . وروي البيت في ديوانه : آسن صوت قنيص . بحيث يعود الضمير في آسن على الكلاب التي يدلل عليها سياق الكلام . ثم يعود الضمير المستتر في آسن على الثور . وضمير هم على الصيادين . فلم نظمّن الى هذه الرواية لما في شرح البيت من التكلف فرأينا تصحيحها هكذا مراعاة للمعنى وقوة التركيب .

فَأَنْصَاعَ ، كَالْكَوْكَبِ الدَّرِيِّ مَبِيعَتُهُ ،
 فَارْسَلُوهُنَّ يُذْرِينَ الثَّرَابَ ، كَمَا
 حَتَّى إِذَا قُلْتُ : « نَأْتُهُ سَوَابِقَهَا ،
 أَنْحَى إِلَيْهِنَّ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ ،
 فَعَمَّرَ الضَّرِيَّاتِ اللَّاحِقَاتِ بِهِ ،
 غَضَبَانِ ، يَخْلِطُ مِنْ مَعْبُوحٍ وَإِحْضَارٍ ،^(١)
 يُذْرِي سَبَائِخَ قُطْنٍ ، نَذْفُ أَوْتَارٍ ،^(٢)
 وَأَرْهَقَتُهُ بِأَنْيَابٍ وَأُظْفَارٍ ، »^(٣)
 وَطَعَنَ مُحْتَمِرِ الْأَقْرَانِ كِرَارًا ،^(٤)
 عَفَرَ الْغَرِيبِ قَدَاحًا ، بَيْنَ أَيْسَارٍ^(٥)

فحسبك ان تراجع وصف الثور في رائية النابغة حتى تعلم مبلغ تأثر الاخطل به . ولشاعر امية قصائد غير هذه يصف بها الثيران وهي في اكثرها متشابهة الاسلوب ، على انها جعلت صاحبها اشهر ووصف الوحوش في الاسلام .

وصف الخمر

كان الاخطل سكيراً يدمن الشراب ولا يجده عنه صبراً فلا عجب ان تفوح رائحة الخمر من شعره كما فاحت قبله من شعر الاعشى ، فيسمعنا في وصفها ما تنطق به نفسه النشوى ؛ وما تنطق النفس الا عن هوى . وقد عرفنا في درسنا الاعشى ان الاخطل اخذ عنه بعض معانيه في الخمر ؛ ولكن الشاعر الاسلامي لم يقف في وصفها عند حد الشاعر الجاهلي بل تحطاه بعيداً ، وادخل على الشعر الخمري شيئاً

(١) انصاع : انقلد ومر مسرعاً . الكوكب الدرّي : المضي . مبيعته : اول جريه وهو مبتدأ مؤخر ، والخبر متعلق الجار في قوله : كالكوكب الدرّي . المعج : الاسراع في السير . الاحضار : الارتقاع في العدو . يقول : كان في اول جريه كالكوكب المنقض في الجو . (٢) فارسلوهن : أي الكلاب . يذرين : يثرن ويثرن . السبايح : جمع السبيخة وهي القطعة من القطن . اوتار : أي اوتار المنذف وهي آلة لندف القطن . (٣) ارهقته : الخفت به الاذى . (٤) انحى : أمال . وطعن : معطوف على قوله : عيناً . يقول : أمال اليهن عيناً غير غافلة وطعناً بقرنه كطعن باسل كرار يختمر اقرانه . (٥) الضاريات : الكلاب المتعوده الصيد اي صرعها وعفرها بالتراب . الغريب : الذي يضرب السهام للمقامرين ، وانما يجعل اميناً لانه غريب لا يجاني . القداح : جمع القِدْح وهو سهم الميسر . الأيسار : المقامرون . مفردها يسر . يقول : كان الثور يعفر الكلاب بعزجة صادقة مستمسكاً بهن استمسك الغريب الامين بضرب القداح للمقامرين . والغريب لا قداح له فهو اشد استمسكاً من غيره .

جديداً لم نعهده في الجاهلية . فهو اول من تفنن في وصف السكران واحسن
تصوير ديب الخمر في الاجسام ، وشبه زقاق الخمر برجال من السودان عراة .
ولسنا ننكر ان الاعشى وصف السكرارى وصور حالهم ، غير ان الاخطل كان
في ذلك اكثر فناً وابداعاً . واليك وصفه للسكران :

صَرِيحٌ مُدَامَ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رَأْسَهُ ، لِيَحْيَا ، وَقَدْ مَاتَتْ عِظَامٌ وَمَفْصِلٌ ،^(١)
نُهَادِيهِ أحياناً ، وَحِيناً نَجْرُهُ ، وَمَا كَادَ إِلَّا بِالْحُشَاشَةِ يَعْجَلُ ،^(٢)
إِذَا رَفَعُوا عَضْرًا ، تَحَامَلُ صَدْرُهُ ، وَآخِرُ ، مِمَّا نَالَ مِنْهَا ، مُجْتَبِلٌ^(٣)

ثم يصف زقاق الخمر فيقول :

أَنَاخُوا ، فَجَرُّوا شَاصِيَاتِ ، كَأَنَّهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَّرْ بَلْوًا^(٤)
ويصف تعبد الشرب لها فيقول :

تَمُرُّ بِهَا الْأَيْدِي سَنِيحًا وَبَارِحًا ، وَتَرْفَعُ بِاللَّهِمِّ حَيٍّ ، وَتُنْزَلُ^(٥)
ويصف مجلس الشراب والمغني فيوجز ولا يتعدى ما يقول فيها الاعشى :

وَتَوَقَّفُ أحياناً ، فَيَفْصِلُ بَيْنَنَا غِنَاءَهُ مُعْنٍ أَوْ شِوَاهُ مُرْعَبِلٌ^(٦)
ويصف فعلها في العظام فيرينا صورة رائعة لم يسبق اليها :

تَدِبُ دَيْبًا فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ ، دَرِيْبٌ نِمَالٍ ، فِي نَقَا يَتَهَيَّلُ^(٧)

(١) الشَّرْبُ : جمع الشارب . المفصل : مكان انفصال بعض الاعضاء . من بعض .
(٢) حُشَادِيهِ : نسوقه . الحُشَاشَةُ : بقية النفس . وقوله حُشَادِيهِ : الثنات من الغائب الى
المتكلم بعد قوله : يرفع الشرب رأسه . (٣) تَحَامَلُ : تناقل وتكلف الرفع بمشقة وعناء .
صدره : أي صدر ذلك العضو . وآخِرُ : أي وعضو آخر . مِمَّا نَالَ مِنْهَا : أي من المدام .
مُجْتَبِلٌ : فاسد به شال . (٤) أَنَاخُوا : أي ابركوا جاهلهم . الشَاصِيَاتُ : زقاق الخمر
لانها اذا امتلأت شالت اكارعها ، يقال شصا برجله اذا رفعها . لم يتسربلوا : لم يلبسوا ثياباً
أي عراة . (٥) حَيٍّ : أي بالكؤوس . السَنِيحُ : ما جاء عن اليمين الى الشمال . البارحُ :
ما جاء عن الشمال الى اليمين . وروي عجز البيت : « وَتَوَضَّعُ بِاللَّهِمِّ حَيٍّ وَتُجْمَلُ . »
فضلنا الرواية الاخرى لان رفع الكأس يكون قبل وضعها . (٦) وَتَوَقَّفُ : أي الكؤوس .
شِوَاهُ : لحم مشوي . مُرْعَبِلٌ : مقطوع . (٧) نِمَالٍ : جمع غل . النقا : ما ارتفع من
الرمل . يَتَهَيَّلُ : يتحدر . شبهه ديب الحمرة في العظام بدبيب غل يتحدر في مرتفع من

فما ابداع هذا التشبيه الذي يصور لنا تشبيخ الحجرة في المفاصل ، وما اجدر لفظه الديدب بتأدية هذا المعنى ، ولا شك في ان ابانواس نظر الى هذا البيت حين يقول :

وَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ ، كَتَمَشَّى الْبُرْءُ فِي الْبَيْتِمْ .^(١)
ويشربها فتلذع لسانه فيخيل اليه انه مصاب بالحصى فيقول :

وَكَأَنَّ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ ، مِنْ دَاءِ خَيْبَرٍ ، أَوْ تَهَامَةَ ، مُوم^(٢)
وتهزه نشوتها فينالها منها زهو وخيلاء فيقول :

خَرَجْتُ أُجْرُ الدَّيْلِ زَهْوًا كَأَنِّي ، عَلَيْكَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمِيرُ
او يقول :

مَشَى قُرَشِيَّةً لَا سَكَ فِيهَا ، وَأَرْنَحَى مِنْ مَازِرِهِ الْفُضُولَا
وقصارى القول ان الاخطل احب الحمر كما احبها الاعشى ووصفها مثله ، ولكنه
وصف شاربها وتأثيرها فيه بما لم يسبقه اليه شاعر قبله .

عمرته

عده ابن سلام في الطبقة الاولى بين الشعراء الاسلاميين . وكان حماد الراوية
يفضله على جرير والفرزدق فاذا سُئِلَ عنه قال : « ما تسألوني عن شاعر حبَّ شعره
الي النصرانية ! » وسأل جريراً ابنة : « يا ابنتِ أأنتِ اشعر أم الاخطل ؟ »
فقال : « يا بني ادركت الاخطل وله ناب ، ولو ادركته وله ناب آخر لا كفي . »
وقال فيه ايضاً : « الاخطل يجيّد نعت الملوک ويصيب صفة الحمر . » وقال عبد الملك

الرملي . ووجه الشبه بظلم السير وما يترك من الاثر ، فالنمل يترك اثراً في تحدره على
الرملي ، والحمر تترك اثراً في المفاصل عند دبيبها وهو ما يعرف بالنشوة وما يصحبه من
ارتعاش في الاجسام . (١) تمشت : اي الحمر . (٢) خيبر : ناحية على ثمانية برد من المدينة
من بريد الشام وهي موصوفة بالحصى . تهامة : بلاد تسامر البحر وتقتد مستطيلة بين الحجاز
والبحر . جاء في معجم البلدان عن ابن الاعرابي : سبجت تهامة لشدة حرها وركود ريحها .
وهو من التهم اي شدة الحر وركود الريح . الموم : داء البرسام وهو التهاب يمرض
للحجاب الذي بين الكبد والقلب . يقول : كأن لسان شاربها اصابه التهاب على اثر حمى
أنته من خيبر او من تهامة .

للفرزديق : « من اشعر الناس في الاسلام ؟ » فقال : « كفاك بابن النصارينة اذا مدح . »

وقال الاصمعي وذكر جريراً : « كان ينهشه ثلاثة واربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً وثبت له الفرزدق والاخطل . » وقال صاحب الاغانى في جرير : « هو والفرزدق والاخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ، ومختلف في ايهم المتقدم ولم يبق احد من شعراء عصرهم الا تعرض لهم فانفضح وسقط وبقوا يتصاولون . » واخبر ابو عبيدة قال : « جاء رجل الى يونس فقال له : « من اشعر الثلاثة ؟ » قال : « الاخطل ، » قلنا : « من الثلاثة ؟ » قال : « اي ثلاثة ذكروا فهو اشعرهم ، » فقيل له : « وبأي شي فضوه ؟ » قال : « بأنه كان اكثرهم عدد قصائد طوال جياذ ليس فيها سقط ولا فحش واشدهم تهذيباً للشعر . » وسأل سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز : « أجري اشعر ام الاخطل ؟ » قال : « ان الاخطل ضيق عليه كفرة القول ، وان جريراً اوسع عليه اسلامه قوله ، وقد بلغ الاخطل منه حيث رأيت ، فقال له سليمان : « فضلت والله الاخطل . » وكان ابو عبيدة يقول : « شعراء الاسلام ثلاثة : الاخطل ثم جرير ثم الفرزدق . » وكان ابو عمرو يفضل الاخطل ويشبهه بالنابغة لصحة شعره ، ويقول : « لو ادرك الاخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه احداً . » وقال ابو عبيدة ايضاً : « الاخطل اشبه بالجاهلية واشدهم اسر شعر واكلهم سقطاً . » وحدث عمر بن شبة قال : « كان مما يقدم به الاخطل انه كان اخبثهم هجاء في عفاف من الفحش . » وقال الاخطل : « ما هجوت احد قط بما تستحي العذراء ان تنسده اباه . » ولقبه عبد الملك بشاعر امير المؤمنين ، وشاعر بني أمية ، واشعر العرب .

والاقوال في الاخطل كثيرة متضاربة ، نكتفي منها بهذا القدر الذي يدلنا على ما لشاعرنا من منزلة رفيعة عند الاقدمين . ويوسعنا ان نعتمد على بعضها في اظهاره بيزة الشاعر وفضله على اقرانه . فقد رأيت ان علماء اللغة كابي عمرو وابي عبيدة ويونس وحماد كانوا يفضلون الاخطل ويشبهونه بشعراء الجاهلية ، ولهذا التفضيل سبب

وهو ان هؤلاء الأئمة وغيرهم كانوا يميلون الى جزالة اللفظ وشدة الأسر فراقهم في الاخطل فخامة شعره اكثر من رقة شعر جرير وطبعه ، وكانوا يغارون على صحة اللغة ويستنكرون اللحن ففضلوا الاخطل على الفرزدق لانه اصح شعراً وابعد به من الساقط المرذول . وكانوا معجبين بالسبع الطوال وغيرها من الشعر الجاهلي ، فأحبوا الاخطل لطول نفسه ومثانته . وكانوا يعدون له عشر قصائد طوال جياذ ليس فيها سقط ؛ وعشراً غيرها ان لم تكن مثلها فليست بدونها ؛ ولم يجسدوا لجرير بهذه الصفة الا ثلاثاً . واجمعوا ، او كادوا ، على ان الاخطل احسنهم مدحاً ، وشهد له الفرزدق بذلك .

ومن زى انه لا يقل في الهجاء عن جرير وان قل عنه فحشاً ، فهو في هجوه لاذع مؤلم ؛ واذا درسنا «نقائض جرير والاخطل» وموقف الشعارين في ذلك العصر نعلم مبلغ براعة الشاعر التغلبي في هذا الفن . فالاخطل دخل بين جرير والفرزدق بعد ان اسنّ ونقد اكثر عمره ، ومن المعلوم ان شاعرية الشيوخ اضعف من شاعرية الشباب ، ولكن الاخطل على كبره استطاع ان يقاوم فحلاً من مضر هابته فحول الشعراء في الاسلام . واذا نظرنا الى قول عمر بن عبد العزيز بدا لنا فضل الاخطل في مقارنته جريراً ، فقد قال عمر لسليمان بن عبد الملك : « ان الاخطل ضيق عليه كفرة القول ، وان جريراً اوسع عليه اسلامه قوله ، وقد بلغ الاخطل منه حيث رأيت . » وهذا ما نستطيع ان نتبينه في تهاجي الشعارين ، فان جريراً يجول في عرض الاخطل جيئة وذهاباً فينال من دينه ويعيره نصرانيته ويفتخر عليه بالاسلام ، ويناله من قبيلته فينمش اعراض تغلب واعراض ربيعة بن زرار جميعاً ، واما الاخطل فلم يكن يجرؤ ان يقابل جريراً بالمثل فيقطعنه في ديانته وهو في كنف دولة اسلامية عزيزة الجانب ، ولو حدثته نفسه بذلك لما سلم النبي بين كتفيه وان يكن شاعر بني أمية وشاعر امير المؤمنين . وكان يقتصر على هجو كليب قوم جرير الاذنين فلا يجاوزهم الى بني تميم وهم قبيلة صاحبه الفرزدق واخوان بني قريش ، ولا يتناول مضر بكلمة سوء لان قريشاً من مضر والنسب والحلابة في قريش . فانت ترى ان نطاق الاخطل كان ضيقاً في هجو جرير ، وهذا

ما اشار اليه عمر بن عبد العزيز في قوله : « ان الاخطل ضيق عليه كفره القول . »
ويروي لنا صاحب الاغانى ان رجلاً من بني شيبان جاء الى الاخطل فقال له :
« يا ابا مالك ان لك عندي نصحاً ، » قال : « هاته فما كذبت ، » فقال : « انك
قد هجوت جريراً ودخلت بيته وبين الفرزدق وانت غني عن ذلك ولا سيما انه
يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويسب ربيعة سباً لا تقدر على سب مضر بمثله
والملك فيهم والنبوة قبله ، فلو شئت امسكت عنه ، » فقال : « صدقت في
نصحك وعرفت مرادك ، فوالصليب ، والقربان ، لا تخلصن الى كليب خاصة دون
مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره ، ثم اعلم ان العالم بالشعر لا يبالي ، وحق
الصليب ، اذا مر به البيت السائر الجيد أمسلم قاله ام نصراني ! »

فالاخطل اذا لم يكن مطلق العنان فيتصرف في هجو جرير تصرف جرير في
هجوه ، ومع ذلك فقد بلغ من خصمه مثل ما بلغ خصمه منه ، وكان في هجائه
فتناً كماً ممضاً فلم يترك سائنة الارمى بها بني كليب ورهط جرير .
وجماع القول ان الاخطل شاعر لعوب بالالفاظ والمعاني ، وله في الابتكار
باع طويل ، وهو مبدع في مدحه وهجائه ، متفنن في وصف الحمر ، مقدم في الشعر
السياسي على سائر الشعراء في صدر الاسلام .

(١) الفرزدق

٧٣٢ م و ١١٤ هـ (?)

حياته : ولد من اسره شريفة . جده صعصعة . احبنا ثلاثائة وستين وثبده . كان فخوراً بقومه . جاني الطبع . نظم الشعر صغيراً . تعلم القرآن مقيداً . تشييعه . مدح زين العابدين . حبسه . هجو هشام . اتصاله بالامويين . كان يتكلف مدحهم رغبة او رغبة في نوالهم . اكثر مدحه في سليمان بن عبد الملك . افتخاره في حضرته . كان يجهوم مرة ويمدحهم اخرى لذلك كان مجفواً لعلمهم بتشيعه ، وكذب ولاته لهم . الفرزدق الطريد . بنو فقيم ونهشل يستعدون عليه زياداً . هربه من البصرة الى المدينة . مروان بن الحكم يخرج من المدينة . الصحيفة المختومة . خوف الفرزدق منها . خبره مع النوار . هرجا منه . تطبيقها . ندامته . حبسه ساعد خصومه على التثفي به . نبوء سيفه ، وقوله في ذلك . تعبير جرير له . الفرزدق وجرير . سبب تهاجياها . ظللاً اربعين سنة يتهاجيان . موته بذات الجنب او بالدثيلة . وصيته بعق عبده . لم يبلغ المائة .

آثاره : ديوان . نقائض جرير والفرزدق . من أصحاب الملحاحات .

ميزته : الهجاء والفخر : يفاخر بقبيلته وبنفسه ويحقر المهجو وقبيلته ويستعلي عليهم ويمشوم شتماً ويروي عنهم الاخبار الفاحشة ، ويمدد انكساراتهم . هجاؤه بؤرة فساد . مفرط في هجائه وفخره . فخره بالظلم . دفاعه عن تغلب وتغبيرم على كليب . يجعل كليباً خسارة قيم ، فيحصر فيها المخازي وفي دارم الفاخر . يهجو قيس عيلان وينفر عليهم تغلب ويهجو جريراً منهم لدفاعه عنهم مع انهم ناصروا الزبيريين . مدحه : متكلف في مدح الامويين صادق في مدح آل البيت . مدحه هشاماً بعد ان هجاه . مدحه زين العابدين ، لا يستجديه بل ينوء بمناقبه ومناقب آله . تكرار لفظة هذا وما فيه من اجلال وتيسن وتلذذ . ارتجال القصيدة وكثرة الايلاء . غزله : متصلب العاطفة جاني الالفاظ والمعاني . فاحش في غزله (قصصي . يقصر عن عمر وامرئ القيس في سرد الخبر والحوار ، ولا تنقاد له السهولة

(١) الفرزدق : الرغيف الضخم الذي تجففه النساء للفتوت . وقيل بل هو القطعة من المعجين التي تبسط فيخبز منها الرغيف .

والرقة . خروجه من المعاني الوحشية . رثاؤه : لا يحسن الرثاء لصلابة عاطفته . رثاؤه امرأته . زهده : ليس بشعر زهدي مستوفي الشروط ، ولكنه ندامة وهجاء لا يلبس لم يسبق اليه . كيف هجا ابليس ؟ . لم تكن ندامته صادقة ، سرقاته : من الشمردل وابن ميادة وجميل . خير السرقة ما لا يجب فيه القطع . مداخلته الكلام : سرور النجاة به . مقلداته : تشبیهه بزهير . قصاره وابتداءاته : يكثّر من القصار . غلبت عليها الجودة . لا يعنى بمطالعه . لا يصرفها . واحياناً لا يوطئ بالغزل . مثلته احد الثلاثة المقدمين في الاسلام . ينحت من صخر . تكلفه اللفظ الغريب في نحت شعره . شعره حفظ ثلث اللغة ، وحفظ كثيراً من ايام العرب وعاداتهم . انقسام الناس حزبين معه ومع جرير . هو افخر الثلاثة . دون الاخطل في المدح . دون جرير في الغزل والرثاء . يجاريه في الهجاء . دونه تصرفاً في المعاني .

ميانه

هو همام بن غالب بن صعصعة من دارم ثم من تميم ، لقب بالفززدق لغلاظة وجهه وجبهومته ^(١) وكنيته ابو فراس . وكانت ولادته في البصرة ونشأته في باديتها ، فشب خالص البداوة ، جاني الطباع قوي الشكيمة ، لا تلين قناته . وكان له من مناقب قومه ومآثرهم ما افعم نفسه زهواً وكبراً ، وفسح له في مجال الفخر على اقوانه ، فباهى الناس بآبائه وجدوده . وكان ابوه غالب من اجواد العرب المشهورين ، اذا نحر لا يجاريه منافس ، واذا اعطى لا يسأل عفااته : من هم ؟ . وجدده صعصعة له صحبة ولكنه لم يهاجر ، وهو الذي احيا الوثييدة ، وبه افتخر الفززدق في قوله :

وَجَدِّي الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ ، وَأَحْيَا الْوَيْدَ ، فَلَمْ يُوَادِ ^(٢)

(١) الجبهومة والجهامة : اجتماع الوجه وغلاظته وساجته . (٢) منع الوايدات : أي منع النساء من وأد بناحن وهو دفن البنت حية حين ولادتها . الويد والوييدة والموؤودة : البنت المدفونة حية . وقوله : لم يوَاد بالتذكير : حملاً على اللفظ . وكان العرب في الجاهلية أكثر ما يتدون بناحن في الجذب ، ومنهم من يتدها تخلصاً من عار سبها . وكانت كندة تئد بناحها .

قيل انه اشترى ثلاثمائة وستين مؤودة كل واحدة منهن بناقتين وجمل . وأم
الفرزدق ليلي بنت حابس اخت الصحابي الاقرع بن حابس .

ونظم الفرزدق الشعر صغيراً فجاء به ابوه الى الامام علي وقال : « ان ابني
هذا من شعراء مضر فامنع منه » قال : « علمه القرآن . » فلما كبر الفرزدق
تعلمه وهو مقيد لثلاثي يلهو عنه .

تبعه

وكان يتشيع لعلي وابناء علي ويجاهر بحبه لهم ، واذا مدحهم تدفق شعره
عاطفة وحماسة ، فما ترى فيه اثرأ لتكلف المادح المتكسب . وخير دليل على
صدق موالاته آل البيت قصيدته في زين العابدين فهي من ابلغ الشعر واخلصه
عاطفة ؛ انشدها في وجه هشام بن عبد الملك لما حج على عهد ابيه وطاف بالبيت ،
وجهد ان يستلم الحجر الاسود فلم يبلغه لكثرة الزحام ، فنصب له كرسي وجلس
عليه ينظر الى الناس وحوله جماعة من اهل الشام . فبينما هو كذلك اذ اقبل زين
العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وكان من اجمل الناس وجهاً .
فطاف بالبيت حتى اذا انتهى الى الحجر انشقت له الصفوف ومكنته من استلامه .
فقال رجل من اهل الشام لابن عبد الملك : « من هذا الذي هابه الناس هذه
الهيئة ؟ » فقال هشام : « لا اعرفه . » وخاف ان يذكر اسمه فيرغبهم فيه . وكان
الفرزدق حاضراً فقال : « انا اعرفه » فقال السامي : « ومن هو يا ابا فراس ؟ »
فقال كلمته :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتَهُ ، وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ ، وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ ^(١)

فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فهجاه الفرزدق بقوله :

أَتَحْبِسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأَتِي ، إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مَنِيبَهَا ^(٢)

(١) البطحاء : الارض المتبطحة التي في وسطها مكة . الوطأة : موضع القدم . البيت :
اي البيت الحرام . الحِلُّ : ما سوى الحرم من بلاد الله . الحرم : ما احاط بمكة من
الارض الى خط معلوم . يقول : ان زين العابدين تعرفه اهل الدنيا قاطبة . (٢) يهوي :
يهوي : يهوي :

يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ ، وَعَيْنُ أُمِّ حَوْلَاءَ ، بَادِرٌ عِيُوبَهَا ^(١)
 فبلغ شعره هشاماً فأمر باطلاقه خوفاً من لسانه .

انصالة بالامويين

على ان تشيعه لآل البيت لم يصرفه عن التقرب الى الامويين ، فمدحهم رهبة
 منهم او رغبة في نوالهم ، واكثر مدائحه في سليمان بن عبد الملك ، ولكنه لم ينل
 حظوة الاخطل عندهم ولا استقام له ان يمدحهم بمثل شعره . فهم كانوا يعلمون
 موضع هواه ، وهو كان يتكلف مدحهم على كره منه . وربما مرت به ساعة
 لا يستطيع فيها ان يسخر عاطفته ، فيدعوه الخليفة الى مدحه فما يطيق ذلك ،
 فيعمد الى الافتخار بنفسه فعله في حضرة سليمان بن عبد الملك لما استنشه فيه او
 في ابيه فأنشده مفتخراً عليه :

وَرَكِبَ ، كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةً ، مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ ^(٢)
 سَرَوْا يَخْطُونَ اللَّيْلَ ، وَهِيَ تَلْفُهُمْ ، إِلَى شَعْبِ الْأَكْوَارِ ، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ^(٣)
 إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَارًا يَقُولُونَ : لَيْتَهَا ، وَقَدْ حَصَرَتْ أَيْدِيَهُمْ ، نَارُ غَالِبٍ ^(٤)

يسرع ويمضي في سيره . منيها : نائبا ، من اناب الى الله رجع اليه وتاب . وقوله : التي ،
 اراد حامي مكة فعرف باسم الموصول تعظيماً لها . يقول : التحسني بين المدينة ومكة التي يسرع
 اليها ذوو القلوب الثابتة . والضمير في منيها يعود على القلوب .

(١) باد : ظاهر . وكان هشام أحول . (٢) الركب : المسافرون فوق الابل .
 تِرَةً : نأراً . العصائب : جمع العصابة وهي العمامة . يقول : كأن الريح لها نأراً على هذا
 الركب لشدة ما تجذب بعائمه جماعته . يصف قوة الريح . (٣) سرؤا : ساروا ليلاً . يخطون
 الليل : يسرون فيه على غير هدى ، مأخوذ من الحبط : وهو الضرب على غير اناسق .
 شعب الاكوار : نواحيها مفردا شعبة . الاكوار : جمع الكور وهو رحل البعير .
 يقول : سرى هذا الركب يخطون على غير هدى لشدة الظلام والريح العاصفة تلفهم أي
 تضهم من كل جانب الى نواحي الاكوار . (٤) استوضحوا : وضوا ايديهم على عيوشهم
 لينظروا الشيء من بعيد . حصرت : بردت . يقول : اذا نظروا ناراً من بعيد قال بعضهم
 لبعض وقد بردت ايديهم : « ليتها نار غالب » وغالب : ابو الفرزدق . لانهم يمدون عندها
 دفناً وقرى .

فتبين غضب سليمان ، وكان نُصَيْبُ الشاعر حاضراً فأشده ايأاً يدحه بها ، فقال الخليفة : « يا غلام أعطِ نُصَيْباً خمس مائة دينار ، وألحِق الفرزدق بنار اييه . » فخرج الفرزدق مُغَضَّباً يقول :

وَخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالاً ، وَشَرُّ الشِّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ ^(١)

وقد يمدح عمال بني أمية ثم يهجوهم اذا وجد سبيلاً الى هجوهم ، او يهجوهم ثم يمدحهم اذا خشي شرهم . فقد رثى الحجاج بقوله :

فَلَيْتَ الْأَكْفَ الدَّافِنَاتِ ابْنَ يُونُسَ ، يُقَطَّنُ ، إِذْ غَيَّبَ تَحْتَ السَّقَانِفِ ^(٢)

فلما بويع بالخلافة سليمان بن عبد الملك بعد اخيه الوليد مدحه الفرزدق وهجا الحجاج وقومه ؛ ف قيل له : كيف تهجوه وقد مدحته ؟ فقال : « نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه ، فاذا تحلّى منه انقلبنا عليه . »

وهجا آل المهلب فتمقوا عليه ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان والعراق خاف الفرزدق فمدحهم . فلا تعجب اذا ان ترى الفرزدق مجفواً على صمو قدسه في دولة الشعر ، فبنو أمية وعمائم لم يطمئنوا الى ولائه ولطالما نالوا منه فحبسوه او ابعده ، واذا اجازوه احياناً فتيمة للسانه او رغبة في شعره ليمدحهم به .

الفرزدق الطرير

وكان خبث لسانه وتعمره يساعدان اولى الامر على اذيتيه ، فاذا هجا قوماً او نال من حرمااتهم استعدوا عليه السلطان فيطارده فيفر من وجهه ، او يجبسه او ينفيه فيكفي الناس شره ولو الى حين .

ويحدثنا صاحب الاغانى ان الفرزدق كان يهاجي الاشهب بن رُمَيْلة النهشلي

(١) كان نُصَيْبُ مولى حبشياً لبني كعب فاشتراه عبد العزيز بن مروان . وهو شاعر مجيد . يعرض الفرزدق به في قوله : وشر الشعر ما قال العبيد . (٢) السقائف : جمع السقفة وأراد جما القبر . اي اذ غيبن ابن يوسف تحت سقائف الاجداث . وابن يوسف هو الحجاج توفي في اواخر خلافة الوليد بن عبد الملك في سنة ٧١٣ م و ٩٥ هـ . وكان والي العراقين وخراسان ومدة ولايته عشرين سنة . قيل انه احصى من قتلهم فكانوا مائة وعشرين الفاً .

وبني فقيم وكلاهما من دارم ؛ فاستعدوا عليه زياد ابن أبيه وهو على البصرة من قبل معاوية ، ففر الفرزدق الى المدينة مستجيراً بعاملها سعيد بن العاص فأمنه . ثم ولي المدينة مروان بن الحكم فعلم ان الفرزدق يشرب الخمر ويدخل الى القيان ، فدعاه وتوعده وقال : « اخرج عني . » فعزم على الشخوص الى مكة ، فكتب مروان الى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بان يصله بمائتي دينار فارتاب بكتاب مروان فجاء اليه يقول :

مَرَوَانُ إِنَّ مَطِيَّتِي مَعْقُوتَةٌ ، تَرْجُو الْحَبَاءَ ، وَرَبُّهَا لَمْ يَبْسُ (١)

أَتَيْتَنِي بِصَحِيفَةٍ مَخْتُومَةٍ ، يُخْشَى عَلَيَّ بِهَا حَبَاءَ النَّفْرَسِ (٢)

أَلْقِ الصَّحِيفَةَ يَا فَرْزَدَقُ ، لَا تَكُنْ نَكْدَاءَ مِثْلَ صَحِيفَةِ الْمَتَلَمِسِ (٣)

ثم رمى بالصحيفة ، فضحك مروان وقال : « ويحك انك أُمِّي لا تقرأ فاذهب بها الى من يقرؤها ثم ردها حتى اختتمها . » فذهب بها فلما قرئت له اذا فيها جائزة فردها الى مروان ففتحها .

وظل الفرزدق طريداً عن البصرة حتى هلك زياد .

خبره مع النوار

ولم تكن حظوته عند النوار بأحسن من حظوته عند الخلفاء وعمالمهم . مع ان النوار بنت عمه ، والدها أعين بن ضبيعة المجاشعي ؛ وكان الفرزدق وليها . فخطبها رجل من دارم فرضيته وارسلت الى ابن عمها ان يزوجها اياه ، فقال : « لا افعل او تشهديني انك قد رضيت بن زوجتك . » ففعلت ، فلما توثق منها وقف في مسجد بني مجاشع بن دارم فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « قد علمت ان النوار قد ولتني

(١) مطيقي : دابقي . معقولة : مجبوسة . الحباء : العطاء . رباها : صاحبها . يقول : ان مطيقي مجبوسة لا تستطيع السفر لانها تنتظر عطاءك وصاحبها لم يقطع رجاءه منك . (٢) النفرس : ورم في مفاصل الكمين واصابع الرجلين . يقول : اعطيتني كتاباً مختوماً اخشى ان يكون فيه عطاء موجه كداء النفرس . (٣) قوله : لا تكن : مجزوم بجواب الامر وهي بمعنى لئلا تكون ولا حرف نفي . يقول مخاطباً نفسه : ألقى صحيفتك لئلا تكون مشؤومة مثل صحيفة المتلمس . راجع خبر صحيفة المتلمس في بحث طرفه بن العبد .

امرها وأشهدكم أنني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء ، سوداء . الحدقة . « فنفرت منه وفزعت الى مكة وفيها عبدالله بن الزبير وقد بايعه العراق والحجاز ، فاستجارت بامراته خولة بنت منظور بن زبآن الفزاري ، فتبعها الفزردق ولما قدم مكة اشرب الناس اليه ، ونزل على بني عبدالله بن الزبير فاستنشده ثم شفّعوا له الى ابيهم ، فجعل يشفعهم في الظاهر حتى اذا صار الى خولة قلبته عن رايه . فقال الى النوار و اشار عليه بتطليقها فابى وهجاه . وظل يرقبها حتى اصطلحا على ان يرجعا الى البصرة ويحكيا في امرهما بني تميم . فلما صاروا الى البصرة رجعت اليه النوار بحكم عشيقتها ، ومكثت عنده زماناً ترضى عنه حيناً وتحاصمه احياناً ، فاراد اغاظتها فتزوج عليها حدراء^(١) بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني فخاصمته النوار واخذت بلحيته وقالت : « تزوجت اعرابية دقيقة الساقين على مائة بعير ، » فقال يفضل عليها حدراء :

لعمري ، لأعرابية في مظنة ، تظل بروقي بيتها أريح تخفيق^(٢)
أحب إلينا من ضناك ضفنة ، إذا وضعت عنها المرواح ترقق^(٣)

فشكته الى جرير فهجاه وهجا حدراء .

ولم يطب للنوار عيش في كنف الفزردق فظلت ترققه وتستعطفه حتى اجابها الى طلاقها ، واخذ عليها ان لا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلاً بفسده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له ، واخذت عليه ان يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل وطلقها ثلاثاً ، ثم ندم وتحسرو له فيها شعر كثير منه :

ندمت ندامة الكسعي ، لما غدت مني مطلقاً نوار^(٤)

(١) الحدراء : الحولا . او من لها قرحة في باطن جفنها . (٢) المظنة : الحيسة . الروق والرواق : سقف في مقدم البيت . تخفيق : تصوت عند هبوبها . (٣) الضناك : المرأة المكتثرة الثقيلة الجسم . الضفنة : النصفرة الحمقاء في عظم خلق المرواح . جمع المروحة . يقول : يظل جسمها لضخامته يعرق اذا لم يروح له بالمرواح . (٤) الكسعي : نسبة الى كسع وهو حي باليمن او من بني ثعلبة ، ومنه غامد بن الحرث الكسعي الذي يضرب به المثل في الندامة لانه رمى حمراً ليلاً فكانت السهام تنفذ منها وتصدم الجبل فتتوري ناراً فظن انه اخطأها جميعاً فحنق وكسر قوسه ، ولما اصبح نظر فاذا الحمر مصرعة واسمه بالدم مضرحة فندم فقطع اجامه .

وَكَانَتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا ، كَادَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الصِّرَارُ^(١)
وَكَنتُ كَفَاقِيهِ عَيْنِيهِ عَمْدًا ، فَأَصْبَحَ مَا يُضِيهِ لَهُ النَّهَارُ

عينه

وكان الفرزدق على اعجابه بنفسه ومباهاته باصله شديد الجبن لا يقاقل الا
بلسانه . وكان خصومه يتخذون من جبنه ذريعة للضحك به والتشني من غيظهم ،
وله معهم اخبار كثيرة نكتفي بواحدة منها رواها ابو عبيدة عن روثبة بن العجاج
قال : حج سليمان بن عبد الملك وحجت الشعراء معه فلما جاء المدينة تلقوه بنحو
اربع مائة اسير من الروم فقعدهم يدفعهم الى الوجوه والى الناس فيقتلونهم حتى دفع
الى جرير رجلاً منهم فدمت اليه بنو عبس سيفاً قاطعاً فضربه فابان رأسه ، ودفع
الى الفرزدق اسيراً فلم يجسد سيفاً فدسوا اليه سيفاً كليلاً فضرب الاسير فلم يصنع
شيئاً ، فضحك القوم به ومن سوء ضربته ، وشتم بنو عبس ، فغضب الفرزدق
وانشأ يقول :

إِنْ يَكُ سَيْفٌ خَانَ ، أَوْ قَدْرٌ أَبِي ، لِتَأْخِيرِ نَفْسٍ ، حَتْفَهَا غَيْرُ شَاهِدٍ^(٢)
فَسَيْفٌ بَنِي عَبْسٍ ، وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ ، نَبَأَ بِيَدَيَّ وَرَقَاءَ عَنِ رَأْسِ خَالِدٍ^(٣)
كَذَلِكَ سَيْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا ، وَيَقْطَعْنَ أحيانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ^(٤)

وقال ايضاً :

أَيَعْجَبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكَتْ خَيْرَهُمْ ، خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ^(٥)

- (١) اضرار : المخالفة ، من ضارّه : خالفه . و اراد بذلك مخالفة آدم وصية الله .
(٢) قوله : ان يك ، لحقه الحرم فحذفت فاء ، فعول فاصبح عول فنقل الى فعل .
الحتف : الموت . شاهد : حاضر . يقول : ابي القدر ان يقطع السيف ليؤخر موت نفس
لم يحضر اجلها بعد . (٣) نبا : سيف . اذا لم يقطع . ورقاء : هو ابن زهير بن جذيمة العبسي
رأى والده تحت صدر خالد بن جعفر بن كلاب وخالد مكب عليه وقد ضربه بالسيف
فصرعه فجاء ورقاء لانقاذ والده فضرب خالداً ضربات فلم يصنع شيئاً وقتل والده .
(٤) سيوف الهند : أي المصنوعة في الهند . الطُّبَات : جمع الطبة وهي حد السيف . مناط
القلائد : كناية عن الاعناق . ومناط : اسم مكان من ناط اي علق . القلائد : جمع القلادة
وهي ما جعل في العنق من الخلي . (٥) خيرهم : اي سليمان . وعجز البيت للاختلاف في الفرزدق .

لَمْ يَنْبُ سِنِيَّيَ مِنْ رُغْبٍ وَلَا دَهْشٍ، عَنِ الْأَسِيرِ، وَلَكِنْ أَخْرَأَ الْقَدْرُ،^(١)
وَأَنْ يُقَدِّمَ نَفْسًا قَبْلَ مُدَّتَيْهَا، جَمَعَ الْيَدَيْنِ، وَلَا الصَّمَامَةَ الدَّاكِرَ^(٢)
ثم مضى وهو يقول :

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدٌ إِذَا صَبَا، وَلَا يُعَابُ صَارِمٌ إِذَا نَبَا،
وَلَا يُعَابُ شَاعِرٌ إِذَا كَبَا^(٣)

فشمت به جرير وعيره بقوله :

بَسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ، سَيْفِ مُجَاشِعٍ، ضَرَبْتُ، وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ،^(٤)
ضَرَبْتُ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ، فَأَرَعَشْتُ يَدَاكَ، وَقَالُوا: «مُحَدَّثٌ غَيْرُ صَارِمٍ»^(٥)
فرد عليه الفرزدق بقوله :

وَلَا تَقْتُلُ الْأَسْرَى، وَلَكِنْ نَفَكْهُمْ، إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ^(٦)
فَهَلْ ضَرْبَةُ الرَّومِيِّ جَاعِلَةٌ أَكْمَ، أَبَا عَن كَلَيْبٍ، أَوْ أَبَا مِثْلِ دَارِمٍ؟^(٧)

الفرزدق وجرير

وكان السبب في تهاجي الفرزدق وجرير أن شاعراً من بني يربوع يقال له

(١) الدهش : الخيرة والذهول . (٢) الصمصامة : السيف القاطع . الذكر : السيف
اليابس الصلب . وقوله : جمع اليدين . أي الاسر والاعتقال ، وهو ان تكبيل اليدين الى
العنق بالجوامع اي الاغلال مفردھا جامعة . (٣) صبا : اي اذا صبت نفسه ومالت . كبا :
سقط على وجهه . وكبا الشاعر : اذا اخطأته جودة الشعر تشبيهاً له بالفرس السكابي في
المضار . (٤) يقول : ان السيف الذي ضربت به لم يعمود القطع لانه سيف بني مجاشع بن دارم
الجبناة لا سيف الحرث بن ظالم المرثي . وكان الحرث من فتاك العرب فتك بخالد بن جعفر
وهو اذ ذاك نازل على النعمان بن المنذر ، وبنو مرة وبنو عيس ابناء اعمام كلهم من غطفان .
يرد جرير على الفرزدق لتعيره بني عيس بسيف ورقاء فيشير الى سيف الحرث بن ظالم تشبيهاً
الى ان بني عيس ادركوا ثارم بن خالد بن جعفر قاتل زهير . (٥) الإمام : الخليفة .
أرعشت : ارتعدت من الخوف . مُحَدَّثٌ : اي حديث العهد بحمل السيوف . غير صارم :
غير قاطع أي لم يعمود القطع بالسيوف . (٦) المغارم : جمع المغرم وهو الغرامة . يقول :
نحن نفلت الاسرى اذا عجزوا عن دفع الغرامة ليقصدوا انفسهم . (٧) كليب : قوم جرير .
وقوله : أبأ عن كليب : اي عوضاً عنه .

غَسَّانَ السِّلِطِيِّ هِجَا جَرِيرًا فَرَدَّ عَلَيْهِ جَرِيرٌ فَأَخْزَاهُ ، فَشَكَا آلُ يَرْبُوعٍ إِلَى الْبَيْعِ
 الْمَجَاشِعِيِّ قَهْرَ جَرِيرٍ صَاحِبِهِمْ ، فَجَعَلَ الْبَيْعِيُّ يَقُولُ : « وَجَدْنَا الشَّرْفَ وَالشَّعْرَ فِي
 بَنِي النَّوَّارِ بِنْتِ مُجَاشِعٍ » ، فَبَلَغَ ذَلِكَ جَرِيرًا فَهَجَا الْبَيْعِيَّ وَقَوْمَهُ ، فَجَاءَ الْبَيْعِيُّ
 إِلَى بَنِي الْحُطَيْفِيِّ رَهْطَ جَرِيرٍ ، وَقَالَ : « يَا قَوْمَ عَجَلْتُمْ عَلَيَّ » ، فَقَالُوا : « بَلَّغْنَا عَنْكَ
 أَمْرًا فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ كَمَا قُلْنَا ، وَإِنْ شِئْتَ صَفَحْتَ » ، فَقَالَ : « بَلْ أَصْفَحْ . » فَأَقَامَ
 بِمَجَاوِرًا لَهُمْ ثَلَاثَ سِنِينَ ثُمَّ أَنَّهُ فَارَقَهُمْ رَاضِيًا ، فَقَدِمَ عَلَى نَاسٍ مِنْ بَنِي مَجَاشِعٍ فَسَأَلُوهُ
 عَنْ بَنِي الْحُطَيْفِيِّ فَأَتَى عَلَيْهِمْ خَيْرًا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : « أَحْسَنَ مَا جَازَيْتَهُمْ عَلَى
 الَّذِي قَالُوا لَكَ » ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ قَوْلَ جَرِيرٍ فِيهِ ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى اغْضَبُوهُ ، فَهَجَا بَنِي
 كَلَيْبٍ . فَقَالَتِ بَنُو كَلَيْبٍ لِعَطَاءِ بْنِ الْحُطَيْفِيِّ : « ارْكَبْ إِلَى بَنِي مَجَاشِعٍ وَاسْتَنْتَهُمْ مِنْ
 أَنْفُسِهِمْ فَقَدْ قَالُوا كَمَا قِيلَ لَهُمْ . » فَأَتَاهُمْ عَطَاءٌ فَقَالَ : « أَيُّ بَنِي مَجَاشِعٍ الْإِخْوَةَ
 وَالْعَشِيرَةَ ، وَقَدْ قُلْتُمْ كَمَا قِيلَ لَكُمْ فَاثْبُتُوا عِنَّا . » فَأَبَى الْبَيْعِيُّ إِلَّا هَجَاءَهُمْ ،
 فَلَحِمَ الْمَهْجَاءَ بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْبَيْعِيِّ فَسَقَطَ غَسَّانُ . ثُمَّ اسْتَطَالَ جَرِيرٌ وَافْحَشَ الْقَوْلَ فِي
 نِسَاءِ مَجَاشِعٍ . فَضَجَّ الْبَيْعِيُّ إِلَى الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِالْبَصْرَةِ وَقَدْ قَيْدَ نَفْسَهُ وَأَلَى
 الْأَيْفِكَ قَيْدَهُ حَتَّى يَقْرَأَ الْقُرْآنَ . وَاقْبَلَتْ عَلَيْهِ نِسَاءُ مَجَاشِعٍ وَقُلْنَ لَهُ : « قَبِحَ اللَّهُ
 قَيْدَكَ وَقَدْ هَتَكَ جَرِيرٌ عَوْدَاتِ نِسَائِكَ فَأَجِيتَ شَاعِرَ قَوْمٍ » ، فَأَحْفَظْنَاهُ فَفَضَّ قَيْدَهُ
 وَقَالَ :

أَلَا اسْتَهْزَأَتْ مِنِّي هُنَيْدَةٌ ، أَنْ رَأَتْ
 أَسِيرًا يُدَانِي خَطْوَهُ حَلَقُ الْجِجَلِ (١)
 وَكَوْ عَلِمَتْ أَنَّ الْوَثَاقَ أَشَدُّ
 إِلَى النَّارِ ، قَالَتْ لِي مَقَالَةٌ ذِي عَقْلِ (٢)
 لَعَمْرِي ، لَيْسَ قَيْدَتْ نَفْسِي ، لَطَأْنَا
 سَعَيْتُ ، وَأَوْضَعْتُ الْمَطِيئَةَ فِي الْجَهْلِ ، (٣)
 ثَلَاثِينَ عَامًا ، مَا أَرَى مِنْ عَمَائِيَّةٍ ،
 إِذَا بَرَّقَتْ ، إِلَّا أَشَدُّ لَهَا رَحْلِي (٤)

(١) هُنَيْدَةٌ : امْرَأَةُ الزُّبَيْرِ بْنِ عَمَةَ الْفَرَزْدَقِيِّ . الْجِجَلُ : الْقَيْدُ . وَقَوْلُهُ : اسِيرًا يُدَانِي خَطْوَهُ : اسِيرًا يُدَانِي خَطْوَهُ : أَيُّ يَقْصُرُ خَطْوَهُ . (٢) قَوْلُهُ : أَشَدُّ إِلَى النَّارِ : أَيُّ خَوْفًا مِنْهَا ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَشَدُّهُ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَشَدُّ الْوَثَاقِ وَثَاقُ النَّارِ . (٣) أَوْضَعْتُ الْمَطِيئَةَ : رَفَعْتُهَا فِي السَّبْرِ . وَقَوْلُهُ : أَوْضَعْتُ الْمَطِيئَةَ فِي الْجَهْلِ : أَيُّ سَرْتُ فِي الْجَهْلِ كُلِّ مَسِيرٍ . (٤) الْعَمَائِيَّةُ : الْجِهَالَةُ . أَشَدُّ لَهَا رَحْلِي : أَيُّ اقْصَدَهَا . يَقُولُ : أَنَّهُ أَوْضَعَهَا ثَلَاثِينَ عَامًا فَلَمَّا لَحَتْ لَهُ جِهَالَةُ الْإِقْصَادِ .

أَتَنِي أَحَادِيثُ الْبَيْثِ ، وَدُونَهُ
 قَفَلْتُ : أَظُنُّ ابْنَ الْحَيْثَةِ أَنِّي
 زَرُودٌ ، فَشَامَاتُ الشَّقِيقِ مِنَ الرَّمْلِ ^(١)
 شَعَلْتُ عَنْ الرَّامِي الْكِنَانَةَ بِالنَّبْلِ ^(٢)
 فَمَا لِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي مِنْ شُغْلٍ
 أَنَا الصَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا
 يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا ، أَوْ مِثْلِي ^(٣)

وهجا الفرزدق البعيث لعجزه عن مقاومة جرير فسقط البعيث . قال ابن سلام :
 « ولج الهجاء بين جرير والفرزدق نحواً من اربعين سنة لم يغلب واحد منهما على
 صاحبه ، ولم يتهاج شاعران في الجاهلية ولا في الاسلام بمثل ما تتهاجيا به . »

مونه

يحدثنا صاحب الاغانى ان لبطلة بن الفرزدق قال : « ان اياه اصابته ذات الجنب
 فكانت سبب وفاته . ووُصف له ان يشرب النفط الابيض فجعلوه في قدح وسقوه
 اياه فقال : « يا بني عجلت لايك شراب اهل النار . » وكان له عيب فأوصى
 بعقهم بعد موته وبدفع شي . من ماله اليهم ، فلما احتضر جمع اهل بيته وانشأ يقول :

أُرُونِي مَنْ يَشُومُ لَكُمْ مَقَامِي ، إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخِطَابِ ^(٤)
 إِلَى مَنْ تَفْرَعُونَ ، إِذَا حَسَوْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ التَّرَابِ ^(٥)

(١) زَرُودٌ : ماء لبني بجاشع على طريق الكوفة . الشامات : اثار مختلف لون الارض .
 الشَّقِيقَةُ : الجَدَدُ بين الرملتين وربما كان اميالا . والجَدَدُ : الارض الغليظة المستوية . (٢) ابن
 الحَيْثَةِ : بني جرير . وقوله : الرامي الكنانة : يريد رجلاً من أسدٍ التقى رجلاً من فزارة
 وكانا راميين ومع الفزاري كنانة جديدة ومع الاسدي كنانة رثمة فقال له الاسدي : « انا
 ارمي او انت ؟ » قال الفزاري : « انا ارمي منك » فقال الاسدي : « فانا انصب كنانتي
 وتنصب كنانتك حتى نرمي فيها . » فنصب الاسدي كنانته فجعل الفزاري يرمي ويصيب حتى
 نفذت سهامه ، فرماه الاسدي بسهم فقتله واخذ كنانته . ضرب الفرزدق هذا المثل ليقول لجرير
 انه ليس بغافل عنه كما غفل الفزاري عن صاحبه الاسدي . (٣) يقول : لا يدافع عن احسابهم
 الا انا او رجل مثلي . (٤) جل : عظم . يقول : اذا اشتد الامر واصبح الكلام الغصّل
 لا يجدي نفعاً . (٥) تفرعون : ناجوون وتستنثون . حثا التراب على الميت : صبه عليه
 ليواريه .

فقال له بعض عبده : « الى الله ، » فأمر ببيعه قبل وفاته وابطل وصيته فيه .
 وذكر ابن قتيبة انه مات وقد قارب المائة ، وكانت علته الدُّبَيْسَةَ (١) وكان
 يسقى النفط الابيض وهو يقول : « أتعجلون لي النار في الدنيا ! »
 وكانت وفاته في خلافة هشام بن عبد الملك ، وله قصيدة يمدحه بها ويهنته
 بالخلافة ، منها قوله :

رَمَتْنِي بِأَثْمَانِينَ أَلْيَالِي ، وَسَهْمُ الدَّهْرِ أَصُوبُ سَهْمِ رَامِ
 وخلافة هشام تبتدى في السنة الحسین بعد المائة للهجرة ، فاذا كان الفرزدق يومئذ
 في الثمانين من عمره كما ذكر في شعره ، فلا يصح ان تكون سنه قد نيفت على
 التسعين يوم وفاته ، هذا اذا حسبنا ان القصيدة قيلت في السنة الاولى لخلافة هشام
 وان الشاعر كان في الثمانين دون زيادة او نقصان . وفي اي حال فان الفرزدق لم
 يبلغ المائة وانما مات في التسعين او دون التسعين او انه جاوزها قليلاً .

أما

آثاره ديوان مطبوع اكثره في المدح والفخر والهجاء ، وطبعت « نقائض جرير
 والفرزدق » في آيدن فجاءت في مجلدين ضخمين . وهو من اصحاب الملحمت
 ومطلع ملحمته :

عَزَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتُ تَعْرِفُ ، وَأَنْكَرْتُ مِنْ حُدْرَاءٍ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ (٢)

صيرته

لم يشغل الناس شاعر في الجاهلية ولا في الاسلام كما شغلهم جرير والفرزدق
 بتهاجيبها ، فقد لبثا اربعين سنة يتشاققان والناس تسمع لهما ولا تتفق على تقضيل
 الواحد منهما على الآخر . ولقد كان يصح لنا ان نقتصر على درس خاصة الهجاء في
 الفرزدق ، وما يتبع هذا الهجاء من فخر ، لو لم تكن لشاعرنا خصائص اخرى لا ينبغي
 اغفالها ، وان تكن خاصة الهجاء اظهرها . فالفرزدق في تشييعه لآل البيت وفي

(١) الدُّبَيْسَةُ : دُمْل كبير ، تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً . (٢) عزفت : أي
 رجعت عن باطلك . أعشاش : اسم موضع . حدراء : زوجته . يخاطب نفسه بصورة التمجيد .

اتصاله بالخلفاء الأمويين وعملهم شاعر مدّاح ولكن مدحه لهؤلاء . يختلف عن مدحه لأولئك ، فهو في ذكر آل البيت صادق اللمحة ، بين الحماسة ، متدفق العاطفة ؛ وفي مدح الأمويين كذوب متكلف يظهر خلاف ما يبطن . والفردق في غزله يصطنع القصص الغرامية كابن ابي ربيعة ويتعمر مثله ، غير انه لا ينقاد له هذا الفن في الجودة والركة انقياده لعمر . والفردق اول شاعر مسلم نظم في الزهد وخطاب ابليس وهجاء . وهو اكثر الشعراء الاسلاميين سرقة وانتحالا . فعلى ان ندرس به خاصة الهجاء في شيء من الاسهاب ، ثم نلم بسائر خصائصه لنعرف من هو الفردق وما هي ميزة شعره .

هجو وفخره

ولسنا نعجب اذا رأينا للفردق شعراً كثيراً في الهجاء بعد ان علمنا انه نتاج حرب عوان دارت بينه وبين جوير اربعين سنة ؛ وكان فيها كلا الشعارين يُعنى بنقض اقوال خصمه لئلا يُعدّ مُغلباً ، فالهجاء صفة لازمة لشعر الفردق كما انه صفة لازمة لشعر جوير .

وإذا اراد الفردق ان يهجو وضع نفسه في مرتبة يتضاءل دونها خصمه ، وشرع يعدد مفاخر قومه ويذكر ما لهم من الايام وما هم عليه من كرم وخير ونجدة واباء . وكان له من شرف قبيلته واجداد آبائه ما فسح له في مجال الفخر والاستعلاء .

وهو على شدة اعجابه بقومه لا يغفل عن الافتخار بنفسه ، واكثر فخوره بشاعريته ، وهي المفخرة الوحيدة التي نجدها فيه وزى انسه يحق له ان يباهي بها . ولا ينتهي الفردق من مفاخرة خصمه الا ليحشوه شتاً وتعييراً . فيعلن مخازيسه ومخازي قبيلته ، ويطعن في اعراضهم طعناً قبيحاً مكثراً من الالفاظ الفاحشة والاحبار الشائنة ، حتى ليصبح شعره بؤرة فجور وفساد .

ومثل هذا الشعر ينافي الاخلاق ، وينفر الاذواق ، فلا ينبغي ان يروى . غير اننا نكتفي بقدر منه لنظهر ميزة الشاعر في هذا النوع ؛ وان هذا القدر لا ييسر

شيء يهجو به الفرزدق جويراً وانه ايضاً لأعفه وأرقه لفظاً :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ، بَنَى لَنَا
بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ ،
لَا يَحْتَسِبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلَهُمْ ،
ضَرَبْتَ عَلَيَّ الْعَنْكَبُوتَ بِنَسْجِهَا ،
بَيْتًا ، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ، (١)
وَمُجَاشِعٌ ، وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ (٢)
أَبْدَأُ ، إِذَا عَدَّ الْفَعَالُ الْأَفْضَلَ (٣)
وَقَضَى عَلَيْكَ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُنْزَلُ (٤)

ومنها :

وَإِذَا بَدَخْتُ ، وَرَأَيْتِي يَمِشِي بِهَا
أَلَّا كَثُرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمْ ،
خُلِّلُ الْمُلُوكِ لِبِائِسْنَا فِي أَهْلِنَا ،
أَحْلَامُنَا تَزْنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً ،
فَادْفَعْ بِكَفِّكَ ، إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا ،
سُفْيَانٌ ، أَوْ عُدُسٌ الْفَعَالُ ، وَجَنْدَلٌ (٥)
وَأَلَّا كَرُمُونَ إِذَا يُعَدُّ الْأَوَّلُ (٦)
وَالسَّابِقَاتِ إِلَى الْوَعْيِ نَسْرَبِلُ (٧)
وَتَخَالَتْنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ ، (٨)
نَهْلَانُ ذَا الْهَضْبَاتِ ، هَلْ يَتَخَانَعُلُ؟ (٩)

(١) سمك : رفع . الدعائم : العيذان التي تقيم البيت . أعز وأطول : أي اعز وأطول من بيتك ، فلما صار في موضع الخبر استغني عن من لغوة الخبر وخرج بخرج الله أكبر . يقول : إن الله اعطاهم شرفاً اعز وامنع من شرف جرير . (٢) زُرَّارَةُ بن عُدُس : من دارم . مُحْتَبٍ : أي جالس ، من الإحتباء وهو ان يجمع الرجل بين ظهره وساقيه إذا جالس ليصبر كما استند . كانت الحرب ليس لها في البوادي حيطان تستند إليها في مجالسها فكان الرجل يقيم ركبته في جلوسه فيضع عليها سيفاً او يدير بها ثوباً او يعتمد عليها يديه ويستريح إليها فيقوم له ذلك مقام الاستناد والاسم منه الحُيُوتَةُ . فاذا ارادوا التعبير عن القيام والقعود قالوا : حل حبوته أي قام ، ويقولون : عقد حبوته أي قعد ، وهو من باب الكناية . الفناء : ساحة امام البيوت او ما امتد من جوانبها . مُجَاشِعٌ : بن دارم . خُلِّلُ : بن دارم . يقول : بني انا بيتاً شريفاً فيه من بني دارم هؤلاء الآباء الكرام . (٣) الْفَعَالُ : الافعال والاخلاق الكريمة . (٤) يعني أن بيته في الوهن كبيت العنكبوت . ثم يقول : ان الكتاب المنزل قضى عليه بالوهن والذل . وقوله : به : أي بالوهن دل عليه نسج العنكبوت . (٥) بدخت : حلوت . سفیان وعُدُس وجندل كلهم من دارم . الْفَعَالُ : كرم الأفعال والاخلاق . (٦) حصام : عديم . (٧) خُلِّلُ الْمُلُوكِ : ثيابهم . السابغات : الدروع الطويلة الثامة . الوعى : الحرب . نسريل : نلبس . (٨) الاحلام : العقول . رزانة : ثقلاً ووقاراً . اذا ما نجهل : أي اذا حملنا على الجهل كما قال ابن كلثوم : « ونجهل فوق جهل الجاهلينا » . (٩) نهلان : اسم جبل . الهضبات :

وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرَبِ، وَإِنِّي
 فَرَعَانٌ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهِمَا،
 فَلَيْنَ فَحَرْتُ بِهِمْ، كَيْسَلُ قَدِ يَجِيهِمْ،
 زَيْدُ الْفَوَارِسِ، وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ،
 إِنَّ ابْنَ ضَبَّةَ لَهْوٌ أَكْرَمُ وَالِدَاءِ،
 مِمَّنْ يَكُونُ بَنُو كَلَيْبٍ رَهْطُهُ،
 وَهُمْ عَلَى فَلَكَ الْأَمِيلِ تَدَارِكُوا،
 وَهُمْ الَّذِينَ عَلَوْا عُمَارَةَ ضَرْبَةَ،
 يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ أَيْنَ حَالِكَ، إِنِّي

فِي آلِ ضَبَّةَ الْمُعِمْ الْمُخُولُ، (١)
 وَإِلَيْهَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ (٢)
 أَعْلُو الْخُرُونِ بِهِ، وَلَا أَتَسَهَلُ (٣)
 وَأَبُو قَيْصَةَ، وَالرَّيْسُ الْأَوَّلُ (٤)
 وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ، وَأَطْوَلُ (٥)
 أَوْ مَنْ يَكُونُ إِلَيْهِمْ يَتَخَوَّلُ، (٦)
 نَعْمًا، يُسَلُّ إِلَى الرَّيْسِ وَيُعْكَلُ، (٧)
 فَوْهَاءَ، فَوْقَ سُؤُونِهِ، لَا تُوَصَّلُ (٨)
 خَالِي حَيْشُ ذُو الْقَعَالِ، الْأَفْضَلُ، (٩)

الجبال الصغيرة . يتحلل : يتحرك . فادفع : الفاء رابطة لجواب اذا في قوله : واذا بذخت .
 يقول : اذا علوت فحق لي وقومي هم من عرفتم وبيتي راسخ كالجبل فاذا اردت ان ترعزعه
 فكأنك تدفع بكفك ثلثان ذا الحضبات وهل يتحرك ثلثان اذا دفعته بيديك ؟

(١) بنوضبة : اخوال الفرزدق وامه لينة بنت قرظمة من ضبة . المعيم : الكرم
 الامام . المخول : الكرم الاخوال . وحنظلة : هو جدد دارم . يقول : انه ككرم
 الامام في حنظلة ، وكرم الاخوال في ضبة . (٢) فرعان : غصنان عاليان . الذري : جمع
 الذريرة وهي اعلى الشبي . يعقل : يلجأ . (٣) قديهم : اي حسبهم القديم . الخرون :
 جمع الخزن خلاف السهل وهو ما غلظ من الارض . اتسهل : اسير في السهل . يقول : انه
 يجابه بحسبهم اعظم الاحساب ولا يعقل بصغارها . (٤) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين بن
 ضرار ، وابن زيد هو الحصين . وابو قيصه : هو ضرار بن عمرو بن زيد بن الحصين .
 الرئيس الأول : محليهم بن سويط من ضبة . (٥) يقول هو اكرم والداً ممن يكون . . .
 في البيت بعد . (٦) بنو كليب : قوم جرير . رهطه : اهله . يتخول : اي يدعيهم اخوالاً
 (٧) فلك الاميل : يوم لضبة على شيبان . والاميل : رمل يمرض ويستطيل مسيرة يوم او
 يومين . النعم : الايل والشاء . يسئل : يطرد . يعكئل : برّد ويجبس . يقول : انهم
 تداركوا الايل فاستنقذوها وردوها الى الرئيس . (٨) عمارة بن زياد العبسي قتله ابن المثلثم
 وهو رجل من ضبة . فوهاء : اي ذات فم واسع . السؤون : جمع الشأن وهو موصل قبائل
 الرأس وملتقاهما ، وقبائل الرأس : النقطع المجموع بعضها من بعض . لا توصل : لا تلام .
 يقول : ضربوه على رأسه ضربة واسعة (الثرة لا تقبل الالتئام . (٩) ابن المراعة : لقب

خَالِي الَّذِي غَصَبَ الْمُلُوكَ نَفُوسَهُمْ ، وَإِلَيْهِ كَانَ حِبَاءَ جَفَنَةَ يُنْقَلُ ^(١)

واليك افتخاره بشاعريته بعد ان افتخر باعمامه و احواله ، وهو يتخذ دائما من فخره وسيلة لتعبير جرير وهجوه :

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ مَضُوا ، وَأَبُو يَزِيدَ ، وَذُو الْقُرُوحِ ، وَجَرُولُ ^(٢)
 وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ ، وَهَنْ قَتَلْتَهُ ، وَمُهَلْهُلُ الشُّعْرَاءِ ذَلِكَ الْأَوَّلُ ^(٣)
 وَالْأَعْيَانِ كِلَاهُمَا وَمُرْقَشُ ، وَأَخُو قُضَاعَةَ ، قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ ^(٤)
 دَفَعُوا إِلَيَّ كِتَابَهُنَّ وَرَأْتَهُ ، فَوَرِثْتُهُنَّ كَأَنَّهُنَّ الْجَنْدَلُ ^(٥)
 فِيهِنَّ شَارَكَنِي الْمُسَاوِرُ بَعْدَهُمْ ، وَأَخُو هَوَازِنَ ، وَالشَّامِي الْأَخْطَلُ ^(٦)
 إِنَّ أَسْتِرَاقَكَ يَا جَرِيرُ قَصَائِدِي ، مِثْلُ أَدِعَاءِ سِوَى أَبِيكَ ، تَنْقَلُ ^(٧)
 وَأَبْنُ الْمَرَاغَةِ يَدْعِي مِنْ دَارِمٍ ، وَالْعَبْدُ غَيْرَ أَبِيهِ قَدْ يَتَنَحَّلُ ^(٨)
 لَيْسَ الْكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهُمْ ، حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُ ^(٩)

جرير لقبه به الفرزدق والاختل . والمراعة : مكان تمرغ الدابة ، فكان أمه ولدته في مراغة الدواب . حبيش : هو ابن دلف الضبي .

(١) خاله امر عمرو بن الحرث بن جفنة النساني واشترط ان يبعث اليه كل سنة بحبساء حتى يموت ، والحباء : العطاء : العطاء . (٢) النوابغ : النابغة الذبياني ، والنابغة الجعدي ، والنابغة الشيباني . ابو يزيد : المنخبل الشاعر . ذو القروح : امرؤ القيس . جرول : الخطيئة . (٣) اخو بني قيس : طرفة . وهن قتلته : اي القوافي . (٤) الاعميان : اعشى قيس واعشى باهلة . اخو قضاة : ابو الطمطحان القيني . قوله يتمثل : اي يستشهد به ويضرب مثلاً . (٥) دفعوا الي كتابهن : اي كتاب القوافي ، والمراد اوصوا الي بالقوافي . الجندل : الحجارة . يقول : ان قصائده متينة صلبة كالحجارة . (٦) فيهن : اي في القوافي . المساور : ابن هند بن قيس بن زهير العبسي . بعدم : اي بعد الشعراء الذين اوصوا له بالقوافي . اخو هوازن : الراعي . (٧) الاستراق : السرقة . التنقل : اكل النمل وهو ما يؤكل على الشراب من فستق وتفاح وحبوها . يقول : ان جريراً يتنقل بسرقة قصائده كتقله بالادعاء الى غير ابيه . (٨) يتنحل : ينسبه اليه . (٩) عطية : والد جرير . تعتل : تساق قسراً . يقول : انت تنتسب الي غير ابيك والكرام لا ينسبونك اليهم بل يشكرونك حتى ترد الى ابيك عطية وانت تساق اليه قسراً .

وقد يفطر الفرزدق في الفخر كما يفطر في الهجاء فيقول :

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا ، وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا ^(١)

إِنَّ السَّمَاءَ ، لَنَا عَلَيْكَ نُجُومَهَا ، وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ ، وَكُلُّ هِلَالٍ

ومن افراطه في الهجو :

وَلَوْ تَرَّمَى بِلُؤْمِ بَنِي كَلْبِ ، نُجُومُ اللَّيْلِ ، مَا وَضَعَتْ لِسَارِ ^(٢)

وَلَوْ لَيْسَ النَّهَارُ بِي كَلْبِ ، لَدَنَسَ لُؤْمُهُمْ وَضَحَ النَّهَارِ ^(٣)

وَمَا يَفْدُو عَزِيزُ بَنِي كَلْبِ ، لِيَطْلُبَ حَاجَةً إِلَّا بِجَارِ ^(٤)

وإذا رأيت الفرزدق يفتخر بقوله :

وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى ، وَلَكِنْ نَفْكَهُمْ ، إِذَا أَتَقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَعَارِمِ

فلا تتوهم انه يؤثر الرحمة على الظلم ، ولكنه اراد الرد على من عيره لئبن فلم يجد غير هذا السبيل . وربما افتخر بالظلم فقال :

إِذَا مُضِرُّ الْحَمْرَاءِ حَوْلِي ، تَعَطَّتْ عَلَيَّ ، وَقَدْ دَقَّ اللَّجَامُ شَكِيمِي ^(٥)

(١) ما سرنا : مدة سيرنا . وقفوا : اي وقفوا ركبهم . (٢) الساري : السائر ليلاً .
 (٣) الوضع : بياض الصبح والضوء . (٤) يقول : لا يسير عزيزم في طلب حاجة الا معه جار بجميه فما قولك في ذليلهم . (٥) مضر الحمراء : هو احد اولاد تزار بن معد بن عدنان اختلف مع اخوته ربيعة وإياد وأغار على تركة ابيهم فتنحواكموا الى الافعى الجُرهمي فاعطى ربيعة المئيل فقيل له ربيعة الفرس ، واعطى مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء ، واعطى إياداً الجوارى والامثمة المختلفة فقيل له إياد الشمطا . واعطى أثماراً الحمير والمواشي فقيل له أثمار الحمار . تعطفت : مالت اليّ واحاطت بي . الشكيم : جمع الشكيمة وهي الحديدية المعترضة في فم الفرس . واللجام يشتمل عليها وعلى السير . وقوله : دق اللجام شكيمي : أي دقها بقمه اي وقمها عليه ليرسل في الرهان . شبه نفسه بالجواد . ويصح ان تروى دق اللجام شكيمي فتكون دق بمعنى كسر . اي لأن شكيمته نفوتها كسرت لجأها فاصبح مطلقاً لا شيء يكبح جماحه .

أَبَتْ أَنْ أَسُومَ النَّاسَ إِلَّا ظُلَامَةً ، وَكُنْتُ ابْنَ مِرْغَامِ الْعَدُوِّ ظُلُومٍ ^(١)

ولا يقتصر الفرزدق في هجاء جرير على الدفاع عن بني دارم ، بل يدافع أيضاً عن تغلب قبيلة حليفه الاخطل ، ويفاخر بهم جريراً وقومه ، كما فاخر الاخطل ببني دارم ودافع عنهم :

لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةَ وَاثِلٍ ، نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانٍ ^(٢)

حَبَسُوا ابْنَ قَيْصَرَ ، وَابْتَنَوْا بِرِمَاهِهِمْ ، يَوْمَ الْكَلَّابِ كَأَفْضَلِ الْبُنْيَانِ ^(٣)

قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنُودَ ، عَمْرًا ، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى الثُّعْمَانِ ^(٤)

إِنَّ الْأَرَاقِمَ ، لَنْ يَنَالَ قَدِيمَهَا كَلْبٌ عَوَى ، مُتَهِّمُ الْأَسْنَانِ ^(٥)

فعلى هذا النحو كان الفرزدق يهجو جريراً ويقنخر عليه ، ويذري عرضه واعراض بني كليب اجمعين ، ذاكراً سوءاتهم ، فاضحاً نساءهم معدداً انكساراتهم . وله في ذلك اسلوب خاص لا يتعداه ، فهو لا يستطيع ان ينكرو ان كليباً من تميم وانهم ابنا عمه على الرغم منه ، ولكنه يجعلهم اذل بني تميم واحقرهم ، واخسهم واجبنهم ثم يجعلهم يتطاولون الى دارم ويتنطون نسبتها ، ودارم تربنهم ^(٦) عنها . وهو اذا افتخر بايام بني تميم جعل الفضل فيها لبني دارم ، واذا ذكر ما عليها من الايام حصر مخازيها ببني كليب . فوهط جرير عند الفرزدق اعجز من ان يطاولوا دارماً وهو القائل :

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْتِي بِمِثْلِهِمْ ، إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ السَّجَامُ

(١) أسوم : اكلف . الظلامه : ما يتظلمه الرجل . مرغام : للمبالغة من رغبة : اذله . (٢) يقال : تغلب ابنة واثل باعادة الصفة على القبيلة ، وتغلب بن واثل باعادتها على الأب . يقول : ان العدو كان يتزل في كل مكان تنزل فيه او تهرب اليه . يشير الى يوم سائيدما بين كسرى والروم وكان كسرى وجه اياس بن قبيصة لقتال الروم فهزمهم بسائيدما ولا يبعد ان يكون بنو تغلب أعانوا اياساً في هذه الواقعة لان سائيدما جبل في ديارهم . والمعنى ان تغلب ردوا جيوش قيصر عن اكتساح بلاد العرب . (٣) حبسوه : اي ردوه على ان يلفكم . وابتنوا : بنوا شرفاً . الكلاب : ماء لبني تميم وفيه كان يوم الكلاب وهو لتغلب على تميم . (٤) عمرو بن هند ملك العراق قاتله عمرو بن كلثوم التغلبي . عنود : اقتداراً . قسطوا : جاروا . وقوله : على الثعمان : يشير الى مقتل المنذر بن الثعمان ابي قابوس وقاتله مرة اخو عمرو بن كلثوم . (٥) الاراقم : حي من تغلب . قديمها : حسبها القديم . متهم : متكسر أي هزم فذهبت اسنانه . (٦) تربنهم : تدفعهم .

أَوْلَسِكَ أَحْلَاسِي فَجَنِّي بِمِثْلِهِمْ ، وَأَعْبُدُ أَنْ أَهْجُو كَلْبِيَا بَدَارِمَ ^(١)

.....

وَأَنْتَ إِنْ تَسْعَى لِتُدْرِكَ دَارِمًا ، لَأَنْتَ الْمُعْتَى يَا جَرِيرُ الْمَكْلَفُ ^(٢)

.....

إِذَا قِيلَ : أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ ؟ أَشَارَتَ كَلْبِيَا بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعِ ^(٣)

.....

فَأَنْتَ كَلْبٌ ، مِنْ كَلْبِ لِكَلْبَةٍ ، غَذَّتْكَ كَلْبٌ ، فِي خَيْثِ الْمَطَاطِمِ .
وهو على عنايته بهجو كليب لا يعف عن قيس عيلان بل يهجوهم هجاء خبيثاً
وينفّر عليهم التغليبين :

وَمَا لَقَيْتَ قَيْسَ بْنَ عَيْلَانَ وَقَعَةً ، وَلَا حَرَ يَوْمٍ ، مِثْلَ يَوْمِ الْأَرَاقِمِ ^(٤)

ويندد بهم لمناصرتهم ابن الزبير على بني أمية ، ويعيروهم انكساراتهم ويشتم
جريراً معهم لانه كان يدافع عنهم :

تُعِيرُنَا أَيَّامَ قَيْسٍ ، وَلَمْ نَدْعُ لِعَيْلَانَ أَنْفًا ، مُسْتَقِيمَ الْحَيَاشِمِ ^(٥)

.....

وَأَلْقَيْتَ مِنْ كَفِّكَ حَبْلَ جَمَاعَةٍ ، وَطَاعَةَ مَهْدِيٍّ ، شَدِيدِ النَّقَائِمِ ^(٦)

.....

(١) الاحلاس : جمع الحلاس وهو الكبير من الناس والكمؤؤ . أعبد : آنف . وقوله :
اهجو بالنسكين للضرورة . (٢) المعتى : المنعب ، من عنأ الامر اذا انصبه . المكلف :
اي المكلف ما لا نستطيع . (٣) اشارت كليباً : نصب على ترع الخافض اي اشارت الى
كليب ، وتروى : اشارت كليبٌ : اي هذه كليب . وقوله بالاكف الاصابع : على القلب
اي الاكف بالاصابع . (٤) يقول : لم تلق قيس حريباً احمى وطيساً من حرب الراقم .
(٥) الحياشم : جمع الحيشوم وهو من الانف ما فوق نخرته من القصبية : وما تحتها من خشارم
الرأس ، ونخرة الانف : مقدمته او ارنبته ، والقصبية : عظم الانف ، وخشارم الرأس : ما رقى
من غراضيف الحيشوم أي من العظم الرخص . وقوله : مستقيم الحياشم : اي انوفاً مرفوعة .
يقول لجرير : تركنا قيس عيلان اذلاء مجدعي الانوف فما بالك تميزنا اياهم (٦) المهدي :

يَلُودُونَ مِنِّي بِالْمَرَاغَةِ وَأَبْنَاهَا ، وَمَا مِنْهَا مِنِّي بَقِيسٍ بِعَاصِمٍ (١)

صدمه

عرفنا ان الفرزدق كان يشايح آل البيت وان الامويين كانوا يعرفون ذلك فيه ، فلم يحظ عندهم كما حظي الاخطل النصراني ، ولكنه مدحهم واجازوه على مدحه . ونستدل من شعره انه اخذ يتصل بهم في خلافة الوليد بن عبد الملك ؛ اذ ليس له في ابيه ما يستحق الذكر . على ان مدحه لهم لم يكن الا تكلفاً ، وسنجد اثر هذا التكلف في شعره الذي مدحهم به اذا قابلناه بشعره الذي مدح به آل البيت . فهو في مدح الامويين متكسب يستجدي او راهب يستعطف ، وفي مدح آل البيت عاطفي بحت ينطق عما في نفسه من هوى . فنحن لا نستطيع ان نصدق شاعراً يتشيع لعلي وابناؤه ، حين نسمعه يخاطب الوليد بن عبد الملك :

أَمَا الْوَلِيدُ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْرَثَهُ ، يَعْلِيهِ فِيهِ ، مُلْكًا ثَابِتَ الدَّعَمِ ، (٢)
خِلَافَةَ لَمْ تَكُنْ غَضِبًا مَشُورْتَهَا ، أَرَسِي قَوَاعِدَهَا الرَّحْمَنُ ذُو النِّعَمِ . (٣)
كَانَتْ إِعْثَمَانٌ لَمْ يَظْلِمْ خِلَافَتَهَا ، فَأَنْتَهَكَ النَّاسُ مِنْهُ أَعْظَمَ الْحَرَمِ . (٤)

أفيصح لنا ان نحسب الفرزدق مخلصاً في هذا المدح ، صادقاً في جملة الخِلافة حقاً من الله لبني أمية ، وفي قوله انهم اخذوها شوري لا غضباً ، وان مقتل عثمان ابن عفان اعطاهم هذا الحق الموروث ؟ وقد علمنا ان اصحاب آل البيت ينكرون على الامويين هذه الدعوى ، ولا يرون احداً احق بالخِلافة من ابناؤهم بنت

يريد به الخليفة الاموي : النعمان : النعمان . يقول : خرجت على الجماعة في دفاعك عن قيس عيلان وقد ناصرت ابن الزبير وعصيت خليفة شديد النعمات .

(١) يلودون : يهتمون . المرآغة : لقب أم جرير . وابنها : اي جرير . عاصم : مانع . يقول : لجأت قيس عيلان الى المرآغة وابنها جرير محتمية بهما ولكن ابن المرآغة وامه لا يئتمان قيساً مني . (٢) الدعم : جمع الدعمة وهي عماد البيت يسند اليه ويهتمسك به وقوله : بعلمه فيه : اي لما يعلم فيه من الحق . (٣) خلافة : بدل من قوله ملكاً . يقول : ان بني أمية اخذوها بالشوري ولم يأخذوها غضباً . (٤) انتهك الحرمة : تناولها بما لا يحل . الحرم : جمع الحرمة وهي ما لا يحل انتهاكه ، والذمة ، والمهابة .

الرسول . والفردق نفسه كان يأبى أحياناً ان يدح الامويين على ما فيه من ميل الى التكسب ، وقد اوردنا خبره مع سليمان بن عبد الملك . ورأيناه في مكان آخر لا يحجم عن التعريض بهشام بن عبد الملك وهو حاضر لانكاره زين العابدين . ثم رأيناه يهجو هشاماً بعد ان حبسه ، فيقول فيه :

يُقَلَّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ ، وَعَيْنٌ لَهُ حَوْلَاهُ بَادٍ عِيُوبُهَا

ولكنه لم يستنكف عن مدحه لما تبوأ سدة الخلافة ، فقصده اليه في الرصافة (١) وانشده قصيدة يقول فيها :

أَقُولُ لِنِصَاقِي لَمَّا تَرَّامَتْ بِنَا بَيْدٍ ، مُسْرَبَلَةٌ أَلْقَامِ : (٢)

أَغِيثِي مَنْ وَرَاءَكَ ، مِنْ رَبِيعِ أَمَامِكَ ، مُرْسَلٍ بِيَدِي هِشَامِ (٣)

إِلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي ، وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي (٤)

مَتَى تَرِدِي الرُّصَافَةَ ، تَسْتَرِيحِي ، مِنْ التَّهْجِيرِ ، وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي (٥)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ نُعِشْنَا ، وَجُدَّ حِبَالِ آصَارِ الْأَثَامِ (٦)

رَأَىكَ اللَّهُ أَوْلَى النَّاسِ طَرًّا ، بِأَعْوَادِ الْخِلَافَةِ ، وَالسَّلَامِ (٧)

افيمكن ان يُخلص الفردق في مدحه لهشام ويصدق في زعمه انه اولي الناس بالخلافة وهو القائل فيه : « تَبَيَّنَ فِيهِ الشُّؤْمُ وَهُوَ غُلَامٌ ؟ » وحسبك ان تقابل قوله في هشام بقوله في زين العابدين لترى الفرق بينهما ، وتعلم ان الشاعر لم يدح

(١) الرصافة : مدينة في البرية بقرب الرقة احدثها او جدّد بنساها هشام بن عبد الملك لما وقع المتاعون بالشام ، ولما مات هشام دفن فيها . (٢) البيد : جمع البيداء وهي الفلاة . مسربة : لابس . القتام : السواد والظلام . يقول : انه كان يسير في الظلام . (٣) أغيثي : اطلي الغيث لمن وراءك بمن امامك . يقول : ربيع امامك ، ويريد به الغيث ، وذلك الربيع مرسل بيدي هشام . وأراد بالغيث والربيع خبر هشام ونداه . (٤) الام تلفتين : أي خوفاً . (٥) التهجير : السير في شدة الحر . الذبر : جمع الذبرة وهي القرحة في الدابة . الدوامي : جمع الدامية وهي التي يخرج منها الدم . (٦) جدّ : قطع . آصار : اتقال ، الواحد أصر . الأثام : الإثم . (٧) باعواد الخلافة : أي بأريكتها . وقوله : والسلام : أي انت اولي بأن يسلم عليك بالخلافة .

هشاماً الا خائفاً ، او مستجدياً يستمطر الربيع اعياله ، فكان شعره متكليفاً خالياً
من العاطفة . وانه لم يدح زين العابدين الا مشغولاً بمناقبته ومناقب آله ، فجاء شعره
عاطفياً صرفاً لا اثر للتكلف عليه . وأنى يكون التكلف في قصيدة جاش بها
صدر الشاعر فقدفها بيتاً إثر بيت ، والتأثر النفسي عليك عليه . فلا تعجب لها ان
تكون بنت العاطفة المجردة بل أعجب بها غرة من غرر الشعر العربي
اذ يقول :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتَهُ ، وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ ، وَالْجِلُّ وَالْحَرَمُ ^(١)
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلِمِهِمْ ، هَذَا النَّبِيُّ النَّبِيُّ ، الطَّاهِرُ الْعَلَمُ ^(٢)
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ ، بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ حُتُّوا
وَلَيْسَ قَوْلِكَ : « مِنْ هَذَا ؟ » بِضَائِرِهِ ^(٣) ، أَلْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ ، وَالْعَجَمُ
كَلَّمْنَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفَعُهَا ، يُسْتَوُ كَفَّانٍ ، وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ ^(٤)
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ، يَزِينُهُ أَثْنَانِ : حُسْنُ الْخَلْقِ ، وَالشِّيمُ ^(٥)
حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فُذِحُوا ، حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ ^(٦)
مَا قَالَ : لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِدِهِ ، لَوْلَا أَلْتَشْهَدُ كَأَنْتَ لِآءِهِ نَعَمُ ^(٧)

(١) البطحاء : الارض المنبطحه التي في وسطها مكة . الوطأة : موضع القدم . البيت : اي البيت الحرام . الجل : ماسوى الحرم من بلاد الله . الحرم : ما احاط بمكة من الارض الى خط معلوم . يقول : ان الممدوح تعرفه اهل الدنيا قاطبة . (٢) العلم : السيد . (٣) الضائر : المضر . (٤) الغياث : العون والغيث . يستوكفان : يستفطران . يعروهما : يصيبها . العدم : الفقر وفقدان الشيء . (٥) الخليقة : الطبع . البوادر : جمع البادرة وهي ما يبدو من الانسان عند الغضب . يقول : هو حليم لا يخشى غضبه . حسن الخلق : اي حسن الشكل . الشيم : الاخلاق مفردتها شيمه . (٦) فذحوا : تزلت بهم فادحة اي مصيبة . الشائل : الخصال . يقول : هو يحمل اثقال الناس اذا تزلت بهم المصائب ، ويلذ له ان يقول : نعم اي ان يجيب بالايجاب من يسأله المعونة . (٧) التشهد : ان يتلو المسلم شهادته فيقول : « أشهد ان لا اله الا الله » يقول : ان زين العابدين لا يرد سائلاً ، ولا يعرف ان يقول : لا الا حينما يتلو شهادته . وقوله : كانت لآءه نعم : من القلب فهو يريد : كانت لآءه نعماً .

عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ ، فَأَنْقَشَتْ ، فَإِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلَهَا :
 يُغْضِي حَيَاءً ، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ ،
 يَكَادُ يُمَسِّكُهُ ، عِرْقَانُ رَاحَتِهِ ،
 اللَّهُ شَرْقُهُ قَدَمًا ، وَعَظْمُهُ ،
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ ،
 مِنْ مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينٌ ، وَبُغْضِهِمْ
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرَهُمْ ،
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّغْيِ كَانُوا أُمَّتَهُمْ ،

أَوْ قِيلَ : « مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟ » قِيلَ : « هُمْ أُمَّتُهُمْ » (١)

(١) البريئة : الخليفة . انقشمت : انكشفت . الغياب : الظلمات . الاملاق : الفقر .
 العدم : فقدان الشيء . والفقر . (٢) يقول : نقر له قريش بالكرم . وقريش أكرم العرب .
 (٣) يغضي : يخفض بصره . يقول : انه يغضي بصره من الحياء وهو مع ذلك عظيم الهيبة فسا
 يرفع الناس اليه ابصارهم ولا يقدمون على محادثته الا اذا ابتسم لهم تشييطاً واناساً . (٤) الراحة :
 الكف . الركن : الجانب . الخطيم : حجر الكعبنة او جداره . يستلم الحجر . يلتمسه
 اما بالتقبيل او باليد . يقول : ان حجر الكعبنة يعرف كف زين العابدين فيكاد يمسه
 أي يحبسه عنده شغفاً به ، اذا ما جاء يستلمه . نصب عرفان على انه مفعول لاجله . ومنهم من
 يروي البيت :

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْقَانُ رَاحَتِهِ ، رُكْنُ الْخَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

اي ان راحته تعرف الخطيم فتكاد تمسه عنده اذا جاء يستلم ، ولكننا نفضل الرواية الاولى .
 (٥) قدماً : اي في الزمان القديم . اللوح : اي الكتاب الذي يسطره القضاء والقدر لكل
 انسان ويوجهه الى حد معلوم . والضمير في لوجه عائد على زين العابدين . يقول : كتب
 له هذا التظيم والتشريف في لوجه منذ القديم . وقوله : (القلم : اي قلم القضاء والقدر .
 (٦) النبتة : شجرة تصنع منها القسي وهي اجود الشجر . مفارسه : مواضع غرسه . الحيم :
 الطبيعة والسجية . يقول : ان شجرته من اصل شجرة النبي وقد طابت مفارسه وطابت سجيته
 واخلاقه . (٧) من معشر : من قوم ، الجار متعلق بمشتقة اي مشتقة من رسول الله من معشر .
 مُعْتَصِمٌ : مُتَجَانِبٌ . (٨) اي ان المسلم يحمده الله في بده كلامه وختامه ثم يصلي ويسلم على النبي وآله .
 فلذلك قال : ذكروهم بعد ذكر الله . (٩) أمته : جمع إمام وهو من يؤتم به اي يقتدى به .

ونعتقد أنك تنبئت لجمال التعريف باسم الإشارة وما في قوله : « هذا » من تعظيم وتكبير ، وما في تكرار تلك اللفظة من وقع حسن ملؤه تلذذ وتيمن واجلال . ورأيت اختلاف اسلوب الشاعر في هذه القصيدة عن اسلوبه في مدح هشام ، فهو لا يسأل زين العابدين ولا يستجديه ، ولكنه يبت عاطفة متقدمة بحب آل البيت ، عاطفة نفس تؤمن بكرامتهم وترجو بهم الثواب في الآخرة .
 واذا علمت ان زين العابدين ارسل الى الفرزدق اربعة آلاف درهم لما بلقته القصيدة ، فردها الفرزدق عليه وقال له : « انا مدحتك بما انت اهله » ، اذا علمت ذلك تبين لك صدق الفرزدق و اخلاصه في مدحه ابنا . بنت الرسول .

وقد شك بعضهم في زعم الرواة ان هذه القصيدة قيلت ارتجالاً ، ولكننا لا نرى وجهاً للشك يصح الاعتماد عليه ، ولا سيما ان ادلة الارتجال متوافرة . فالقصيدة قصيرة لا تبلغ الثلاثين بيتاً ، وفيها من الايطاء (١) شيء كثير مما يدل على انها لم تُحكك في النظم بل جاءت عفواً لحاظاً . وليس بعجيب ان يرتجلها شاعر في صدر الاسلام كالفرزدق ، له من ملكته الشعرية وبلاغته ، و صفاء ذهنه ما يهون عليه الارتجال ، وخصوصاً في موقف كان التأثير على العاطفة ، والعاطفة تكتب .

غزله

لم يكن الفرزدق على تعبه ممن يحسنون الغزل والتشبيب بالنساء ، فاذا نسب جاء قوله غليظاً جافياً لا تتراح اليه النفوس . وكان يشعر بتصلب عاطفته وخشونة تشبيهه فيقول : « ما احوج جريراً مع عفته الى صلابة شعري ، وما احوجني الى رقة شعره مع شدة فسقي . »

وقد يخرج في غزله الى المعاني الوحشية السمجة التي تنبو عنها الاذواق كقوله :

فِيالْبَيْتِنا كُنْنا بَعِيرِينِ ، لَا نُزى عَلَى مَنْهَلٍ ، إِلَّا نُشَلُّ وَنُقَذَفُ ، (٢)

(١) الإيطاء : تكرار الغافية بلفظها ومعناها ، وهو مستكره يدل على قصر يد الناظم ،

وجوزوا تكرير الغافية لفظاً ومعنى فيما زاد على سبعة ابيات لاضم يمدون كل سبعة ابيات قصيدة

(٢) بعيرين : جملين . المنهل : مورد الماء . نُشَلُّ : نُطرد : نُقَذَفُ : نرمى بالحجارة .

كِلَانًا بِهِ عَرٌّ ، يُخَافُ قِرَافُهُ ، عَلَى النَّاسِ ، مَطْلِي الْمَسَاعِرِ ، أَخْشَفُ (١)

وتجد في ديوانه قصيدة من القصص الغرامي ، يروي فيها خبر زيارة ليلية هي
أشبه بزيارة ابن أبي ربيعة أو زيارة امرئ القيس ، ولكنه يقصر عنها في السرد
والحوار ، ولا يجاريها في الرقة ولطف التعبير . فمنها قوله :

فَمَا زِلْتُ حَتَّى أَصْعَدْتُني حَبَالَهَا ، إِلَيْهَا ، وَلَيْلِي قَدْ تَحَامَصَ آخِرُهُ (٢)

فاذا بلغ إليها لا يسمعك حواراً بينهما كما اسمعك المملك الضليل وفني قريش .
بل يلتقيها صامتة ما تنبس بينت شفة . فيصف مجلسه بايات ثلاثة ، ثم يقول
ذاكراً تحوُّفه الرجوع :

أَحَاذِرُ بَوَابِينَ قَدْ وَكَلَّهَا ، وَأَسْمَرَ مِنْ سَاجٍ تَنْطُ مَسَامِرُهُ (٣)

وهنا يسألها : « وكيف التزول ؟ » فتجيبه مظهرة له المصاعب التي تكتنفه ، فيطلب
إليها أن تدليه بالحبال كما اصعدته . فتفعل وتساعد على اتزاله رفيقة لها :

فَقُلْتُ : « أَقْعُدَا ، إِنَّ الْقِيَامَ مَزَلَةٌ ، وَشُدًّا مَعًا بِالْحَبْلِ ، إِنِّي مُخَاصِرُهُ » (٤)

إِذَا قُلْتُ : « قَدْ نِلْتُ الْبَلَاطَ ، » تَذْبَذِبْتُ حَبَالِي فِي نَيْقٍ مَخُوفٍ مَخَاصِرُهُ (٥)

فَلَمَّا اسْتَوَتْ رُجُلَايَ فِي الْأَرْضِ ، قَاتَنَا : « أَحْيِي يُرْجِي أُمَّ قَتِيلٍ نَحَاذِرُهُ ؟ » (٦)

فَقُلْتُ : « أَرْفَعَا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا ، » وَوَلَّيْتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ (٧)

(١) العرٌّ : الجرب . قرافه : مخالطته . المساعر : اصول الفخذين والباطنين . أخشف .
يابس الجلد من الجرب . يقول : ليتني ومن أحبها بغير أن جربان يُجشَى على الناس مخالطهما ،
فاذا وردا المناهل طردا وقذفا بالحجارة ، وهما لشدة جرحهما يبس جلدتهما وعليت مساعرها
بالقطران . والمراد انه يتخى الانفراد بجيبته عن العالم فاشتهى لها وله هذه الشهوة المسقوطة .
(٢) تحامص الليل : رقت ظلمته عند السحر . (٣) وساجر : صفة لموصوف محذوف وهو
الباب . الساج : الخشب . تنطُ : تصوت . مسامر : جمع مسامر . يقول : اذا فتح الباب
يحدث صوتاً . (٤) مزلة : موضع الزلل . مخاصره : اي شاده على خصره . (٥) نلت :
بلغت . البلاط : الارض . تذبذبت : اضطربت . النيق : الحبل والمكان العالي : مخاصره :
مسالكه . يقول كما عللت نفسي بالوصول الى الارض اضطربت الحبال بي في ذلك المكان
العالي الخطر المسالك . (٦) استوت : استقرت . يرجى : اي يؤمل به .
(٧) الاسباب : الحبال . ولَّيت : رجعت هارباً . اعجاز الليل : اواخره . ابادره :

هُمَا دَأْتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً ، كَمَا أَنْقَضَ بَارِئُ الْقَرِيشِ ، كَاسِرُهُ (١)

رَمَاهُ

ولم تكن عاطفته في الرثاء. اقلّ تصلياً منها في الغزل ، فقد مات ابوه فرتاه ، فكان في رثائه اياه جافياً . ومات ولداه فأراد رثاءهما فتصلبت عاطفته ؛ فاخذ يعزي نفسه بذكر من مات قبلها من كرام الرجال ، وختم مرثاته بقوله :

فَمَا ابْنَاكَ إِلَّا ابْنُ مِنَ النَّاسِ ، فَأَصْبِرِي ، فَإِنْ يُرْجِعَ الْمَوْتَى حَيْنُ الْعَاتِمِ (٢)
وماتت زوجته ، وكان يُحبها ، فلم يستطع رثاءها فبكتها النوادب بشعر جرير وقيل له ان يزور قبرها فقال :

وَأَسْتُ ، وَإِنْ عَزَتْ عَلَيَّ ، بِزَائِرِ
رُأْبَا عَلَى مَرْمُوسَةٍ قَدْ تَضَعَضَا (٣)
وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ ، إِذَا الْمَوْتُ نَالَه ،
عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مَنْ تَقَنَّعَا (٤)

فكيف ترجو ان تلين عاطفته ، فيرثي زوجه رثاء حسناً ، وهو يرى ان المرأة اهون مفقود على الرجل .

زهد

قد نكون مسرفين اذا وصفنا الفرزدق بالزهد ، وجعلنا لشعره ميزة من هذه الناحية . فالزهد في حقيقته لم يعرفه الشعر العربي الا في خلافة العباسيين ؛ هذا بصرف النظر عما اضيف الى علي بن ابي طالب من الاشعار الزهدية لان الامام

اسابقه . يقول : انه ولى يسابق الليل في السير مخافة ان يولي الليل قبله فيفتضح امره . (١) انقض الباز على فريسته : سقط عليها . الغاتم : الأسود . الكاسر : الذي لا يكسر جناحيه عند انقضاضه . يشبه نفسه في سقوطه على الارض بالباز الاسود الكاسر ريشه في الانقضاض . (٢) المآثم جمع المأثم وهو المناحة . يقول للنوار : ان ابنك كسائر الناس فاصبري ولا تجزعي ، وان النواح في المآثم لن يرجع الموتى الى الحياة . (٣) المرموسة : المدفونة في الرمس وهو القبر . تضعع : انتثر عليها وتبدد . (٤) تقنع : لبس القناع . يقول : أهون مفقود على المرء من اصحابه فقيد يلبس القناع ، ويريد به المرأة . وقوله : اذا الموت ناله : أي نال المفقود .

علياً لم ينظم الشعر وانما كان خطيباً ، بليغاً ، وله في الزهد اقوال نثرية مشهورة وليس له في الشعر شي ثابت .

ولكن الفرزدق على ضعف الحاصة الزهدية في شعره حتى نكاد لا نشعر بها ، هو اول شاعر اسلامي اخذ باهداب هذا الفن فنظم قصيدة يهجو بها ابليس ويتوب الى ربه نادماً على ذنوبه . وهي وان تكن لا تستوعب شروط الشعر الزهدي من ذم الدنيا وملاذها ، وايراد المواعظ والحكم والامثال ، فانها تنضم اليه بما فيها من اقرار بالخطيئة ، وتوبة الى الله ، وخطاب للشيطان لم يسبق اليه . فمن قوله فيها :

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي ، فَإِنِّي
عَلَى قَسَمٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِعاً ،
لَبِينَ رِتَاجٍ قَانَهُ وَمَقَامٍ ،^(١)
وَلَا خَارِجاً مِنْ فِي سُوءِ كَلَامٍ .^(٢)

ومنها يخاطب ابليس :

أَطَعْتُكَ يَا ابْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً ،
فَرَرْتُ إِلَى رَبِّي ، وَأَيَقَنْتُ أَنِّي
فَلَمَّا أَنْتَهَى سَنِييَ وَمَمَّ قَامِي^(٤)
مُلَاقِدَ لِأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِي^(٥)
أَلَا ظَالِماً قَدِ بِيْتُ يُوْضِعُ نَاقَتِي ،
يُبَشِّرُنِي أَنْ أُنْ أَمُوتَ ، وَأَنَّهُ
أَبُو الْجَنِّ ابْلِيسُ بِغَيْرِ خَطَامٍ^(٥)
سَيُخَلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَّلَامٍ

ثم يشرع يذكّر ابليس اعماله في خداع البشر واغوائهم ، حتى يصل به الى آدم وحواء فيقول :

وَأَدَمُ قَدْ أَخْرَجْتَهُ ، وَهُوَ سَاكِنٌ
وَزَوْجَتَهُ ، مِنْ خَيْرِ دَارٍ مَقَامٍ^(٦)

الرتاج : الباب العظيم ويريد به باب الكعبة . المقام : مقام الكعبة ، وكان الفرزدق حج فعاهد الله بين الباب والمقام أن لا يهجو أحداً . (٢) على قَسَمٍ : الجار متعلق بماهدت . (٣) حجة : سنة . تم قامي : اي بلغت اجلي وخاتي . (٤) المنون : الدهر . حمامي : موتي . يقول : اني ملاقِد موتي لما يدور علينا من حوادث الدهر وصروفه . (٥) يوضع ناقتي : يرفعها بالسير . أبو الجن : اي ابو العفاريت كنية ابليس . خطام : زمام . يقول : طالما طرحت ابليس كل مطرح ، واطلق لي زمام شهواتي ، وسار لي في سبل الضلال . (٦) من خير دار مقام : اي من الفردوس .

وَأَقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ ، أَنْكَ نَاصِحٌ لَهُ وَهِيَ ، إِقْسَامَ غَيْرِ إِثَامٍ ^(١)
 فَظَلًّا يَخِيطَانِ الْوَرَقَ عَلَيْهَا ، بِأَيْدِيهِمَا مِنْ أَكْلِ شَرِّ طَعَامٍ ^(٢)
 وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِالْمَرْءِ أَتَّبِعِي رِضَاهُ ، وَلَا يَفْتَادُنِي بِرِمَامٍ ^(٣)

ويجمل بك ان تنبّه لما في تكراره لفظ ابليس من تشفّ وتحقير ، ولما في قصة آدم وحواء من جمال واليجاز .

واما توبة الفردق فغير حرية بالتصديق والاعجاب ، لانه لم يتمسك بها كثيراً بل ارتد عنها بعد حين . ومعاصروه انفسهم لم يتلقوها بالاطمئنان لما يعهدون به من فحش وفجور . فان ابن سلام يحدثنا بان الفردق اتى الحسن ^(٤) فقال له « اني قد هجوت ابليس فاسمع » ، فقال : « لا حاجة لنا بما تقول » ، قال : « لتسمعن او لأخرجن فأقول ان الحسن ينهى عن هجاء ابليس » ، فقال الحسن : « اسكت فانك عن لسانه تنطق . »

سرفانه

اشتهر الفردق بسرقة الشعر فكان لا يسمع بيتاً عاتراً ^(٥) الا قال لصاحبه : « لتتركن هذا البيت لي او لتتركن عرضك » فيتركه له خوفاً من لسانه ، فينتحلّه الفردق ويدبجه في شعره . وكان يقول : « خير السرقة ما لا يجب فيه القطع » ^(٦) يعني سرقة الشعر . ويروي لنا صاحب الاغانى : ان الفردق مر يوماً بالشمر دَل وهو ينشد قصيدة حتى بلغ الى قوله :

وَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً ، وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرِ حَزْرٍ الْعَلَّاصِمِ ^(٧)

(١) الإثم : الاثم . وقوله : غير إثم : اي غير ذي إثم . يشير الى اغرائه اياهما بالاكل من الشجرة المحرمة . (٢) الورق : جمع الورق . يقول : خدعتها فأكلت من الشجرة فظهرا عريانين فاخذنا يخيطان الوراق ليستترا بها . وقوله : من اكل شر طعام : اي من اجل اكله . (٣) يفتادني بزمام : اي يخذمني فانقاد اليه . (٤) الحسن البصري قاضي البصرة وفقهها . (٥) العائر : السائر بين الناس . (٦) القطع : اي قطع اليد وكان السارق تقطع يده عملاً بالشرع الاسلامي . (٧) العلاصم : جمع العلاصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق او رأس الخلقوم . يقول : بين تميم ومن يصيها حز الاعناق .

فقال : « والله لتتركن هذا البيت او لتتركن عرضك ، » قال : « خذه على كره مني . » فأخذه الفرزدق وهو في احدى قصائده .

ومرّ ببن ميادة وهو ينشد :

لَوْ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ كَانُوا بِرَبْوَةٍ ، وَرَجَتْ بُجْدِي ظَالِمٍ وَأَبْنِ ظَالِمٍ ،^(١)
أَطَلَّتْ رِقَابُ النَّاسِ خَاضِعَةً لَنَا ، سُجُوداً عَلَى أَقْدَامِنَا بِالْجَمَاجِمِ .

فقال : « اما والله يا ابن الفارسية لتدعنه لي او لأبنشئ امك من قبرها ، » فقال له ابن ميادة : « خذه لا بارك الله لك فيه » فانتحل الفرزدق البيتين ووضع دارماً مكان ظالم فقال : « وجئت بجدي دارم وابن دارم . »

واخذ لمأحمته من جميل بشينه أسير بيت فيها وهو قوله :

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا ، وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ ، وَفَقُوا

مدخله الكلام

وكان يداخل الكلام ويجوز في شعره ما لا يجوز غيره . فرويت له ابيات كثيرة خالف فيها القواعد النحوية والبيانية ، فأخذها النحاة وعلما البيان شواهد في مجوئتهم . ونقم بعضهم عليه من اجلها وسرّ بها البعض الآخر ولا سيما اصحاب النحو . لانها كانت تشغلهم في تحمل اوجه اعرابها . فمن ذلك قوله يمدح ابراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا ، أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

والشاهد فيه التعقيد ، وهو ان لا يكون الكلام ظاهر المراد . والمعنى : وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه ، اي ابن اخته هشام . فالضمير في أمه يعود على المملك يعني هشاماً والضمير في ابوه يعود على المدوح يعني خاله ابراهيم . ففصل بين ابو امه وهو مبتدأ ؛ وابوه وهو خبر بلفظ اجنبي وهو حي . وكذا فصل بين حي ويقاربه وهو نعته بأجنبي آخر وهو ابوه . وقدم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما تراه في غاية التعقيد . وكان من حقه ان يقول : وما مشله في الناس

حي يقاربه الاملك ابو أمه ابوه . ورفع مملك اشهر لان ما يبطل عملها اذا انتقض خبرها بالآ . وعدم ابطاله لغة حجازية .

وقوله :

وَعَضُّ زَمَانَ يَا أَبْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعُ مِنْ الْعَالِ إِلَّا الْمُسْحَتَا ، أَوْ مَجْرَفٌ ^(١)

فنصب مسحتاً على انه مفعول لم يدع ، ورفع بعده مجرف مع انه معطوف عليه . فاجعله النحاة خبراً لمبتدأ محذوف . واما ابو عبيدة فانه فسر لم يدع بمعنى لم يبث ويستقر من الدعة ، فارتفع مسحت ومجرف بفعلهما . وفي ذلك ما فيه من تعسف وتحمل . وللفرزدق شعر كثير من هذا النوع .

مقلداته

قال ابن سلام : وكان الفرزدق اكثرهم بيتاً مقلداً . والمقلد البيت المستغني بنفسه ، المشهور الذي يضرب به المثل . فمن ذلك قوله :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ ، ضَرْبَنَا حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَخَادِعُ ^(٢)

وقوله :

تَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ ، وَيَهْرُبُ مِنَّا جَهْدَهُ كُلُّ ظَالِمٍ

وقوله :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ ، كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ ^(٣)

وله غير ذلك كثير . ولعل مقلداته هي التي جعلت الادباء الاقدمين يشبهون بزهير بن ابي سلمي .

قصاره وابنداته

وكان الفرزدق يكثر من القصائد القصيرة ويفضلها على الطويلة فمثل يوماً : « ما بال قصارك اكثر من طوالك ؟ » فقال « لاني رأيتها اثبت في الصدور ، وفي

(١) المسحت من المسال : المذهب المثقف . مجرف : اي مجروف ذاهب كله .
(٢) صعر خده : لواه تجبراً . الاخادع : جمع الأخدع وهما اخدعان : عرقان في صفحتي العنق . يقول : نضربه حتى تستقيم اخدعه ويذهب صعره وكبره . (٣) ينهض في الشباب :

المخالف أجول . « وغلبت الجودة على قصاره ولم تخل طواله من الجميل الرائع .
ومما يجدر ذكره ان الفرزدق كان لا يُعنى كثيراً باختيار مطالعته ، فليس له
ابتداءات تذكر كما لغيره . واكثر ابتداءاته خالية من التصريح ^(١) فكأنه كان
يميل الى التملص من قيود طالما رسف بها الشعراء في ايامه ، وقبله وبعده . وكثيراً
ما تناول موضعه مدحاً او هجاء دون ان يوطئه بالغزل : ١ .

مفردتهم

عده ابن سَلَام في الطبقة الاولى من الاسلاميين وقدمه في الذكر على جوير
والاخطل . وقال : « كان يونس يقدم الفرزدق بغير افراط ، وكان المفضل
يقدمه تقدمه شديدة . » وقال جوير : « الفرزدق نعمة الشعر ^(٢) » وقال ابو عبيدة :
« كان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهير . » وقال ايضاً : « لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . » وقال ابو الفرج الاصفهاني : « والفرزدق مقدم
على الشعراء الاسلاميين هو وجوير والاخطل ، ومحلّه في الشعر اكبر من ان يُنَبّه
عليه بقول ، او يُدلّ على مكانه بوصف . اما من كان يميل الى جزالة الشعر وفخامته
وشدة اسره فيقدم الفرزدق ، واما من كان يميل الى اشعار المطبوعين والى الكلام
السمع السهل التّزّل فيقدم جويراً . » وقال الفرزدق : « قد علم الناس اني افحل
الشعراء وربما ات عليّ الساعة وقلع ضرس من اضراسي اهون عليّ من قول بيت »
وقال مالك بن الاخطل : « جوير يعرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر . »
وهذا الحكم يصف لنا ادق وصف صلابه شعر الفرزدق وخشونة الفاظه . وفي
كلام الفرزدق على نفسه ما يعلمنا ان الشعر كان يعصيه احياناً فما ينقاد له الا بعد نصب .
واجهاد النفس في قرض الشعر يحتاج الى النحت ، والشعر المنحوت يكثر فيه التكلف
اللفظي ويقل الطبع . وقد افراط الفرزدق في استعمال الوحشي من الكلام حتى قال
فيه ابو عبيدة : « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . » وحفظ لنا شعره كثيراً من
ايام العرب وعاداتهم واخلاقهم ، فقلما تقرأ له نقيضة الا وجدتها حافلة بطائفة من الاخبار .

اي يقوم فيه . كأنه : اي كان الشباب . (١) التصريح : ان يكون لعروض البيت قافية
كضربه . (٢) النبعة : شجرة من اجود الشجر واصلبه .

ومثله الفرزدق قائمة على نقائضه ، فان مهاجراته لجرير جعلت الناس في صدر الاسلام ينقسمون حزبين : حزباً فرزدقياً وآخر جريرياً . وكان كل واحد منهما ، يتعصب لشاعره ويفضله على قرنه ، حتى بلغ من احد الفرزدقيين انه عقد جائزة قيمتها ٤٠٠٠ درهم ، وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير .

ومجمل القول ان الفرزدق لم يبلغ شأواً الاخطل في المدح ، غير انه اناف عليه وعلى جرير بالفخر ، وثبت لجرير في الهجاء . واكثرت تضامله عنه بالفزل والثناء لتصلب عاطفته . ولم يتصرف مثله في المعاني ، فاذا انت قرأت فخره وهجاءه رأيتيه يجول في دائرة معلومة لا يتعداها الى سواها . ومع ذلك فضله على الشعر لا يقل عن فضل صاحبيه .



(١)

جرير

٧٣٢ م و ١١٤ هـ (٩)

حياته : وُلد في بادية البامة . من قِمْ ، ولكن أسرته دون أسرة الفرزدق . ابوه مضموف بنجل . جرير يعق اباه وابنه يعق . فركمته زوجته لحشونة عيشه . نظم الشعر صغيراً . صفاته وتدينه : متعفف . لا يشرب الخمر . متعصب للاسلام . يحب للخصام . انوف ينج في كلامه . اتصاله بالامويين : وفادته الى يزيد بن معاوية . اتصاله بالحجاج ثم بعبد الملك . لم يحظ حظوة الاخطل . جرير وخصومه : هاجى ثلاثة واربعين شاعراً ، ولم يثبت له غير الفرزدق والاخطل . كانوا يتحرشون به للشهرة ، فخلدوا باسمه . ماذا قال للحجاج في خصومه . غسان . البغيث . الفرزدق . الاخطل . ازاعي . ميل جرير الى الشر . التيمي . الصلح بينها ، واستمرار جرير على هجائه . جرو هراش . هرو ه فوجدوه عند الهراش نائماً . انقسام الناس بينها . قولهم في وحدة شبطاها . موته : مات بالبامة . اربت سنة على الثمانين . شهد موت خصميه وهجاءها ، ثم رثى الفرزدق . مات بعد الفرزدق بستة اشهر .

(١) الجرير : الحبل الذي يُجر به . زعموا ان أمه رأت في نومها وهي حامل به كأنها ولدت حبلاً من شعر اسود فيجعل يترق فيقع في عنق هذا فيخذه حتى فعل ذلك برجال كثيرين فانتهت مرعوبة فقيل لها : تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وبلاء على الناس فلما وُلد سمته جريراً .

ديوان في جزئين . تقاسم جرير والفرزدق في مجلدين . تقاض جرير
والاخطل . من اصحاب الملححات .

أثارة

هو والاخطل والفرزدق يتنازعون امسارة الشعر . كان اطعمهم شعراً ،
واخصبهم مادة ، وأوتي من الرقة والهلالة ما جعل شعره سيّاراً سهل اللفظ .
احسنهم في الغزل والرثاء . طرق ابواب الشعر كلها الا الوصف والنقص .
شغله الهجاء . هجأوه بؤرة فجور وفساد كشمس الفرزدق . لم يكن
تعفقه يمنعه من الفحش والاقذاع . أسلوبه يختلف عن أسلوب الفرزدق .
يتبع مثالب عدوه ، واذا اعيبته اخترعها . هجوه الفرزدق : هو ابن العين .
بنو مجاشع كلهم قيون . الكبير والعلاء . الخزيرة . فقيرة . جعثن .
الزبير . تعصبه لدينه . اتهم الفرزدق بالنصرانية . يتبع زلاته . يعيره
الجبين والفجور وطرده من المدينة ويشبهه بالقسرد . هجوه الاخطل :
يتناول تغلب حتى ربيعة بن تزار ، ويقضح اعراضهم ، ثم ينفر عليهم قيس
عيلان ، وينفر عليهم بني بكر ويعيرهم مقتل كليب . يعني كثيراً بالافتخار
عليه بدينه . يعيره النصرانية ، وشرب الخمر واكل لحم الخنزير . يشبهه
خريشه قومه بالخنازير . ويدعوه بصيغة التصغير ، او يلقبه بدوبل .
يعرض بالصليب والقديسين والقسيسين . فخره : شديد الفخر بشيم .
يفخر الفرزدق ببني كليب ولكنه لا يجاريه . خاصته بالفخر والاستخفاف
بالشعراء . وجملم جميعاً مغلبين مشددين في حبل واحد . هجوه الراعي :
ابلق قصيدة تظهر لنا ميزة جرير في الفخر ، وغير الفخر كالرقصة والهلالة
والرنة الموسيقية . التحقير في تكرار كلمة غير . مدحه : الاعتذار الى
بني أمية واسترضائهم . تعريضه بآل الزبير . شاعر ذو عصية مضرية في
مدح قيس . شاعر متكسب في مدح الامويين . مدحه دثي اكثره .
يكاد يشغلهم بالاخرة عن الاولى . غزله : رقيق العاطفة لطيف المعاني .
يخلط الفن القديم بالجديد . يتغزل غزلاً صادقاً لا تكلف فيه . غزل عفيف
لا فحش فيه . هو من طبقة المجددين بالغزل . رثاؤه : رقيق شجي .
رثاؤه لامرأته . نظره في المرأة غير نظر الفرزدق . مترلته : احد رجال
الطبقة الاولى في الاسلام . تتحرش الشعراء به طمعاً في الشهرة . تشبيهه
بالاعشى . لبته واضطراب شعره في بعض القصائد الطويلة . قول الفرزدق
فيه . سبب ذلك . اخصبهم قريجة . ابعدهم من تكلف . اقدرهم على
التصرف في المعاني . دون الاخطل في المدح والوصف . دون الفرزدق بالفخر .
كاد يذمها بالهجاء . فاقها بالغزل والرثاء . اجسمهم لابواب الشعر .

ميزته

هو جرير بن عطية بن الخطمي ، والخطمي لقب جده حذيفة بن بدر من كليب ابن زيوع ثم من تميم . وأمه حمنة بنت معبد الكلبية . وكان يكنى ابا حزره وحزره ولده ، وله غيره سبعة ذكور وابنتان .

نشأ جرير في بادية اليمامة في اسرة دون اسرة الفرزدق جاهلاً وثروة وشرفاً . وكان ابوه مضعوفاً لا يقاس باي الفرزدق في الشهرة والجدود وعلو القدر . وقد نستطيع ان نعرف مكانة والده من حديث لبلال بن جرير قال : « قال رجل لوالدي : « من اشعر الناس ؟ » قال : « قم حتى اعرفك الجواب . » فاخذته بيده وجاء به الى ابيه عطية ، وقد اخذ عتراً له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها ، فصاح به : « يا ابت ! » فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال ابن العترة على حليته . فقال ابي للرجل : « اترى هذا ؟ » قال : « نعم ؛ » قال : « افتدري لم كان يشرب من ضرع العترة ؟ » قال : « لا ، » قال : « مخافة ان يُسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن . » ثم قال : « اشعر الناس من فاخر بمثل هذا الاب ثمانين شاعراً وقارعهم به وغلبيهم جميعاً . »

على ان جريراً لم يكن برأ بابيه ، فالرواة يحدثننا بانه كان اعق الناس له . وتحذاه بلال فعنه فلم ينكر جرير ذلك عليه . وشتمه مرة فقالت له أمه : « يا عدو الله اتقول هذا لايبك ! » فقال جرير : « دعيه ، فوالله لكأني به ممعها وانا اقولها لابي . » فيبين لنا اذاً ان نشأة جرير تختلف عن نشأة الفرزدق والاختلاف ، فقد كان عيشه لا يخلو من شظف وبؤس وشقاء . ويحدثنا ابن سلام ان جريراً اشترى جارية من رجل من اهل اليمامة يقال له زيد ، ويعرف بابن النجار ، ففركته ^(١) وكرهت خشونة عيشه فقال :

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ ، وَمَنْ لِي بِالْمُرْقِقِ وَالصَّنَابِ ؟ ^(٢)

(١) فركت المرأة زوجها : ابغضته فهي فارك . (٢) المرقق : الخبز الرقيق . الصناب : صباغ يتخذ من الخردل والزبيب . والصباغ : جمع الصبغ وهو ما يصبغ به في الطعام أي ما يؤتد به من الأدام ، لان الخبز يغمس ويلون به ، كالحل والزيت .

فقال الفرزدق :

أَسِنُ فَوْرِكَتِكَ عِلْجَةٌ آلِ زَيْدٍ ، وَأَعْوَزَكَ الْمَرْقُوقُ وَالصَّنَابُ ، ^(١)

أَقْدَمًا كَانَ عَيْشُ أَبِيكَ جَدْبًا ، يَعِيشُ يَمَا تَعِيشُ بِهِ الْكِلَابُ ^(٢)

ولكن هذا الرجل الوضيع الحسب ، الحشن العيش ، الحامل الابوين ، أعطي شاعرية بوائه اعلى مرتبة في الادب العربي . وقد نظم الشعر صغيراً كما نظمه الاخطل والفرزدق .

صفاته وتربيته

كان جرير متعففاً لا يتعمر ، ولا يشرب الخمر ، ولا يشهد مجالس القيان . وكان شديد التعصب للاسلام ، كثير التظاهر بالدين ، وستجد اثر ذلك باديأ على شعره . فاخلاقه من هذا القبيل تختلف كل الاختلاف عن اخلاق الفرزدق . وكان انوفاً يابى الضيم ، ولا يغمض على القذى ، حاد اللهجة ذا مُشَارَةَ ^(٣) ومهارة ^(٤) . لا يججم عن مقارعة خصومه ومهاجاتهم . مهاكثر عددهم عليه . وكان اذا تكلم يخن في كلامه ^(٥) .

اتصاله بالاصويين

كان جرير حدثاً لما وفد الى يزيد بن معاوية وهو خليفة في الشام . فلم يؤذن له بالدخول وجاء الجواب : ان امير المؤمنين يقول : « لا يصل الينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره . » فقال جرير : « قولوا له : انا القائل :

وَإِنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ ، مُشْتَرِكُ الْغَنَى ، سَرِيعٌ ، إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي ، أَنْتَقَالِيَا ^(٦)

وكان يزيد في خلافة ابيه قد انتحل بضعة ابيات من قصيدة لجرير وعاتب بها اياه في غرض له ، فاعتقد معاوية ان الابيات لابنه . فلما أنشد يزيد البيت أذن

(١) العِلْجَةُ : الضخمة الغليظة والكافرة . (٢) جَدْبًا : ساحلاً . (٣) المُشَارَةُ :

المخاصمة . (٤) المَهَارَةُ : من هارة اي هر في وجهه كما يهر الكلب ، والمراد بذلك انه

كان يحب الحصام والتراع . (٥) يَخْنُ في كلامه : يخرج صوته من خياشيمه . (٦) عَفُ الْفَقْرِ :

هي ينف عن المسألة اذا افتقر . مشترك الغنى : اي يشارك بماله غيره اذا اغتنى . ثم يقول :

وإذا ضاقت عليّ داري اسرعت بالانتقال الى سواها .

جرير فدخل عليه ، فاستنشه القصيدة فأذشده ، فقال يزيد : « لقد فارق ابي الدنيا وما يحسب الا اني قائلها . » و امر له بجائزة .

وهذه القصيدة قالها جرير في صباه يعاتب بها جده الحطفي ، وكان ذا ابل ومال ، فلما ولد جرير اعطيه اخذ ينحله ^(١) من ابله وماله . فولد للحطفي صبياً فرجع في ما كان نحل جريراً ، فعاتبه جرير بابيات رقيقة منها يقول :

وَإِنِّي لَمَعْرُورٌ أُعَلِّلُ بِالْمُسْنَى ، غَدَاةَ أَرْجِي أَنْ مَالِكَ مَالِيَا
وَإِنِّي لَأَعْفُ الْفَقْرُ مُشْتَرِكُ الْغِنَى ، سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي ، أَنْتَقَالِيَا
بِأَيِّ سِنَانٍ تَطْعَنُ الْقَوْمَ ، بَعْدَمَا تَزَعَّتْ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا ^(٢)

ولكن جرير لم يعرف في بلاط الامويين الا بعد ان طارت شهرته في خلافة عبد الملك بن مروان . وكان اتصاله اولاً بالحجاج بن يوسف ، وهو على العراقين ، فمدحه ونال جوائزه ، فأوفده الحجاج في صحبة ابنه محمد الى عبد الملك . وكان لا يسمع لشعراء مضر ، ولا يأذن لهم لانهم كانوا زبيرة . فلما دخل عليه جرير بعد لاي ، قال له عبد الملك : « ماذا عسى ان تقول فينا بعد قولك بالحجاج عاملنا :

مَنْ سَدَّ مُطَّلِعَ الْتِفَاقِ عَلَيْكُمْ ، أَوْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ ! ^(٣)

ان الله لم ينصرنا بالحجاج وانما نصر دينه وخليفته ا » فظهر الغضب في وجه عبد الملك ، فتوسط ابن الحجاج في الرضى ، فاستأذن جرير في الانشاد وانشد كلمته التي يقول فيها :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ، وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ ! ^(٤)

(١) نَحَلَهُ : اعطاه شيئاً من غير عوض . (٢) تجد هذه القصيدة في ديوان جرير في عداد النقااض ، فيظهر ان جريراً اضاف اليها ايائاً في هجاء الفرزدق بعد ان كبر والتجم الهجاء بينها . وقوله : تزعت سناناً من قناتك : شبه نفسه بسنان في رمح جده وقد تزع جده هذا السنان ورماه عنه . ماضياً : قاطعاً وهو نعت سنان . (٣) المطلع : المأني . يقال : ما لهذا الامر مطلع اي مأني . التفاق : ستر الكفر والتظاهر بالايان . (٤) المطايا : جمع المطية وهي الركوبة . أندى : اسخى : الراحة وهي الكف .

فتبسم عبد الملك وقال: «كذلك نحن». وأمر له بمانحة من الابل ومثانية اعبد لرعايتها .
 وكان بين يديه صحاف من فضة ، فقال جرير : « والمحب يا ابي المؤمنين ؟ »
 فنبتذ اليه بواحدة منهم ، فذلك يقول جرير في قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك :
 أعطوا هنيئةً يحدوها ثمانية ، ما في عطائهم من ولا سرف^(١)
 وصار يفد الى عبد الملك من ذلك الحين ، ويأخذ الجوائز ، وكانت جائزته اربعة
 آلاف درهم وتوابها من الحلمان والكسوة . ومدح جرير من تولى بعد عبد الملك من
 الخلفاء فأجازوه ، غير انه لم يحظ حظوة الاخلط عندهم .

جرير وفصومه

لم يتصد لشاعر في الجاهلية ولا في الاسلام خصوم يقارعونه مثل ما تصدى لجرير ،
 فقد قال الاصمعي عنه : « كان ينمسه ثلاثة واربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره
 ويرمي بهم واحداً واحداً ، وثبت له الفرزدق والاخلط . » وسواء صح هذا العدد
 كله او بعضه ، فانه كافٍ للدلالة على ان شاعرنا كان محسداً ، وان شعراء عصره
 كانوا يتحرشون به اما طلباً للشهرة او تشفياً للغيض من شأنه . فنحن نرى طائفة من
 الاسماء التي هاجم جرير اصحابها وخذلهم قد بقيت خالدة باسم جرير ، ولو لم يلتفت
 لفتها لاندثرت ولم يُسمع لها خبر . واذا استثنينا الاخلط والفرزدق وراعي الابل^(٢)
 نجد ان سائر الشعراء الذين هاجمهم مدينون له بالخلود . فمن هو غسان السائطي ؟
 ومن هو البيهث واشباهها ليقفوا في وجه جرير ؟ ولكنهم ارادوا الشهرة فتمرضوا له ،
 فرد عليهم ، فجعل لهم ذكراً .

واكثر الشعراء الذين هاجوا جريراً كانوا هم البادئين بمعاداته فقد حدث جرير

(١) هنيئة : اسم للمائة من الابل ، لم يصرفها باعتبار كونها علماً مؤنثاً . وقوله : يحدوها
 ثمانية : أي يسوقها ثمانية رعاة . من : تكدير العطية بذكرها ، فكأن المعطي يبيع بها من
 اعطاه ليكسر قلبه . سرف : اغفال وخطأ . اي لا يخطئون في العطاء . بأن يبطوه من لا يستحق
 ويحرموه المستحق . (٢) هو عبيد بن الحصين النميري الملقب براعي الابل من فحول الشعراء ،
 عدّه ابن سلام في الطبقة الاولى بمد الفرزدق وجرير والاخلط ، وجملة ابو زيد القرشي من
 اصحاب اللحجات وملحمته مثبتة في الجمهرة .

عن نفسه قال : « لما دخلتُ على الحجاج قال : « إيه^(١) يا عدوَّ الله علامَ تشتم الناس وتظلمهم ؟ » قلت : « جعلني الله فداء الامير ، والله اني مسا اظلمهم ولكنهم يظلمونني فانتصر . ما لي ولا بن أم غسان ، وما لي وللبعيث ، وما لي وللفرزدق ، وما لي والاخطل ، وما لي وللتيم . حتى عدتهم واحداً واحداً وذكر كيف كان اعتداؤهم عليه . وقد علمت في كلامنا على الفرزدق ان جريراً هجا غسان السليطي ، ولكنه لم يكن البادى بالهجا ، فان غسان هو الذي تعرَّض له وهو من قومه ، فهجاه وهجا عشيرته ، فردَّ عليه جرير فاخزاه . فانتصر له البعيث وهو من مجاشع قوم الفرزدق ، فألقه جرير بابن أم غسان وفضح مجاشعاً . فلم يجد الفرزدق بداً من الدفاع عن قومه ، فاصطلى معمعان الهجاء فاحمى وطيَّسه .

وشاق الاخطل وقعُ الالسنه حداداً فبعث ابنه مالكا يكشف الخبث . فانحدر الى العراق ، ثم عاد اليه بحكمه : « جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر . » فقضى الاخطل لجرير ونعى الفرزدق . ولكن بني مجاشع تداركوه واكرموه واستعانوه على خصمهم . ولم يشأ جرير ان يقول له كلمة خير بعد ان فضَّله على الفرزدق . فقهر ابو مالك رأيه وتحرش بجرير فزادت النار به اشتعالا .

وكان عبید الراعي بغى عن مهاجاة جرير ، ولكنه احب ان يضلِّي بناره فأحرقته ، ولم يستطع الثبوت له كما ثبت الفرزدق والاخطل ، فخرزي واخرى قومه بني نَمير ، روى ابن سلام ان الذي هاج الهجاء بينها ان الراعي كان يُسأل عن جرير فيقول : « الفرزدق اكرمها واشعرهما . » فلقية جرير وطلب اليه ألا يدخل بينها وقال : « انا كنت اولي بعونك اني لأمدحكم وانه ليهجوكم . » قال : « أجل ولست لمساؤك بعائد . » ثم بلغ جريراً انه عاد في تفضيل الفرزدق عليه ، فلقية بالبصرة ، وجرير على بغلته ، فعاتبه وقال : « زعمت انك غير داخل بيني وبين ابن عمي . » فأخذ الراعي يعتذر اليه ، واذا بابنه جندل قد اقبل فقال لابيه : « اني لأراك تعتذر لابن الأتان . والله لنفضِّلن عليك ولتروين هجاءك

(١) إيه بالتثوين : اسم فعل بمعنى حدثنا . وإيه بالبناء على الكسر : اسم فعل بمعنى زدني من الحديث المهود بيننا .

عليه ، ولنهجوزك من تلقاء انفسنا . » وضرب وجه بغلته ، فاذصرف جرير مفضباً . فقال الراعي لابنه : « اما والله ليهجوني واياك . » وكان جرير نازلاً بالبصرة على امرأة من بني كليب ، فبات في علية لها وهي في سفل دارها ، فقالت المرأة : « فبات ليائه لا ينام ، يتردد في البيت حتى ظننت ان قد عرض^(١) » حتى فُتح له :
أَقْلِي أَلْوَمَ عَاذِلَ وَالْعَتَابَا ، وَقُولِي ، إِنْ أَصَبْتُ ، : أَمَّادُ أَصَابَا

ثم اصبح بالمربد^(٢) فقال : « يا بني تميم ، قِيدُوا قِيدُوا^(٣) . » وأشدها ثمانين بيتاً . والراعي والفرزدق يسمعان ، فلم يحبه الراعي ولم يهجه جرير بغيرها . ولكنها كانت كافية لاخزام بني نعيم ، فصاروا ينتسبون بالبصرة الى عامر بن صعصعة ، ويتجاوزون اباهم نيمراً الى ابيه هرباً من ذكر نعيم ، وفراراً بما وُسم به من الفضيحة والوصمة . وتشاءوا بعبيد الراعي ، وسبوه وابنه .

قال بعضهم : « كان الراعي فحل مضر فضغمه^(٤) الليث ، » يعني جريراً . على اننا وان قلنا ان الشعراء كانوا يتعرضون لجرير بغضة ، او حسداً ، او رغبة في الشهرة فلسنا نعني ان جريراً كان يكره هذه الملاحظات او يتجنبها ، فلطالما عرض نفسه لها وابتاعها ان لم يجد لها شازياً . فعمر بن لُجأ التيمي لم يتحرش بجرير ، ولكن جريراً عاب عليه بيتاً من شعر ، فعاب عليه التيمي بيتاً من قصيدة له ، فجهاه جرير فرداً عليه التيمي ، فالتحم بينهما الهجاء . وما كان التيمي بمستطيع ان ينافس جريراً لو اهمله جرير ، ولكنه قارعه فشهره ، حتى ان الفرزدق أنف لجرير ان يتعلق به التيمي فجهجا اخا التيم بقوله :

وَمَا أَنْتَ ، إِنْ قَرَّمَا تَيْمٍ تَسَامِيَا ، أَمَا التَّيْمُ ، إِلَّا كَالْوَشِيظَةِ فِي الْعَظْمِ^(٥)

ولقي عمر بن عطية اخا جرير فقال له : « قل له : ويلك انت التيمي من عل كما اصنع بك انا . »

(١) عرض : جن . (٢) المربد : سوق في البصرة كانت مجتمعاً للشعراء في الاسلام كما كانت عكاظ في الجاهلية . (٣) قِيدُوا : اي اكتبوا . (٤) فضغمه : عضه . (٥) القرم : الفحل والسيد . تساميا : تفاخرا . الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم . يقال : هم وشيظة في قومهم : أي حشو فيهم .

ويحدثنا ابن سلام ان رجال تميم مشت بين جرير والتميمي ، وقالوا : « والله ما شعراؤنا الا بلا . علينا ، يثيرون مساوئنا ، ويهجون احياءنا وامواتنا . » فلم يزالوا بها حتى اصلحوا بينها بالعهود والمواثيق المغلظة ، ان لا يعودا في هجاء . فكف التيمي ، وكان جرير لا يزال يسئل الواحدة بعد الواحدة ، فيقول التيمي : « والله ما نقضت هذه ولا سمعتها ، » فيقول جرير : « هذه كانت قبل الصلح . » فن هذه الرواية وغيرها نعلم مبالغ ميل جرير الى الشر والحصام ، ورغبته في ملاحاة الشعراء . وقد قال فيه الحجاج لما سمع اخباره مع خصومه : « قاتله الله أعرابياً انه لجرو هراش ^(١) . » ولمسل ابلغ وصف لجرير في مهاجاته الشعراء قول الفرزدق فيه : « قاتله الله ! ما احسن ناچيته ^(٢) واشرد قافيته ^(٣) ، والله لو تركوه لابكى العجوز على شبابها ، والشابة على احبابها ، ولكنهم هروه ^(٤) فوجدوه عند الهراش نابجاً ، وعند الجدي قادحاً ^(٥) . »

وقد رأينا في درسنا الاخطل والفرزدق ان اشد الهجاء كان بينهما وبين جرير ؛ ولا سيما جرير والفرزدق . فقد علمت كيف انقسم الناس حزبين معهما ، فناصر كل حزب شاعره وفضله على الآخر وبلغ من هوس الناس بهما ان جعلوا لهما شيطاناً واحداً يلقنهما ، ولكل شاعر عند العرب شيطان يوحى اليه . ونقل الرواة لنا اخباراً كثيرة عن وحدة شيطانها ، نكتفي منها بواحد نورده لا ايماناً بصحته ، ولكن لنظروا ما كان لشعرهما من التأثير في نفوس ابنا . عصرهما :

زعموا ان جريراً والفرزدق خرجا من العراق يطلبان الرُصافة لهشام بن عبد الملك ، وقد مدحاه ، فلما كانا ببعض الطريق نزل جرير في حاجة له ، فتلفت ناقه الفرزدق فضربها بالسوط وقال :

إِلَامَ تَلَقَّيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي ، وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي ؟

(١) الهراش : من حارثت الكلاب اذا تحرش بعضها على بعض وتواثبت . (٢) الناجية : الناقه السريعة تنجو بصاحبها ، وادادها سرعة خاطره وخصب قريحته . (٣) اشرد قافيته : اي اسير شعره . (٤) هروه : نبجوه . (٥) الجدي : الاجتهاد في السير ، والمراد السباق . قادحاً : اي يوري زنده ، وهي كناية عن ان به خيراً عند السباق . يقال : هذا لا يوري له زند : اي لا خير فيه .

مَتَى تَرِدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي ، مِنْ التَّهَجِيرِ ، وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي (١)

ثم قال لرواتها : « الساعة يجي ابن المراعة ، فانشده البيتين فينقضها بان يقول :

تَلَقْتُ أَنَّهَا تَحْتَ ابْنِ قَيْنِ ، حَلِيفِ الْكَبِيرِ ، وَالْفَأْسِ الْكَهَامِ ، (٢)

مَتَى تَرِدِي الرُّصَافَةَ تَحْزَنُ فِيهَا ، كَخِزْيِكِ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ (٣)

فرجع جرير فوجد القوم يضحكون فقال : « ما الحُجْر ؟ » فقال احد الرواة : « يا ابا حزره ان اخاك ابا فراس وقع له كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وانشده البيتين الاولين . فارتجبل البيتين الآخرين ، فتعجب القوم من ذلك الاتفاق وقالوا : « والله يا ابا حزره لهكذا زعم انك تقول ، » فقال : « أو ما علمتم ان شيطاننا واحد . » فالاصطناع في هذه الرواية ظاهر لا يحتاج الى دليل ، واما البيتان الآخريان فهما لجرير من قصيدة نقض بها القصيدة التي قافها الفرزدق في هشام بن عبد الملك وقد مر ذكرها .

موت

تُغْمِرُ جَوِيرَ حَتَّى ارْبَتَ سَنُهُ عَلَى الثَّانِينَ ، وَكَانَتْ وَفَاتَهُ بِالسَّيَامَةِ وَفِيهَا قَهْرُهُ .
وقد هلك بعد ان شهد هُلكَ خصميه : الاخطل والفرزدق . فلما مات الاخطل هجاه بقوله :

زَارَ الْقُبُورَ أَبُو مَمَالِكِ ، فَكَانَ كَأَلَامِ زُوَارِهَا

ولما مات الفرزدق قال فيه :

مَاتَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ مَا جَدَعْتُهُ ، لَيْتَ الْفَرَزْدَقَ كَانَ عَاشَ قَلِيلًا (٤)

(١) راجع شرح البيتين في بحث الفرزدق . (٢) القين : الحداد وكل صانع . وكان جرير يلقب بني مجاشع بالقيون . الكبير : ما ينفخ فيه الحداد . الكهام : الكليل . يقول : تلقت ناقثك من الخوف لانصاح تحت ابن حداد لا يعرف غير الكبير وليس بذئ سيف فتطمئن اليه ولكنه ذو فأس كليله لا تقطع ، جملة حدادا وحطابا . (٣) الرصافة : رصافة هشام وقد مر ذكرها في اخبار الفرزدق . تحزن : تفضخ . المواسم : اي المواسم التي تقدر بها الشهور الى الخلفاء لمدحهم واخذ جوائزهم وكان لهم في كل سنة موسم . (٤) جدعته : قطعت انفه .

فقيل له : « لبس ما قلت ، أتيجو ابن عمك بعد ما مات الو رثيته كان احسن بك . »
فقال : « والله اني لاعلم ان بقائي بعده لقليل ، وان كان نجمي موافقاً لنجمه
فلأرثينه ! » ثم قال فيه :

فَلَا وَلَدَتْ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حَامِلٌ ، وَلَا ذَاتُ بَعْلٍ مِنْ نِفَاسٍ أَبَلَّتْ (١)

وبين وفاة الفرزدق و وفاة جرير بضعة اشهر وعدّها بعضهم ستة .

أما

ديوان طبع في القاهرة في جزئين اكثره في الهجاء والمدح ، و « نقائض جرير
والفرزدق » طبعت في مجلدين كبيرين بليدين ، و « نقائض جرير والاختل » نشرها
الاب صالحاني اليسوعي في بيروت . وهو من اصحاب الملحيات ، ومطلع ملحمتيه :
حَيِّ الْعُدَاةَ بِرَأْمَةٍ الْأَطْلَالَ ، رَسْمًا ، تَحْمَلُ أَهْلَهُ ، فَأَحَالًا (٢)

ميرته

كان جرير والفرزدق والاختل يتنازعون امارة الشعر في عصر الامويين ،
ولكل واحد منهم ميزة رفعتهم الى الدرج الاعلى فتبوا من دولة الادب سدة عالية .
ولكن لا بد لنا ان ننصف جريراً فنقول : انه كان اطعمهم شعراً ، واخصبهم
مادة ، وابعدهم من تكلف . فكانك به وهو يهاجي اربعين شاعراً ونيقاً (٣) ،
يركان مشتعل لا تحمد ناره ولا يهود حميمه . فتراه يتنقل من شاعر الى شاعر غير
عالي ولا حافل ، يدعو الشعر فيجيبه ، ويهيب بالمعاني فتترامى على اسلة (٤) لسانه ،
فيتصرف فيها كيف شاء .

(١) النفاس : الولادة . أَبَلَّتْ : شفيت . (٢) رامة : ماء لقيس على اثنتي عشرة
مرحلة من البصرة آخر بلاد بني تميم . الاطلال جمع الطلل : ما شخص من الآثار . الرسم :
ما ليس له شخص ، ورسماً بدل من الاطلال . أحال : انت عليه احوال اي سنون وتحول
من حال الى حال . وقوله : تحمّل اهله : اي رحلوا . وروي : رسماً تقادم عهده : اي
قدم اللقاء به . (٣) النيف : من الواحد الى الثلاثة ولا يستعمل الا بعد المقود . (٤) أسلة
لسانه : طرفه .

ألا وان الشاعر الذي تتألب عليه جمهرة من الشعراء تنهشه نهشاً ، وهو لا يبالي ، ولا يعجز ان يرد عليهم جميعاً ، فيسلمهم واحداً بعد واحد ، دون ان تنضب قريحته او يحف معينها ، ان هذا الشاعر لكما قال فيه مالك بن الاخطل : « يعرف من بحر . » فجوهر كان ينظم الشعر بطبعه لا يحككه كالاخطل ، ولا يدحرج الفاظه كالفرزدق ، فغلبت عليه السهولة . والشاعر المطبوع لا يأنس بالتكلف وانما يرخي العنان لقوافيه فتنتطلق إرسالاً .

وأوتي جرير من الرقة والمهلهلة ما جعل لشعره علوقاً في الحافظة اكثر من شعر صاحبيه ، فسارت قصائده كل مسير في يوادي العرب وامصارها .

ورقة جرير فضلته على الاخطل والفرزدق بالغزل والرتاء ، ولو لم يكن همه مقارنة الشعراء الذين يهاجونه لما ترك باباً من الشعر الا فتحه . ولكنهم « هروه فوجدوه عند المهراش ناجماً ، » فشغلوه عن كثير من فنون الشعر : كالوصف والقصص . ولم ينظم في الغزل الا ما كان يوطى به قصائد المدح والهجاء . على ان ما نظمه كافر للدلالة على مهارته في هذا الفن ، وتمكنه من التأثير في النفس . فغزله اللطيف يختلف عن غزل الفرزدق الجافي ، وعن غزل الاخطل الذي هو اقرب الى الاسلوب الجاهلي منه الى الاسلوب الاسلامي .

ونحن في درسنا شعر جرير سنحلل او لا خاصته في الهجاء وما يتبعها من فخر ، وهي اظهر خاصة فيه ، ثم نتناول مدحه فغزله فرثائه .

هجاؤه

قد يُخيل اليك ، وانت تقرأ ما كتبناه عن تعفف جرير وتدينه ، ان جريراً في هجائه اظهر لساناً من الفرزدق او اقل فحشاً واقداءً ، في حين ان الفرزدق على تعهره يكاد لا يجاريه في حومة الخنى . وربما كان هجو جرير افحش وافجر من هجو الفرزدق ، ونقول : ربما لاننا نزعهم ذلك في شيء من الاحتياط .

ولا تعجب لجرير ان يقذع في كلامه ويفحش على ما عرفت من تحرجه وصدق اسلامه ، فالرواة يحدوثوننا بان الناس في ذلك العهد لم يكونوا يتأثمون من رواية

الشعر او نظمه ، وان خبثت الفاظه . ولا بن سيرين خبر يؤيد هذا القول ، تجده في طبقات الشعراء لابن سلام ؛ وفي العمدة لابن رشيقي . ويؤيد ذلك ايضاً ما نعلم من ان طائفة من نقاض جرير والفرزدق مدح بها الخلفاء ، وسموها دون ان يتخرجوا من مماءها على ما فيها من هجر في القول ، وتزويق الاعراض . فهجو جرير بؤرة فجور وفساد كهجو الفرزدق ، ولكن اسلوبه يختلف عن اسلوب صاحبه . فقد عرفت ان ابا فراس يأتي خصمه من عل فيرفع نفسه الى الذروة العليا ، ويحط مهجوه في الخفيض . واما ابو حذرة فانه يتبع مثالب عدوه واحدة واحدة ، فيعلمها ، ويبالغ في تقييحها ، واذا اعياه وجودها لم يعيه الاختلاق ، فهو اقدر الشعراء على اصطناع العيوب في خصومه ، فتراه ينشر عنهم اخباراً مخزية لا مصدر لها الا قريحته الجهنمية .

هجو الفرزدق

واذا اراد جرير ان يهجو الفرزدق لقبه بابن القين^(١) وبنو مجاشع جميعاً قيون على زعمه ، ولا يغفل عن ذكر الكبر والعلاة^(٢) والقُدوم وهن للقين عدة لا يستغنى عنها . ويعبره قُفْجَة أم جده صعصعة لانها بنت أمة ، ويعيبه ويعيب قومه بالخزيرة^(٣) وذلك ان ركباً من مجاشع مروا برجل من تغلب فسألهم ان يستولوا ؛ فحمل اليهم خزيرة فجملوا يأكلون وهي تسيل على لحاهم ، وهم على رواحلهم . ويشهر جمعاً اخته راوياً عنها خبراً شائناً . ويندد بيني مجاشع زاعماً انهم خانوا الزُبَيْر بن العوام حين فزع اليهم يوم الجمل فقتل^(٤) . وقلما تخلو له قصيدة في الفرزدق مسن ذكر القيون وجمعاً والزُبَيْر :

(١) القين : الحداد وكل صانع . كان لصعصعة جد الفرزدق قيون فلذلك جعل جرير مجاشعاً قيوناً ، وكانت العرب لا تعد اصحاب الصناعات من كرام الناس لان العربي الانوف يكسب رزقه من غزواته وما عنده من مال ونعم . (٢) العلاة : السندان . (٣) الخزيرة والخزير : دقيق يذرع على لبن او ماء فيطبخ ثم يؤكل بتحر . (٤) الزُبَيْر بن العوام : من الصحابة وأمه صفية بنت عبد المطلب وقد ذكرنا خبر مقتله يوم الجمل ، وكان قد قاتل ساعة ثم هرب فانبعه عمر بن جرهموز بن الذبَال حتى ادركه في مكان يقال له وادي السباع فقتله واخذ سيفه وخاقه وترسه وذلك سنة ٣٦ هجرية وعمره ٦٧ سنة .

تَقُولُ نَوَارُ : « فَضَحَتِ الْقِيُونَ ، فَلَيْتَ الْفَرَزْدَقَ لَمْ يُوَلِّدِ ا » (١)
 خَرَقَ لِحْدِكَ أَكْيَاسَهُ ، وَأَصْلِحَ مَتَاعَكَ لَا تُفْسِدِ (٢)
 وَأَذِنَ الْعَلَاةَ ، وَأَذِنَ الْقُدُومَ ، وَوَسَّعَ لِكَبْرِكَ فِي الْمَقْعَدِ (٣)
 حَرَنْتُ أَلْبَيْثَ إِلَى ذِي الصَّلِيبِ ، مَعَ الْقَيْنِ فِي الْعَمَاسِ الْمُحْصَدِ (٤)

أَلَا قَبْحَ الْإِلَهِ بَنِي عِقَالِ ! وَزَادَهُمْ بِغَدْرِهِمْ أَرْتِيَابَا (٥)
 أَجِيرَانِ الزُّبَيْرِ بَرِثُ مِنْكُمْ ، فَأَلْقُوا السَّيْفَ وَأَتَّخِذُوا الْعِيَابَا (٦)
 لَقَدْ غَرَّ الْقِيُونَ دَمًا كَرِيمًا ، وَرَحَلًا ضَاعَ ، فَأَنْتَهَبَ أَنْتَهَابَا (٧)
 وَقَدْ قَعَسَتْ ظُهُورُهُمْ بِحَيْلِ ، تُجَاذِبُهُمْ أَعْنَتَهَا جِدَابَا (٨)
 عَلَامَ تَقَاعُسُونَ ، وَقَدْ دَعَاكُمْ ، أَهَانَكُمْ أَلَّذِي وَضَعَ الْكِتَابَا ! (٩)
 تَعَسُّوا مِنْ خَزِيرِهِمْ فَتَأْمُوا ، وَلَمْ تَهْجِعْ قَرَانَتَهُ أَنْتَحَابَا (١٠)

وجرير كثير الافتخار بدينه ، شديد التعصب له ، لا يحترم غير الاسلام .
 وكان له من صداقة الفرزدق والاخلط وسيلة لانهام الفرزدق بالنصرانية وتعييره
 الكفر ، فيقول :

لَقَدْ لِحِقَ الْفَرَزْدَقُ بِالنَّصَارَى ، لِيَنْصُرَهُمْ ، وَلَيْسَ بِهِ أَنْتِصَارُ

(١) نوار : زوجة الفرزدق وكان جرير يدافع عنها بعد ان شككت اليه الفرزدق وتروجه
 حذراء عليها . (٢) المتاع : الادوات التي ينتفع بها . (٣) القدوم : آلة للنجر والنحت .
 والقين في الغسة يطلق على الحداد والنجار وكل صانع . (٤) ذي الصليب : الاخلط .
 المحصد : المشدود القتل . (٥) عقال : جد صمصمة ، وصمصمة جد الفرزدق . ارتيابا :
 قلقا وازعاجا . (٦) العياب : جمع العيبة وهو ما يوضع فيه الثياب . يقول : انتم نساء
 فاتركوا السيف واتخذوا العياب بدلا منه فاما اجدر بكم . (٧) غر : خدع . دما كريما :
 أي دم الزبير . ورحلا : اي رحل الزبير الذي انتهب بعد مقتله . (٨) قمس : خرج
 صدره ودخل ظهره وهو ضد الحدب . يقول : يريدون الاضرام والتأخر والحيل تريد
 التقدم وهي تجاذبهم اعنتها فذلك قمس ظهورهم . (٩) تقاعسون : تتأخرون . دعاكم :
 اي الزبير دعاكم لنصرته . ثم يدعوا عليهم بقوله : اهانكم الله الذي اتزل القرآن . (١٠)
 هجج : تركه . قرانته : ازواجه اي ازواج الزبير .

وَيَسْجُدُ لِلصَّليبِ مَعَ النَّصَارَى ، وَأَفْلَحَ سَهْمَنَا ، وَآثَا الْخِيَارِ ^(١)
 او يتهمه بالنصرانية واليهودية معاً فيقول :

خَرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ غَيْرَ عَفٍ ، وَقَامَ عَلَيْكَ بِالْحَرَمِ الشُّهُودُ ^(٢)
 تُجِبُكَ يَوْمَ عِيدِهِمُ النَّصَارَى ، وَيَوْمَ السَّبْتِ شِيعَتِكَ الْيَهُودُ ، ^(٣)
 فَإِنْ تُرْجِمَ ، فَقَدْ وَجِبَتْ حُدُودُ ، وَحَلَّ عَلَيْكَ مَا أَقَيْتَ ثُمُودُ ^(٤)

ولا يفتأ يتتبع زلاته لينسدد به ويعيره اياها ، فاذا نبا سيفه شهّره واستهزأ منه ، وقد مر بك شيء من ذلك في بحث الفرزدق . واذا طرد من مكان لفجوره او لحبث لسانه ، اخذه بالصيحة من ورائه وراح ينعته باقبح النعوت ، ويلذعه باحر الشتائم . فمن ذلك قوله فيه بعد ان طرد من المدينة :

إِذَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَأَرْجُمُوهُ ، وَلَا تُدْنُوهُ مِنْ جَدَثِ الرَّسُولِ ^(٥)
 وقوله يعيره الفجور واخراجه من المدينة :

لَقَدْ وَادَّتْ أُمَّ الْفَرَزْدَقِ فَاجِرًا ، فَجَاءَتْ بِوَزْوَارٍ قَصِيرٍ الْقَوَائِمِ ^(٦)
 يُورِقِي إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَامِ ، وَإِرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَامِ ^(٧)
 آتَيْتَ حُدُودَ اللَّهِ مَذْنُوتٌ يَا فِعْ ، وَسَبَّتَ ، فَمَا يَنْهَاكَ شَيْبُ الْلَهَازِمِ ^(٨)

(١) افلح سهمنا : فاز . وبرى : افلح سهمنا : فيكون المعنى افلح الله سهمنا اي افازه . خيار الشيء : افضله . يقول : ولنا خيار الاديان او خيار المواقب لان الله افاز نصيبنا وأعطانا الاسلام ديناً . (٢) يشير الى طرده من المدينة . (٣) يقول : ان النصراني تحب الفرزدق لانه يشاركهم في اعيادهم ، وهو ايضاً يشابع اليهود ويسببهم . (٤) الحدود : جمع الحد وهو عند الفقهاء عقوبة مقدرة تجب حقاؤه سميت به لانها تمنع من المساودة . يقول : فان ترجم بالحجارة فقد وجبت عليك حدود الله . ثمود : قبيلة من العرب ومنهم قردار عاقر ناقة صالح وقد اهلكوا بالرجفة اي بالزلزال . وفي ذلك تقول الآية : « فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ » . يقول : ان امر الله اصبح حالاً عليه أي واجباً كما حل على ثمود . (٥) الحدث : القبر . (٦) الفاجر : الفاسق . الوزوار : الطيأش الخفيف . قصير القوائم : اي قصير الرجلين ، جنّ : اظلم . بالسلام : أي بالحبال . (٨) البافع : الغلام اذا تاهز بالبلوغ . يقول : وجب عليك الحد وانت غلام يافع . الهازم : جمع الهازمة وهي عظم ناني في الأحيي تحت الاذن وهما لهُزْمَتَانِ واران شيب الهازم : شيب شعر الوجه . يقول : سبت ولم ينهك الشيب فترند عن غوايتك .

هُوَ الرَّجْسُ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَأَحْذَرُوا مَدَاخِلَ رَجْسٍ ، بِأَخْبِيثَاتِ عَالِمٍ (١)
 لَقَدْ كَانَ إِخْرَاجُ الْفَرَزْدَقِ عَنْكُمْ ، طَهُورًا لِمَا بَيْنَ الْمُصَلَّى وَرَاقِمٍ (٢)
 تَدَلَّيْتُ تَرْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً ، وَقَصَّرْتُ عَنْ بَاعِ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ (٣)

و كثيراً ما يشبه الفرزدق بالقرود ، ثم يذكر فجوره وما يسترك وراءه من عار اذا
 حلّ بدار قوم ، كقوله :

وَ هَلْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ غَيْرَ قِرْدٍ ، أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ ، فَاسْتَدَارَا !
 وَ كُنْتُ إِذَا حَلَلْتُ بِدَارِ قَوْمٍ ، طَعَنْتَ بِخِزْيَةٍ ، وَتَرَكْتَ عَارًا (٤)

هجو الاخطل

و اذا انهرى جرير لهجاء الاخطل تناول تغلب بالخرزيات حتى يصل بهم الى ربيعة
 ابن زار ، فما يدع يوماً عليهم الا عيّرهم اياه ، و كثيراً ما يعيّرهم مقتل كليب وائل ،
 وينقّر عليهم بني بكر ، او يذكر لهم الايام التي قهرتهم فيها قيس عيلان ، ثم ينقّر
 عليهم قيس عيلان ، ويدافع عنها ناقضاً ما قال الاخطل في هجائها .

واشد ما يُعنى به جرير في هجو الاخطل و قبيلته تعيّرهم النصرانية و الافتخار
 عليهم باسلامه ، فهم الحثانيس ، وهم الاذلاء الذين يؤدون الجزية ، ويشربون
 الخمر ، و يأكلون لحم الخنزير . و يعين احياناً في ذكر الصليب و القديسين و القسيسين
 مُعْرِضاً و مصرحاً . و اكثر ما يدعو الاخطل بصيغة التصغير ، او يلقبه بدوبل او
 بندي الصليب . فمن ذلك قوله وهو اهون ما يقول له :

وَ أَقْدَ وَسَمْتُ مُجَاشِعًا ، وَتَغْلِبَ ، عِنْدِي مُحَاضِرَةٌ ، وَطُولِ مِتَانٍ (٥)

(١) الرجس : القدر . (٢) المصلّى : موضع الصلاة . راقم و رقم : موضع
 في المدينة . بقول : ان المدينة طهرت باخراج الفرزدق منها . (٣) الباع : قدر مدّ اليدين .
 و يعبر عن الباع بالشرف و المجد و الفضل . و قوله : باع العلا : استمارة . يقال : رجل طويل
 الباع : اي واسع الخلق كريم ، و رجل قصير الباع : اي ضيق الخلق لثيم . يشير هنا الى
 قول الفرزدق : «ها دلثاني من ثمانين قامة» . (٤) طعنت : سرت . (٥) و سمت : كويت
 أي كويت بالهجاء . المحاضرة : المجازاة . المتان و المانّة : المعارضة في جدل او خصومة .

عَمْدًا جَدَعْتُ أَنْوْفَ تَغْلِبَ، بَعْدَ مَا
 إِنَّ الْقَصَائِدَ يَا أُخَيْطِلُ فَأَعْتَرِفُ،
 وَعَلَّقْتُ فِي قَرْنِ الثَّلَاثَةِ رَابِعًا،
 إِنَّ الْفَوَارِسَ مِنْ رَبِيعَةَ كَأَنَّهُمْ،
 وَالْتغْلِييُ مُغَلَّبٌ، قَعَدْتُ بِهِ
 بَكْرٌ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا مَقْتَعًا،
 قَتَلُوا كَلْبِيكُمْ بِبَلْفَحَةٍ جَارِهِمْ،
 وَالْتغْلِييُ عَلَى الْجَوَادِ غَنِيمَةٌ،
 يَا ذَا الْعَبَاوَةِ، إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى
 فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا،

ومنها :

وَأَلَذَّابِجِينَ إِذَا تَقَارَبَ فِضْحُهُمْ شُهْبَ الْجُلُودِ، خَسِيَسَةَ الْأَثْمَانِ،^(١٠)

(١) المواسم : جمع المَيْسَم وهو اللآلة التي يوسم بها . آنف : جمع أنف . الاقيان : جمع القين . (٢) القصائد : أي قصائد الهجاء . مجرة الارسان : أي مخلّاة الطريق لا تجبس عنك . (٣) القرن : الحبل . الثلاثة : الفرزدق والبعيث وعمر بن لُجَأ . البكار : جمع البكرة وهي الجماعة من الابل . لُزْزَن : سُدَدَن . الاقران : الجبال . (٤) المَدَى : النفاية . الضحيان : أي عامر الضحيان وهو رجل من النمر بن قاسط كان يقعد لفومه في الضحاء يقضي بينهم . (٥) يقول : التغلبي مغلوب ابدأ لقاتسه ، وممته قاعدة به عن السعي الى الغلاء ، وهو لذلك مستعبد في كل مكان . (٦) مقنمًا : أي عدلاً بين الناس يقنع الناس بحكومتهم . الحقيقة : ما تجب على الانسان حمايته . (٧) لفحة جارهم : أي ناقصة البسوس خالة جساس ، وكانت نازلة في بني شيبان ، راجع حرب البسوس في اخبار المهلهل . الخُزْر : جمع الأخرز والخرزاء . وهو من خزر ت عينه اذا كسرت بصرها اوصارت ضيقة وصغيرة . الهجنان : جمع الهجين وهو الكرم . (٨) بشرًا : أي بشر بن مروان وكان على الكوفة من قبل اخيه عبد الملك . النشوان : السكران . يشير الى حكم الاخطل عليه للفرزدق . (٩) بنو شيبان : قوم جساس بن مرة قاتل كليب بن فرم على التغلبيين ويجعل الحكومة فيهم . (١٠) الشهب : جمع الاشهب والشهباء ، وهو ما كان ابيض اللون يتخلله سواد . وقوله : شهب الجلود : أي الخنازير

- تَنْفِى مَلَانِكَةُ الْإِلَهِ قُبُورَنَا ، وَأَنْفَلِي جِنَاةَ الشَّيْطَانِ (١)
يُعْطَى كِتَابَ حِسَابِهِ بِشِمَالِهِ ، وَكِتَابُنَا بِأَكْفَانِ الْإِيمَانِ (٢)
وَإِذَا وَزَنْتَ بِجَدِّ قَيْسٍ تَغْلِيًا ، رَجَعُوا عَلَيْكَ ، وَسُلْتَ فِي الْيَمِينِ (٣)
عَرَفُوا الْكِتَابَ ، وَصَدَّقُوا بِمُحَمَّدٍ ، وَرَضِيْتُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، (٤)
وَطَلْتَ سَنَابِكُ خَيْلِ قَيْسٍ مِنْكُمْ قَتْلِي ، يُقْبَحُ رُوحَهَا الْمَلَكَانِ (٥)
فَتَرَكْتُمْ جَزَرَ السَّبَاعِ ، وَفَلَكُمْ يَتَسَاقَطُونَ تَسَاقُطَ الْحَمَّانِ (٦)
يَا عَبْدَ تَغْلِبَ مَا تَرَالُ مُغْلَبًا ، فَأَخْسَأُ بِدَارِ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ (٧)

ولا تخلو قصيدة لجرير في الاخطل من الطعن على ديانته ، والدفاع عن قيس
ميلان وتغيرهم على تغلب .

فخره

وجرير شديد الافتخار ببني تميم ، يباهي بهم الشعراء ، ويعدد ايامهم مزهواً

- (١) تنفى : تأتي وتزور . الجنادة : الميت . يقول : لا ينفى جنازة التغلبي الا الشياطين .
(٢) الأيمان : جمع اليمين . يقول : اذا مات التغلبي ووقف للحساب امام الله اعطى كتابه
بيده الشمال لانه ذاهب الى النار . والعرب تتشاءم من كل ما يأتي عن الشمال . ثم قال : ونحن
نعطى كتاب حسابنا بيميننا لاننا ذاهبون الى الجنة . والعرب تتفاءل بكل ما يأتي عن اليمين .
(٣) قيس : اي قيس عيلان . سُلت : اي ارتفعت لطفة بجهد تغلب . (٤) الكتاب :
أي القرآن . (٥) السنايك : جمع السُنَيْكُ وهو طرف الحافر . يقول : ان ارواحهم
اذا رفعت الى السماء ، فمرقتها الملائكة قبجوحهم . والمثنى في قوله : الملكان : يراد به
الجمع . وقوله : يُقْبَحُ رُوحَهَا : اي يبعدها عن الخير . (٦) جزر السباع : فريسة
الوحوش . فَأَكَم : منهزمومك . الحمنان : ضرب من القردان مثل حبة الغنم تكثر
في الابل في الصيف اذا كانت ترعى بلداً وخيمياً . والقردان : جمع القرداد وهو دويبة تتعلق
بالبعير ونحوه كالقمل في الانسان . شبه بني تغلب في الذل والغذارة بصغار القردان عندما
تلقى عن الابل فتساقط الى الارض . (٧) فاحسأ : اي فابعد واترجر ، وهو من خسيء
الكلب : اذا بعد واترجر .

بفأخزهم . وما أكثر ما لتيم من المفأخر، وهي من أكرم القبائل وأكثرها حصى .
 وإذا هاجى الفرزدق ، وهو مثله من تيم ، افتخر عليه بقومه بني كليب بن يربوع ،
 وذكر أيامهم ، وعيَّره الأيام التي خذلت فيها بنو دارم ، والأيام التي خذلت فيها بنو
 ضبة أخواله . ولكنه يقصر عنه فما يستطيع ان يجاريه في هذا الميدان .

على اننا اذا اردنا ان نتبين الحاصة التي يمتاز بها جرير في الفخر، فاننا نجد لها في
 استخفافه بالشعراء المتألمين عليه فترة يد اسماء هم مباحياً بقهره اياهم . وهو لا يهجو
 شاعراً الا نعى اليه نفسه، وجعله مغلباً مشدوداً في جبل واحد مع سائر الشعراء
 الذين هاجاهم . مثال ذلك قوله للاخطل :

وَعَلَّثَ فِي قَرْنِ الثَّلَاثَةِ رَابِعاً ، مِثْلَ الْبَكَارِ لُرُزْنِ فِي الْأَقْرَانِ

او قوله :

أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ مِمَّا نَاقِمًا ، فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ^(١)

مَلَأْتُ وَضَعْتُ عَلَيَّ الْفَرَزْدَقِ مَيْسِي ، وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ^(٢)

وإذا فخر جرير الشعراء احتكم الى قريش لتقضي بينه وبين هؤلاء الخصوم ،
 فيقول :

فَإِنَّ قُرَيْشَ الْحَقَّ لَنْ تَتَّبِعَ الْهَوَى ، وَكَنْ يَرْتَهَبُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِهِمْ^(٣)

فَإِنِّي لَرَأْسُ عَبْدِ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ ، وَرَأْسُ بِيحْكُمِ الصَّيْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ^(٤)

وربما احتكم الى شيمان ثم الى بكر واثقاً بهم بعد ان نفرهم على تغلب .
 ولعل ابلغ قصيدة تظهر لنا ميزة جرير في الفخر تلك التي هجا بها عبيدا الراعي
 فأخزاه . وهي لا تقتصر على خاصة الفخر، بل تشمل على شيء من خصائص
 شاعرنا في الهجاء وغير الهجاء، وحسبك منها تلك السهولة والهلولة، او قل :

(١) سم ناقع : اي بالغ ثابت . (٢) الميسم : آلة الكي والمراد القوافي . ضعا اليه :
 استخذى وتذلل ، والسنور ونحوه : صاح . (٣) قريش الحق : اي التي شأخا قول الحق .
 يقسول : لا تتبع قريش ميل النفس بل تتبع الحق ، ولا يتخشون في طاعة الله لومة لانهم .
 (٤) عبد شمس : ابو أمية . الصييد : جمع الاصيد وهو الرجل الذي يرفع رأسه كبراً ، والمملك .

تلك الرنة المطرسة التي امتاز بها شعر جرير ، فساغته النفوس ، فسهل حفظه ، فسار كل سير .

وكان جرير يسمي هذه القصيدة الدامغة ^(١) لانها دمغت خصمه ، وقضت عليه قضاء سريعا . واليك منها هذه الايات :

أعدَّ اللهُ للشَّعراءِ مِنِّي صواعقَ ، يَخْضَعُونَ لَهَا الرِّقابَا
 قرئتُ العبدَ عبدَ بني نُمَيْرٍ ، معَ القَيْنينِ ، إذْ عُليَا وَخابَا ^(٢)
 أنا البازي المَطْلُ على نُمَيْرٍ ، أتبيحُ منَ السَّماءِ لها أنصِيبَا
 ترى الطيرَ العتاقَ تَظَلُّ مِنهُ ، جوارِحَ للكلاكلِ أنْ تُصَابَا ^(٣)
 فلا صليَ إلا لهُ على نُمَيْرٍ ، ولا سُقيتُ فُبورُهُمُ السَّحابَا
 وكوُ وُرئتُ حلومُ بني نُمَيْرٍ ، على العيزانِ ، ما وُرئتُ ذُبابَا ^(٤)
 ألم تَرني صَبَّتُ على عَيْدِهِ ، وقد فارتُ أباجلُهُ ، وسابَا ^(٥)
 فَعَضَ الطَّرْفَ إنكَ مِن نُمَيْرٍ ، فلا كعبًا بَلَّقتُ ، ولا كلابَا ^(٦)
 إذا غَضِبْتَ عَلَيكَ بَنُو تَيْمِيمٍ ، حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

واعتقد ان هذه الايات لا تحتاج الى تحليل فان ميزة الشاعر فيها واضحة تمام
 الوضوح من استخفاف بالشعراء ، الى الحكم عليهم بالذل والقهر ، وشدهم بقرن

(١) الدامغة : السجنة التي تبلغ الدماغ فتقتل لوقتها . (٢) عبد بني نُمَيْرٍ : الراعي . القينين :
 البعيت المجاشعي والفرزدق . (٣) الطير العتاق : الجوارح . جوارح : موائل . للكلاكل :
 للصدور . أن تصابا : أي يخافه ان تصابا . يقول : تظل الجوارح لاصقة بالارض يخافته .
 شبه نفسه في اتقاضه على الشعراء بالبازي المتقض على الجوارح وهي تلصق بالارض خوفاً منه .
 (٤) حلوم : عقول . (٥) صبيت : اي انصبت لازم متعد . فارت : تعقدت وورمت .
 الاباجل : جمع الأجل وهو عرق غليظ في اليد او في الرجل . يقول : تعقدت عروق يديسه
 ورجليه فما يستطيع حراكاً ، وشاب من الخوف . (٦) هذا البيت اخزى جرير نُمَيْراً لانه
 فضل عليهم كعباً وكلاباً ، وم ثلاثة ابطن من عامر بن صعصعة من قيس . واشدُّ الهجاء
 ايلاًماً عند العرب ان تفضّل قوماً على قوم وخصوصاً اذا كانوا اخوة ، او ابناء اعمام فكأنك
 تخرج المفضول من قومه وتكر عليه حسبهم ونسبهم .

واحد. ولكنني الفت نظرك الى ما في تكرار كلمة غير من تحقير وامتهان ، واوصيك
خيراً بالبيت الاخير ، فانه من فرائد ابيات الغضو .

عده

علمنا ان عبد الملك بن مروان كان لا يأذن لشعراء مضر لانهم زبيريون ، وعلما
ايضاً ان جريراً لم يتصل ببني أمية الا بشفاعسة الحجاج ، فهو اذن لم يكن بجاهل
سخط الأمويين عليه وعلى قومه . وهذا السخط لم يقتصر على عبد الملك بل تعداه
الى خلفائه من بعده ، ولولا ذلك لما رأينا جريراً يلح في الاعتذار عن قومه كلما انشأ
يمدح امراء أمية ، ولا يحجم عن التعريض بعبد الله بن الزبير واخيه مصعب ،
وانكار حق عبد الله بالخلافة . مع انك تراه في هجو الفرزدق والاخلط
يؤيد قيس عيلان ويدافع عنها ؛ وقيس عيلان كانت في حروبها تناصر ابنا الزبير .
فيتبين لنا من ذلك ان جرير خطتين متباينتين : احدهما ترمي الى الدفاع عن القيسية
وتنفيها على اعدائها ، والرد على الشعراء الذين يهجونها ، ويطعنون في اعراسها ، فهو من
هذا النحو شاعر ذو عصبية مضرية لا يستطيع الا اظهارها . والاخرى ترمي الى
التكسب والانتفاع ، وما من سبيل اليهما الا في الاتصال بالأمويين والتعلق لهم ،
اذ لم يكن للشعراء منهل اغزر من منهلهم ، ولا ماء اعذب من ماثهم . وخصوصاً
بعد ان انهارت خلافة ابن الزبير واصبح شعراء مضر لا يربحون نجمة الا في بني أمية .
وحسبك ان تقرأ شيئاً من مدح جرير لهم لتعلم اسلوبه في استرضائهم ،
والاعتذار اليهم . وسترى ان مدحه لهم ديني اكثر مما هو دنيوي حتى ليكاد
يشغلهم بالآخرة عن الاولى . والعاطفة الدينية شديدة الظهور في شعر جرير . قال
في هشام بن عبد الملك :

إِنَّ الرُّصَافَةَ مَتَرٌ لِحَلِيقَةٍ ، جَمَعَ المَكَارِمَ ، وَالْعَزَائِمَ ، وَأَثْنَى
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَاكُمْ حُسْنَ الصَّنَاعِ ، وَالِدَسَائِعِ ، وَالْعُلَى (١)

(١) الصنائع : جمع الصنعة وهي الاحسان . الدسائع : جمع الدسيعة وهي العطية الجزيلة .

لَا تَجْفُونَ بَنِي تَيْمٍ ، إِنَّهُمْ تَابُوا النَّصُوحَ ، وَرَاجِعُوا حَسَنَ الْهُدَى ^(١)
وقال في عبد الملك :

أَوْلَا الْحَلِيقَةَ وَالْقُرْآنَ يِقْرَاهُ ، مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ ، وَلَا جَمْعٌ ^(٢) ،
أَنْتَ الْأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ ، لَا سَرْفٌ فِيهَا وَوَلِيَّتٌ ، وَلَا هَيَّابَةٌ وَرِعٌ ^(٣) ،
أَنْتَ الْمُبَارَكُ ، يَهْدِي اللَّهُ شَيْعَتَهُ ، إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ ^(٤) ،
فَإِنْ عَفَوْتَ فَضَلَّتْ النَّاسَ عَافِيَةٌ ، وَإِنْ وَقَعْتَ ، فَمَا وَقَعُ كَمَا تَقَعُ ^(٥) ،
مَا كَانَ دُونَكَ مِنْ مَقْضَى إِيحَاجَتِنَا ، وَلَا وَرَاءَكَ لِلْحَاجَاتِ مُطَّلَعٌ ^(٦) .

وقال يدح ايوب بن سليمان بن عبد الملك ، ويعرض بعبد الله ومصعب ابني الزبير :
لَمَّا رَأَيْتُ قُرُومَ الْمَلِكِ سَامِيَةً ، طَاحَ الْخَيْبَانُ ، وَالْمَكْذُوبُ مَكْذُوبٌ ^(٧) ،
كَانَتْ لَهُمْ شَيْعٌ ، طَارَتْ بِهَا فَتْنٌ ، كَمَا تُطِيرُ فِي الرِّيحِ الْيَعَاسِبُ ^(٨) .

غزله

وقد يعجبك ان تسمع هذا الشاعر يتعفف بغزله ، بعد ما سمعته يهتك الاعراض بهجوه . فجزير على شدة فحشه في الهجاء لا ينطق في نسيه الا باطهر من ماء القلم . وهو اول غزل طرد الحبيب الزائر ليلاً خوفاً من الريبة ، فقال :

(١) تابوا النصوح : اي التوبة النصوح وهي التوبة الصادقة . (٢) الجُمع : جمع الجمعة وهي اليوم السادس من الاسبوع . يقول : لولا الخليفة ولولا القرآن الذي يقرأه ويقم احكامه لما كانت هناك احكام ولا قامت صلاة الجمعة في الناس . (٣) السرف : الغافل المخطئ . وليت : ملكت من الامر . هَيَّابَةٌ : كثير الخوف . الورع : الجبان والصغير الضعيف لا غناء عنده . (٤) الاهواء : الميول . الشيع : الاحزاب . وعجز البيت تعريض بالاحزاب المناوئة للامويين . (٥) عافية : خاتمة وعاقبة . وقعت : بالغت في تقبيل الاعداء . يقال : وقع بالعدو وقعاً ووقمةً : بالغ في قتلهم . يقول : اذا عفوت فقت الناس جميعاً في خاتمة هذا العفو وعاقبته لانك تتختمه بالاحسان على من تعفو عنه ، وان وقعت ببدوك فلا وقع مثل وقعتك . (٦) دونك : امامك . مقضى : مكان القضاء . مطلع : ماتى . (٧) القُرُوم : جمع القرم وهو الفحل والمظلم . طاح : هلك وناله في الارض . الخيبيان : عبد الله ومصعب ابنا الزبير . (٨) اليعاسيب جمع اليعسوب : طائر اصفر من الجراد اذا هبت عليه الريح قذفته فما يقر له قرار . يقول : انتشرت فتن آل الزبير كما تنتشر اليعاسيب اذا طيرتها الريح .

طَرَقْتِكَ صَائِدَةُ أَقْلُوبٍ ، وَآيَسَ ذَا وَقْتِ الزَّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ ! (١)

وهو في غزله رقيق العاطفة لطيف المعاني ، ابن الالفاظ ، يخلط الفن القديم بالجديد ، فيجيد كل الاجادة ، حتى لتحسبه احد اولئك المتيمين الذين نشأوا في البادية واشتهروا بغزلهم العفيف . على حين انه لم يكن في عداد المتيمين ، ولكنه أوتي من الرقة وبراعة الفن ما جعل شعره ميرة في الغزل فاق بها صاحبيه .

وإنا ، وان قلنا ان جويراً لم يكن في عداد المتيمين ، لنأبي ان نحاري بعض الرواة في زعمهم انه لم يعشق . فمثل هذا الغزل الناعم ، لا يصح صدوره الا عن قلب متأثر ملتاع . وسنجد في رثائه لامراته انه كان يهواها ويتألم لفراقها . أجل إن صاحبنا لم يهجم على وجهه كجميل بثينة وقيس بن ذريح ، ولم يتهتك كابن ابي ربيعة والعرجي . ولكنه احب حباً صادقاً ، وتغزل غزلاً صادقاً لا تكلف فيه . فأحجب به متغزلاً حين يقول :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَّوْا بِبَلِّكَ ، غَادَرُوا وَشَلَّا بِبَعِينِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا ، (٢)

غَيْضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ ، وَقُلْنَ لِي : « مَاذَا لَقِيتَ مِنْ أَهْوَى وَأَقِينَا ؟ » (٣)

فهل رأيت ما في عجز البيت الثاني من لوعة لم تستطع صاحبته الافصاح عنها ، فاكتفت باستفهام حائر ملؤه بأس وتحسر وتأنيب : « ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟ »
واسمعه يقول :

يَا أُمَّ عَمْرٍو جَزَاكَ اللهُ مَغْفِرَةً ! رُدِّي عَلَيَّ فُوَادِي مِثْلَمَا كَانَا

يُلْقَى غَوِيكُمْ مِنْ غَيْرِ عُسْرَتِكُمْ ، بِالْبَدْلِ بُخْلًا ، وَبِالْإِحْسَانِ حِرْمَانًا (٤)

(١) طرقتك : زارتك ليلاً . وقوله : وليس ذا وقت : اي وليس ذا الوقت وقت

الزيارة . (٢) غدوا بلبك : اي ذهبوا بعقلك يوم رحيلهم . غادروا : تركوا . وشلا : ماء

والمراد به الدمع . مييناً : جارياً . وقوله : غدوا ، بصيغة المذكر : أي اهل الحبيبة ذهبوا

بها فذهبوا بعقله معها . (٣) غيظن : حبسن . عبراتهن : دموعهن . وقوله : غيظن :

انتقال الى الحبيبة بعد الكلام على اهلها ، وصيغة الجمع هنا يراد بها المفرد . (٤) الغرم :

الدائن والمراد المحب الموعود المخطول . العسرة : ضد اليسر . الحرمان : الفقر وفقدان

الشيء . يقول : وعدتم محبكم باللقاء فاصبح هذا الوعد دينا له عليكم ، وانتم غير معسرين

أَقْدُ كَتَمْتُ أَلْهَوَى حَتَّى تَهَيَّئَنِي ،
لَا بَارِكُ اللَّهُ فِي أَلْدُنْيَا ، إِذَا أَنْقَطَعَتْ
يَا أُمَّ عُمَّانَ إِنَّ أَلْحُبَّ عَنْ عَرْضِ ،
كَيْفَ أَلْتَّلَاقِي ، وَلَا بَالِقَيْظٍ مَحْضَرُكُمْ
إِنَّ أَلْعُيُونَ أَلَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ ،
يَضْرَعُنْ ذَا أَللَّبِ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ ،
يَا حَبْدَا جَبَلِ أَلرِّيَانِ مِنْ جَبَلِ ،
وَحَبْدَا نَفْحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَّةِ ،
لَا أَسْتَطِيعُ لَهُذَا أَلْحُبِّ كَشْمَانَا (١)
أَسْبَابُ دُنْيَاكَ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَانَا (٢)
يُضِي أَلْحَلِيمُ ، وَيُبْكِي أَلْعَيْنَ أَحْيَانَا (٣)
مِنَّا قَرِيبًا ، وَلَا مَبْدَاكَ مَبْدَانَا (٤)
قَتَلْنَا ، ثُمَّ لَا يُحِينُ قَتْلَانَا ، (٥)
وَهُنَّ أَضَعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا (٦)
وَحَبْدَا سَاكِنِ أَلرِّيَانِ مِنْ سَاكِنَا (٧)
تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ أَلرِّيَانِ أَحْيَانًا ! (٨)

فيمثل هذا الشعر الرقيق يتغزل جرير فتذوب عاطفته على ابياته ، فما تجد فيه لفظاً نافراً ولا معنى جافياً ، وتلقى العفة محدقة به من كل جانب . ويريسك الشاعر في ذاته صورة جديدة لطيفة ، تحجب عنك تلك الصورة الرهيبة التي طبعها هجاؤه في نفسك ، وتحسب انك امام بدوي رقيق الشعور عفيف النفس ، لا امام اعرابي فاجر يهتك الحرمات وينهش الاعراض .

أي لا يصعب عليكم وفاءه ، ولا يمتعكم شيء من ذلك . ولكن هذا الترم لا يلقي منكم ، مع قدرتكم على وفاء دينه ، الا ببدل البذل بخلاً وبدل الاحسان حرماناً .

(١) تحبسه الحب : جملة على الهمام وهو من الحب كالجنون . (٢) اسباب : حبال والمراد بها الصلة بين المحبين . (٣) عن عرض : عن غير قصد . بصي : يشوق ويدعو الى جهة الفتوة . الحليم : العاقل . وقوله : يا أم عثمان بعد قوله يا أم عمرو : كنيتان استعارهما للاسم الحقيقي الذي لم يصرح به ، او ان أم عثمان هي أم عمرو نفسها . (٤) القَيْظ : الحر . محضركم : مكان تزولكم في الحاضرة . مبداك : مكان تزولك في البادية . يقول : كيف لي ان ألقاك وانت تقطنين في الصيف حاضرة بعيدة عن الحاضرة التي أقطن فيها ، وقائنين في الشتاء بادية غير باديتنا . (٥) الطرف : اسم جامع للبصر لا يجمع لان اصله مصدر . الحور : اشتداد سواد العين وبياضها واستدارة حدقتها ورقة جفونها . (٦) اللب : العقل . اركاناً : جوانب . يقول : هذه العيون تصرع الرجل العاقل حتى تتركه لا حراك به فكيف يكون فعلها بالغر الجاهل ، ومن عجب ان يكون لها هذه القوة وهي اضعف خلق الله جوانب ، يريد بذلك ذبولها ونكسر جفونها . (٧) الريان : جبل في بني عامر . (٨) نفحات : اي هبات الريح ودفعاتها . يمانية : نسبة الى اليمن على غير قياس ، والمراد ريح يمانية .

ولا نرى حاجة للإشارة إلى ما في هذه القصيدة من جمال وجدة في الفن الغزلي .
فحسبك ان تنظر إلى عناية الشاعر ببيت شكواه ، وذكر ما يلاقيه من ألم البعد ،
وتلطفه في استرداد فؤاده ، ووصفه قوة العيون وضعفها ، لتعلم ان جريراً كان من
طبقة المجددين في النسيب ، ولولا انصرافه إلى الهجاء لترك لنا من بدائع غزله
شيئاً كثيراً .

ادهر اعظم مشاعر عربي بعد المتنبي
رأوه وهو بعد قبل الفرزدق ولا مثل

وجرير في رثائه مثله في غزله ، يذوب رقة وعاطفة . واذا كان الميت من اهله
رأيت على شعره مسحة من الكآبة والحزن تترك في نفسك اثرأً باليغاً ، فيخيل
إليك ان القوافي تُسعد الشاعر على بكائه .

وهو يرى المرأة بغير العين التي يراها بها الفرزدق ، فما يحسبها أهون فقيد على
الرجل ، ولا يأنف من التولهُ على زوجته بعد موتها . وقد تحدثه نفسه بزيارة قبرها
فيمسكه الحياء ، ولا تعجب لحياثه ، فالبكاء على قبور النساء غير مألوف عندهم ،
فيرتد عن قصده وهو يقول :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي أَسْتَبَارُ ، وَكَرُرْتُ قَبْرَكَ ، وَالْحَيْبُ يُزَارُ (١)
وَلَهَتْ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ ، وَذَوُّو التَّائِمِ مِنْ بَيْنِكِ صَغَارُ (٢)
فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِبُرْقَةِ ضَا حِكْ ، هَزَمُ أَحْشُ ، وَدَيْمَةٌ مِدْرَارُ (٣)
وَأَقْدَأْرَاكِ كَيْسِيَتْ أَحْمَلُ مَنْظَرُ ، وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةٌ وَوَقَارُ ،
صَلَى الْمَلَانِكَةُ الَّذِينَ تُحْجِرُوا ، وَالطَّيْبُونَ عَلَيْكَ ، وَالْأَبْرَارُ

(١) عادي : انتابني ثانياً . استعمار : بكاء وحزن . (٢) ولهت : احزنت . التائم :
جمع التسمية وهي خرزة تعلق في عنق الصبي دفعاً للعين والاختطار . يقول : احزنت قلبي
بموتك لانني اصبحت كبيراً في السن وبنوك الذين تركتهم لا يبرحون اطفالاً يلبسون التائم .
(٣) الصدى : جثمان الميت وعظامه . الحدث : القبر . البرقة : مكان في بوادي العرب اختلط
ترابه بججارة او حصي ، وبرقة ضاحك : موضع بالهامة لبني عدي . هزم : غيث راعد
متبعق لا يستمسك . احش : اي أبح الصوت . الديمة : المطرة الدائمة . المדרار : الكثيرة
السيلان .

لَا يَأْتُ الْقُرْنَاءَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، لَيْلٌ يَكْرُ عَلَيْهِمْ ، وَنَهَارٌ (١)

ولا تنفل عما في هذه الايات من نفحة دينية، ورنة موسيقية عُرف بهما شعر جرير .

مترنه

هو احد الثلاثة المقدمين في الاسلام . ذكره ابن سلام بعد الفرزدق وقبل
 الاخطل . وسئل عنه الاخطل فقال : « دعوه ، اخواه الله ! فانه كان بلاء على من
 صب عليه . » وقال مالك ابن الاخطل : « جرير يعرف من بحر . » وقال الفرزدق :
 « انا واياه لنتعرف من بحر واحد ، وتضطرب دلاؤه عند طول النهر . » وقال بعضهم :
 « بيوت الشعر اربعة : فخر ، ومديح ، ونسيب ، وهجاء ، وفي كلها غلب جرير .
 في الفخر قوله : « اذا غضبت عليك بنو تميم ، » وفي المدح قوله : « الستم خير من
 ركب المطايا ، وفي الهجاء . قوله : « ففض الطرف انك من نُمير ، » وفي النسيب
 قوله : « ان العيون التي في طرفها حور . » قال ابن سلام : « والى هذا يذهب اهل
 البداية . » وسأل عكرمة بن جرير اباه عن نفسه : « دعني فاني نخرت الشعر
 نحرأ . » وحدث ابن سلام عن يونس : « ان الفرزدق كان يتصور (٢) ويجزع اذا
 انشد لجرير ، وكان جرير اصبرهما . » وسئل نصيب الشاعر عن اشعر الناس فقال :
 « اخو بني تميم ، » يعني جريراً . وكان ابو عمرو يشبه جريراً بالاعشى . وقال الاخطل
 للفرزدق : « انك واياي لاشعر من جرير ولكنه اوتي من سير الشعر ما لم نوته . »
 وسمع راعي الابل انساناً يتغنى بشعر جرير فقال : « لعنة الله على من يلومني ان
 يغلبني مثل هذا . » وحكم بين الثلاثة مروان بن ابي حفصة (٣) فقال :

ذَهَبَ الْفَرَزْدَقُ بِالْفَخَارِ ، وَإِنَّمَا حُلُوُ الْكَلَامِ وَرُمُهُ لَجَرِيرٍ
 وَقَدْ هَجَا فَأَمْضَ أَخْطَلُ تَغْلِبِ ، وَحَوَى إِلَهِي بِمَدِيحِهِ الْمَشْهُورِ (٤)

فقد حكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجاء ، وبجميع فنون الشعر .

(١) لا يأت : لا يؤخر . القرناء : جمع القرين وهو الزوج . يقول : ان كرور الليل
 والنهار لا يبطن بان يجعل الأزواج يفرقون . (٢) تصور : تلوى من وجع الضرب او الجوع .
 (٣) مروان بن ابي حفصة : من شعراء العصر العباسي الاول . (٤) الأبي : جمع الأبوقة
 وهي افضل المطايا .

الجريز . وقال بعضهم : « كان جريز ميدان الشعر من لم يجز فيه لم يرو شيئا ،
 وكان من هاجي جريزاً فغلبه جريز ارجح عندهم من هاجي شاعراً آخر فغلب . »
 وهجا بشأ جريزاً وكان حدثاً فاستصغره جريز فلم يجبه ، فقال بشأ : « لم اهجه
 لاغلبه ولكن ليحيني فاكون من طبقته ، ولو هجاني لكنت اشعر الناس . »

فمن كلام بشأ نعلم كيف كان الشعراء يتحرشون بجريز طمعاً في الشهرة لا طمعاً
 في التغلب عليه ، ولا سيما ان مغلب جريز ارجح عندهم من مغلب سواه . وفي حكم
 ابن ابي حفصة ما يؤيد زعمنا من ان جريزاً اقدرهم على التصرف في جميع فنون
 الشعر . وهو بشهادة الاخطل اسيرهم شعراً . ونرى ان تشبيهه بالاعشى يتناول
 سيرورة شعره من ناحية ، ثم رفته وطبعه من ناحية اخرى . ولا ينبغي ان ننسى ان
 كلا الشعارين هجاً مدحاً ، وان كليهما من اليامة ، ولعل السهولة والانسجام من
 خصائص الشعر اليامي . فان في نعومة لغة جريز ووضوح معانيه وسلاسة قوافيه
 ما يذكرنا بالشاعر الجاهلي ، بالاعشى الكبير . ولكن رقة جريز قد تنحدر به الى
 اللين في بعض قصائده الطويلة فتضطرب قوافيه ويسف شعره . وهذا ما نستطيع
 ان نفسر به قول الفرزدق : « وتضطرب دلاؤه عند طول النهر . » على ان ذلك
 لا يضير شاعريته وله من بدائع الشعر ما يرفعه الى اعلى ذروة في الادب .
 ويمكننا ان نعزو هذا الاضطراب او اللين الى الاكثار من النظم ، فقد كان
 مضطراً اليه ليرد على خصومه . وهذا وان رقة الشعر نفسها لا تخلو احساناً من
 لين واسفاف .

وبعد ، فان الشاعر الذي يهاجي اربعين شاعراً ونيفاً ، ويرمي بهم واحداً
 واحداً ، ولا ينكص عن مقارعة قورين كالاخطل والفرزدق تضافرا عليه وهما
 لا يقلان شاعرية عنه ، ان هذا الشاعر لأخصب الشعراء قريحة ، واقدرهم على
 الاختراع ، والتلاعب بالمعاني ، وابعدهم من تكلف . وهو وان يكن قصر عن
 الاخطل في المدح والوصف ، وعن الفرزدق في الفخر ، فقد كاد يبذهما في الهجاء ،
 وفاقهما بالغرل والرثاء ، وانه لا جمعهم لابواب الشعر بلا مراا .

النثر الاسلامي

القرآن

- تروله وكتابه : تزل منجماً سوراً وآيات في مدة ٢٣ سنة . منها ١٣ سنة في مكة و ١٠ سنوات في المدينة . كتبه الصحابة في سعف النخل ورقاع الجلود والعظام والحجارة المسطحة . حروب الردة . مقتل حفظة القرآن . امر ابو بكر بجمعه وحفظه عنده . ثم حفظ عند عمر . ثم عند حفصة . اختلافهم على قراءته في عهد عثمان . كتابته واحراق النسخ الباقية .
- اقسامه : السور المكية عددها ٩٣ . السور المدنية عددها ٢٢ . رتب باعتبار الطول والقصر . الاسورة الفاتحة مع قصرها في صدر الكتاب . المكية غالباً أقصر من المدنية . قسمته ٣٠ جزءاً .
- اغراضه : يخاطب في السور المكية شعباً غير مؤمن فيدعوه الى عبادة الله ويبين له فساد عبادة الاصنام . ويخاطب في السور المدنية جماعة مؤمنة تجمل طرق عبادتها ونظامها . فيعلمها ويسن لها الشرائع : تعرضه لليهود والمنافقين . قلعة تعرضه للنصارى .
- انشاؤه : مثال أعلى للبلاغة . يرافقه اغراضه في الشدة واللين . رفته : مقاطعه القصيرة ومقاطعته الطويلة . سجمه وموازنته .
- تأثيره : هذب اللغة . وحد لهجاتها . نشرها . تأثيره في الشعر والنثر . لاجله وضع علم النحو وعلم المعاني ، وجمعت اشعار العرب . دفاعه عن العربية في غارات النثر والانتراك . وحفظه فصاحتها مع انتشار اللهجات العامية .

تروله وكتابه

القرآن كتاب الوحي الذي أنزل على النبي محمد . وكان تروله حسب مقتضى الحال ، منجماً^(١) سوراً ، سوراً ؛ وآيات آيات . وقد ظل يتزل عليه ثلاثاً وعشرين

(١) منجماً : مقسماً يتزل نحوماً اي وقتاً بعد وقت .

سنة ، منها نحو ثلاث عشرة سنة في مكة ، وعشر سنوات في المدينة . وأول ما أوحى الى النبي في غار حراء : « إقرأ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . إقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »^(١) . وآخر ما أوحى اليه : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . »

وكان كلما نزل شيء منه تلاه النبي على من حضر من صحابته فيحفظه بعضهم ، ويكتبه البعض الآخر في سَعَفِ النَّخْلِ او في رِقَاعِ مِنَ الْجُلُودِ ، او في عِظَامِ مَسْطُوحَةٍ ، او حِجَارَةٍ رَقِيقَةٍ .

ولما مات النبي واستعرت الحرب بين المسلمين والمرتدين ، قُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ حَفَظَةِ الْقُرْآنِ ، فَخَافَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْهِ مِنَ الضِّيَاعِ ، فَأَشَارَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِجَمْعِ الرِقَاعِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَكِتَابَةِ مَا حُفِظَ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ ، وَلَمْ يُكْتَبْ فِي الرِقَاعِ . فَعَاهَدَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَحَدِ كُتَبَةِ الْوَحْيِ ، فَجَمَعَ الْآيَاتِ الْمَكْتُوبَةَ ، وَكَتَبَ الْآيَاتِ الْمَحْفُوظَةَ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ ، وَسَلَمَهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فحفظها في بيته . فلما توفي حفظت في بيت عمر ، فلما توفي حفظت في بيت حفصة زوج النبي و بنت عمر . وفي خلافة عثمان انتشر حفظ القرآن في حواضر البلاد المفتوحة ، وعند بعضهم نسخ رتبها كل واحد على هواه . فاختلّفوا في قراءة بعض آياته ، فبلغ ذلك عثمان ، فتلافى الأمر وجاء بالرقاع المحفوظة عند حفصة ، وعهد الى زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بنسخها في الصحف ، وقال لهم : « إذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش ، فانما انزل بلسانهم . » ففعلوا ذلك ، وكتبوا اربعة مصاحف ، ارسلها عثمان الى مكة والبصرة والكوفة والشام ، واثنين ابقاهما في المدينة : واحدا لاهلها وواحدا

(١) « العَلَقُ » : جمع العَلَقَة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ . « وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ » : الذي لا يوازيه كرم ، حال من ضمير اقرأ . « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ » : اي علم الحظ بالقلم . « عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » : اي قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها .

لنفسه . ثم امر باحراق ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف ، فأحرقت جميعا
 الا بعض نسخ ذكر منها صاحبُ الفهرست مصحف عليّ ، ومصحف عبد الله
 ابن مسعود ، ومصحف أبي بن كعب ، وكان لكل واحد منها ترتيب خاص في
 سورة . اما القرآن اليوم فنسخة عن مصحف عثمان المعروف بالإمام .

اقسامه

يُقسم القرآن فصولا تُعرف بالسُور ، والسُور مقاطع تعرف بالآيات ، وفيها
 الناسخ والمنسوخ ^(١) . وتسمى السور باعتبار نزولها مكّيّة وعددها ثلاث وتسعون
 سورة ؛ ومدنيّة وعددها اثنتان وعشرون . والمكّيّة غالباً اقصر من المدنيّة . وقد
 رتبها جامعو الكتاب باعتبار الطول والقصر ، فالسُور الطوال في اوله ، والقصار في
 آخره ؛ إلا سورة الفاتحة فانها مع قصرها في صدر الكتاب .
 ويقسم المسلمون القرآن ثلاثين جزءا يقرأون منه قسما في كل حفلة ، او صلاة .

اغراضه

يخاطب القرآن في سورة المكّيّة شعباً غير مؤمن ، فيدعوه الى ترك عبادة
 الاصنام ، وان يعبد الله وحده ، ويؤمن بالرسول وبالكتاب المنزل . فيظهر له
 عظيمة الخالق ، ويحثه على التأمل بعجيبة خلق الانسان وسائر المخلوقات ؛ كالشمس
 والقمر والنجوم والرياح والليل والنهار . ويرشده ان في الآخرة لثواباً ، وان في
 الآخرة لعقاباً ؛ فيقص عليه اخبار الانبياء والمرسلين واخبار شعوبهم ، وكيف كان
 جزاء المؤمنين وكيف كان عقاب الكافرين .

وهو في انشاء ذلك يتناول صنابير قريش فيفسه آراءهم ، ويردّ على الذين
 يجادلون النبيّ او يستهزئون منه فيهددهم ، ويحقر اصنامهم ، ويبين لهم انها لا تجدي
 عابدها نفعاً ، ولا تضر من يكفر بها . ويفيض في وصف الجنة ، وما أعدّ فيها الذين آمنوا

(١) (الناسخ : ان يرد دليل شرعي متراخياً عن دليل شرعي مقتضياً خلاف حكمه ،
 فالدليل الشرعي المتأخر يسمى ناسخاً والمقدم يسمى منسوخاً .

من نعم خالد ؛ ويفيض في وصف النار ، وما أعدَّ فيها للذين كفروا من عذاب خالد . فترى في وصف الجنة ارفع تأميل ، وترى في وصف النار ارفع تهويل .

ويخاطب في سورة المدنية جماعة مسلمة تؤمن بالله ورسوله ، وبكتابه المنزل . ولكنها تجهل شرائعها وطرق عبادتها ، فيعلمها ما لم تعلم ، ويفرض عليها الصوم والزكاة والحج ، ويبين لها ما حرم عليها وما أحلَّ لها . ويسنُّ نظم الزواج والطلاق والميراث ، وحجاب المرأة ، والجهاد في سبيل الله ورسوله .

وكان في المدينة يهود يجاهدون النبي ويؤلبون عليه ، ويغرون ضعيفي الايمان بالارتداد عن الاسلام ، فتعرض القرآن ، وذكَّروهم ما انعم الله على آبائهم بني اسرائيل ، وتوعدهم لتكذيبهم بالرسول ، ودعاهم الى تصديق دعوته .

وكان فيها منافقون يبطنون الكفر ويظهرون الايمان ، وكانوا يسيديعون الاخبار عن حروب المسلمين فيتأذى النبي ، وتضعف قلوب المؤمنين ؛ فتنالهم القرآن وندد بهم وهددهم .

واذا رأى في المسلمين تقهقراً ، او ضعفاً ، او شقاقاً دعاهم الى الالفه ، وانبهم على الانهزام ، وحصَّهم على القتال ، وذكَّروهم ان الموت في الجهاد مغفرة ورحمة . ولم يكن في الحجاز نصارى يقاومون الدعوة ، فلم يتعرض لهم القرآن كثيراً ، وهو في كلامه عليهم ارفع بهم منه باليهود .

والقرآن في السور المدنية كما في السور المكية يرد ذكر الانبياء واخبارهم ، وما انزل اليهم . ويدعو الناس الى الايمان ؛ واصفاً لهم الجنة والحجيم ، مظهرراً قدرة الله في مخلوقاته .

اثناؤه

القرآن مثال اعلى للبلاغة ، سواء في ايجازه ، او في قوة تعبيره ، او في ائتلاف الفاظه وانسجام كلماتها . ويمتاز برقته وسهولته ، وبعده من الغريب المستهجن . لمقاطعته رنة لذينة ، ظنها الاعراب في اول امرهم شعراً ، حتى نزلت الآية : « وَمَا

عَلَّمَنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ . « وقد يوازن القرآن ويسجع ، ولكنه لا يتكلف السجع ولا الموازنة .

وانشاء القرآن يرافق اغراضه في الشدة واللين . فهو في المواقف العاطفية ، مواقف الوعد والوعيد ، قصير الآيات ، فيه لفظ مكرر لزيادة التهويل ، او لزيادة التقرير ؛ كثير السجع ، قوي الرنة عند المقاطع . واغلب ما يكون ذلك في السور المكية ، ولا سيما السور القصار كسورة القارعة :

« الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَذْرِيكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ . فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَذْرِيكَ مَا هِيَةٌ . نَارٌ حَامِيَةٌ . (١) »

وهو في غير المواقف العاطفية طويل الآيات ، قليل السجع ؛ خفيف الرنة عند المقاطع . واغلب ما يكون ذلك في السور المدنية ؛ ولا سيما آيات الاستراع ، وما كان منها في غير الغزوات ، وفي غير الوعد والوعيد . كقوله يشرع الصوم في سورة البقرة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ

(١) « القارعة » : اي القيامة التي تفرع القلوب بأهوالها . « ما القارعة » : تحويل لشأخا وهما مبتدأ وخبر ، خبر القارعة . « وما اذريك » : أعطك . « ما القارعة » زيادة تحويل لها ، وما الاولى مبتدأ ، وما بعدها خبره . وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري . « يوم » : ناصبه دل عليه القارعة اي تفرع . « يكون الناس كالفراش المبثوث » : كفوغاء الجراد المنتثر يوج بعضهم في بعض للحيرة الى ان يدعوا للحساب . « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » : كالصوف المنذوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الارض . « فاما من ثقلت موازينه » : بأن رجحت حسناته على سيئاته . « فهو في عيشة راضية » : في الجنة ، اي ذات رضى بان يرضاها أي مرضية له . « واما من خفت موازينه » : بان رجحت سيئاته على حسناته . « فأمة » : فسكنه . « هاوية وما اذريك ما هية » اي ما هاوية هي . « نار حامية » : شديدة الحرارة . وهاء هية للسكت تثبت وصلاً ووقفاً . (تفسير الجلالين)

فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ^(١) . وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ^(٢) فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا^(٣) فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ^(٤) إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

تأثيره

للقرآن فضل عظيم على اللغة العربية فهو الذي هذب عبارتها ، ووحده لهجاتها ونشرها شرقاً وغرباً بانتشار الدين الاسلامي .

وسحر الناس ببيانه فحفظوه . واثروا فيهم اسلوبه ، فرقت ألفاظهم ، ولطفت معانيهم . وظهر هذا التأثير في الشعر والنثر معاً ولا سيما الانشاء الخطابي .

ومن فضله على اللغة ان علم النحور وضع خدمة له واشفاقاً من اللحن في قراءته ، وان علم المعاني وضع توصلاً لمعرفة اسراره ، وان اشعار العرب في الجاهلية وصدر الاسلام جمعت ليستعان بها على تفسير آياته .

ولولا القرآن لتلاشت العربية بغارات التتر والاتراك ، بعد ان اذيل من سلطان بني العباس . ولكنه وقف في وجه الفاتحين والمكتسحين ، يدافع عن لغته الفصحى ، فلم يجوزوا ان يتعرضوا لها بسوء . بعد ان اسلموا ، فظلت لغة الدين والدواوين والمراسلات . ولم يؤثر فيها انتشار اللهجات العامية ، وطُمَئِنَانِيَةِ الاعاجم . فاللغة ، كما ترى ، مدينة بأدائها وحياتها للقرآن .

(١) « فعدة من ايام أخر » : أي فعلية عادة من ايام أخر يصومها بدلاً من الايام التي انظر فيها . (٢) « وعلى الذين يطيقونه » : اي الذين لا يطيقونه لكبر او مرض لا يرجى برؤه . (٣) « فمن تطوع خيراً » اي بالزيادة على القدر المذكور في الفدية . (٤) « وان تصوموا خيراً لكم » : اي خيراً لكم من الافطار والفدية . (تفسير الجلالين)

الخطابة

- اسباب ازدهارها : انقلاب ديني وسياسي . حروب ، وفتوح ، وخروج ، واحزاب .
 الخطب الدينية . الخطب العسكرية . الخطب السياسية . الحاجة الى
 الخطباء . اختيار الولاة منهم .
- عادتهم في الخطابة : وقوفهم . بماذا يشيرون . وعلى ماذا يعتمدون . اول منبر . الوليد
 اول من خطب جالسا . ماذا يعيرون في الخطيب وماذا يمدحون .
- ميزة الخطابة : طلاوة اسلوب . جمل قصيرة . الفاظ مختارة . الخطب الطوال والقصار .
 استهلالها بالحمدلة . اعتمادها على الآيات . كثرة عدد الخطباء .

اسباب ازدهارها

لم تزهو الخطابة العربية في عصر من العصور مثل ازدهارها في صدر
 الاسلام . فقد كانت العوامل متوافرة لشيوع هذا الفن وتقدمه . فن فصاحة فطرية
 في العربي ، الى براعة التصرف في ضروب الكلام . ومن انقلاب ديني عظيم ،
 الى انقلاب سياسي عظيم . ومن حروب وفتوح ، الى خروج وعصيان واحزاب .
 فقد جاء الاسلام ، وهو دين اجتماعي ، فكانت الخطب الدينية تلقى في
 الجوامع . ثم استعرت حروب الفتح والحروب الداخلية ، وانقسمت الجماعة احزاباً
 من اجل الخلافة ، فكانت الخطب العسكرية تُضرم بها الحماسة في صدور
 الرجال ؛ وكانت الخطب السياسية يلقيها الزعماء على احزابهم لتشد ازهم ، او يردوا
 بها على خصومهم لبدحضوا اقوالهم ، او يخاطبوا بها بلداً عاصياً ليدعوه الى الطاعة .
 فلا عجب اذاً ان يكون للخطابة شأن عظيم في ذلك العهد وهي تعتمد على الدين
 من ناحية ، وعلى السياسة من ناحية اخرى . ولا عجب ايضاً ان تكون الحاجة الى
 الخطيب اشد منها الى الشاعر ، فيعني الحلفاء باختيار ولاتهم ممن عرفوا بالفصاحة
 ومضاء اللسان . لان الخطيب المصنوع يستطيع ان يستفيض في غرضه منطلقاً من
 القيود ، فيتوصل الى غايته من اقناع الجمهور اكثر مما يستطيع الشاعر المكبل بالوزن
 والقافية .

عادتهم في الخطابة

كان العربي اذا وقف خطيباً قام على نَشْرٍ^(١) من الارض او على ظهر دابة ، واخذ بيده مِخْصَرَةً^(٢) يشير بها ، او اعتمد على سيف او قوس او قناة .
وَصُنِعَ للنبي اول منبر في مسجد ، صنعه قيم الداري وكان قد رأى منابر الكنائس في الشام .

وروي ان الوايد بن عبد الملك اول من جلس خطيباً في الناس واقتدى به بعض الخلفاء والعلماء ، ولكن عادة الوقوف ظلت اكثر شيوعاً واتباعاً .
وكان العرب اذا خطبوا يشيرون برفع اليد ووضعها على غير اكثار ، ولا يباليغون في الاهتزاز .

وكانوا يعيرون في الخطيب التشديق^(٣) ، والتعوير^(٤) ، والتفهيق^(٥) ، والتزييد في جهازة الصوت ، وهذل الشفاه^(٦) ، والهذر ، والتكلف ، والاسهاب ، والاكثار ، والتوعر لانه يُسَلَمُ الى التعقيد ، والتعقيد يستهلك المعاني ويشين الالفاظ . ويكرهون اللحن ، والتردد ، واضطراب اللسان ، وفساد مخارج الحروف ، والتنضح ، والسعال ، ومسح اللحية ، وكل حركة يستعان بها على البيان .

وكانوا يسدحون شدة العارضة^(٧) ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ، وكثرة الريق ، والعلو عن الحُصْمِ . ويجبون الطلاقة ، والتجوير^(٨) ، والبلاغة ، والتخلص ، والرشاقة .

مِزَّةُ الخطابة

تمتاز الخطابة في صدر الاسلام بطلاوة اسلوبها وقصر جملها ، وتخيير الفاظها ، والخطب على ضربين : منها الطوال التي كثر فيها الاطناب ، ومنها القصار التي

(١) النَشْرُ : المكان المرتفع . (٢) المِخْصَرَةُ : كالسوط ، وما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها ، وما يأخذ الخطيب ليشير به اذا خطب . (٣) التشديق : اخراج الكلام من الشدق . (٤) التعوير : اخراج الكلام من قعر الفم . (٥) التفهيق : التنطع والتوسع في الكلام كأن الخطيب ملاه به فمه . (٦) هذل الشفاه : ارخاؤها الى اسفل . (٧) المارضة : البيان واللسن والقدرة على الكلام . (٨) التجوير : تحسين الكلام .

غلب عليها الإيجاز مع بساوغ القصد . وقصارها أكثر شيوعاً من طولها ، وكانت تبدأ بالحمدلة ^(١) ، وكثيراً ما تعتمد على الآيات ، لما للقرآن من التأثير في نفوس المسلمين ؛ وربما جاءت الخطبة برمتها مجموعة آيات كخطبة مُصعب بن الزبير لما قدم العراق داعياً أهله إلى مبايعة أخيه عبد الله .

و كثير عدد الخطباء في هذا العصر لكثرة الحاجة إليهم . وكان النبي خطيباً ، والخلفاء الراشدون جميعاً خطباء . وأخطبهم الإمام علي ^(٢) . واشتهر الخوارج بجزالة الفاظهم ، وبلاغة منطقتهم ، ومنهم قطري بن النجاعة وله خطبة بليغة في ذم الدنيا . وضرب المشل بفصاحة سحبان وائل ، ولكن لم يصل إلينا من آثاره إلا شيء قليل ، وكان يطيل الخطبة حتى يسيل عرقاً ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ من غرضه .

ونكتفي بدرس خطيبين شهيرين ، يمثلان ميزة الخطابة في عصرهما أحسن تمثيل إلا وهما زياد ابن أبيه والحجاج .

زياد ابن أبيه

٦٧٢ م و ٥٣ هـ (؟)

- حياته : لم يُعرف أبوه . أمه سُمَيَّة مولاة الحرث بن كلدة . خطبته في حضر عمر . ادعاء أبي سفيان أياه . ولايته على فارس . ولايته على البصرة . ولايته على الكوفة . موته .
- آثاره : خطب سياسية وإدارية أشهرها البتراء .
- ميزته : الخطبة البتراء . جلاء ، وبلاغة وإيجاز ووضوح وحسن تنسيق . واعظ في القسم الأول . قاض ومشترع في القسم الثاني . عادل تزيه في القسم الثالث . سياسي داهية يث الدعوة للامويين في القسم الأخير . مترنم : عبقرى في فصاحته وحزمه ودهائه . قول ابن العاص : ساق العرب بعصاه .

(١) الحمدلة : حمد الله . (٢) أرجأنا درس الإمام علي إلى كتاب آخر نخص به حكماء العرب .

هو زياد ابن أبيه ، وزياد ابن سُمَيَّة ، وزياد بن ابي سُفيان ، وزياد بن عُبيد (١) لانه لم يكن له اب شرعي يعرف به . ولد بالطائف في السنة الثامنة للهجرة ، وقيل في السنة الاولى . وأمه سُمَيَّة مولاة للطبيب الحرث بن كَلْدَةَ الثَّقَفِي .

وظهرت النجابة على زياد منذ حداثة فعرف بالفصاحة والدهاء ، والحزم والشدة . ولما نشأ استكتبه ابو موسى الأشعري ، وهو على البصرة من قبل عمر ، فأعجب به الناس . ثم عهد اليه عمر بمهمة فأحسن القيام بها ، ولما عاد خطب في حضرة عمر ، وعند المهاجرون والانصار ، فدهشوا لفصاحته وقال عمرو بن العاص ، وكان حاضراً : « لله در هذا الغلام ! لو كان ابوه قرشياً لساق العرب بعصاه ! » فقال ابو سفيان : « اني اعرف اياه ، » فقال عمر : « من هو ؟ » قال : « انا هو » وبهذا القول تمسك معاوية حين استلحق زياداً بابيه .

ولادته على فارس

ولما استخلف علي استعمل زياداً على فارس فأخذ ثورتها وضبطها وحمى قلاعها فساء ذلك معاوية فكتب الى زياد يتوعده ويعرض بولادة ابي سفيان اياه . فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس خطيباً وقال : « العجب كل العجب من ابن آكلة الاكباد ، ورأس التفاق ! يخونني بقصده اياي ، وبينني وبينه ابن عم رسول الله في المهاجرين والانصار . ولو أذن لي في لقائه ، لو جديني أحمر (٢) محشياً ضرباً بالسيف . » وبلغ ذلك علياً فكتب اليه : « اني وأيتك ما وأيتك وانا اراك له اهلاً . وقد كان من ابي سُفيان فلتة من امانى الباطل ، و كذب النفس ، لا توجب له ميواتاً ، ولا يُجبل له نسباً . وإن معاوية يأتي الانسان من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله . فاحذر ثم احذر والسلام ! »

ولادته على البصرة

فلما قُتل علي صالح معاوية زياداً ، واستلحقه بنسبه ليستميله ويستصفي مودته .

(١) عُبيد : غلام رومي للحرث بن كَلْدَةَ قيل انه تزوج سُمَيَّة أم زياد (٢) الاحمر : الموت الشديد

ثم ولاة البصرة واعمالها : خراسان وسجستان . ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .
فقدم زياد البصرة والمعارضة مستفحلة ، والفسوق عن الدين متفشٍ فيها . فخطب
في الناس خطبته البتراء ^(١) وجدد في اقامة الشرائع التي قررها . فكان اول من
شدد امر السلطان ، واخذ بالظنّة ، وعاقب على الشبهة حتى هابه الناس ، واذعن
المعارضون ، وساد الامن فكان الشيء يسقط من يد المرأة او الرجل فما تمّد اليه يد
حتى يعود صاحبه فيجده في مكانه فيأخذه . واصبح الناس لا يعلقون ابوابهم
اطمئناناً . وقيل انه اول من سيّر بين يديه بالحراب والعمد .

ولادته على الكوفة

ولما مات المغيرة بن شعبة امير الكوفة استعمل معاوية زياداً عليها فكان اول
من جمع له العراقان ، فكان يقيم في البصرة ستة اشهر وفي الكوفة مثلها .
ولما دخل الكوفة وخطب في الناس ، حصوه ، فأمسك حتى فرغوا . ثم اسرّ
الى اصحابه ان يسكروا الابواب ، واخذ كرسياً وجلس على باب المسجد ، وقبض
على من وقعت الشبهة عليهم وقطع ايديهم .

موته

أصيب زياد بالطاعون فقضى على حياته . وزعموا ان السبب في ذلك انه كتب
الى معاوية : « اني قد ضبطت العراق بشامي ، ويميني فارغة فاشغلها بالحجاز . » فكتب
له عهده على الحجاز ، فانف اهل الحجاز من ذلك ، فاجتمع نفر منهم ودعوا عليه ،
وكان من دعائهم : « اللهم اكفنا شر زياد . » فخرجت طاعونة في اصبع يمينه .
فلما حضرته الوفاة دعا شريحاً القاضي وقال : « أمرتُ بقطعها فأشر عليّ ؟ » فقال
شريح : « اني اخشى ان يكون الاجل قد دنا فتلقى الله أجذم ^(١) وقد قطعت
يدك كراهة لقائه . او ان يكون في الاجل تأخير فتعيش اجذم ويعيرُ وُلدك . »
فقال : « لا ابيت والطاعون في خلف واحد . » واراد قطعها ، فلما رأى النار

(١) الخطبة البتراء : التي لم يذكر فيها الحمدلة والتصلية أي ان تستهل بحمد الله والصلاة

على النبي . (٢) الاجذم : المقطوع اليد .

والمكاوي جزع وعدل . وقيل : بل أتبع رأي شريح .

فلما بلغ موته عبدالله بن عمر بن الخطاب قال : « اذهب ابن ميمية الا الآخرة ادركت ، ولا الدنيا بقيت عليك . »

ورثاه مسكين الدارمي ، فرداً عليه الفرزدق هاجياً ، وكان يومئذ طريد زياد ، ولكنه لم يحسر ان يهجوّه في حياته لشدة سطوته وطول يده .

وظلّ ابنا زياد يعدون من قريش حتى استخلف المهدي العباسي فردهم على عبيد .

أما

خطب عديدة سياسية وادارية ، متفرقة في كتب الادب ، اشهرها الخطبة البترا .

ميرته - الخطبة البترا

يبدأ زياد خطبته بذكر ما يأتي اهل البصرة من المنكرات في عصيانهم الله فيعدد لهم مساوئهم ، ويؤنبهم على فسوقهم فيقول :

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْجَهْلَاءَ الْجَهْلَاءَ ^(١) ، وَالضَّلَالَةَ الْعَمِيَاءَ ، وَالْفِي ^(٢)

الْمُوفِي ^(٣) بِأَهْلِهِ عَلَى النَّارِ ؛ مَا فِيهِ سَفَهَاؤُكُمْ ^(٤) ، وَيَشْتَمُلُ عَلَيْهِ حُلَمَاؤُكُمْ ^(٥)

مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ ، يَنْبُتُ ^(٦) فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَلَا يَتَخَاشَى عَنْهَا الْكَبِيرُ .

كَأَنَّكُمْ لَمْ تَقْرَأُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ ^(٧)

الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْأَعْدَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ فِي الزَّمَنِ السَّرْمَدِيِّ

الَّذِي لَا يَزُولُ . أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنِيهِ الدُّنْيَا ^(٨) ، وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ

(١) الجهلاء : تأكيد للجهالة ويشق من اسمها كالليلة الليلاء والداهية الدهيا ونحوهما .
(٢) الفي : الاضحاك في الجهل والضلال . (٣) الموفي : المشرف . (٤) سفهاؤكم : جهلاؤكم .
(٥) حلماؤكم : عقلاؤكم . (٦) ينبت : ينمو شبابه . (٧) الثواب : الجزاء . (٨) يقول : طرفت عينيه الدنيا الغرور بزخارفها فما يبصر ما امامه .

الشّهوات ، وأختارَ الفانيةَ على الباقية ؟ ولا تذكرون أنّكم أخذتم في الإسلام الحدّ الذي لم تسبقوا إليه ، من تركيكم الضعيف يفتنه ويؤخذ ماله ! ما هذه المواخير^(١) المنصوبة^(٢) ؟ والضعيفة المنصوبة في التّهار المنبصر ؟ والعدد غير قليل !

ثم يعلن قانوناً جديداً للعقوبات ، فكان فيها اول وال مسلم جاوز الحدود في احكامه :

إِنِّي رَأَيْتُ آخَرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَضَاحُ إِلَّا بِمَا صَاحَ أَوَّلُهُ : لَيْنٌ فِي غَيْرِ ضَافٍ ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ . وَإِنِّي لِأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُخَذَنَّ الْوَلِيُّ^(٣) بِالْمَوْلَى^(٤) ، وَالْمُتَّقِمَ بِالطَّاعِنِ^(٥) وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي ، وَالصَّحِيحَ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ . حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولَ : « أَنْجِ سَعْدُ ، فَقَدْ هَذَاكَ سَعِيدٌ^(٦) » أَوْ تَسْتَقِيمَ قَنَاتِكُمْ^(٧)

إِنَّ كِذْبَةَ الْيَنْبَرِ بَلْقَاهُ^(٨) مَشْهُورَةٌ ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ عَلَيَّ بِكِذْبَةٍ فَقَدْ حَلَّتْ لَكُمْ مَعْصِيَتِي ، فَإِذَا سَعَيْتُمْوهَا مِنِّي فَأَعْتَمِرُوهَا فِيَّ^(٩) ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِنْدِي أَمْثَالَهَا^(١٠) . مَنْ نَقِبَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ^(١١) ، فَأَيَّايَ وَدَلَجَ^(١٢) اللَّيْلِ / فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْلَجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَقَدْ أَجَلْتُكُمْ فِي ذَلِكَ بِمِقْدَارِ مَا يَأْتِي الْحَبْرُ الْكُوفَةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ .

وَأَيَّايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ / فَإِنِّي لَا أُجِدُّ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ

(١) المواخير : بيوت الربة مفردا ماخور . (٢) المنصوبة : المرفوعة . (٣) الولي : السيد . (٤) المولى : العبد . (٥) الطاعن : الراحل . (٦) مثل يضرب في تنازع الشر . (٧) الغناة : عود الرمح . واستقامتها كناية عن الطاعة والانقياد . (٨) البلقاء : موث الابلق وهو الفرس فيه سواد وبياض والمجحل الى الفخذين . والكذبة البلقاء : اي التي لا تحفى كما لا يخفى التحجيل في الفرس . (٩) اغتمزوها في : أي اطعنوا علي جده الكذبة . (١٠) أمثالها : أي كذبات غيرها كثيرة . (١١) من نقب عليه : اي من خرق بيته للسرقة . (١٢) فأيأي ودلج الليل : اي ايأي فاحذروا ، واحذروا دلج الليل اي السير في آخر الليل .

لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحَدَانَا ^(١) لَمْ تَكُنْ ، وَقَدْ أَحَدْتَنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ
عُثُوبَةٌ . فَمَنْ غَرَقَ قَوْمًا غَرَقْنَاهُ . وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْنَاهُ ، وَمَنْ نَقَبَ
بَيْتًا نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ . وَمَنْ نَبَسَ قَبْرًا دَفَنَاهُ حَيًّا فِيهِ . فَكُفُّوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ
وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكْفُفْ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي . وَلَا تَظْهَرُ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيْبَةٌ
بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ عَامِلُكُمْ ^(٢) إِلَّا ضَرَبْتُ عُقُوبَةً .

ثم يظهر لهم انه لا يحمل الحقد لاحد ممن كان بينه وبينهم عداوة ، وانه لا
يبيالي بمغضيه ولا يتناظرهم ، ويدعوهم الى استئناف اعمالهم فيقول :

وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ إِحْنٌ ^(٣) فَجَعَلْتُ ذَلِكَ دُبْرٌ ^(٤) أَذُنِي وَتَحْتِ
قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسِيئًا
فَلْيَتْرَعْ ^(٥) عَنِ إِسَاءَتِهِ .

إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السيل من بغضي ، لم أكشف له
قناعاً ، ولم أهتك له سترًا ، حتى يُبدي لي صفحته ^(٦) ، فإذا فعل ذلك لم
أناظره . فاستأثفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم . فربُّ مُبْتَسِرٍ يَفْذُومُنَا
سَيْسِرٌ ، وَمَسْرُورٍ يَفْذُومُنَا سَيِّئَسِرٌ .

ثم يدعوهم الى طاعة بني أمية ، والاذعان الى سلطان الله الذي اعطاهم فيقول :
أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ ^(٧) ، نَسُوسُكُمْ
أَبْسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَذُودُ ^(٨) عَنْكُمْ بَقِيَّةُ ^(٩) اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا ، فَلَنَّا
عَلَيْكُمْ أَلْسُنُوعُ وَالطَّاعَةُ فِي مَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِي مَا وَلَّيْنَا ^(١٠) .

(١) الاحداث : جمع حدث وهو الامر المنكر الذي ليس متاداً ولا معروفاً في السنة .
(٢) عاملكم : واليكم ويريد بذلك نفسه . (٣) إحن : جمع إحنة وهي الحقد . (٤) دُبْرٌ :
خلف . (٥) ترع عن الامر : انتهى عنه . (٦) صفحته : وجهه . (٧) الذادة : جمع
الذائد وهو الخامي . (٨) نذود : ندافع . (٩) البقية : مال الخراج والفتح والجزية .
(١٠) ولينا : اي ما تولينا من الامر .

فَأَسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفَيْتَنَا بِمُنَاصَحَتِكُمْ أَنَا . وَأَعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَرْتُ عَنْهُ ^(١) فَلَنْ أَقْصِرَ عَنْ ثَلَاثٍ ^(٢) : لَسْتُ مُجْتَنِبًا عَنْ طَلَابِ حَاجَةِ مِنْكُمْ وَلَوْ أَتَلَفِي طَارِقًا بَلِيلًا ، وَلَا حَاسِبًا عَطَاءً ، وَلَا رِزْقًا عَنِ إِبَانِهِ ^(٣) وَلَا مُجَبِّرًا لَكُمْ ^(٤) بَعَثًا ^(٥) . فَأَدْعُوا اللَّهَ بِالْصَّلَاحِ لِأَنْتُمْ ، فَإِنَّهُمْ سَأَسْتَكُمُ الْمُؤَذِرُونَ أَكْمَ ، وَكُهُنُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يُضَلِّحُوا تُضَلِّحُوا ، وَلَا تُشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ بَغْضَهُمْ فَيَشْتَدَّ لِدَلِكْ غَيْظُكُمْ ^(٦) ، وَيَطُولَ لَهُ حُزْنُكُمْ ، وَلَا تُذَرِكُوا لَهُ حَاجَتَكُمْ ^(٧) ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ أَسْتَجِيبَ أَكْمَ فِيهِمْ لَسَكَانَ شَرًّا لَكُمْ ^(٨)

وقد كانت هذه الخطبة كافية لارهاب البصريين . فان الفاظها انقضت على رؤوسهم انقضاء الصواعق ، فوجروا لها وقت في عضدهم ، وهالهم ما فيها من تهديد ووعيد . وما ان همس هامس : « أنبأنا الله بغير ما قلت ، » و اراد بذلك الاحكام التي جاوز فيها السنة ، حتى سمعه زياد فقال : « إنا لا نبلغ المراد فيك وفي صحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوفاً . »

ولم يكن زياد هازلاً في كلامه ، فانه لم يلبث ان قرن القول بالعمل . فكان رهيباً في خطبته ، ورهيباً في تنفيذ احكامه .

وقد رأيت ما في معاني هذه الخطبة من جلاء . وبلاغة ، على ايجاز كثير في اللفظ ، وما في تنسيقها من فن وجمال . فانه وقف في القسم الاول منها . موقف واعظ يذكر للقوم ذنوبهم ، ويذكر لهم كتاب الله وما فيه من وعد طيب للمتقين ، ووعيد راعب للفاسقين .

ثم انه وقف في القسم الثاني موقف القاضي المشرع ، فبين للقوم انهم احدثوا في الاسلام احداثاً غير مألوفة ، فأحدث لهم عقوبات غير مألوفة . ونستدل من هذا

(١) عنه : اي عن شيء . والضمير عائد الى مها . (٢) ثلاث : اي ثلاث مسائل . (٣) إبانة : وقته . (٤) مجبراً : حاسباً في ارض العدو . (٥) بعثاً : جيشاً . (٦) فيشتد لذلك غيظكم : اي لانكم تقهرون انفسكم اذا ابغضتموه . (٧) يقول : يطول حزنكم من القهر ولا تبلغون ما ربيكم منهم . (٨) يقول : لو استجيب دعائكم عليهم للاقيمت شرّاً لانكم لن تجدوا سلطاناً خيراً من سلطانكم .

القسم ان العرب في صدر الاسلام ظلوا يحنون الى جاهليتهم ويدعون بها ، لانهم رأوا في الاسلام نظاماً وقيوداً لم يتعودوها . وازاد زياد ان يفهم البصريين انه جاد في تنفيذ شرائعه ، فأحل لهم معصيته ان تعلقوا عليه بكذبة : « ان كذبة المنبر بقاء . . . » ويختم هذا القسم بدعوتهم الى الاقتداء به والاضرب ساعناقهم .

ووقف في القسم الثالث موقف الحكم التزيه العادل ، المصفي من الحزازات والضعائن ، المرتفع عن الاحزاب : « فرب مبتئس بقدمنا سيئر ، ومسرور بقدمنا سيئس . »

ووقف في القسم الاخير موقف سياسي داهية يث الدعوة اللاميين . فطلب من البصريين السمع والطاعة ، ووعدهم بقضاء حاجاتهم ، واعطائهم الرزق في وقته ، وعدم حبس الجيش في ارض العدو .

ثم افهمهم انهم اعجز من ان يبلغوا مأرباً من اثمهم اذا ابوا الخضوع لهم ، وان بني أمية خير لهم من غيرهم . وكان ختام خطبته وعيداً ليظل صوت التهديد يطن في آذانهم : « إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم ان يكون من صرعاي ! . . . »

صنفته

قال الشعبي : « ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا احببت ان يسكت خوفاً من ان يسيء إلا زياداً فإنه كان كلما اكثر كان اجود كلاماً . » وقال الحسن البصري : « أوعد عمرو فعمراً ، وأوعد زياد فابثلي . » وقال عمرو بن العاص ، وقد سمعه يخطب وهو فتى : « لله در هذا الغلام لو كان ابوه قرشياً لساق العرب بعصاه ! » وكان الاقدار ارادت ان تحقق قول ابن العاص فيه ، فما استلحقه معاوية وولاه البصرة حتى لمعت عبقريته ، فصاحة وحزماً ودهاء ، فساق العرب بعصاه ! . . . »

١٢٥٥
٢٥٥
١٢٥٥

الحجاج

٧١٣ م و ٩٥ هـ (٩)

- حياته : نشأته في الطائف . اتصاله بالامويين . احراقه فساطيط رَوح . ولايته على الحجاز : حصار مكة . ضرب الكعبة بالمنجنيق . مقتل ابن الزبير . تجديد بناء الكعبة . ختم ايدي الصحابة . ولايته على العراقين : قدومه الكوفة وخطبته . قتله عمير بن ضابئ . قدومه البصرة . قتله شريك ابن عمرو . محاربه الخوارج . وصية عبد الملك فيه . موته : في اواخر خلافة الوليد . عدد قتلاه ١٢٠ الفاً ، ترك في السجن بعده ٥٠ الف رجل و ٣٠ الف امرأة .
- آثاره : خطب اكثرها في التهديد . اكثر من نسخ مصحف عثمان . امر باعجام الحروف .
- ميزته : براعة في تصوير الكلام . جمل قصيرة مقطعة قوية ، فيها خشونة البداوة . يقتبس من القرآن ، ويمثل بالاشعار . ظاهر الحجّة . يستهوي سامعيه ، ويفلبهم على ارادتهم . مترلته : وطد ملك بني أمية . قلبه ولسانه يجريان الى نحو اعدائه فرسي رهان .

مبارة

هو الحجاج بن يوسف الثقفي ؛ وأُلد في ايام معاوية سنة ٤١ هجرية ، وقيل بل سنة ٤٢ . ونشأ في الطائف ، وعلم فيهما العلمان ، ثم جاء الشام واتصل بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان ، فكان في شرطته .

وأحسن الخليفة ان عسكره ينجح ويتراخي عنه فشكا الامر الى رَوح فقال : « ان في شرطي رجلاً لو قلده اير المؤمنين امر عسكره لأرحل الناس برحيله ، واتزلهم بتزوله ، يقال له الحجاج بن يوسف ، » قال « قد قلدها ذلك . » فما ان تولى الحجاج إمرة العسكر حتى اخذ يشدد عليهم ، ويكرههم على الطاعة . فاذعنوا له ولم يعصه الا اعوان رَوح بن زنباع . فأمر بهم فجلدوا بالسياط وطوّقهم

بالعسكر ، ثم امر بفساطيط ^(١) رَوْح فأحرقت . فدخل رَوْح على عبد الملك شاكياً ، فقال : « عليّ به . » فلما دخل قال له : « ما حملك على ما فعلت ؟ » قال : « انت فعلت فأنا يدي يدك وسوطي سوطك ، وما على امير المؤمنين الا ان يخلف على رَوْح عوض الفسطاط فسطاطين ، وعوض الغلام غلامين ، ولا يكسرني في ما قدمني . » فأعجب به عبد الملك ، وفعل ما قال . وكان ذلك اول ما عرف من جرأته وحزمه ، فوجد بعده منهلاً عذبا لاروا آماله ومطامعه .

ولادته على الحجاز

فلما افتتح عبد الملك العراقين بعد مقتل مصعب بن الزبير ، لم يبق دونه غير الحجاز وفيه عبد الله يدعي الخلافة . فقال الحجاج : « انا له يا امير المؤمنين ، فلقد رايت في منامي اني سلخته من جلده . » فجهّز له جيشاً عظيماً فزحف به في السنة الثانية والسبعين للهجرة ، فجرت بينه وبين عبد الله وقائع كثيرة ، دارت فيها الدائرة على ابن الزبير . ثم حاصر الحجاج مكة سبعة اشهر ، ونصب المنجنيق على ابي قبيس ^(٢) ورمى به الكعبة ، وكان يأخذ الحجر بيده ويضعه في المنجنيق لان اصحابه خافوا هتك حرمة البيت . وشدّد الحصار حتى تضايق ابن الزبير ، واصاب الناس مجاعة شديدة ، فتفرقوا عنه وخرجوا الى الحجاج مستأمنين . فلم ير عبد الله بداً من القتال ، فخرج بن بقي معه ، وحارب مستبسلاً حتى قتل . فارسل الحجاج رأسه الى عبد الملك ، وصلب جثته . وصار الامر بعد ذلك اميد الملك وبايعه اهل الحجاز واليمن . فأقر الحجاج اميراً على الحجاز ، فجدد بناء الكعبة بعد ان هدمها ، ثم اقام بالمدينة مدة فأساء الى اهلها ، وختم ايدي جماعة من الصحابة بالرصاص . وكانت ولايته على الحجاز من سنة ٧٣ الى سنة ٧٥ هـ . و ٦٩٢ الى ٦٩٤ م .

ولادته على العراقين

ثم ولاه عبد الملك العراقين ، وقد عانت فيها الحروب الداخلية ، فسار من المدينة الى الكوفة في اثني عشر راكباً على النجائب ، فدخل المسجد وصعد المنبر

(١) الفساطيط : جمع الفسطاط وهو السرداق من الابنية . (٢) ابو قبيس : جبل مشرف على حرم مكة من جهة الشرق .

وهو متلثم بعمامة خز^(١) حمراء، وقال: «علي بالناس!» فحسبوه خارجياً وهتوا به، وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم. فاجتمع الناس وهو ساكت قد اطال السكوت. فتناول احدهم حصي الكبي يرميه بها، فلما تكلم جعلت الحصى تنثر من يده وهو لا يشعر رعباً ومهابة.

ثم امر بان يلحق الناس بجيش المهلب لقتال الحرورية^(٢) فجاءه عمير بن ضابي الخنظلي فقال: «اصلىح الله الامير، انا في هذا البعث^(٣) وانا شيخ كبير عليل، وابني هذا أشب مني.» فقال الحجاج: «هذا خير لنسا من ابيه.» ثم قال: «من انت؟» قال: «انا عمير بن ضابي.» قال: «ألت الذي غزا عثمان بن عفان؟» قال: «بلى.» قال: «يا عدو الله أفلا الى عثمان بعثت بدلا! وما حملك على ذلك؟» قال: «انه حبس ابي وكان شيخاً كبيراً.» قال: «أو است القائل:

هَمَمْتُ، وَلَمْ أَفْعَلْ، وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ؟

اني لأحسب ان في قتلك صلاح المضرين.» وامر به فضرب عنقه وأتتبه ماله. ثم سار الحجاج الى البصرة وخطبهم، وتوعد من لا يلحق منهم بالمهلب بعد ثلاثة ايام. فأتاه شريك بن عمر اليشكري وكان اعور وبه فتق، فقال: «اصلىح الله الامير إن بي فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرني.» فأمر به فضرب عنقه. فلم يبق بالبصرة احد من عسكر المهلب الا لحق به. فقال المهلب: «لقد اتى العراق رجل ذكر اليوم قوتل العدو.»

ثم شغب عليه اهل البصرة وعلى رأسهم عبد الله بن الجارود فاخضعهم وقتل ابن الجارود. وخروج عليه شبيب الخارجي فكانت بينهما وقائع كثيرة كتب النصر في نهايتها للحجاج. ففتقرت انصار شبيب عنه، وتردَّى به فرسه من فوق

(١) الخز: ما نسج من الصوف والحرير او الحرير فقط. (٢) المهلب بن صقره: عامل

لبنى أمية حارب عنهم الخوارج، ثم تولى خراسان من قبل الحجاج وظل عليها حتى توفي سنة ٨٣ هـ. و ٧٠٢ م واشهر اولاده يزيد بن المهلب، والمنيرة بن المهلب، قاتل الخوارج وكانت له مهم وقائع مشهورة. (٣) البعث: الجيش.

جسر فسقط في الماء وغرق .

ثم خرج عليه ابن الأشعث باكثر من مئتي الف ، فاستولى على العراق ، فأمد عبد الملك الحجاج بجيش لجب . فقاتل ابن الأشعث ثمانين وقعة في ستة اشهر حتى هزمه بدير الحجاجم^(١) واستنقذ العراق من يده ، وقتل خلقاً كثيراً من اصحابه .

ولما حضرت عبد الملك الوفاة قال لبيته : « اكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم المناير ، ودوخ لكم البلاد واذل الاعداء . » فأقره الوليد بعد ابيه على امارته في العراقين والمشرق .

موته

قيل انه هلك بأكلة^(٢) في بطنه ، واصيب بالزهرير فكانت الكوائن تجعل حوله مملوءة ناراً وتُدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها . وشكا ما يجده الى الحسن البصري فقال : « قد كنت نهيته ان لا تتعرض للصالحين . » فقال : « يا حسن لا أسألك ان تسأل الله ان يفرج عني ، ولكن ان يعجل قبض روعي ، ولا يطيل عذابي . » واقام الحجاج على ذلك خمسة عشر يوماً ، ثم توفي وله من العمر ٥٤ سنة . ومدة امارته على العراق ٢٠ سنة . مات بواسط^(٣) فدفن بها ، ثم عقي قبره واجري عليه الماء لكي يخفي اثره . وكان هلكه في اواخر خلافة الوليد وقد جعله بعضهم سنة ٧١٦ م و ٩٨ هـ . وهذا خطأ ظاهر لان الحجاج مات قبل الوليد والوليد توفي سنة ٧١٤ م و ٩٦ هـ .

وقد ضرب المثل بجور الحجاج ، وروي انه أحصي من قتلهم فكانوا عشرين ألفاً ومائة الف وكان في سجنه بعد موته خمسون الف رجل ، وثلاثون الف امرأة .

(١) دير الحجاجم : دير بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك الى البصرة . (٢) الأكلة : علة صورتها صورة الفروح الا انها تسمى في زمان يسير في مواضع كثيرة ولها رائحة . او هي داء في العضو يأكل منه . (٣) واسط : مدينة بناها الحجاج بين الكوفة والبصرة سنة ٨٣ هـ و ٧٠٢ م .

خطب عديدة أكثرها في التهديد . وأشهرها خطبة عند قدومه العراق ، وأخرى بعد واقعة دير الجماجم . ومن مآثره أنه أكثر من نسخ مصحف عثمان ، وأوغز إلى كاتبه نصر بن عاصم بأعجام الحروف للتمييز بين المتشابه منها .

سيرته

ليست حجارة المنجنيق بأشد وقماً على الناس من خطب الحجاج في تهديده ووعيده . فلقد اوتى براءة عجيبة في تصريف الكلام ، على جرأة نادرة تتضاءل دونها جرأة زياد . فترى في جملة القصيدة المقطعة قوة لا تراها في غيره . ويبدو لك في الفاظه شيء من خشونة البداوة ، يزيد تعابيره عنفاً على عنف .

وهو في خطبه كثير الاقتباس من القرآن ، كثير الاستشهاد بالإشعار ، ظاهر الحجة ، يستهوي سامعيه ويملك أرواحهم ، فيريهم ظلمه عدلاً ، وعقابه رحمة حتى يتوهموا أنه مصيب في دعواه ، وانهم هم القوم الظالمون .

فإذا اردت ان تتبين بلاغة الحجاج ودعائه وشدة بأسه ، فعليك بخطبه في أهل العراق فإنها اصدق صور لنفس ذلك الطاغية الداهية اللسان . وما قولك برجل قدم الكوفة في اثني عشر راكباً على النجائب ، فجمع الناس في مسجدتها وقام على المنبر يخاطبهم بقوله :

أَنَا ابْنُ جَلَا ، وَظَّلَاعُ الثَّنَائِيَا ، مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي (١)
إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى أَبْصَاراً طَامِحَةً ، وَأَعْنَاقاً مُتَطَاوِلَةً ، وَرُؤُوساً قَدْ أَيْنَعَتْ
وَحَانَ قِطَافُهَا ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا . وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ تَرْتَقِرُ بَيْنَ
الْعِمَامَةِ وَاللَّحْيِ .

هَذَا أَوْ أَنَّ الشَّدَّ فَاسْتَدِي زَيْمٌ ، قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ (٢)

(١) ابن جلا : اراد به الواضح الامر . الثنايا : جمع الثنية وهي العقبة في الجبل ، موطأ
الثنايا : كناية عن يقدم على مشاق الامور . (٢) الزيم : جمع الزيمة وهي قطعة من الابل

لَيْسَ بِرَأْيِي إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ ، وَلَا يَجْزَارُ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٌّ (١)
 أَلَا وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ (٢) وَعَجَمَ عِيدَانَهَا (٣) فَوَجَدَنِي
 أَصْلَبَهَا عُوداً ، وَأَشَدَّهَا مَكْبِرًا ، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ ، وَرَمَاكُمْ بِي . . .

صُرِّتَهُ

قال الحسن البصري : « تشبه زيادُ بعمر فأفوط ، وتشبهه الحجاجُ بزياد فأهلك
 الناس . » وقال عبد الملك لبيته لما حضرته الوفاة : « اكرموا الحجاج فإنه الذي
 وطأ لكم المنابر ، ودوخ لكم البلاد ، وأذل الأعداء . » الا وان في كلا القولين
 لأصدق وصف للحجاج ، فان هذا الجبار كان شديد الإعجاب بزياد ، فتحصده
 مقتفراً (٤) آثاره ، ففاقه في تهديده ، وفاقه في احكامه ، ولولا هو لذهب ملك بني
 أمية بعد معاوية وبنيه . فانه الذي وطد لهم العرش وازال خلافة ابن الزبير ، ورد
 عنه الحجاج . وكان قلبه ولسانه يجريان الى نحو احدائه فرسي رهان .

اقلها بعيران او ثلاثة واكثرها خمسة عشر ونحوها . وقوله : اشتدي زم : خطاب لاهل
 العراق شبههم بقطع الابل . ثم انتقل من الخطاب الى الغيبة فقال : قد لقاها الليل : أي لف
 الابل . السواق : السائق . الحطم : الظلوم للماشية بحشم بعضها ببعض . شبه نفسه بسائق
 ظلم يسوق اهل العراق . (١) الجزار : اللحم . الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم .
 يقول : ليس هذا السائق راعيا او جزارا فيرحم الماشية ويدارها . والمراد بذلك انه يسوقهم
 بلا شفقة ولا رحمة فعل السائق الحطم .

(٢) الكنازة : وعاء النبل ، والمراد انه عرض رجاله وفحص عنهم . (٣) عجم الود :
 عضه بسنه ليعرف صلابته من رخاوته . (٤) مقتفراً : متقبماً .

الكتابة

قلنا في كلامنا على النثر الجاهلي : ان الانسان الفطري لم يحتاج الى الكتابة ، لان هذا الفن انما ينشأ بنشوء الجماعات المنظمة ، وينمو بنمو القوى المفكرة ، ويعظم بعضهم الحاجة اليه . وقد ظل العرب في جاهليتهم لا يصطنعون الكتابة الا قليلاً ، حتى جاء الاسلام بفتوحاته ، وانشأ دولة منظمة مترامية الاطراف ، فمست الحاجة الى الكتابة ، لان مصالح المملكة قضت بان يكون لها دواوين تضبط شؤونها ، وان يكون الخلفاء على اتصال بعالمهم ، والعمال بخلقاتهم ، وما من سبيل الى ذلك الا بالكتابة ، فجعل للدواوين كتاب يتوفرون على تنظيمها . ولم يكن للعرب يومئذ من الثقافة ما يمكنهم من الاضطلاع بهذه الامور ؛ فجعلت الدواوين على عمدة الموالي ابناء الشعوب الاعجمية المتحضرة التي قهرها المسلمون وافتتحوها بلادها . وكان هؤلاء الموالي لا يحسنون العربية في اول امرهم ، فنظموا شؤون الدولة بلغاتهم ، فكانت اليونانية في الشام ، والقبطية في مصر ، والفارسية في العراق وفارس . وظلت كذلك حتى خلافة عبد المالك بن مروان ، فشرع في نقلها الى العربية شيئاً فشيئاً . وكان الموالي قد تعلموا لغة العرب واتفقوا ، فاستمرت ادارة الدواوين في ايديهم لبراعتهم في تنظيمها ، ولان العرب كانوا لا يرتاحون الى هذه الصناعات ، وربما أنفوا منها .

واما لغة الرسائل بين الخلفاء والعمال فكانت عربية خالصة ، قصيرة الجمل ، بليغة التعبير ، لا فرق بينها وبين لغة الخطابة . وكانت موجزة ، وربما اقتضت على جملتين او ثلاث تامة المعنى ، كما في رسالة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص يستنجده في مجاعة : « من عبد الله عمر امير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي سلام . اما بعد ، فلعمري يا عمرو ، ما تبالي اذا شئت انت ومن معك ان اهلك انا ومن معي . فيسا غوثاه ! ثم يا غوثاه ! »

ثم في جواب ابن العاص له :

« الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . اما بعد ، فيا لبيك ! »

ثم يا لبيك ، قد بعثتُ اليك بغير^(١) اولها عندك و آخرها عندي والسلام !

ولم تطل الرسائل ، وتوضع لها الاصول الا بعد ان نبغ عبيد الحميد بن يحيى^(٢) ،
وكتب لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فكان هذا المولى طليعة المنشئين البلاغاء .

العلوم

كان من اثر اختلاط العرب بالموالي وتراوجهم ، أن فسدت ملكة اللغة ،
وفشا اللحن في الكلام . وكان الخلفاء جَدَّ حِرَاصٍ على صحة قراءة القرآن ،
فأشفقوا من ان يفضي هذا اللحن في اللفظ الى افساد المعنى ؛ فشرعوا في ضبط اعراب
الكلمات ، وتحريك الحروف واعجابها . واول من اشتغل بالنحو ابو الأسود الدؤلي ،
جرى فيه على نحو اللغة السريانية ؛ ويقال ان اول باب وضعه كان التعجب . وهو
ايضاً اول من وضع الحركات على شكل نقط فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف ،
والضمة نقطة بين يدي الحرف ، والكسرة نقطة من تحت الحرف . وكانوا ينقطنون
هذه الحركات بمداد من غير لون المداد الذي يكتبون به الكلمات .

وظلت الحركات كذلك حتى زمن الحجاج بن يوسف فجعلت النقط لإعجام
الحروف المشابهة ، ثم كتبت الحركات بصورتها المعروفة الآن . (نحو اِرِكْر؟)

ولم يقتصر اختلاط العرب بالموالي على وضع النحو والحركات والنقط ، بل
تعداه الى ابعد من ذلك ؛ فان هؤلاء الاعاجم من روم و فرس حملوا الى الامة العربية
حضارة عادية ، وعلوماً مزدهرة ، فنبهت بها كامن الفكر على طلب العلم ، وكان
لها من القرآن والحديث حافزٌ على ذلك ، فتوَلَّد في نفسها نزوع الى التحضر والاستغفال
بالعلوم . فعُنيت اولاً بدراسة القرآن وتفهم اسراره ، واستنباط الاحكام منه ،
فنشأ علم التفسير ممهّداً طريق علم الفقه . وقد اشتهر من علماء التفسير طائفة من

(١) العير : القافلة . عبد الحميد بن يحيى : من اهل الشام الاصليين ، وكان مولى
لبنى عامر ، قتله السفاح بعد سقوط خلافة الامويين . ولم يصل الينا من آثاره سوى بضع
رسائل منها رسالة الى ولي العهد عبد الله بن مروان كثيرة الطول ولكنها غاية في البلاغة .

الصحابة وغير الصحابة . وكان الموالي حظ وافر منه ، فنبغ منهم ائمة كبار كالحسن البصري ، وابن سيرين ، ومجاهد بن جبر وغيرهم .

ثم عنيت بالتاريخ رغبة في الاطلاع على احوال الامم القديمة ، فكان القصاصون من عرب وموالي يروون لها اخبار الملوك والعظماء . ذكر المسعودي : « ان معاوية كان يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء ، فيقصون عليه اخبار العرب واياها ، والعجم وملوكها وسياستها في رعيتهما ، وسائر مساوك الامم وحروبها ومكايدها ، ثم ينام ثلث الليل ويقوم فيأتيه غلمان وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فيقرأون عليه ما في تلك الكتب من سير الملوك ، واخبار الحروب ومكايدها ، وانواع السياسات . وعني المسلمون ايضاً بتدوين سيرة النبي ، واعمال صحابته . وكان يعرف علم التاريخ عندهم « بعلم اخبار الماضين . »

وعرف العرب في العصر الاموي شيئاً من العلوم الدخيلة كالفلسفة ، والطب ، والنجوم والكيمياء . ويرجع الفضل في ذلك الى المدارس السريانية كمدرسة الرها ونصيبين ، فان المسلمين بعد ان افتتحوها تلك البلاد تركوا هذه المدارس تتابع اعمالها فاستفادوا من علومها . واخرجت لهم اطباء عرفوا في ذلك العهد كابن اناط النصراني وكان طبيباً لمعاوية وماسرجويه ، وكان سرياني الجنس يهودي المذهب . قيل انه نقل كتاباً في الطب في ايام مروان بن الحكم .

وكان اول من اشتغل بهذه العلوم من العرب خالد بن يزيد بن معاوية ، فانه درس صناعة الكيمياء على راهب رومي يدعى مريانس ، فلما تعلمها امر بنقلها الى العربية ، فنقلها له رجل اسمه اسطفان . وذكر صاحب الفهرست ان سالماً كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل ارسطو الى الاسكندر .

بيد ان صدر الاسلام لم يترك لنا من العلوم الدخيلة وغير الدخيلة الا اخبارها ، فلا يصح لنا ان نبحث عنها في هذا العصر ، ولكن في عصر بنى العباس .

الرواية

كان لكل شاعر في الجاهلية رواية يروي شعره ويؤويه غيره ، لان الكتابة لم تكن شائعة في ذلك العصر . ولولا الرواية لما وصل الينا شي من الشعر الجاهلي . ثم شاعت الكتابة في الاسلام بعد ان تم الامر لبني أمية ولكن الشعر ظل محفوظاً في صدور الرواة ، ولم يُدوّن الا في العصر العباسي الاول . على ان الرواة كثر عددهم في العصر الأموي ، لان المسلمين لما شرعوا بتفسير القرآن وضبط ألفاظه ، اضطروا الى جمع اشعار العرب وامثالهم ليستعينوا بها على تفهيم الآيات وادراك اسرارها . وكان ابن عباس يقول : « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله لم تعرفوه ، فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب . »

وكان لتنافس الاحزاب السياسية يد في التزديد من الرواية ، فكانت كل فئسة تفاخر الاخرى بشعرائها وعظماؤها ، وتروي اخبارهم واقوالهم . وآنس الرواة من الامويين ارتيحاتاً الى معرفة نوادر الاعراب واشعارهم ، فراحوا يتلقفونها بين الخيام من كل قبيلة خالصة البداوة ، ويأتون بها اليهم فيصيرون عليها نوالاً عظيماً .

غير ان هذه الروايات لم تسلم من النحل والكذب ، لان الرواة لم يتورعوا من اضافة شعر الى غير قائله ، واختراع قصة لا اصل لها ؛ إما للاتيان بشاهد يعتمد عليه في المعاني او في النحر ، وإما لارضاء شخص او حزب بذكر مجد من ينتمي اليه ، او لمفاكهة الخلفاء والامراء وسواهم من الناس . فنشأ عن ذلك الشعر المنحول ، ونشأ ايضاً فن القصص الخيالية كاخبار مجنون ليلى ، وجميل بثينة ، وعنترة وسواهم .

واذا كان الرواة اساءوا الى التاريخ بما اصطنعوه من الاشعار والاخبار ، فقد خدموه اجل خدمة بما حفظوا من اقوال اهل الخيام وعاداتهم واخلاقهم . ومن الرواة من عرف يصدق الرواية كقتادة بن دعامة السدوسي^(١) وأبي عمرو ابن العلاء^(٢) . ومنهم من عرف بالكذب والنحل كخناد ، وهو اشهر الرواة الامويين .

(١) قَتَادَة : عالم من اهل البصرة توفي سنة ٧٣٥ و ٥١١٧ هـ . (٢) ابو عمرو بن العلاء : من اشراف العرب واعلمهم بالقراءات واللغة والايام . وكان له شغف بالرواية يأخذها عن

حماد

٧٨١ م و ١٦٥ هـ

- حياته : ديلمى كوفي من موالي بني بكر . يلقب بالراوية لسعة روايته . حظي عند الامويين . لم يحظَ عند العباسيين . موته في خلافة المهدي . تاريخ وفاته . عمره تسعون لا ستون .
- مقرته : اول من جمع السبع الطوال واكثر اشعار العرب ، ولكن ضاعت مجموعاته . قوة حافظته . كذبه . نخله . لحنه . قول الضبي فيه . قول ابن سلام . المهدي يبطل روايته .

حياته - منزلته

هو ابو القاسم حماد بن ميسرة الديلمي الكوفي من موالي بكر بن وائل ، ويلقب بالراوية لانه كان اعلم الناس بايام العرب واشعارها ، واخبارها ، وانسابها ولغاتها . وكان في اول امره يصحب الصعاليك والاصوص ، فنقب ليلة على رجل فاخذ ماله ، وكان فيه جز . من شعر الانصار فقرأه حماد فاستحلاه وتحفظه . ثم طلب الشعر وايام العرب ولغاتهم ، وترك ما كان عليه ، فبلغ من العلم مرتبة سامية . ولكنه كان كثير اللحن ضعيف اللغة . واشتهر بقوة الحافظة فرويت عنه اخبار كثيرة لا تحلو من الغلو ، منها : انه كان يروي سبع مائة قصيدة ، اول كل واحدة منها بانت سعاد . وانه سمع الطرمح الشاعر ينشد قصيدة عددها ستون بيتاً ، فقال له : « ليست لك ، » قال : « كيف لا ؟ » قال : « اني انشدتها بزيادة عشرين بيتاً لتعلم انها ليست لك . » ثم انشدتها وزاد فيها من نظمه .

وحظي حماد عند الامويين فكانوا يستقدمونه ويسألونه عن ايام العرب واشعارها ولغاتها ، فيروي لهم وينال جوائزهم . قيل : سأل الوليد بن يزيد يوماً : « بم استحققت ان تلقب بالراوية ؟ » قال : « اني اروي لكل شاعر تعرفه او

احراب ادركوا الجاهلية . وكان يقول : « ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا اقله » توفي سنة ٧٨٠ م و ١٥٦ هـ .

سمعت به، ثم اروي لاكثر منهم ممن تعرف انك لا تعرفه ولم تسمع به . ثم لايشدني احد شعراً قديماً او حديثاً الا ميزت بينهما . « فقال له : « كم مقدار ما تحفظه من الشعر ؟ » قال : « كثير، ولكني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات، وذلك من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام . » قال : « فاني بممتحنك . » ثم امره بالانشاد فجعل ينشد حتى ضجر الوليد فوكل من يسمع بقية القصائد واستحلفه ان يصدقه، فانشد حماد ٢٠٠٠ قصيدة للجاهلية .

ومهما كان في هذا الخبر وما قبله من المبالغة فانه يدل على حافظة عجيبة ، ورواية واسعة عرف بهما حماد .

وادرك راويتنا دولة العباسيين ، ولكنه لم يحظ عندهم حظوته عند الامويين فحمله ذكره . وكانت وفاته في خلافة المهدي ، وزعم قوم انه مات وله من العمر ستون سنة؛ ونحن نرى انه جاوز الثمانين او بلغ التسعين، لانه اشتهر بالرواية في خلافة يزيد بن عبد الملك^(١) وكان منقطعاً اليه ، وبين موت يزيد وموت حماد ستون سنة . ولا يصح عندنا ان يعرف بالرواية قبل الثلاثين من عمره ، والرواية يحدوثنا انه قضى شطراً من حياته يصحب اللصوص والصاليك . وجعل بعضهم وفاته سنة ١٥٦ للهجرة ، وجاراهم بعض كتابنا المعاصرين^(٢) مع انهم ذكروا انه ادرك المهدي ، وان الخليفة العباسي كان يستدعيه ويستنشده ، ولكنه كان يؤثر عليه المفضل الضبي لصدق روايته . وخلافة المهدي تتدنى سنة ١٥٨ للهجرة اي بعد سنتين من وفاة حماد على زعمهم ، فالخطأ واضح كما ترى .

وكما عرف بالعلم وسعة الرواية، عرف بالكذب والوضع، فكان يزيد في الاشعار التي يرويها لغیره من شعره ، او ينتحل من شعر غيره ، ما هو قديم لا يرويه احد غيره يضمه الى شعره ، فيختلط بعضه ببعض . قال المفضل الضبي : « قد سأت على الشعر من حماد الرواية ما افسده ، فلا يصلح ابداً . » فقيل له : « وكيف

(١) خلافة يزيد بن عبد الملك من سنة ٧٢٠ - ٧٢٤ م و ١٠١ - ١٠٥ هـ . (٢) جرحي

زيدان في كتابه تاريخ اداب اللغة العربية .

ذلك ، أيحظى في روايته ام يلحن ؟ » قال : « ليته كان كذلك ، فان اهل العالم يردون من اخطأ الى الصواب ، وايكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ، ومذاهب الشعراء ، ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر ، يشبه به مذهب رجل ، ويسدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط اشعار القسدهاء ، ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ؛ وابن ذلك ؟ »

واستحلف المهدي حماداً في امر الزيادة في اشعار الناس ، فاقر له بابيات اضافها الى زهير بن ابي سلمى ، فأمر المهدي بابطال روايته ، ووصل المفضل صدقه وصحة روايته .

قال ابن سلام : « وكان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الاشعار . » وقال يونس : « العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر . »

وحامد اول من جمع السبع الطوال ، وجمع اشعار اكثر القبائل ، واكثر شعراء بني أمية ، وجعل شعر كل قبيلة او شاعر في كتاب . فكان عنده كتاب لشعر قريش ، وآخر لشعر ثقيف ، وآخر لغيرهم ، واكثرها ضاعت كلها وروى الناس عنه . غير ان الادباء المدققين الذين جاؤوا بعده لم يعتمدوا على الروايات التي انفرد بها دون غيره . وقد اظهر ابن سلام والاصفهاني وسواهما كثيراً من منتحلاته واكاذيبه .

فقد رأيت ان الصدر الثاني للاسلام كان عصر يقظة وتفكير وعمل ، عصر تنعم وترف ، ولكن لم يطل عمره فيتم ما بدأ به ، بل ادبل منه العصر العباسي ، عصر حضارة الاسلام ، ونهضة العلم والادب ، عصر التدوين والتأليف .

ARABIC LITERATURE الفهرست

رقم	العنوان	صفحة
٢١٤	النثر في الجاهلية	
٢٢١	صدر الاسلام	٣
٢٢١	لمحة تاريخية	٩
٢٢٨	الشعراء المحضرون	٩
٢٣١	كعب بن زهير	١٣
٢٤٥	حسان بن ثابت الانصاري	٢٢
٢٦٣	الشعراء الاسلاميون	٢٣
٢٦٤	نهضة الغزل	٤٣
٢٦٧	جميل بن معمر	٦٠
٢٧٨	عمر بن ابي ربيعة	٧٩
٣٥٢	ازدهار الشعر السياسي	٩٣
٣١١	الاختل	١٠٩
٣٣٩	الفردق	١٣٦
٣٧٠	جرير	١٤٩
٣٩٧	النثر الاسلامي - القرآن	١٤٠
٤٠٣	الخطابة	١٤٠
٤٠٥	زياد ابن ابيه	١٦٠
٤١٣	الحجاج	١٦٠
٤١٩	الكتابة	١٧٨
٤٢٠	العلوم	١٧٨
٤٢٢	الرواة	١٩٥
٤٢٣	حماد	١٩٥
	العصر الجاهلي	
	شعراء الجاهلية	
	الشفري	
	المهلب	
	المعلقات او السبع الطوال	
	امرؤ القيس	
	طرفه بن العبد	
	زهير	
	لبيد	
	عمرو بن كلثوم	
	عنترة	
	الحارث بن حازمة	
	سائر الشعراء المشهورين	
	للديح	
	الفاصلة الديباني	
	الفهر الحجري	
	الاعشى	
	الزنا	
	الغناء	
	الرجاء	
	الخطيبه	

Handwritten notes in Arabic script, including the word 'الخطيبه' (Al-Khatibah) and other illegible text.

Schulte
Helger

Johanniskung



البيساني، بطرس (المعلم)
ادباء العرب... حياتهم آثارهم نقد آثارهم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01069340

A.U. B. LIBRARY

